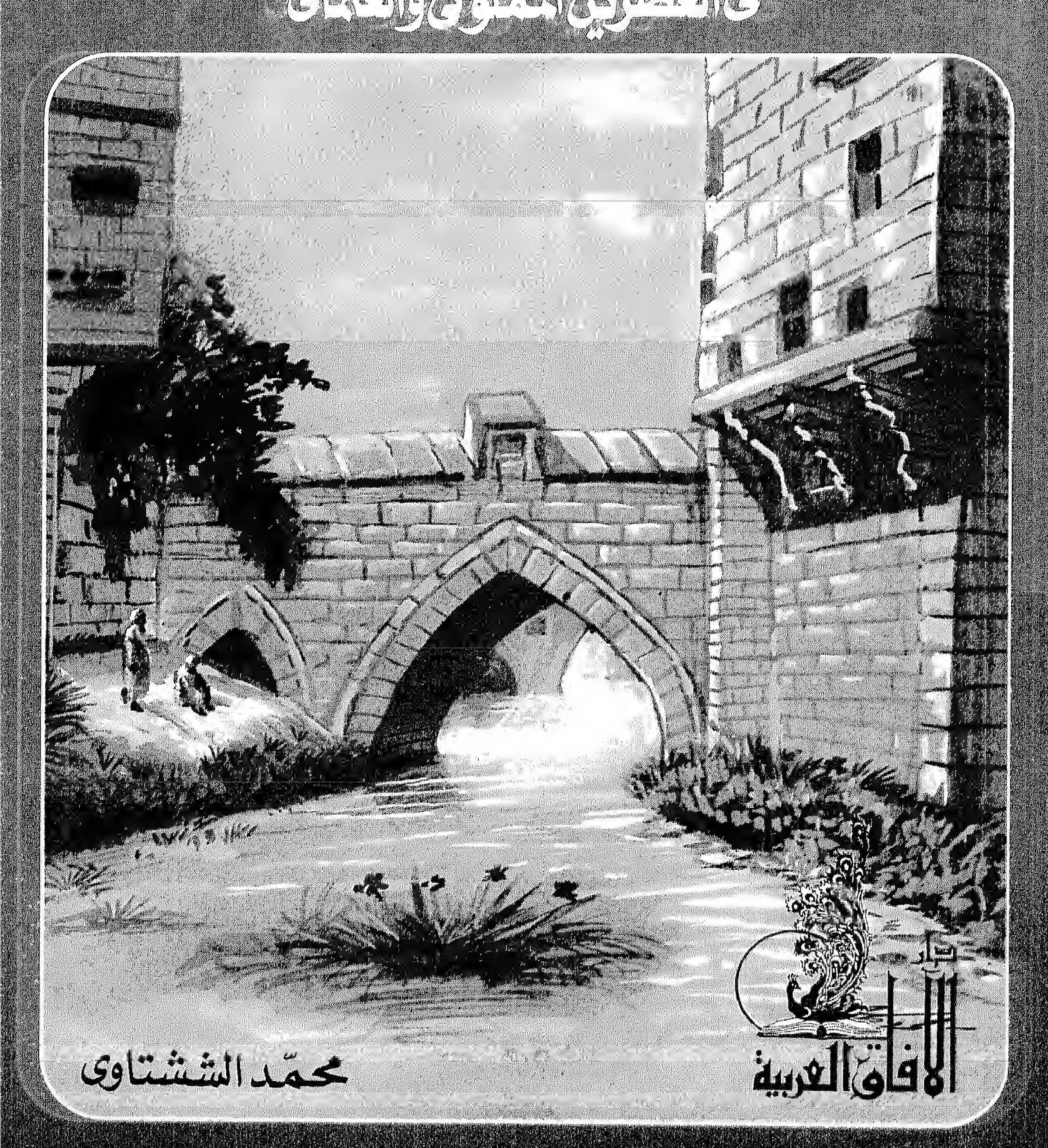
متنزهات القاهرة

في العصرين المملوكي والعثماني



محمّد الششتاوي

دار الآفاق العربية



متنزهات القاهرة

في العصرين المملوكي والعثماني

د. محمّد الششتاوي



الطبعة الأولى
١٤١٩هـ / ١٩٩٩

رقم الإيداع	٩٨/١٦٦٧٧
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 -5727- 31-6



القاهرة ـ ٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران
مدينة نصر ـ ت : ٢٦١٠١٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة آية ٣٢



تمهيــــد

نبذة عن تطور القاهرة العمرانى فى العصرين المملوكى والعثمانى:

بلغت القاهرة القمة فى تطورها العمرانى فى العصر المملوكى (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)، وقد اتسع مدلول لفظ القاهرة بين المؤرخين والرحالة وكتاب الخطط فى العصر المملوكى ليشمل المدينة المسورة التى بناها الفاطميون، وظواهرها أى الخطط والحارات التى بنيت خارج الأسوار، وكذلك شمل العواصم القديم الفسطاط، والعسكر، والقطائع، بالإضافة إلى القلعة، إلى جانب الضواحى الشمالية، وذلك لاتصال التعمير فى كل هذه الأنحاء حتى غدت القاهرة كبرى مدن العالم آنذاك.

ومنذ أوائل الدولة المملوكية زاد عدد سكان القاهرة نتيجة للهجرات التى جاءتها من شرق العالم الإسلامى فراراً من المغول، فوجب ذلك زيادة مساحة القاهرة، ويتضح ذلك جليًا فى سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م) حيث «بنى فى أيامه مالم يبن فى أيام الخلفاء المصريين (الفاطميين) ولا ملوك بنى أيوب من الأبنية والرباع والخانات والقواسير والدور والمساجد والحمامات، من قريب مسجد التبن إلى أسوار القاهرة إلى الخليج وأرض الطبالة، واتصلت العمائر إلى باب المقسم إلى اللوق إلى البورجى، ومن الشارع إلى الكبش وحدرة ابن قميحة إلى تحت القلعة ومشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها إلى السور القراقوشى(١)».

وكان الملك الظاهر بيبرس قد أمر فى سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م بعمارة الجانب الغربى للخليج بالدور الكثيرة فى منطقة باب اللوق لإسكان قسم من جيش هولاكو قائد المغول فر إلى مصر فى تلك السنة (٢).

---

(١) ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، (طبعة دار الكتب، جـ٧) ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

مسجد التبن يقع الآن داخل سراى القبة، وأرض الطبالة هى الفجالة حاليًا، وباب المقسم موقعه الآن فى ميدان رمسيس، والبورجى موقعه ميدان التحرير الآن، والشارع المذكور المقصود به شارع المعز لدين الله، وحدرة ابن قميحة تقع بزينهم حاليًا، وقد تناولت تلك الأماكن بالتفصيل تباعا.

(٢) المقريزى (تقى الدين أحمد بن على، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط، طبعة بولاق ١٢٧٠هـ ج٢، ١١٧، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، سعيد عاشور، طبعة دار الكتب (١٩٣٤ ـ ١٩٧٤م)، جـ١، ص ٨١٢.

وقد أهتم الظاهر أيضًا بمنطقة جنوب غرب القاهرة ينما عمرَّ قناطر السباع على الخليج ليسهل العبور بين ضفتى الخليج وييسر الطريق بين القاهرة ومصر القديمة، كما عَمَّر الجسر الأعظم الفاصل بين بركتى الفيل وقارون جنوبى القاهرة حتى ييسر الطريق إلى القلعة [١].

وقد أهتم الظاهر بيبرس بالقلعة اهتمامًا كبيرًا فعمر بها عمارات عظيمة جعلتها أشبه بالمدينة، واهتم بالأسواق حولها وخصوصًا سوق الخيل بالرميلة وأنشأ به حمامًا لولده الملك السعيد [٢].

وقد عمل الظاهر على اتصال العمارة من باب زويل إلى القلعة، فأنشأ فى تلك المسافة بيوتًا للأمراء، يسكنوها بحاشيتهم واتباعهم لأنه «كان يكره سكنى الأمير بالقاهرة مخافة من حواشيه على الرعية [٣]».

وعمل الظاهر أيضًا على تعمير القاهرة خارج سورها الشمالى، فأسس فى سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م جامعة الكبير شمال الحسينية، وأنشأ زاوية الشيخ خضر على الخليج بجواره، وبنى حمامًا وطاحونًا وفرنًا [٤]، وبدأ حى الحسينية يتطور منذ أيامه حتى بلغ أوج ازدهاره فى أيام سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة (٧٠٩ـ ٧٤٠هـ/ ١٣١٠ ـ ١٣٤١م).

أما عن القاهرة الفاطمية فكانت مكتملة العمارة فى ذلك الوقت وإن ما كان يحدث بها إما مجرد ترميم أو تعمير لخرائب أو هدم وإعادة بناء، وقد عمر بها الظاهر مدرسة عظيمة ذات تخطيط جديد اتخذ نبراسًا لما بنى بعدها من مدارس، وكان لها دور علمى كبير فى العصر المملوكى [٥]، بالإضافة لذلك فقد جدد الظاهر بعض الجوامع السابقة مثل جامع الفكهانى الذى بناه الخليفة الفاطمى الظافر (٥٤٤ ـ ٥٤٩ هـ/ ١١٤٩ ـ ١١٥٤م)، وجدد الجامع الأزهر، وأعاد إليه خطبة الجمعة بعد أن توقفت مائة عام، وقد اهتم بيبرس بجزيرة الروضة ورمم المقياس بها [٦].

وحظى حى الحسينية بعناية كبرى أثناء سلطنة الملك العادل كتبغا (٦٩٤ ـ ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٤ ـ ١٢٩٦م)، فقد أقيم به الكثير من الدور والمنشآت الدينية والاجتماعية، والأسواق العظيمة حينما أنزل الملك العادل به مهاجرين من المغول المعروفين بالاويراتية فى سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م [٧].

---

(١) انظر بالتفصيل فيما يلى، ص ٢٧٨. (٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص ١٩١.
(٣) نفس المصدر والصفحة.
(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٩٩، ٤٣٠، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٧، ص ١٩٢.
(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٧٨ـ ٣٧٩.
(٦) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٧، ص ١٩٢.
(٧) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٢ ـ ٢٣، السلوك، جـ١، ص ٨١٢.

وقد بلغت القاهرة أقصى اتساع لها فى فترة حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة، فمعاصره المؤرخ «ابن فضل الله العمرى» يذكر أن حاضرة (عاصمة) مصر فى وقته كانت تشمل ثلاث مدن عظام صارت كلها مدينة واحدة هى الفسطاط والقاهرة وقلعة الجبل [(١)].

ويعتبر عصر الناصر محمد هو العصر الذهبى لتعمير القاهرة بل لمصر كلها، وظلت حدود مدينة القاهرة دون تغيير كبير من أيامه حتى نهاية العصر العثمانى، وقد امتد العمران بالقاهرة شمالاً عبر الصحراء وفى الشمال الغربى وفى غربى الخليج والأرض التى اتصلت به من طرح النيل، ومن جنوب القاهرة حتى اتصلت بالقلعة ومصر القديمة والسيدة نفيسة، وقد قال «المقريزى» عن امتداد القاهرة أيام الناصر محمد « واتصلت عمائر مصر والقاهرة فصار بلداً واحداً يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياس والأسواق والفنادق والخانات والحمامات والشوارع والأزقة والدروب والخطط والحارات والأحكار والمساجد والجوامع والزاوايا والربط والمشاهد والمدارس والترب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخلجان والجزائر والرياض والمتنزهات، متصلاً جميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبر إلى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ومن شاطئ النيل بالجيزة إلى الجبل المقطم» [(٢)].

وقد بلغت جملة الاحكار أيام الناصر محمد أكثر من ستين حكرا وبلغ عدد المساجد الجامعة التى بها خطبة الجمعة أكثر من ثلاثين جامعا [(٣)]، وعمرت المناطق شمال وشمال غرب القاهرة عمارة عظيمة وخصوصا حى الحسينية الذى صار من أكثر الاخطاط ازدحاما نظرا لكثرة المهاجرين إليه من المشرق الإسلامى، ولهذا أُقيم به أيام الناصر خمسة جوامع بخطبة [(٤)]، وأيضا شيد الناصر محمد عدة قناطر على الخليج لربط الحسينية بكوم الريش (الشرابية حاليا)، وأرض الطبالة فى البر الغربى للخليج كان لها أثر عمرانى كبير، وهذه القناطر هى القنطرة الجديدة تليها قناطر الأوز ثم قنطرة بنى وائل [(٥)].

أما عن التعمير على الجانب الغربى للخليج فيما بينه وبين النيل فكان على أبدع ما يكون، فحكرت البساتين والأرض الزراعية على طول الخليج وعمرت عمارة حسنة امتدت من قناطر السباع (ميدان السيدة زينب) إلى البركة الناصرية إلى اللوق إلى المقس (الأزبكية)، وفى سنة

---

(١) ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) مسالك الأبصار فى ممالك الامصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٠، ٧٩.

(٢) الخطط، جـ١، ص ٣٦٥.

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص ١٩٨.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٦٥، جـ٢، ص ٢٣، ٢٤٥، ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٥.
ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦.

(٥) المقريزى، الخطط جـ٢، ص ١٤٧ ـ ١٤٨. وانظر بالتفصيل الفصل الرابع من هذه الرسالة.

٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م حفر الناصر محمد البركة الناصرية على الجانب الغربى للخليج ، فحكر الناس الأرض حولها وبنوا عليها الدور العظيمة [١] .

وفى سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م حفر الناصر محمد الخليج الناصرى وكان فمه بالقرب من القصر العينى ويتجه شمال شرق حتى يلتقى مع الخليج الكبير عند جامع الظاهر بيبرس ، وقد نتج عن ذلك حكر العديد من الأراضى الزراعية الواقعة بين الخليجين (المصرى والناصرى) ، وكذلك التى بين الخليج الناصرى والنيل ومنحت للأمراء الذين عمروا بها الدور والأسواق والجوامع والحمامات والشون[٢] .

وأنشأ الناصر القناطر على الخليجين حتى جعل البر الغربى للخليج سهل الأتصال بالقهرة الفاطمية التى ظلت المركز التجارى الرئيسى (شكل ١) .

وفى أيام الناصر محمد أيضا طرح النيل أرضا جديدة فعمرت الخطط الحسنة والموانئ الكبيرة عليه وامتدت من أثر النبى جنوبا مرورا بمصر القديمة فمنشأة المهرانى فبولاق حتى منية السيرج شمالا ، وكانت تلك الأراضى قبل ذلك تلالاً ورمالاً وحلفاء ، فصار لا يرى قدر ذراع إلا وفيه بناء قام به كثير من الأمراء تقربا منهم للسلطان[٣] . فالناس على دين ملوكهم ، فعمروا أسوة بالناصر محمد راعى العمارة والتعمير ، وعمل الناصر محمد على إيجاد تعمير ترفيهى غربى الخليج وعلى النيل يتمثل فى الميادين مثل إنشائه الميدان السلطانى على النيل وميدان المهارى بجوار البركة الناصرية وغيرها [٤] .

وامتدت يد التعمير أيام الناصر محمد أيضا إلى المنطقة خارج السور الجنوبى للقاهرة الفاطمية فعمر خط تحت الربع وحول بركة الفيل ، وعمرت المنطقة ما بين باب زويلة إلى القلعة بدور كبار الأمراء ، وكذلك ما بين باب زويلة إلى باب الوزير واتصلت تلك العمائر والخطط حتى القلعة [٥] .

ولاقت القلعة عناية كبيرة من الناصر محمد فعمر بها أهم منشآتها فى العصر المملوكى ، مثل الجامع والقصر الأبلق والأيوان والقصور الجوانية والسبع قاعات والطبلخاناه تحت القلعة

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٦٥ ، وانظر بالتفصيل الفصل الثالث من هذه الرسالة .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٣٦٥ ، جـ٢ ، ص ١٣١ ، وعن الاحكار الواقعة على الخليج بالتفصيل ، انظر : الخطط ، جـ٢ ، ص ١١٤ ـ ١٢١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ٩ ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٣٦٥ . السلوك ، جـ٢ ، ص ٥٣٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ٩ ، ص ١٨٢ ـ ١٨٥ .

(٤) انظر بالتفصيل الفصل الخامس .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٣٦٥ .

وأحواش الغنم والبقر وغير ذلك [١]، وعمر الناصر أيضا ميدان الرميلة والميدان السلطانى تحت القلعة، ومد إليهما الماء عن طريق مجرى العيون [٢]، وانتعشت الأسواق التى ارتبطت بالنظام العسكرى المملوكى حول ميدان الرميلة مثل سوق السلاح وسوق الخيل وسوق الخيم، وقد أقيم حول الميدان عدد من القصور للأمراء، وعمر الطريق من الميدان إلى قناطر السباع بالقصور والمنشآت الدينية، فأكتظت خطط الصليبية وابن طولون والجسر الأعظم بالعمائر الفخمة، وكذلك أقام الناصر عدة مناظر وقصور على هضبة الكبش [٣].

وعمرت المنطقة فيما بين قبة الأمام الشافعى إلى باب القرافة (بميدان السيدة عائشة حاليا) بالعمائر الجنائزية والدينية كالقباب والترب والخانقاوات والمساجد، وانتشرت العمائر على امتداد القرافة الكبرى حتى بركة الحبش جنوبا [٤].

أما عن الجانب الشرقى للقاهرة فيما بين قرافة السيوطى جنوبا وبين خانقاة فرج بن برقوق شمالا فكان التعمير بها نواة للمجمعات الدينية والجنائزية التى حفلت بها المنطقة عقب ذلك، وقد أتى اهتمام الناصر محمد لتلك المنطقة لأنه كانت مسار الطريق السلطانى المستخدم للسفر للحجاز والشام.

ونظرا لاتساع القاهرة الكبير أيام الناصر محمد فقد أعقبه بلا شك زيادة سكانية كبيرة، وإن كنا لم نعلم احصاءا سليمًا للسكان فى العصر المملوكى، فقد قدر البروفيسير اندريه ريمون عدد سكان القاهرة زمن الناصر محمد بخمسمائة أو ستمائة ألف نسمة[٥]، ولكن نظرا لانتشار الأوبئة والطواعين فى ذلك العصر فقد انخفض عدد السكان بنسبة كبيرة ولاسيما سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م فى ذلك الوباء الأسود الذى ساد العالم آنذاك، وأثر بشكل كبير على دول حوض البحر الأبيض المتوسط وقد عرف هذا الوباء بالفناء الكبير وانخفض عدد سكان القاهرة بنسبة كبيرة فى تلك السنة [٦]. وكذلك انخفض عدد سكان القاهرة ومصر كلها بنسبة كبيرة فى أعقاب الوباء الذى حدث أيام الأشرف شعبان سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م واستمر مدة

(١) كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ١١٥ ـ ١٥١.

(٢) انظر بالتفصيل ميدان الرميلة فى الفصل الخامس.

(٣) المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٥٤٠، وعن المناظر بالتفصيل، انظر الفصل السادس من هذا الكتاب.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٥٤٠، وانظر بالتفصيل: محمد حمزة، قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك، ماجستير «مخطوطة»، (كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٦).

(٥) Raymond, A., " La Population Du Cairo, De Maqrizi á La Description de L'Egypte " B E O (1975), P. 251.

(٦) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٣٩، ٣٦١، ٣٦٥، السلوك، جـ٢، ص ٧٥٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٦، ٧٧٨، ٧٨٩، ٧٨٠، ٧٨٧، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٠، ص ١٥٩ ـ ٢٢١. ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس، ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٨٢، جـ١، ق١، ص ٥٢٧ ـ ٥٣٧.

سنتين [١].

أما أخطر الأزمات التى تعرضت لها القاهرة فكانت حسبما ذكر المقريزى هى المحن والحوادث والأوبئة التى داهمتها سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م وما أعقبها من سنين، ففى تلك السنة حدثت أزمات اقتصادية كبيرة نتيجة لعدم وفاء النيل وانخفاضه الذى أعقبه غلاء كبير فى الأسعار، وصاحبه أوبئة عديدة لانتشار الفتن والاضطرابات والصراعات الداخلية واغتصاب الأوقاف بالقاهرة بالإضافة إلى ذلك كانت الأخطار محدقة بالشام من قبل الدولة التيمورية، وكانت هذه السنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م بداية لخراب كبير للقاهرة فخربت معظم الخطط والاحكار التى حدثت أيام الناصر محمد، وخربت الأحياء شمال القاهرة وعلى الأخص حى الحسينيه وهجر السكان منه وكذلك كثير من الأراضى غربى الخليج تجاه اللوق وكانت القاهرة قد فقدت نحو ثلثى سكانها [٢].

ولكن القاهرة تغلبت على المحن التى ألمت بها وعاد إليها بعض رونقها فى سلطنة الملك المؤيد شيخ (٨١٥ ـ ٨٢٤هـ/ ١٤١٣ ـ ١٤٢١م) فأعيدت الحياة للخطط على شاطئ النيل وصارت بولاق بلدة عظيمة وميناءاً كبيراً اضمحل معه أمر ميناء الفسطاط [٣].

وعاد للقاهرة وجهها المشرق الذى كانت عليه أيام الناصر محمد بن قلاوون أثناء سلطنة الأشرف قايتباى (٧٨٣ ـ ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ ـ ١٤٩٦م) الذى عمر بالقاهرة الكبرى العديد من المنشآت الهامة [٤]، وكذلك كان لأمرائه دور فى تعمير ضواحى شمال القاهرة وغربها، فقد أنشأ الأمير يشبك من مهدى الدوادار انشاءات عظيمة أحيت المنطقة وصارت من أعظم متنزهات مصر، فقد أمر يشبك بازالة القبور والدور التى كانت منتشرة فى المنطقة الواقعة بين الحسينية والريدانية (العباسية) وأقام مكانها قبة ومدرسة وحوضا لشرب الدواب وغرس بها حدائق وبساتين للنزهة، وقد بقى من هذه المجموعة القبة المعروفة بقبة الفداوية الواقعة بشارع العباسية (أثر رقم ٥)، وهذه القبة دليل على عظمة همة الأمير يشبك، وفى ضواحى القاهرة الشمالية بنى يشبك مجموعة معمارية كبيرة جنوب المطرية بقى منها القبة (أثر رقم ٤)، وعرف الحى الذى بها حى القبة، وكانت تلك المنطقة متنزها جميلا فى العصر المملوكى [٥].

وفى أيام السلطان قايتباى أيضا امتد التعمير للضفة الغربية للخليج حيث أنشأ الأمير

(١) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٣٩. ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١١، ص ٦٦.

(٢) كانت هذه الأزمات التى بدأت سنة ٨٠٦/ ١٤٠٣هـ هى الدافع للمقريزى لتأليف كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة. وانظر ما يلى ص ٤٨.

(٣) انظر بالتفصيل الفصل الأول من الرسالة.

(٤) عن منشآت قايتباى بالتفصيل انظر: حسنى نويصر، مجموعة سبل السلطان قايتباى بمدينة القاهرة، ماجستير، مخطوط، (كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م). منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة، دكتوراه مخطوط، (كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م).

(٥) السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٨م)، الضوء اللامع لأهل القرن =

الأتابك أزبك من ططخ الأزبكية، فقد حفر البركة وأجرى إليها الماء من الخليج الناصرى وأنشأ حولها القصور والقاعات والدور والمنشآت التجارية والاجتماعية مثل القياصر والحمامات، وأنشأ بها مسجدا كبيرا، واهتم ثراة القاهرة وأعيانها بالتعمير بالأزبكية فصارت من أعمر بقاع مصر [1].

القاهرة فى العصر العثمانى

لم يطرأ تغيير محسوس أو تبديل ملفت للنظر فى تخطيط أو مساحة القاهرة طوال القرون الثلاثة التى حكمها العثمانيون عما كانت عليه أيام المماليك، ولم تساير الزمن فى تقدمه بل ظلت على حالها ولا نغالى إذا قلنا أنها رجعت القهقرى وفقدت بريقها ورونقها وجمالها، ولم يعمل العثمانيون على تطويرها لتفشى الفساد الإدارى والسياسى أيامهم، إلى جانب عامل هام أثر فى حياة القاهرة وتطورها فى مصر كلها ألا وهو العامل الاقتصادى، إذ يرجع تردى الأوضاع الاقتصادية بمصر إلى ما قبل دخول العثمانيين مصر بقليل وظهر أثره جليا فى عهدهم، وذلك عندما أكتشف طريق رأس الرجاء الصالح فى فترة حكم الغورى فتحول طريق التجارة عن مصر آنذاك، وكان حكام مصر يجبون أموالا طائلة من المكوس والضرائب والاحتار فى تجارة الشرق إلى أوربا، وتأثرت مالية الدولة كثيرا بفقدها ذلك المورد الهائل مما حدا بالغورى أن يعوض تلك الخسارة على حساب كاهل الشعب المصرى.

وأثناء الغزو العثمانى لمصر تعرض بعض أحياء القاهرة للأضرار الناتجة عن المعارك بها، بالإضافة إلى نهب الجيش وتخريبهم لأحياء وخطط كانت فى غاية العمارة مثل الناصرية والأزبكية إلا أن تلك الحالة لم تدم طويلا فسرعان ما تم اصلاح ذلك، وحل العثمانيون محل أمراء وجنود المماليك فى دورهم وأملاكهم بالقاهرة.

وقد زار مصر فى بداية العصر المملوكى الرحالة «الحسن بن الوزان المعروف «بليون الأفريقى» فوصف القاهرة وصفًا ليس به أى تغيير عما كانت عليه أيام الغورى، وجاء

= التاسع، نشر مكتبة القدسى، القاهرة، ١٣٥٣هـ-١٣٥٥هـ، جـ١، ص ٢٧٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ١٦٠.

Abouseif, D., " The Northe Eastern Extension of Cairo Under the Mamluk. An Isl, XVII (1981), PP. 171 - 188., id., " Four Domes of the Late Mamluk Period : An Isl XVII (1981) P. 193.

وعن أعمال يشبك بالتفصيل انظر : سامى عبد الحليم، الأمير يشبك من مهدى وأعماله المعمارية بالقاهرة، ماجستير مخطوط، (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٩م).

(١) عن الأزبكية بالتفصيل انظر الفصل الثالث ص ٢٠٩.

وصفه للحياة الاجتماعية بها فى غاية الدقة [١] .

وقد حافظت القاهرة على شكلها ومساحتها طوال العصر العثمانى ، وأدخل العثمانيون بعض الطرز المعمارية الجديدة على العمائر مثل المدارس والمساجد والأسبلة والأضرحة إلا أن الطرز المحلية ظلت سائدة فى الأغلب .

وقد تم الاهتمام فى العصر العثمانى ببعض أحياء القاهرة مثل الأزبكية بركة الفيل [٢] والجانب الغربى للخليج ، وقد أزدهرت بولاق بشكل واضح فى العصر العثمانى .

أما عن صورة القاهرة حين قدمت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨ ، فبالنظر إلى الخريطة التى وضعوها لها سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م ، نجد أن حدها الشمالى يمتد بين الحسينيه وباب الحديد ، والحد الجنوبى بين القلعة إلى باب عرب يسار إلى باب القرافة بالسيدة عائشة إلى جامع السيدة نفسية فباب طولون فباب البخالة فباب السيدة زينب ، والحد الغربى من باب السيدة زينب إلى الناصرية فباب الشيخ ريحان فباب اللوق إلى الأزبكية إلى باب الحديد ، والحد الشرقى يمتد من القلعة فباب الغريب فباب الحسينية .

وكان موقع القاهرة يبعد أكثر من ألف متر عن شاطئ النيل وبينها وبينه مزارع ، وكانت بولاق ومصر القديمة ضاحيتين مستقلتين فقد كان الطريق إليهما يمر بالمزارع والحدائق ، وكان على شاطئ النيل الشرقى بعض مبان قديمة كقصر إبراهيم بك (قصر العينى) تجاه الروضة وبجواره بيت محمد كاشف الأرناؤوطى وعلى شماله بيت مصطفى بك .

وقد اتفق أكثر الرحالة الذين زاروا مصر فى العصر العثمانى أن شوارع القاهرة كانت ضيقة كثرة التعاريج ، وكان أطولها الشارع الموصل بين باب الحسينية إلى باب السيدة نفيسة وطوله أربعة آلاف وستمائة وأربعة عشر مترا ، ولم يكن بالقاهرة سوى أربعة ميادين فسيحة هى ميدان قرة ميدان تحت القلعة وميدان الرميلة بجواره وميدان بركة الفيل (بركة الفيل نفسها) وميدان الأزبكية (بركة الأزبكية نفسها)[٣] .

وقد كانت القاهرة فى ذلك الوقت باستثناء ضاحيتى بولاق ومصر القديمة يبلغ محيطها ٢٤ ألف متر بينما تبلغ مساحتها ٧٩٣ر٠٤ هكتارا [١] وإذا أضيفت إليها مصر القديمة وبولاق

---

(١) ابن الوزان (الحسن بن محمد الوزان الفاسى المعروف بليون الأفريقى ، ت بعد نة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) ، وصف أفريقيا ، ترجمة عن الفرنسية وحققه محمد حجى ، ومحمد الأخضر ، الطبعة الثانية ، (المغرب ، ١٩٨٣) ، جـ٢ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٢١ .

(٢) انظر بالتفصيل الفصل الثالث من هذه الرسالة .

(٣) عبد الرحمن زكى ، القاهرة تاريخها وآثارها ، ٩٦٩هـ/ ١٨٢٥م ، من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، (الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦) ، ص ٢٤٩ .

تصل مساحتها إلى ٨ر٨٨٣ هكتارا، وكانت القاهرة مضافة إلى مينائيها تفوق فى الحجم كل العواصم الأوربية فيما عدا لندن وباريس [٢]. وقد قدر عدد سكان القاهرة فى أيام الحملة الفرنسية بمائتى وستين ألف نسمة.

وقد تعرضت أحياء القاهرة للتخريب نتيجة ثورتى القاهرة ورد الفعل الفرنسى لهما إلا أنها رممت بعد ذلك، وأدخل الفرنسيون بعض التنظيمات الإدارية على القاهرة بتقسيمها إلى ثمانية أقسام وتوسيع بعض شوارعها وشق شوارع جديدة وادخال العادات الصحية للمدينة من نظافة وتجميل [٣].

وقاد محمد على باشا الكبير (١٢٢٠ ـ ١٢٦٥هـ/ ١٨٠٥ ـ ١٨٤٨م) مصر نحو نهضة شاملة وخص القاهرة بنصيب كبير من التقدم، فشقت الطرق الجديدة بها وأدخلت طرز معمارية أوربية جديدة، ورممت مبانيها القديمة وعمرت خرائبها وأزيلت الكيمانات بها، وعمرت مكانها المتنزهات والحدائق، وبدأت بعض الأحياء فى الأزدهار مثل شبرا التى امتلأت بالقصور وشقت طرق واسعة مشجرة تؤدى إليها وكذلك منطقة جاردن سيتى، وعمل محمد على باشا مجلسا للأشراف على تجميل القاهرة وتنظيمها.

ثم أخذت القاهرة شكلا جديدا فى عهد الخديو إسماعيل، إذ أنها أصبحت ذات شقين الشق الأول وهو الشرقى يمثل القاهرة القديمة، والشق الآخر غربى الوجهة والطراز لأن الخديوى أدخل الطرز الأوربية فى هذا القسم وعمل الخديو على تنظيم القاهرة وتجميلها فصارت القاهرة ندا لأعظم عواصم أوربا أن لم تكن قد تفوقت عليها بالفعل.

وظل وجه القاهرة منذ عهد إسماعيل إلى منتصف هذا القرن مشرقا بقسميها الشرقى والغربى، إلا أنها نمت واتسعت اتساعا كبيرا فى هذا النصف من هذا القرن وزاد عدد سكانها زيادة عظمى، ولكن يؤخذ عليها أنها فقدت هويتها وشخصيتها وجمالها فلم تحافظ على طرزها المعمارية الجميلة، وأنما أصبحت مبانيها كتلا أسمنتيه متنافرة وحفلت القاهرة الكبرى باحياء عشوائية كبيرة ذات مشاكل جمة أدركت الدولة خطورتها فأعلنت عن خطط لتطويرها، ندعو الله أن نرى آثارها.

---

(١) الهكتار وحدة مساحة فرنسية تساوى عشرة آلاف متر.

(٢) جومار، وصف مصر (وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل)، ترجمة وتحقيق أيمن فؤاد سيد، (نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة، ١٩٨٨)، ص ٧٥.

(٣) جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٩٠.



الفصل الأول
نهر النيل بحدود مدينة القاهرة

مقدمة : مكانة نهر النيل عند المسلمين :

نهر النيل أعظم نعمة وهبها الله سبحانه وتعالى لمصر وأهلها على مر التاريخ ، فهو لهم حياة ووجود ، ورزق وسعود ، وجمال وخلود ، وقد وجد النيل حظه من التبجيل والتقدير فى زمن حكم الفراعنة وما تلاهم من الاغريق والرومان ، كما حظى فى حظيرة الإسلام بمكانة دينية مرموقة وحسبه ذكره فى القرآن الكريم وفى كتب الحديث النبوى الشريف ، وقد نعته المسلمون بأنه «سيد الأنهار» وأنه « بحر النيل المبارك» .

ولأن النيل شريان الحياة لمصر فقد عنى به حكام مصر على مدى التاريخ الإسلامى عناية كبيرة للحفاظ على جريانه وضبطه الضبط الصحيح بما يكفل لهم حياة آمنة ، فأقاموا السدود والجسور عندما كان يطغى ويزيد عن الحد الذى يكفل لهم حياة وزراعة آمنة ، ويحفروه عندما يقل عن الحد وتعوق الرمال والنباتات جريانه ، وكان المصريون يدفعون الثمن دائما أرواحهم وأموالهم وأملاكهم فى تلك المشاريع ، كما عنوا بدراسته ووصفه ورصد أوقات فيضانه فأقاموا المقاييس لتتبع مقادير زيادته ونقصانه ، واحتفلوا الاحتفالات البهيجة الرائعة بمواسم فيضانه ، وأقاموا النظم لربط سنتهم الهجرية بالسنة الشمسية التى تسير عليها مواعيد فيضان النيل والزراعة وجمع أموال الخراج .

وكتب المؤرخون والجغرافيون والرحالة المسلمون الكتب والمقالات لدراسة النيل ووصفه ودراسة فروعه وخلجانه وجسوره وقنواته وقناطره ومقاييسه ، وحظى النيل فى مجال الأدب بنصيب وافر فأفاض الأدباء فى وصفه والتغنى به ونثرا مما خلّف أدبا جما وتراثا أدبيا خالدًا .

وإذا كانت اليوم صيحات النداء للمحافظة على البيئة ترتفع وتتعالى ، فقد سبق الإسلام تلك الصيحات بزمان كبير ويتجلى ذلك فى الحفاظ على الأنهار ومنها نهر النيل ، فقد أجمع فقهاء المسلمون على أنه لا يجوز البناء على شاطئ النهر للسكنى ولا لغيرها إلا القناطر المحتاج إليها لأنها ملك للناس جميعا فلا يجوز التعدى عليها ، لذا فقد وضع الفقهاء «حرم» لتلك المجارى المائية لا يجوز البناء فيها بأى شكل من الأشكال فكان حرم العيون خمسمائة ذراع وحرم الأنهار ألف ذراع (١) .

وعن ذكر النيل فى «القرآن الكريم» فقد ورد فى عدة مواضع إما تصريحا أو تلميحا، وقد خصه الله سبحانه وتعالى بلفظ «اليم» التى تطلق أيضا على البحار فجاءت وقفا على نهر النيل دون غيره من الأنهار، جاء ذلك فى قوله تعالى عن سيدنا موسى عليه السلام : ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ﴾ [٢]، وفى قوله سبحانه وتعالى أيضا، ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ [٣].

وقد ذكر النيل بصفة ضمنية بمعناه فى قوله تعالى على لسان فرعون : ﴿ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ [٤] فالمقصود بالانهار فى هذه الآية هى نهر النيل وفروعه حيث كانت أرض مصر فى أيام فرعون عامرة بالقناطر والجسور بتدبير وتقدير حتى أن الماء كان يجرى تحت منازلهم وأقبيتها فيحبسونه كيف شاءوا ويطلقونه حيث شاءوا [٥]، كما فسر بعض المفسرين قوله تعالى أخبارا عن فرعون الذى حدد لسيدنا موسى عليه السلام موعدا لمقابلة السحرة ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ [٦]، أنه يعنى الاحتفال بوفاء النيل وكسر الخليج إذ أن العادة قد جرت منذ القدم على أن اجتماع الناس لتخليق المقياس يكون فى هذا الوقت [٧]، وفى قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [٨] فسر المفسرون هاتين الآيتين أن الجنان كانت بأرض مصر بحافتى النيل من أوله إلى آخره على الجانبين جميعا ما بين أسوان إلى رشيد [٩].

---

(١) ابن الحاج (أبو عبدالله محمد بن محمد العبدرى الفاسى، ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)، المدخل، ط١ (المطبعة المصرية بالأزهر، ١٩٢٩م، جـ١)، ص ٢٤٧.

(٢) سورة طه : الآية ٣٩. (٣) سورة القصص : الآية ٧.

(٤) سورة الزخرف : الآية ٥١.

(٥) قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، (ط دار المعارف، ١٩٧٨م)، ص ١٠٤.

(٦) سورة طه : الآية ٥٩.

(٧) النويرى (شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويرى، ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)، نهاية الأرب فى فنون الأدب (ط دار الكتب، ١٩٢٤)جـ١، ص ٢٦٤، الكتبى (محمد بن إبراهيم بن يحيى بن على الشهير بالوطواط الكتبى، ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، مباهج الفكر ومناهج العبر، جـ١، (مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥٩ علوم طبيعية) ورقة ٨٦، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٦١.

(٨) سورة الشعراء : الآيتين ٥٧، ٥٨.

(٩) السيوطى (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، ١٩٦٧)، جـ٢، ص ٣٤٦.

أما ما خص النيل من الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ فكثير ، قليل منها ذكر فى صحيحى مسلم والبخارى خصوصا فى أحاديث الاسراء والمعراج فقد ورد عن أنس بن مالك فى حديث المعراج ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبتها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قلت : ما هذا يا جبريل؟ فقال : هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان قلت : ما هذا يا جبريل؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فهما النيل والفرات(١).

وفى صحيح مسلم حديث ينتهى سنده إلى أبى هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة» (٢).

وقد أورد المقريزى فى خططه ما جاء فى كتاب غريب الحديث لابن قتيبة «نهران مؤمنان ونهران كافران أما المؤمنان فالنيل والفرات ، وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ ، وإنما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه لأنهما يفيضان على الأرض ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب فى ذلك ولا مؤنه ، وجعل دجلة وبلخ كافرين لأنهما لا يفيضان على الأرض ولا يسقيان إلا شيئا قليلا وذلك القليل بتعب ومؤونة فهذان فى الخير والنفع كالمؤمنين وهذان فى قلة الخير والنفع كالكافرين» (٣).

ورروى ابن عبد الحكم عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال « نيل مصر سيد الأنهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب ، فإذا أراد الله أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فتمده الأنهار بمائها ، وفجر الله له عيونا فأجرته إلى ما أراد الله عزوجل ، فإذا انتهت جريته أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره» (٤).

وإذا تتبعنا بقية الأحاديث المنسوبة للرسول ﷺ فيما يخص النيل لوجدناها كثيرة جدا ، وتبدو هذه الأحاديث فى رأيى المتواضع أنها من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة ، وقد ورد ذكرها فى كتابات مؤلفى العصرين المملوكى والعثمانى لأنهم هالوا نهر النيل بصفة

(١) انظر : الألف المختارة من صحيح البخارى، تحقيق عبد السلام هارون ، جـ٢ ، (نشر الخانجى ، ١٩٧٩م)، ص ٧٧ . النويرى، نهاية الأرب، جـ١ ، ص ٢١٣ ، المنوفى (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد ، ت ٩٣١/ ١٥٢٥م) ، الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد ، (مخطوط بدار الكتب ، رقم ٦٦ جغرافيا) ص ٩ .

(٢) حديث مسلم ، كتاب ٥١ حديث ٢٦ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ٣٤٠ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٥١ .

(٤) ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله ، ت ٢٥٧هـ/ ٨٧١م)، فتوح مصر وأخبارها ، (ط ليدن ، ١٩٢٢م)، ص ١٤٩ ، المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٥٠ .

القداسة والإيمان وأنه سيد الأنهار، وقد سخر الله له كل الأنهار والعيون لتمده بمائها وقت زيادته، وهو يجرى بوحى من الله وهو نهر الخمر فى الجنة [1].

أما عن الكتابات العلمية للجغرافيين والرحالة والمؤرخين المسلمين عن نهر النيل وفيضانه فكثيرة جدا إلا أن معظم كتاباتهم تعتمد على ما نقلوه من علماء الأغريق والرومان وتملؤها الخرافات والأساطير خصوصا فى الكلام عن منابعه، أما عن جريان النيل فى أرض مصر فقد اتسمت بالدقة [2].

أولا : تحول شاطئا النيل بحدود مدينة القاهرة منذ الفتح الإسلامى حتى سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م

تحول مجرى النيل منذ الفتح الإسلامى لمصر حتى العصر الحديث ثمان مرات على شاطئه الشرقى ومرتين على شاطئه الغربى [3]، وقد تأثرت عمارة القاهرة وضواحيها نتيجة لتلك التحولات، وهذه التحولات إما طبيعية أو صناعية.

ويرجع المرحوم الأستاذ «محمد رمزى» هذه التحولات المتكررة إلى ما كان عليه اتساع مجرى النيل بين شاطئيه فى الأزمنة السابقة وبسبب قوة جريان ماء النيل وقت الفيضان، حيث تتسلط هذه القوة على أراضى الجزر وعلى الأراضى المرتفعة الواقعة على جانبى مجرى النيل وعلى الأخص الأجزاء التى لا تتحمل مقاومة تيار الماء الجارف فيأكلها النهر بتيار وينقل طينها من مكانه الأصلى ويطرحه بجوار الشواطئ البعيدة عن تأثير قوة جريان ماء النيل وأن قوة وسرعة جريان التيار وقت الفيضان تخف بجوار الشواطئ فى المناطق التى يكون فيها مجرى

---

(١) للمزيد فى هذا الموضوع انظر : ابن مماتى (أبو المكارم اسعد بن مهذب، ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال (القاهرة، ١٩٤٣) ص ٧٤ـ٧٥، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٥٠ـ ٥١، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٤٠، الحجازى (شهاب الدين أحمد بن محمد، ت ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)، نيل الرائد فى النيل الزائد، (مخطوط بدار الكتب رقم ٣٨٠ جغرافيا)، ص ٨ـ٩، المنوفى، الفيض المديد، (مخطوط)، ص ١٢، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، مركز تحقيق التراث، (مطبوعات دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م) ص ١٥٧ـ١٧٧، حمدى المناوى، نهر النيل فى المكتبة العربية، (القاهرة، ١٩٦٦)، ص ١٧ـ٢٣، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص ١٠٤ـ١٠٦.

(٢) عن هذا الموضوع انظر مثلا : المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٥١ـ٥٧.

(٣) عالج المرحوم الأستاذ محمد رمزى هذا الموضوع على أتم وجه فهو الذى حصر تحولات النيل بالقاهرة وحقق أماكنها فى مقالته : الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة (شاطئا النيل تجاه مصر القديمة والقاهرة وما طرأ عليها من التحولات من الفتح العربى إلى اليوم)، مجلة العلوم، المجلد الرابع، السنة التاسعة، ١٩٤٢، ص ٤٩٧ـ٥٢٣.

النيل واسعا فيرسب الطمى الذى تحمله المياه تدريجيا على الجانب الذى تضعف فيه قوة التيار، وعلى أساس هذه النظرية تكرر حدوث طرح البحر فى مجرى النيل تجاه مصر القديمة والقاهرة (١).

وكانت هذه الأراضى التى نتجت عن ظاهرة طرح النهر تبقى فترة لينة وغير متماسكة حتى تتماسك مع الزمن وتصلح لأغراض البناء عليها والزراعة بها (٢).

وقد كان النيل وقت الفتح العربى لمصر يمر شاطئه الشرقى تحت الباب الغربى لقصر الشمع (حصن بابليون) وتحت جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة ثم يسير إلى الشمال مارا فى الجهة الغربية من جامع السيدة زينب على بعد ثلاثمائة متر من موقع الجامع الحالى، ثم يسير النيل فى طريقه مارا فى الجهة الغربية من ميدان عابدين فشارع عماد الدين ومنه إلى قرية أم دنين حيث يوجد الآن جامع الفتح (أولاد عنان) بميدان رمسيس ثم إلى منية السيرج، وكانت الأراضى الواقعة بين هذا الشاطئ وبين جبل المقطم تجاه القاهرة كلها أرض زراعية يخترقها الخليج المصرى من الجنوب للشمال (٣) (شكل ٥).

وأما من الجهة الغربية فكان النيل بعد أن يمر تحت سكن مدينة الجيزة يسير إلى الشمال مارا تحت سكن الدقى ثم يسير فى طريقه إلى الحوتية (العجوزة حاليا) ومنها إلى امبابة (٤).

وهذه التحولات كما حصرها الأستاذ محمد رمزى، هى:

(١) **التحول الأول**: حدث سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م وقت ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر حيث طرح البحر أرضا جديدة اتصلت بالشاطئ القديم فى المسافة الواقعة الآن بين ساحل أثر النبى وبين النقطة التى يتلاقى فيها بشارع السد البرانى بشارع بيرم التونسى (سكة المدبح سابقا) بقسم السيدة زينب (٥).

---

(١) محمد رمزى، المرجع السابق، ص ٤٩٨، وانظر أيضا Kubiak, Al Fustat, Its Foundation and Early Urban Development, Cairo, AUC, 1987, P. 47.

(٢) اندريه ريمون، فصول التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية «مجموعة مقالات» ترجمها زهير الشايب، نشر روز اليوسف، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٨٩، Clergel (M), Le Cairo, Etude De Géographie Urbaine et D'histoire Economique, Le Cairo, 1934, P. 194, Haswell, Cairo, Origin and Development, Some Notes on the Influence of the River Nile and Its Changes, Bulletin de la Societe Royale de Geographie D'Egypte, Vol. II (3-4) December 1922, pp. 171 - 176.

(٣) محمد رمزى، المرجع السابق، ص ٤٩٧. (٤) نفس المرجع والصفحة.

(٥) نفس المرجع، ص ٥١١ ـ ٥١٢، وقد استنتج المرحوم محمد رمزى ما ذكره من خلال ما كتبه المقريزى عن ساحل النيل فى الخطط، جـ١، ص ٣٤٣، جـ٢، ص ١١٣.

(٢) **التحول الثانى** : ظهر هذا الطرح حوالى سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤١م أى فى زمن الدولة الأخشيدية إذ طرح النهر أرضا جديدة أوصلته بالشاطئ القديم الأصلى فى المسافة الواقعة الآن بين جامع الطيبى بشارع الديورة بقسم السيدة زينب وبين النقطة التى يتلاقى فيها شارع التحرير (الخديوى إسماعيل سابقا) بشارع محمد فريد (جزء من شارع عماد الدين سابقا)[١] .

(٣) **التحول الثالث** : ظهر حوالى سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م أى فى زمن الدولة الفاطمية إذ طرح البحر (النهر) أرضا جديدة اتصلت بالطرحين السابقين فى المسافة الواقعة بين جامع الطيبى وبين النقطة التى يتلاقى فيها شارع عرابى (توفيق سابقا) بشارع رمسيس (الملكة نازلى سابقا) [٢] .

(٤) **التحول الرابع** : ظهر حوالى سنة ٥٦٠هـ/ ١٢٥٢ أى فى أوائل حكم الدولة المملوكية البحرية إذ طرح البحر أرضا جديدة متصلة بالطرح الثالث فى المسافة الواقعة جامع الطيبى وبين النقطة التى يتلاقى فيها شارع النباتات بشارع إبراهيم باشا نجيب بجاردن سيتى وبين النقطة التى يتقابل فيها شارع مريت باشا بشارع رمسيس [٣] .

(٥) **التحول الخامس** : ظهر حوالى سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م واتصلت أرضه بالطروح السابقة فى المسافة الواقعة بين جامع سليمان باشا الفرنساوى بشارع كورنيش النيل (عمرو بن العاص سابقا) بمصر القديمة وبين النقطة التى يتلاقى فيها شارع مريت بشارع رمسيس [٤] .

(٦) **التحول السادس** : وهى أكبر طرح ظهر لمدينة القاهرة وقد حدث سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، وتمثل أرضه الآن قسم بولاق بأكمله وجزء من قسم الأزبكية والأرض الواقعة بين السكك الحديدية الموصلة إلى الصعيد وبين شارع جزيرة بدران من قسم روض الفرج، وطمت أيضا أرض السيالة التى كانت فاصلة بين أراضى منية السيرج والشرابية

---

(١) محمد رمزى، المرجع السابق، ص ٥١٢ ـ ٥١٣، وقد استنتج الأستاذ رمزى ما ذكره اعلاه من خلال ما كتبه المقريزى فى الخطط عن ساحل النيل بمدينة مصر، جـ١، ص ٣٤٤. وانظر أيضا : على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، (ط بولاق، ١٣٠٦هـ)، جـ١٨، ص ١١٦ .

(٢) محمد رمزى، المرجع السابق، ص ٥١٣ ـ ٥١٤، وقد استطاع الأستاذ رمزى تحديد هذا الطرح من خلال ما ذكره المقريزى فى الخطط فى كلامه عن المنشأة، جـ١، ص ٣٤٥. وفى كلامه على الميدان الصالحى، جـ٢، ص ١٩٨ وفى كلامه عن اللوق، جـ٢، ص ١١٧ .

(٣) محمد رمزى، المرجع السابق، ص ٥١٤، وقد استنتج الأستاذ رمزى ذلك من خلال ما كتبه المقريزى فى الخطط فى كلامه عن الصناعة، جـ٢، ص ١٩٨ .

(٤) محمد رمزى، المرجع السابق، ص ٥١٥، وقد استنتج الأستاذ محمد رمزى ذلك من خلال ما كتبه المقريزى فى الخطط عن ساحل النيل بمدينة مصر، (جـ١، ص ٣٤٥) وعن الصناعة، (جـ٢، ص ١٩٧).

وميدان رمسيس من جهة وبين جزيرة الفيل التى بها الآن قسما شبرا وروض الفرج من جهة أخرى (١).

(٧) **التحول السابع** : ظهر هذا الطرح فى سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م فى المسافة الواقعة بين مبنى فندق هيلتون النيل وبين النقطة التى يتقابل فيها شارع أبو الفرج بشارع جزيرة بدران (٢).

(٨) **التحول الثامن** : ظهر فى سنة ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠م وشمل المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بفم ترعة الإسماعيلية ومن الغرب بمجرى النيل الحالى ومن الجنوب من حد مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب حاليا ومن الشرق بشارع المطبعة الأهلية ببولاق وشارع أبو الفرج وشارع جسر طراد النيل، وهذا هو الطرح الثامن والأخير تجاه القاهرة (٣).

يتضح مما سبق أن شاطئ النيل الشرقى الحالى لمدينة القاهرة استجد جميعه بعد الفتح العربى لمصر من أثر النبى جنوبا إلى فم ترعة الإسماعيلية شمالا. (انظر الخريطة).

أما عن الشاطئ الغربى للنيل بالجيزة تجاه القاهرة فقد طرأ عليه تحولان الأول بعمل هندسى تم بين سنتى ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٦٥م فى عهد الخديوى إسماعيل، والطرح الثانى أعقبه فى سنة ١٨٧٠م كنتيجة ترتيب على التحول الأول (٤).

ثانيا : الاهتمام بحفر النيل وإقامة الجسور عليه لضبطه بطول القاهرة حتى نهاية العصر العثمانى :

كان اهتمام ولاة مصر وخلفائها وملوكها وسلاطينها حتى بداية دولة المماليك منصبا على فرع سيالة الروضة وذلك لمجاورته للفسطاط ومصر القديمة ـ مركز التجمع السكانى والعمرانى حتى العصر الأيوبى ـ وكذلك لعدم تعمير الخطط على النيل فى مواجهة القاهرة إلا فى العصر المملوكى بوجه خاص، ولما عمرت الخطط فى العصر المملوكى اهتم السلاطين بالنيل فى المسافة بين الحد الشمالى لمصر الفسطاط حتى شبرا.

وقد تم الحفاظ على مجرى فرع الروضة (سيالة الروضة) بفضل التدخل البشرى لحمايته على مدى تاريخ مصر الإسلامى، ولم يضيع كما ضع الفرع الذى كان يحيط بجزيرة الفيل بالقاهرة، وكان حرص حكام مصر على الاعتناء بفرع الروضة وخاصة أيام الأيوبيين

---

(١) نفسه ص ٥١٦. (٢) نفسه، ص ٥١٦.

(٣) نفسه، ص ٥١٨.

(٤) انظر بالتفصيل، محمد رمزى، المرجع السابق، ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣.

والمماليك يرجع لأنه مصدر تزويد مدينة الفسطاط بالماء وكذلك وقوع ساحل الفسطاط عليه وهو أكبر موانئ مصر النيلية آنذاك خصوصا بعد أن طم ميناء المقس الذى كان ميناء القاهرة وتحول ميناؤها إلى بولاق بعد ذلك بقرنين.

وكان الاهتمام بفرع الروضة يتم بأسلوبين أولهما حفره، وثانيهما تعلية قاع فرع الجيزة وعمل السدود الحجرية به حتى يتجه الماء إلى فرع الروضة.

حفر سيالة الروضة قبل العصر المملوكي:

ظهرت الحاجة الملحة للاهتمام بحفر سيالة الروضة فى زمن الدولة الأخشيدية (٣٢٣ ـ ٣٥٨هـ/ ٩٣٥ ـ ٩٦٩م) ففى سنة ٣٣٦هـ/ ٩٥٠م جف النيل فى فرع سيالة الروضة، واضطر سكان الفسطاط أن يجلبوا ماء النيل من فرع الجيزة، لذلك تولى الأستاذ كافور الأخشيدى مقدم أمراء الدولة لأنوجور بن الأخشيد حفر الروضة فتم حفره ودخل الماء إليه وانتفع به أهل الفسطاط [١].

ومع الزمن كان النيل ينحسر عن البر الشرقى للفسطاط إلى الغرب لذا كانت تنكشف أراضى جيدة على ساحل مصر الفسطاط وتكثر الرمال بسيالة الروضة ويضعف جريان الماء بها ويتحول إلى الفرع الغربى ناحية الجيزة، ونظرا لتراكم الرمال بسيالة الروضة سنويا صار قاعها يخاض بالأقدام، وكانت لا تملأ إلا فى وقت الفيضان فقط [٢].

وقد حدث أن انحسر الماء عن ساحل مصر القديمة قبل سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م وصار يقل فى زمن احتراق النيل بعد ذلك حتى صار الطريق إلى المقياس يابسا، فلما كان فى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م خاف السلطان الملك الكامل محمد (٦١٥ ـ ٦٣٥هـ/ ١٢١٨ ـ ١٢٣٧م) من تباعد النيل عن العمران بمصر فأمر بحفر فرع الروضة من جهة دار الوكالة [٣] إلى صناعة

(١) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٤٤، السيوطى، كوكب الروضة، (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٦٤ تاريخ)، ورقة رقم ٣٦.

(٢) المقريزى، نفس المصدر والصفحة.

(٣) دار الوكالة هذه كان أصلها دار الملك التى كانت عبارة عن منظرة (قصر) بناها الوزير الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، وسكنها وحول إليها الدواوين من القصر فصارت بها، فلما قتل الأفضل صارت دار الملك هذه من جملة متنزهات الخلفاء، وكان بها بستان عظيم، ومازالت عظيمة إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فجعلها الملك الكامل محمد دار متجر، ثم عملت فى أيام الملك الظاهر بيبرس دار وكالة.

وقد ذكر «المقريزى» أن موضعها كان ما وراء رحبة الخروب بجوار المدرسة المعزية وبقى منها جدار يجلس تحتها بياعو الحناء. الخطط، جـ١، ص ٤٨٣، ويمثل موقع دار الملك الآن المنطقة الواقع بها قسم شرطة مصر القديمة بجوار جامع عابدى بك (أثر رقم ٥٢٤) الذى حل محل المدرسة المعزية.

التمر الفاضلية [١]، واستمر العمل فيه مدة ثلاثة أشهر من مستهل شهر شعبان إلى آخر شهر شوال، حتى صار الماء يحيط بجزيرة الروضة دائما بعد أن كان فرع الروضة جدولا رقيقا [٢].

وقد كان هذا العمل بمثابة مشروع قومى فقد ذكر المؤرخون أن الملك الكامل عمل فيه بنفسه وألزم الأمراء وأعيان الناس بالحفر إلى جانب عامة أهل القاهرة، وقد تم توزيع نفقات الحفر على الدور التى تقع بالقاهرة ومصر والروضة [٣].

وكان الاهتمام الأعظم بفرع سيالة الروضة على يد الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ ـ ٦٤٧هـ/ ١٢٣٩ ـ ١٢٤٩م) وذلك لبناء قلعته الصالحية جنوب جزيرة الروضة، فأراد أن يحيط الماء بالجزيرة طول العالم، فغرّق عدة مراكب محملة بالحجارة فى فرع النيل الغربى تجاه الجيزة حتى يتحول الماء إلى فرع الروضة، وسار فى كل سنة يحفر فرع الروضة بجنده ونفسه[٤]، وكان يتم طرح الرمل فى البقعة التى عمر فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون جامعه الذى سمى الجامع الناصرى الجديد [٥] على النيل، ونتج عن ذلك أن شرع خواص السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بالعمارة على ساحل مصر من موضع الجامع الناصرى الجديد إلى المدرسة المعزية [٦].

---

(١) صناعة التمر الفاضلية كان أصلها دار وقف على فكاك الأسرى بناها القاضى الفاضل وعرفت بعد ذلك بصناعة التمر الفاضلية. ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١٢، ويمثل موقعها الآن منطقة فم الخليج.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٤٤ـ٣٤٥.

(٣) ابن المقفع (ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين)، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٤، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ٥٦ ـ ٥٧. المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٤٥.

(٤) المقريزى، نفسه.

(٥) الجامع الناصرى الجديد بناه الملك الناصر محمد سنة ٧١٢هـ، وقد اندثر الآن وكان موقعه المنطقة التى يخترقها شارع السكر والليمون المتفرع من شارع كورنيش النيل بمصر القديمة بفم الخليج. ولمزيد من التفاصيل عنه، انظر ما يلى ص ٤١.

(٦) ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر، ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، (ط بولاق، ١٨٩٣م)، جـ٤، ص ٧٧، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٤٥، السلوك جـ١، ص ٣٤١، السيوطى، كوكب الروضة (مخطوط) ورقة ٣٧.

المدرسة المعزية أنشأها الملك المعز ايبك سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م ومحلها الآن جامع عابدى بك (أثر رقم ٥٢٤) المطل على شارع كورنيش النيل بمصر القديمة وما حوله. ولمزيد من التفاصيل عنها، انظر: ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ٩٢ ـ ٩٣، محمد رمزى، تعليقه على النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، جـ٧، ص ١٤.

حفر النيل بطول القاهرة فى العصر المملوكى:

استمر الاهتمام بحفر فرع الروضة فى العصر المملوكى، وقد اهتم بذلك السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٥٩ ـ ١٢٧٧م) ففى سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م تم حفر فرع سيالة الروضة، وقد شارك السلطان بنفسه وعساكره فى الحفر [١].

وفى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة (٧٠٩ ـ ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ ـ ١٣٤٠م) ازداد العمران على ساحل مصر وأتم ما كان قد بدأه الصالح نجم الدين أيوب من بناء وعمل بساتين على الساحل، فأتاح الناصر محمد للأمراء والناس إقامة الدور والقصور والمناظر والمنشآت الأخرى على ساحل النيل من دير الطين (دار السلام حاليا) جنوبا حتى منشأة المهرانى (القصر العينى حاليا) شمالا [٢].

أما أعظم مشروع للاهتمام بحفر سيالة الروضة والجانب الشرقى للنيل كله ـ شرقى الجزيرة الوسطى حتى بولاق ـ فقد تم على يد الملك المؤيد شيخ [٣] (٨١٥ ــ ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ ــ ١٤٢٠م)، ففى شهر صفر ٨١٨ هـ/ ١٤١٥م وقع الشروع فى حفر الرمال التى أحدثت ما بين الجامع الناصرى الجديد خارج مدينة مصر وبين جامع الخطيرى ببولاق [٤]، وسبب ذلك أن النيل فى ذلك الوقت قد غير مجراه إلى الغرب عما كان سابقا وصار جانب النيل الشرقى فيما بين طرا وطرف جزيرة الروضة رمالاً لا يعلوه الماء إلا فى أيام الفيضان فقط، وصار معظم الماء يمر من غرب جزيرة الذهب ويستمر تياره يسير بقوة غرب جزيرة الروضة وغرب الجزيرة الوسطى، أما الجانب الشرقى من تلك الجزر فقد زادت الرمال بها زيادة كبيرة وتكاد تكون منقطعة الماء فخربت معظم الأماكن والخطط على البر الشرقى للنيل مثل منشأة المهرانى [٥]،

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٥٤٤.
(٢) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٤٥.
(٣) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٣٠٢.
(٤) جامع الخطيرى ذكره «المقريزى» وقال أنه بناحية بولاق وكان موضعه قديما مغمورا بالماء إلى نحو سنة ٧٠٠هـ، ولما انحسر النيل زرع مكانه وصار موضعه متنزها يجتمع عنده الناس ثم بنى مكانه دار فاشتراها الأمير عز الدين ايدمر الخطيرى احد الأمراء مقدمى الألوف فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون فهدم الدار التى كانت مكان الجامع وكانت تعرف بدار الفاسقين وبنى مكانها هذا الجامع وسماه جامع التوبة وبالغ فى عمارته وزخرفته وقد تم بناءه سنة ٧٣٧هـ، وقد طغى النيل عليه عدة مرات فهدم وجدد مرات عديدة. انظر: الخطط، جـ٢، ص ٣١٢.
وأقول أن البقايا الأثرية للجامع كانت موجودة لوقت قريب وهو موقع ومسجل بفهرس وخريطة القاهرة للآثار الإسلامية (لوحة ١ أثر رقم ٣٤١) إلا أن تلك البقايا قد أزيلت حاليا وبنى موضع الجامع جامع جديد البناء، وهو يقع بأول شارع الخطيرى المتفرع من شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) إلى الشرق قليلا من كوبرى أبو العلا.
(٥) عن منشأة المهرانى، انظر ما يلى، ص ٤٢.

ومنشأة الكتبة [١]، وخط موردة البلاط [٢]، وخط زريبة قوصون [٣]، وخط فم الخور وحكر ابن الأثير [٤]، لانقطاع الماء عنها، وكانت تلك الأمكنة فى غاية العمارة فاتفق أن السلطان المؤيد ركب إلى هذه النواحى وكان عهده بها عامرة فسأل عن سبب خرابها فأخبريه فأراد حفر ما بين الجامعين الناصرى والخطيرى ليعود الماء إليها شتاءاً وصيفا كما كان أولا ثم يشرع فى الأمر بعمارتها [٥].

وقد أمر المؤيد فى يوم السبت عاشر صفر ٨١٨هـ/ ١٤١٥م أن يشرع فى الحفر وندب له الأميرين كزل العجمى وسودون القاضى، وتم تجهيزهم بما يلزمهم من أبقار لجرف الرمال وأدوات الحفر وغير ذلك، وقد استمر العمل بقية شهر صفر وشهر ربيع الأول [٦].

وكان العمل فى هذا الحفر على درجة كبيرة من الأهمية بحيث أنه يكاد يكون الناس جميعا قد شاركت فيه، وقد شدد المؤيد فى العمل وهدد كل من يتوانى عن انجازه فخرج الناس للعمل على هيئة اشبه بأيام النزه، وقد شارك المؤيد شيخ بنفسه وامراءه ووجوه دولته فى العمل [٧].

---

(١) عن منشأة الكتبة، انظر ما يلى، ص ٤٩.
(٢) عن خط موردة البلاط انظر ما يلى، ص ٥١.
(٣) عن خط زريبة قوصون انظر ما يلى، ص ٥٣.
(٤) عن خط فم الخور وحكر ابن الأثير انظر ما يلى، ص ٥٥.
(٥) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤، ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، انباء الغمر بابناء العمر، تحقيق حسن حبشى، (القاهرة، ١٩٧٦)، جـ٣، ص ٥٤، العينى (بدر الدين محمود العينى، ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق عبد الرزاق القرموط، (بدون ناشر، القاهرة ١٩٨٥)، ص ٢٢٣، ابن تغرى بردى (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الاتابكى، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، تحقيق جمال محرز، وفهيم شلتوت، جـ٤، (القاهرة، ١٩٧٠م) ص ٢٧.
(٦) نفس المصادر والصفحات.
(٧) ذكر المؤرخون فى هذا الشأن «أنه فى يوم الأثنين ثانى ربيع الآخر سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، ركب السلطان من قلعة الجبل بأمرائه ومماليكه ووجوه دولته وسار إلى حيث العمل فى حفر البحر تجاه منشية المهرانى، ونزل فى مخيم قد نصب له هناك، ونودى بخروج الناس للعمل فى الحفير، وكتبت حوانيت الأسواق كلها فخرج فى ذلك اليوم الناس طوائف طوائف ومع كل طائفة الطبول والزمور وهم فى لهو ولعب وغلقت الأسواق كلها واقبلوا على العمل ونقلوا التراب والرمل من غير أن يكلف أحد منهم فوق طاقته، وعمل جميع العسكر أيضا من الأمراء والمماليك وجميع أرباب الدولة واتباعهم، ثم ركب السلطان بعد العصر، وقد مدت أسمطة جليلة فكان يوما بالهزل واللهو أشبه منه بالجد، ووقف السلطان حتى فرض على كل أمير من الأمراء حفر قطعة بعينها له وعاد إلى القلعة واستمر العمل والنداء كل يوم بالقاهرة أن يخرج أهل الأسواق وغيرهم للعمل فى الحفير». انظر: المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٣١٣، ابن حجر، انباء الغمر، جـ٣، ص ٥٥، العينى، عقد الجمان، ص ٢٢٤، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢٠ ـ ٢١.

وأصبح الأمراء الكبار يخرج واحد منهم يوميا ومعه طائفة من طوائف الشعب حتى صوفية الخوانق شاركت فى العمل، واستمر العمل طوال شهر ربيع الآخر وأثناء شهر جمادى الأولى أيضا (١).

وقد صاحب ذلك الحفير عمل جسر يمتد من آخر خرطوم الروضة أى الطرف الشمالى لجزيرة الروضة إلى جزيرة أروى (الجزيرة الوسطى) ليتحول جريان ماء النيل إلى الشاطئ الشرقى فيمتلأ الخليج الناصرى شتاءا وصيفا، وكذلك يجرى فى الخلجان والترع الأخرى المتفرعة من النيل مثل خليج الزربية (٢)، فلما قوى ماء النيل فى جمادى الأولى والناس منهمكون فى عمل الحفير والجسر وزاد الماء وبلغ أثنى عشر ذراعا، أكل الجسر وما فاد من تعب الناس فيه شيئا وراح على الناس تعبهم (٣).

ومن الطريف أن العمل فى ذلك المشروع اتسم بالخفة والظرف دون غيره من المشاريع التى سادت فيها السخرة وهلك فيها بعض الناس من شدة العمل، إذ ذكر «المقريزى» الذى عاصر عمل هذا المشروع . . . خرج ركب الأمير الطنبغا القرشى بالفيل والزرافة بعدة طبول وزمور، وقد اجتمع هناك معظم الناس من الرجال والنساء للفرجة، فكثرت سخريتهم وتضاحك بعضهم على بعض (٤).

وكما هو معروف عن المصريين خفة الدم فقد ألف الناس فى عمل الحفير والجسر البلاليق (وهى الأغانى الشعبية الهزلية) وصاروا يتغنون بها ويتضاحكون ويتهكمون على أنفسهم، فقد ذكر ابن اياس . . . انه لما زاد النيل وبلغ اثنى عشر ذراعا أكل ذلك الجسر وقد خرج المؤيد إلى الشام بسبب عصيان النواب عليه طلع مكان ذلك الجسر الذى عمره السلطان كوادى رمل (٥)، فتهتك الناس على الفرجة عليهم، ونصبوا هناك الخيام على الروضة والمنشية ولا سيما العسكر كان غائبا مع السلطان، وصنفوا أهل مصر فى ذلك غنوة وهم يقولون هذه :

يارايح الشام غادى	سلّمْ وبوس الأيادى
وقل لجيش المؤيد	آدى الحريم فى الكوادى (٦)

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٣١٥، العينى، عقد الجمان، ص ٢٢٣.

(٢) كان خليج الزربية يخرج من موردة الجبس بجوار مخرج الخليج الناصرى وموقعه الآن بجاردن سيتى بالقاهرة وكان يصب فى بولاق حيث يروى أراضيها، وانظر أيضا ما يلى ص ٣١٥.

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص ٣٠ـ٣٢، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢١.

(٤) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٣١٣ـ٣١٤.

(٥) الكوادى كما يبدو هى قطع من الأرض مليئة بالرمال كانت محاطة بالماء على هيئة جزر صغيرة.

(٦) بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢١.

عمل الجسور والسدود لضبط النيل بالقاهرة فى العصر المملوكى :

نظرا لوقوع القاهرة على الضفة الشرقية للنيل ، واعتماد الناس على حاجاتهم من الماء عن طريق نهلهم من الشاطئ الشرقى للنيل من الفسطاط جنوبا حتى شبرا شمالا ، وكان يقطع مسار النيل عدة جزر ، فقد كان النيل أحيانا تتدفق مياهه بسرعة وغزارة من الناحية الغربية من الجزر أى ناحية الجيزة وبولاق التكرور وامبابة ، ويجف أو تقل مياهه ناحية الفسطاط والقاهرة فترتبك حياة الناس وتحدث أزمات كبيرة ، لذلك فقد حرص السلاطين والأمراء على العمل على جعل الفرع الشرقى للنيل هو الفرع الأساس وتحويل المياه إليه بدلا من الفرع الغربى ناحية الجيزة ، لذا فقد أنشئت العديد من الجسور التى كانت عبارة عن سدود تصل بين جزيرة الروضة والجيزة أو بين الروضة والجزر الأخرى لكى يتدفق الماء فى فرع سيالة الروضة حتى يحصل أهل الفسطاط والقاهرة على حاجاتهم من الماء بسهولة .

وأحيانا يحدث العكس بحيث تزداد قوة الماء ناحية الفسطاط والقاهرة فتغرق سواحلها والأحياء والخطط الواقعة على النيل مثل منشأة المهرانى وخط فم الخور وبولاق وشبرا فحينئذ يعمل السلاطين والأمراء الجسور بحيث ترد الماء عن بر القاهرة .

وهذه الجسور على نيل القاهرة تنشأ لمواجهة الطوارئ وحالات طغيان النهر وغرق القاهرة أو جفاف مياه النهر تجاه ساحلها ومن ثم فهى تختلف عن الجسور الدائمة الأخرى التى كانت تمتد على النيل وفروعه والخلجان والترع التى تخدم أغراض الزراعة [1] .

---

(١) الجسور التى تخدم أغراض الزراعة على طول البلاد وعرضها كان كل منها عبارة عن سد ترابى مبنى على حافة النهر أو الترعة يحفظ الماء من أن يفيض على ضفتيه ويغرق البلاد المحيطة وتستمر هذه الجسور فى حجز مياه الفيضان كى يستفاد منها فى عمليات الرى ، حتى ينصرف النيل ويزول الخوف من خطر الفيضان العالى . وكانت الجسور من الأمور الهامة التى تؤثر على الحياة الاقتصادية فى مصر منذ القدم .

وكانت فى مصر الإسلامية نوعان من الجسور الأولى هى الجسور السلطانية والثانية هى الجسور البلدية . أما الجسور السلطانية فهى تلك الجسور التى يعم نفعها كل الأرض الزراعية المصرية فى أنحاء البلاد ، لذا كانت تشيد وتتم صيانتها من الديوان السلطانى ولها رسوم مقررة على البلاد المصرية فى شكل جراريف ومحاريث وأبقار مرتبة على غالب البلاد المصرية ، وكانت الدولة مسئولة عن إقامة وصيانة هذه الجسور وكان لها ديوان مخصوص يقوم العاملون به بتحصيل ضرائب سنوية تخصص لعملها وصيانتها ، وقد وصفت الجسور السلطانية بأنها بمثابة السور المحيط بالمدينة وعلى السلطان أن يهتم بهذا السور ويكفى الرعية أمر التفكير فيه .

وكان لهذه الجسور السلطانية كاتب خاص مقرر فى ديوانه ما على كل بلد من الأبقار والجراريف .

أما الجسور البلدية فهى خاصة النفع بنواحى أو قرى معينة لذلك كانت مسئولية انشائها وصيانتها تقع على عاتق المقطعين الأرض فى هذه النواحى والقرى من الأمراء والأجناد وغيرهم من الفلاحين من الأموال الجارية فى اقطاعاتهم ، وقد وصفت هذه الجسور بأنها تماثل الدور الواقعة داخل نطاق سور المدينة (الجسور السلطانية) وبطبيعة الحال فإن كل صاحب دار من هذه الدور مسئول عن صيانة داره وحمايتها . انظر : ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٢٣٠ ـ ٢٢٣ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٣ ، س ٤٤٨ ـ ٤٥٢ ، قاسم عبده قاسم ، النيل والمجتمع المصرى ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

وكانت طريقة عمل الجسور والسدود بنيل القاهرة تتم عن طريقين ، أما بتعلية أحد فرعى النيل وذلك بتغريق مراكب محملة بالأحجار وإهالة التراب والشقف والطمى والطين عليها لتعليتها حتى تصير سدا محكما ، والطريقة الأخرى هى أن هذه الجسور تقام عن طريق عمل حائطين متوازيين من الأخشاب الصلبة . وافلاق النخيل وحشو ما بينهما بالتراب والشقف والأحجار وغيره [١] .

ومن أمثلة الجسور التى عملت لطرد الماء عن بر القاهرة ما حدث سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون حيث زاد النيل عن ثمانية عشر ذراعا ، وخرق الماء ناحية بستان الخشاب [٢] ودخل الماء إلى جهة بولاق وفاض إلى باب اللوق حتى اتصل بباب البحر وبساتين الخور[٣] فغرقت البساتين وهدمت عدة دور مطلة على النيل وكثير من دور الأحكار بطول شاطئ النيل ، فقام الفخر ناظر الجيش بهذا الأمر وعرّف الناصر محمد أنه متى غفل دخل الماء إلى القاهرة وغرق أهلها ومساكنها ، فركب السلطان إلى النيل ومعه الأمراء فرأى ما هاله وفكر فيما يدفع ضرر النيل عن القاهرة فاقتضى رأيه عمل جسر عند نزول الماء وانصرف ، فقويت الزيادة وفاض الماء على منشأة المهرانى ومنشأة الكتبة وغرق بساتين بولاق وجزيرة الفيل حتى صار ما بين ذلك ملقه واحدة ، وركب الناس المراكب للفرجة ومروا بها تحت الأشجار ، فأمر السلطان والى القاهرة ووالى مصر أن يلزما الناس أن يرموا الأتربة بناحية بولاق وفى الأماكن التى علا فيها النيل [٤] .

وكثر الخوف من غرق القاهرة ، وجمع أغلب الناس فى هذا العمل ، وكانت محاصيل كثيرة قد فسدت وتلفت وكذلك مطامير الغلال والمخازن وارتفعت بعض الأسعار وتأخر الزرع عن أوانه لكثرة مكوث الماء ، فكتب لولاه الأعمال بكسر الترع والجسور لكى ينصرف الماء عن أراضى الزرع إلى البحر المالح ، وأخذ السلطان فى عمل الجسور ، واستدعى المهندسين وأمرهم بإقامة جسر يصد الماء عن القاهرة خشية أن يكون نيل مثل هذا ، وكتب باحضار خولة البلاد ، فلما تكاملوا أمرهم فساروا إلى النيل وكشفوا الساحل كله فوجدوا ناحية جزيرة الفيل مما يلى منية السيرج قد صارت أرضها وطيئة ومن هناك يخاف على القاهرة من الماء ، فلما عرّفوا السلطان ذلك أمر بإلزام كل من له دار على النيل بمصر أو منشأة المهرانى أو منشأة الكتبة أن يعمر قدامها زربية [٥] ففعلوا ذلك . وأمر السلطان الأمراء باستدعاء

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ٢ ، ص ١٦٥ ، السلوك ، جـ٣ ، ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠ .

(٢) بستان الخشاب يشمل منطقة أبو الريش والقصر العينى ، وعنه بالتفصيل انظر ما يلى ص ٥١ .

(٣) عن خليج الخور وبستان الخور انظر ما يلى ص ٣١٠ .

(٤) المقريزى ، الخطط جـ٢ ، ص ١٦٦ ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٢٥١ .

(٥) الزربية هى ما يبنيه الناس من أصحاب البيوت المطلة على النيل من حوائط لحماية بيوتهم من فعل الماء ، ومن سلالم لتسهل الوصول من تلك البيوت إلى النهر كما هو متبع فى البيوت الباقية على شواطئ =

فلاحيهم من النواحى فحضروا بالأبقار والجراريف لعمل الجسر من بولاق إلى منية السيرج، فقاس المهندسون الأرض ووزعت بالأقصاب على الأمراء فنصب كل أمير خيمة وخرج برجاله للعمل ونصبت لهم الأسواق حتى كمل الجسر فى عشرين يوما، وكان ارتفاع الجسر من الأرض أربع قصبات [1] فى عرض ثمان قصبات، فانتفع الناس به انتفاعا كبيرا، وقد أراد السلطان بعمله لهذا الجسر أن لا تغرق البلاد مثلما غرقت سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧ [2]، ومكان الجسر الآن شارع الترعة البولاقية من بولاق إلى منية السيرج.

وفى سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م قوى النيل على ناحية بولاق وهدم جامع الخطيرى، ثم جدد، وتيار البحر يزداد قوة على بر القاهرة فأمر السلطان الملك الناصر محمد سكان دور شاطئ النيل بعمر زرابى لجميع تلك الدور فلم يفد ذلك شيئا [3].

فاهتم الملك الناصر بهذا الموضوع اهتماما كبيرا حتى أنه طلب مهندسين من الشام بالإضافة إلى مهندسى مصر، فركب بعساكره وصحبته المهندسين وخولة الجسور وتوجه إلى شاطئ النيل ونزل فى المركب السلطانى المسمى الحراقة وكشف أمر شطوط النيل فاقتضى الرأى أن يعمل جسر بوسط النيل وأن يحفر بالجزيرة الوسطى خليجا منخفضا يمر فيه الماء، وعند زيادة النيل يقف السد حائلا للماء فيرتد إلى الناحية الأخرى للنيل بحيث يزيد على بر الجيزة وبولاق التكرور وامبابة [4].

وهذا هو الذى سماه المقريزى «الجسر بوسط النيل» [5] ومما ذكره المقريزى وابن تغرى

= النيل بدمياط وسمنود ورشيد، كما كانت الزربية أيضا مكان لتربية الخيول أو الماشية، وكانت تحاط بزربى (حزم) من البوص أو الغاب ثم يشد بالحبال ثم يطين ليزداد تماسكا، وقد كانت هذه الزرابى تبنى على ضفاف النيل والخلجان والترع حتى تحمى الدور من ارتفاع الماء، وقد كانت هذه الزرابى منتشرة فى مصر انتشارًا كبيرا فى العصر المملوكى، ومن معانى الزربية أيضا هو الكورنيش. انظر: السلوك، جـ٢، ص ٢٥١، الحاشية.

(١) القصبة التى كانت تستعمل فى القياس فى العصر المملوكى هى القصبة الحاكمية وكان طولها يوازى الآن ٨٥ر٣مترا. انظر: عبد اللطيف إبراهيم، وثيقة قراقجا الحسنى مجلة كلية الآداب، المجلد ١٨، الجزء الثانى، ديسمبر ١٩٥٦، ص ٢٣٦.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٦٦ ـ ١٦٧، السلوك، جـ٢، ص ٢٥١.

(٣) الشجاعى (شمس الدين الشجاعى، ت ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون وأولاده، (نشر فرانز شنانبر، فيسبادن، ١٩٧٨)، ص ٣١، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٦٧، السلوك، جـ٢، ص ٤٤٩، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١٢٥.

(٤) المقريزى، الخطط، ص ١٦٧، السلوك، جـ٢، ص ٤٥٠، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٥) الخطط، جـ٢، ص ١٦٧.

بردى [1] فى هذا الخصوص أرى أن هذا الجسر كان يصل ما بين حكر ابن الأثر جنوب بولاق وبين رأس الجزيرة الوسطى (بالقرب من موقع فندق شيراتون الجزيرة حاليا)، وأن الخليج الذى حفر كان بالجزيرة الوسطى [2]. (شكل ٦).

وابتدأ العمل فى ذلك المشروع يوم الأحد عاشر من ذى القعدة سنة ٧٣٨هـ، وشأن تلك الأعمال التى تحتاج إلى أعداد كبيرة من الناس وسخرة فى العمل فقد تم استقدام الكثير من الناس من جميع أنحاء مصر، واستقدم الحجارون ورؤساء البحر وصناع السفن، وندب السلطان لهذا العمل الأمير اقبغا عبد الواحد والأمير برصبغا الحاجب، وجمع واليا مصر والقاهرة والناس وسخروهم فى العمل حتى هلك عدد كبير منهم [3]، وكان السلطان ينزل إلى موقع العمل ويحث الأمير اقبغا على سرعة انجازه حتى تم العمل فى النصف الأول من ذى الحجة أى بعد شهرين فقط، وكانت عدة المراكب التى غرقت فيه وهى مشحونة بالحجارة اثنى عشر مركبا سعة كل واحد منها ألف أردب غلة، وكانت عدة المراكب التى اشحنت بالحجارة المقطوعة ورميت فى البحر حتى صار جسرا يمشى عليه ثلاث وعشرين ألف مركب، وحفر الخليج بالجزيرة فلما زاد النيل جرى الماء فيها، وتراجع الماء عن بر القاهرة وقوى على بر الجيزة وبولاق التكرور وامبابة، فسر السلطان والناس جميعا لما كان يعتريهم من خوف على غرق القاهرة فكان هذا الجسر سبب انطراد الماء عنها [4].

نتج عن تلك الأعمال التى قام بها الناصر محمد تأثير جانبى كبير إذ أن النيل تحول إلى الغرب وبعد عن بر القاهرة وانكشفت أراضى كثيرة من قبالة منشأة المهرانى إلى جزيرة الفيل

---

(١) نفسه، السلوك، جـ٢، ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٩، ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٢) نظرا لعدم الدقة والتحديد من المؤرخين فى الكلام عن هذا المشروع اعتقد المرحوم محمد رمزى أن الجسر كان يصل ما بين بولاق إلى رأس جزيرة الوراق، وأن الخليج الذى حفر كان بجزيرة الوراق وأنه هو الموجود حاليا بين الجزيرة والشاطىء الغربى للنيل، انظر تعليقه على النجوم الزاهرة، جـ٩، ص ١٢٤.
إلا أن هذا الاعتقاد غير عملى لأن المسافة كبيرة بين بولاق ورأس جزيرة الوراق كى يتم عمل الجسر بها كذلك فإنه لا يخدم المناطق والخطط المعمورة المراد تجنيبها زيادة النيل وهى تمتد من منشية المهرانى (القصر العينى حاليا) إلى بولاق إلى منية السيرج أى أنها توازى جزيرتى الروضة والوسطى بينما المنطقة التى توازى جزيرة الوراق تقع فى شبرا الخيمة أى بعيدة عن الغرض المراد، كما أن فراغ النيل غربى جزيرة الوراق هو الفرع الرئيسى للنيل ويبلغ اتساعه ضعف اتساع الفرع الشرقى.
وباستعراض أقوال المؤرخين تبين لى أن الجسر كان يصل بين حكر ابن الأثير بجنوب بولاق (أمام فندق هيلتون رمسيس حاليا) إلى رأس الجزيرة الوسطى (جزيرة الزمالك حاليا) بالقرب من موقع فندق شيراتون الجزيرة حاليا، وأن الخليج الذى حفر كان بالجزيرة الوسطى.

(٣) المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٤٥٠، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٩، ص ١٢٧.

(٤) الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ٣١ ـ ٣٢، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٩، ص ١٢٨. المقريزى الخطط، جـ٢، ص ١٦٧، السلوك، جـ٢، ص ٤٤٩ ـ ٤٥١.

وإلى منية السيرج، وصار الناس يجدون مشقة لبعد الماء عن القاهرة، وغلت روايا الماء، وكذلك ضعف تيار الماء بسيالة الروضة وصار الماء يخاض بالأرجل من بر مصر إلى المقياس، فكثرت شكاوى الناس بسبب ذلك، وجرت عدة محاولات أثناء سلطنة الكامل شعبان (٧٤٦ ـ ٧٤٧هـ/ ١٣٤٥ ـ ١٣٤٦م)، وسلطنة أخية حاجى (٧٤٧ ـ ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٦ ـ ١٣٤٨م) لعمل سدود بين الجيزة والمقياس حتى يتحول الماء إلى ناحية سيالة الروضة والقاهرة، ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل (١).

فلما كان فى سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م فى سلطنة الملك الناصر حسن ازداد احتراق النيل عما ذى قبل، وازدادت الرمال على الجانب الشرقى للنيل بطول ساحل مصر والقاهرة حتى بولاق، فاقتضى الرأى عمل جسرين، الأول بين المقياس والجيزة والآخر بين جزيرة الروضة والجزيرة الوسطى ليعود جريان النيل ناحية الفسطاط والقاهرة، وكان المشرف على ذلك الوزير منجك، فجهز ما يحتاج إليه فى عمل الجسرين، وكانت طريقة عمل الجسرين أن تقام الأخشاب بجانبى كل جسر منهما وردم التراب والحجارة فى وسطه مع الحلفاء وتم قطع الطين من بر الروض ورميه بوسط الجسر وغرّقت عشرة مراكب مملوءة حجارة فى وسط جسر المقياس وردم عليها التراب، واستمر العمل أربعة أشهر من مستهل المحرم إلى آخر ربيع الآخر ٧٤٩هـ (٢).

وكان منجك قد حفر أيضا خليجًا تحت الدور من موردة الحلفا إلى بولاق (شكل ٣٧) فلما زاد النيل جرى الماء ودخلته المراكب الصغار ففرح الناس به وسروا سرورًا زائدًا ونسوا ما نزل بهم من الغرامة والمشقة، وكانت قد جبيت أموال كثيرة بسبب ذلك المشروع، ولم يتم من العمل سوى ثلثيه وقويت الزيادة فبطل العمل ولم تزل تقوى حتى علا الماء على جسر الروضة وكاد يقطعه فركب منجك ومعه والى الجيزة وخلائق كثيرة من العامة والأمراء وردمه بالتراب فاندفع الماء إلى جهة الميدان السلطانى وزربية قوصون (٣).

وكان طول جسر الجزيرة الوسطى مائتى وتسعين قصبة فى عرض ثمانى قصبات وارتفاع أربع قصبات وطول جسر المقياس (الذى بين المقياس والجيزة) مائتى وثلاثين قصبة، وعدة مارمى فى هذا العمل من المراكب المشحونة بالحجارة اثنى عشر ألف مركب سوى التراب والطين وغرم عليه مالا يمكن حصره، ويقال أنه جبى من الناس بسببه زيادة على ثلاثمائة ألف دينار، ويذكر «المقريزى» أنه بقى من جسر منجك هذا بقية كانت موجودة على أيامه فى طرف الجزيرة الوسطى (٤).

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٦٧ ـ ١٦٨، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٠، ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٦٩.　　(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) عن ذلك بالتفصيل انظر: المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٦٨ ـ ١٦٩، السلوك، جـ٢، ص ٧٦١ ـ ٧٦٦، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٢١ ـ ٥٢٣.

وفي عام ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م كان النيل منطردًا عن بر القاهرة فأراد الأمير جهاركس الخليلي أن يعود الماء إلى بر القاهرة طول العام لذا بدأ في شهر ربيع الأول من نفس السنة بعمل جسر بين الطرف الشمالي لجزيرة الروضة والطرف الجنوبي لجزيرة أروى (الجزيرة الوسطى) فأقام الخوازيق من خشب السنط وسمر فيها أفلاق النخيل الممتدة كالستارة وألقى بين الخوازيق ترابا كثيرا، بالإضافة لذلك حفر في وسط النيل خليجًا من الجسر إلى زربية قوصون (شكل ٣٧)، وغرم جهاركس أموالا كثيرة في ذلك من ماله الخاص، ومع ذلك لم يأت ذلك الجسر بما كان مرجواً منه، بل حدث عكس ذلك تمامًا، فقد ازداد الماء انطرادًا عن بر القاهرة ومصر حتى لقد انكشف بعد عمل هذا الجسر شيء كثير من الأراضي التي كانت غامرة بماء النيل، وبعد النيل عن القاهرة بعدا لم يعهد في الإسلام مثله قط [١].

أما في العصر العثماني (٩٢٣ ـ ١٢١٣هـ/ ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م) فلم يرد لنا ذكر لأعمال جسور وسدود لضبط النيل تجاه القاهرة، وانما اهملت تلك الأعمال اهمالا كبيرا فقد قال المنوفي (ت ٩٣١هـ/ ١٥٢٤م) عن سوء الحال الذي وصل إليه أمر الجسور في آخر العصر المملوكي وأول العصر العثماني . . . تهدم في زماننا الجسور وتحكم الفساد وخربت البلاد ووسد الأمر إلى غير أهله ووضع الشيء في غير محله ولا جرم أن حل بالناس ما حل وانفرط نظام المملكة وانحل [٢].

ثالثا: الخطط التي عمرت في العصرين المملوكي والعثماني على أرض طرح النيل بالقاهرة

نتيجة لظاهرة طرح النيل تكونت أراضي جديدة على طول ساحل النيل الشرقي بمواجهة الفسطاط والقاهرة، ومن هذه الأراضي التي ظهرت بفعل طرح النيل الأرض التي كونت منطقة مصر القديمة التي تكونت تماما خلال الخمسة طروح الأولى النيل في المسافة المحصورة الآن فيما بين أثر النبي جنوبا حتى فم الخليج شمالا.

وفي العصر المملوكي طرح النيل أراضي جديدة على طول ساحل النيل وسرعان ما امتدت إليها يد التعمير إلى جانب زراعتها وغرس البساتين المثمرة بها، وكانت هذه المناطق والخطط

(١) المقريزي، الخطط، جـ٢، ص ١٦٩ ـ ١٧٠، السلوك، جـ٢، ص ٤٦٩ـ ٤٧٠، ابن حجر، انباء الغمر، جـ٣، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤، ابن تغري بردي، النجوم، جـ١١، ص ٢١٣ ـ ٢١٤، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م) جـ٤، ص ٢٠٦. السيوطي، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٠٦، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٣٠٤ـ٣٠٥.

(٢) الفيض المديد في أخبار النيل السعيد، (مخطوط بدار الكتب المصرية)، ص ٤٨ ـ ٤٩.

الجديدة من متنزهات القاهرة الحسنة لوقوعها على ساحل النيل وغرسها بالبساتين والحدائق والحقول.

وهذه الخطط والمناطق والسواحل الجديدة هى بالترتيب من الجنوب إلى الشمال :

(١) خط موردة الحلفا (٢) منشأة المهرانى

(٣) خط منشأة الكتبة (٤) خط موردة البلاط والميدان السلطانى

(٥) خط زريبة قوصون (٦) خط فم الخور وحكر ابن الأثير

(٧) بولاق (٨) جزيرة الفيل (شكل ٧)

(١) خط موردة الحلفا [١] :

انحسر النيل عدة مرات أمام مدينة الفسطاط حتى استقرت الأرض تماما بعد الطرح الخامس له. وقد كان ساحل النيل بعد انحساره الأول يعرف باسم موردة سوق السمك أمام سيالة الروضة [٢] ثم عرف بعد ذلك باسم موردة الحلفا ربما لنمو نبات الحلفا به.

وكان الاهتمام بتلك المنطقة يرجع إلى آخر الدولة الأيوبية إذ كان الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧هـ-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م) يحفر فى كل عام سيالة الروضة ويرمى ناتج الحفر على الأرض أمامها فى تلك المنطقة حتى تكونت الأرض وتماسكت واشتدت فبدأ العمران يزحف إليها فبنى الامراء بها الدور والمناظر والقصور وأنشأوا حولها البساتين [٣].

وفى زمن الدولة المملوكية ازداد العمران بها وخصوصا أيام الناصر محمد بن قلاوون وصار ساحل النيل أمام موردة الحلفا ميناء تقف بها المراكب المحملة بالغلال ويملأ الناس منها الروايا [٤].

وقد عمر الملك الناصر محمد قلاوون جامعا كبيرا حسنا بموردة الحلفا وصفه المؤرخون بأنه من أحسن متنزهات مصر، وقد تم بناؤه فى سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م وكان يسمى الجامع الناصرى الجديد وربما جاء هذا الاسم من التعمير الجديد لتلك الخطة فى ذلك الوقت، وكان

---

(١) من معانى الموردة فى اللغة «مأتاه الماء»، «الطريق إلى الماء»، وكانت تنتشر على نهر النيل والخلجان كثير من هذه الموردات التى يستقى الناس من عندها. انظر مادة «موردة» فى القاموس المحيط للفيروزابادى، وفى المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ٧٧، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٤٥، جـ٢، ص ٣٠٤.

(٣) ابن دقماق، نفس المصدر والصفحة. المقريزى، نفس المصدر والصفحات.

(٤) المقريزى، نفس المصر، جـ١، ص ٣٤٥.

هذا الجامع مبنى على نسق المساجد الجامعة فكان يتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به الأروقة، وقد ألحق بهذا الجامع جماعة كبيرة من المتصوفة، وقد عمر حول الجامع الدور والبساتين، وظل الجامع عامرا فترة من الزمن حتى خرب ما حوله، وكان فيه بقية حتى أيام المقريزى (ت ٨٤٥هـ) (١) وقد اندثر هذا الجامع الآن وكان موقعه المنطقة التى يخترقها اليوم شارع السكر والليمون جنوبى فم الخليج بمصر القديمة.

وتشغل موردة الحلفا الآن المنطقة التى تحد من الجنوب بمنطقة دير النحاس بجوار نفق الملك الصالح وتمتد شمالا حتى سور مجرى العيون بفم الخليج (شكل ٨).

وكان يتعاقب على موردة الحلفا فى العصرين المملوكى والعثمانى فترات تتراوح ما بين العمران أحيانا والخراب أحيانا أخرى، الذى كان يأتيها نتيجة طغيان فيضان النيل على مبانيها فيدمرها ويغرق بساتينها وزروعها، وبالنظر إلى خريطة الحملة الفرنسية نجد صفًا من المبانى المتصلة على النيل بموردة الحلفا وخلفها بساتين وحقول.

(٢) منشأة المهرانى:

تلى منشأة المهرانى (٢) موردة الحلفا وكانت من أهم متنزهات مصر فى العصرين المملوكى والعثمانى وذلك لوقوع الاحتفال بمهرجان وفاء النيل وكسر سد الخليج بها.

ظهرت أرض منشأة (منشية) المهرانى أول مرة نتيجة انحسار النيل بعد سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، وقد عمرت فى زمن الدولة الأيوبية حيث أقام القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى (٣) جامعا وبستانا عظيما بها، وعمرت الدور حينئذ بجوار الجامع فقيل لها منشأة

---

(١) عن هذا الجامع بالتفصيل، انظر: بيبرس المنصورى (ركن الدين بيبرس عبدالله المنصورى الدوادار ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، التحفة الملوكية فى الدولة التركية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان (نشر الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٧) ص ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٤، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٠٤، السلوك، جـ٢، ص ١٠٢، ١١٤، ١١٥، ٦٥، ابن دقماق، الانتصار جـ٤، ص ٧٦ـ٧٧، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٩، ص ٣٣.

(٢) المنشأة تعبير يطلق على حى جديد بجانب مدينة بتخطيط جديد، ويسميها الناس المنشية، واسم المنشية منتشر فى كثير من مدن وقرى مصر. انظر: محمد كمال السيد، اسماء ومسميات من مصر القاهرة، (نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م)، ص ٢١١.

(٣) هو القاضى الكاتب الأديب عبد الرحيم بن على البيسانى، من أسرة أدبية كبيرة، وقد تولى فى آخر الدولة الفاطمية وأول الدولة الأيوبية عدة وظائف هامة وكان أهمها ديوان الانشاء وقد توفى سنة ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م. انظر بالتفصيل: المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٦٦ـ٣٦٧.

ومن الجدير بالذكر أن مصلحة التنظيم أطلقت على شارعين متوازيين بالمنيرة متفرعين من شارع القصر العينى،أمام دار الحكمة اسمى شارع بستان الفاضل نسبة لبستانه الذى كان بتلك المنطقة والشارع الثانى=

الفاضل ، وكان بستان الفاضل يغذى القاهرة بالعنب والثمار ، وظلت المنشأة عامرة حتى طغى النيل عليها فخبت سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م [١].

وقد عين «المقريزى» موقع منشأة المهرانى وتحدث عن تعميرها فى العصر المملوكى فقال : «أن موضعها فيما بين النيل والخليج وفيها من الحمراء القصوى فوهة الخليج ، انحسر عنها ماء النيل قديما وعرف موضعها بالكوم الأحمر من أجل انه كان يعمل فيها أقمنة الطوب ، فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنّا الملك الظاهر بيبرس فى عمارة جامع بهذا المكان ليقوم مكان الجامع الذى كان بمنشأة الفاضل أجابه إلى ذلك وانشأ الجامع بخط الكوم الأحمر ، وأنشأ هناك الأمير سيف الدين بلبان المهرانى دارا وسكنها وبنى مسجدا فعرفت هذه الخطة به وقيل لها منشأة المهرانى ، فإن المهرانى المذكور أول من ابتنى فيها بعد بناء الجامع ، وتتابع الناس فى البناء بمنشأة المهرانى وأكثروا من العمارة حتى يقال أنه كان بها فوق الأربعين من أمراء الدولة سوى من كان هناك من الوزراء وأماثل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس ، ولم تزل على ذلك حتى انحسر الماء من الجهة الشرقية فخربت وبها الآن بقية يسيرة من الدور [٢].

وذكر «المقريزى» المنشية وعين حدودها وما يجاورها فى مواضع أخرى من الخطط [٣].

وذكر «ابن دقماق» منشية المهرانى ففى كلامه عن الروضة قال « أن جامع الفخر (جامع قايتباى حاليا) بآخر الروضة عند المنيل تجاه طرف منشية المهرانى» [٤] وكذلك ذكر «ابن دقماق» أسماء العديد من المساجد والمدارس التى بنيت فى منشية المهرانى [٥]، وذكر أيضا أن الملك الظاهر بيبرس أمر بعمل جامع بها سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م [٦] ولكن المؤرخ «ابن تغرى بردى» ذكر أنه قد أقيمت الخطبة بجامع الظاهر هذا يوم الجمعة ثامن عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م [٧].

= اسم شارع عبد الرحيم البيسانى أى اسم القاضى الفاضل نفسه.

بالإضافة لذلك أطلقت مصلحة التنظيم على شارع ثالث اسم شارع منشأة الفاضل يصل بين شارعى يوسف الجندى وقدادار شرقى ميدان التحرير ، وهذا الموقع بعيد عن منشأة الفاضل التى كانت بأول القصر العينى.

(١) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤ ، ص ١١٩ ، المقريزى، الخطط ، جـ١ ، ص ٣٤٥ـ٣٤٦.

(٢) الخطط ، جـ١ ، ص ٣٤٦.

(٣) جـ١ ، ص ٣٤٣، جـ٢، ص ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٤٦.

(٤) الانتصار، جـ٤ ، ص ١١٦.

(٥) نفسه، ص ١١٩ـ ١٢٠.

(٦) نفسه ، ص ١١٩.

(٧) النجوم الظاهرة، جـ٧، ص ١٥٠ ، يحدث دائما أن يتم انشاء إيوان القبلة فى أى مسجد أو جامع أولا فيفتتح ويصلى به الجمعة ثم تستكمل باقى الأعمال بعد ذلك، وعلى ذلك نقول أن افتتاح مسجد الظاهر هذا تم فى ربيع الآخر سنة ٦٦٩هـ حسبما ذكر ابن تغرى بردى، وإن استكمال المسجد كله تم سنة ٦٧١هـ حسبما ذكر ابن دقماق.

هذا الجامع كان واقعا على الأرض الواقعة على شارع القصر العينى تجاه معهد ومستشفى الكلب من الجهة الشرقية قرب فم الخليج، وقد اندثر حاليا، انظر : محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٧، ص ١٥٠.

وقال «القلقشندى» عن منشأة المهرانى أيضا «ويبدو فى آخر الفسطاط وهذه الجزيرة (يقصد الروضة) على فوهة خليج القاهرة حيث السد الذى يفتح عند وفاء النيل مكان كالجزيرة يعرف بمنشأة المهرانى، وكان كوما يحرق فيه الآجر يعرف بالكوم الأحمر عده القضاعى فى جملة كيمان الفسطاط، وقال صاحب ايقاظ المتغفل وأول من ابتدأ العمارة يلبان المهرانى فى الدولة الظاهرية بيبرس فنسبت المنشأة هذه إليه» [1].

ومن خلال ما ذكر نقول أن منشأة المهرانى تشغل اليوم المنطقة التى تحد اليوم من الغرب بسيالة الروضة ومن الجنوب بميدان ومنتزه فم الخليج اللذين حلا محل فم الخليج المصرى، والحد الشرقى يتمثل فى خط يصل بين شارع العيون جنوبا حتى أول شارع المنيرة شمالا، والحد الجنوبى يتمثل فى شارع بستان الفاضل وما فى امتداده أى شارع الدكتور حندوسة (شارع مستشفى اللادى كرومر سابقا) حتى كوبرى القصر العينى [2] (كوبرى محمد على سابقا) (شكل ٩).

وكانت منشية المهرانى عامرة عمارة كبيرة فى العصر المملوكى، وكانت تحوى مساجد ومدارس كثيرة [3]، وحمامات عامرة مثل حمام ابن أبى الحوافر المتوفى ٦٥٧هـ [4]، وخانقاوات مثل خانقاة ارسلان الدوادار المتوفى ٧١٧هـ/ ١٣١٧م [5]، وكان للسلطان الملك المؤيد شيخ معصرة فى منشأة المهرانى لاستخلاص السكر والعسل [6].

وكانت منشية المهرانى تتعرض أحيانا للخراب فى المحن والأزمات التى حلت بمصر نتيجة نقص النيل وطغيان الرمال على السواحل بالإضافة للفتن والقلاقل التى قامت بها طوائف المماليك، ومن أكبر هذه الأزمات الأزمة التى حدثت سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م وما تلاها، ولكن

---

(١) القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الاعشى فى صناعة الانشا، (ط دار الكتب المصرية، ١٩١٤م) جـ٣، ص ٣٤٠.

(٢) أطلقت مصلحة التنظيم اسم منشأة المهرانى على شارع متعامد على شارع قدادار شرقى ميدان التحرير وهذا الموقع بعيد عن الموقع الأصلى لمنشأة المهرانى. ولكننا نجد شارع باسم سكة المنشأة متفرع من شارع القصر العينى يتفق وموقع منشأة المهرانى. انظر أيضا: محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٩، ص ١٨٤.

(٣) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ٩٠، ١١٩، ١٢٠.

(٤) نفسه ص ١٠٤، ١٠٥، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٨٥، ابن الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود الصيرفى ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، نزهة النفوس والأبدان، تحقيق حسن حبشى، جـ٢، (ط دار الكتب المصرية، ١٩٧١م)، ص ٤٧٩.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٤٢٣، ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٢، ٣٠١.

(٦) وثيقة المؤيد شيخ رقم ٩٣٨ المحفوظة بالأوقاف، نشر فهمى عبد العليم، العمارة الإسلامية بمصر فى عصر السلطان المؤيد شيخ، دكتوراة «مخطوطة»، (كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٨) ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥ سطور ٢٣٦ ـ ٢٤٠.

سرعان ما عاد العمران إليها مرة أخرى وخاصة لما قام الملك المؤيد شيخ بحفر النيل، ومن أجل حماية المنشية عمل المؤيد جسراً بطولها عند الحفر[١].

ومن الأعمال العظيمة بالمنشأة ما قام به الأمير چانى بك نائب جده الدوادار[٢]، فقد أنشأ بستانا عظيما كان محله كوم وبركة، وقد انتهى منه بعد شهرين فقط وكان ذلك فى شهر ربيع الأول ٨٦٣هـ، وقد كان كوما خبيثا تتم به بعض الأمراض الاجتماعية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت من استعماله لأمور الفساد وشرب المسكرات فصار بستانا نزها[٣]، وفى سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢ أكمل زراعة البستان وجعل به بحيرة، وكان هذا البستان يقع شمال منشأة المهرانى وكانت مساحته ١٥٠ فدانا[٤]، وكان له باب قريب من خط قناطر السباع (السيدة زينب حاليا) وباب آخر على النيل تجاه الروضة، وعمل چانى بك بطرف بستانه على النيل قبتين واحدة كبيرة والأخرى صغيرة، وعمل رصيفا على النيل، وانزل بالقبتين جماعة من صوفية الأعاجم وأجرى عليهم الرواتب الهائلة وأوقف عليهم أوقافا كثيرة، وقد أقام چانى بك احتفالات كبيرة ببستانه وقبتيه[٥]، وقد استخدمت تلك القبتان كمتنزه عظيم بقية العصر المملوكى وطوال العصر العثمانى[٦].

وعمرت المنشأة عمارة عظيمة وهوت إليها القلوب والأفئدة للتنزه والاستمتاع بأوقات حسنة خصوصا بعد أن أنشأ بها الأمير شهاب الدين أحمد بن العينى[٧] قصرا عظيما يطل

---

(١) السخاوى (محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (نشر مكتبة القدسى بمصر، ١٩٥٣)، جـ٣، ص ٣١.

(٢) هذا الأمير من كبار أمراء دولة المماليك الچراكسة، وقد تولى وظائف هامة فى الدولة، وقد قتل سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢. انظر ترجمته فى: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص ٢٧٧، ٣٢٠ـ٣٢٣، المنهل الصافى، جـ٤، ص ٢٤٣ـ٢٤٨، السخاوى، الضوء اللامع، جـ٤، ص ٥٧.

(٣) ابن تغرى بردى، منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور، (نشر وليم بوبر، ط كاليفورنيا، ١٩٣٠، جـ٢)، ص ٣٢١.

(٤) يساوى الفدان الآن ٤٢٠٠ متر مربع.

(٥) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٦، ص ٢٧٧، ٣٢٢، ٣٢٣، حوادث الدهور، جـ٣، ص ٥٦٦ـ٥٦٩، ص ٧٦٦ـ٧٦٨، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٠٦، ٤٤٩.

(٦) Abouseif, (D), The Coppa, An Aristocratic Type of Zawiya An Isl XIX IFAO (1983) p. 2 - 3.

(٧) هو أحمد بن عبد الرحيم بن قاض القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى، تولى عدة وظائف هامة فى الدولة، ورقى لمنصب أمير مائة مقدم ألف، وكان له شأن كبير أيام السلطان خشقدم ولكنه تعرض لمحن وشدائد أيام قايتباى وقانصوه أبو سعيد، وقد توفى بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م. انظر ترجمة كاملة فى: ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٦، ص ٢٧١، ٢٨٣، ٢٩٥، ٣٧٩، السخاوى، الضوء اللامع جـ١، ص ٣٤٥ـ٣٤٦، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٥٧ـ٥٨.

على النيل بجوار بستان چانى بك بجوار القبتين فى سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م [١]، وكان هذا القصر والبساتين حوله وقبتا چانى بك متنزهات عظيمة للسلاطين والولاة والأمراء والناس جميعا فى العصرين المملوكى والعثمانى [٢].

وقد غلب اسم قصر العينى على المنطقة منذ ذلك الوقت وحتى الآن، وكان السلطان قايتباى (٨٧٢ـ ٩٠١هـ/ ١٤٦٨ ـ ١٤٩٦م) كثير التنزه بالمنطقة وقد أمر باصلاح جامع يسمى جامع الرحمة ببستان نائب جدة [٣].

وفى العصر العثمانى كان القصر العينى محطة استقبال لولاة مصر العثمانية، وعمرت قبتا چانى بك طول العصر، واستخدمت كتكية عظيمة لطائفة المتصوفة البكتاشية [٤]، وكانت منطقة القصر العينى من المناطق المفضلة لسكنى العديد من الأمراء ذوى النفوذ فى القرن ١١هـ/ ١٧م وكانوا يدعون الباشا إلى هناك لحضور حفلات باذخة، وقرب نهاية القرن كان يأتى للاقامة هناك الباشوات المعزلون أو الحديثو التعيين بدلا من الاقامة داخل القاهرة[٥].

وقد أجريت على القصر العينى عدة عمارات ففى سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م أنشأ والى مصر إبراهيم باشا كتخدا الوزير [٦] قصرا فى الركن الجنوبى، كما ضم إليه الوالى عبد الرحمن باشا[٧] قصرا آخر فى سنة ١٠٨٨ هـ/ ١٦٧٧م [٨].

(١) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٣، ص ٥٤١، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٤٩.

(٢) انظر ما يلى ص ٤٥٩. (٣) السخاوى، الضوء اللامع، جـ٦، ص ٢٠٨.

(٤) التكية مكان لخلوة الصوفية الاعجام ويسمون الدراويش المتفرغين للعبادة، وكانت تجرى عليهم الأرزاق بما يلزمهم من مأكل ومشرب وملبس من أوقاف خاصة، وقد حلت التكايا فى العصر العثمانى محل الخانقاوات المملوكية، وفقدت التكايا فى العصر العثمانى الغرض الدراسى الذى كانت تقوم به الخانقاوات المملوكية، وتكاد تكون اختصت بالعاطلين فقط. انظر: سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، (نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ١٩٨٣، جـ٥) ص ٤٩، ٩٦، دولت عبدالله، معاهد تزكية النفوس، (القاهرة، سنة ١٩٨٠م).

(٥) اندريه ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٦) تولى إبراهيم باشا فى الفترة من محرم ١٠٨١هـ حتى آخر جمادى الأولى ١٠٨٣هـ (يونيه ١٦٧٠ ـ سبتمبر ١٦٧٢م) انظر بالتفصيل: أحمد شلبى (أحمد شلبى بن عبد الغنى الحفنى المصرى، ت١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م)، أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ العينى، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، (نشر مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٧٨م)، ص ١٧٠ ـ ١٧٢. ابن الوكيل (يوسف الملوانى الشهير بابن الوكيل)، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، (مخطوط بمكتبة رفاعة بسوهاج، تحت رقم ٢٨ تاريخ) ص ٢١١ ـ ٢١٤.

(٧) تولى عبد الرحمن باشا من ربيع الثانى ١٠٨٧ حتى عزل فى غاية شعبان سنة ١٠٩١هـ (١٦٧٦ ـ ١٦٨٠م). انظر بالتفصيل: أحمد شلبى، أوضح الاشارات، ص ١٧٥ ـ ١٧٧، ابن الوكيل، تحفة الاحباب، ص ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٨) حسن الباشا، القصر العينى تاريخ وأثر، (مذكرة)، ص ٥.

كما كانت المنطقة تحتوى فى النصف الثانى فى القرن ١١هـ/ ١٧ على ثلاثة وأربعين مقعدا أو منظرة تطل على النيل كما ذكر الرحالة التركى أوليا شلبى [١].

وقد ذكر على مبارك فى خططه أن تكية القصر العينى فيها قبتان مفروشتان بالرخام والترابيع (وهما قبتا جانى بك)، وقد ألحق حسين قبودان بإحدى القبتين سبيلا سنة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م وكان للتكية فدانان فيهما النخيل والأشجار، وفى سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م عمر التكية حسن باشا فبنى أسوارها وأسوار الغيطان الموقوفة عليها المحيطه بها وأنشأ بها صهريجا وأنشأ بجانبها مصلى [٢].

وفى أثناء الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣ ـ ١٢١٦هـ/ ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م) حولوا القصر إلى مستشفى وزودوه بالحصون، ثم أقام محمد على باشا قشلاق للجند فى سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٢م ومبنيين بعد ذلك سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م وجعل كل ذلك مستشفى.

وبالنظر إلى خريطة الحملة الفرنسية للموقع نجد أن منشية المهرانى عبارة عن أراضى زراعية وبساتين يتوسطها القصر العينى وبيوت قليلة حوله مثل بيت مصطفى بك شمالا وبيت محمد كاشف الأرناووط جنوبًا.

(٣) خط منشأة الكتبة:

عمر هذا الخط أيام الناصر محمد بن قلاوون، فقد كان الناصر قد أنشأ زريبة [٣] له قبلى الجامع الطيبرسى [٤] فى أرض بستان

---

(١) نفسه.

(٢) الخطط التوفيقية (ط ١٩٨٧م)، جـ٢، ص ١٦٢ـ١٦٣، ملحوظة: استعملت هذه الطبعة الجديدة من الخطط التوفيقية من الأجزاء الثمانية الأولى وطبعة بولاق القديمة (١٣٠٤ ـ ١٣٠٦هـ) فى باقى الأجزاء.

(٣) عمر الناصر محمد الزريبة قبلى جامع الطيبرسى وحفر لأجل هذه الزريبة البركة التى عرفت باسم البركة الناصرية ليستعمل طينها فى بناء الزريبة، وأنشأ فوق هذه الزريبة دار وكالة وربعين عظيمين جعل أحدهما وقفا على الخانقاه التى أنشأها بناحية سرياقوس، وأنعم بالآخر على الأمير بكتمر الساقى، فأنشأ الأمير بكتمر بجواره حمامين أحدهما برسم الرجال والآخر برسم النساء. انظر: المقريزى، الخطط، جـ٢ـ ١٣٢، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٣٢، على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٣، ص ٢٢٦، ويمثل موقع الزريبة اليوم المنطقة الواقعة على النيل بجاردن سيتى المحصورة بين شارع ورشة التمباك جنوبا حتى شارع عبد القادر حمزة الذى به فندق شبرد شمالا.

(٤) جامع الطيبرسى ذكره المقريزى فقال « عمر هذا الجامع الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش بشاطئ النيل فى أرض بستان الخشاب وعمر بجواره خانقاة فى جمادى الأولى سنة ٧٠٧هـ، وكان من أحسن متنزهات مصر وأعمرها، وقد خرب ما حوله من الحوادث والمحن بعد سنة ٨٠٦هـ بعد ما كانت العمارة متصلة إلى الجامع الجديد بمصر ومنه إلى جامع الخطيرى ببولاق، ويركب الناس المراكب للفرجة =

الخشـــاب [١]، فعمر الأمراء والكتاب الدور الجليلة هناك فقد عمر المكين إبراهيم بن قزوينه ناظر الجيش جنوب زريبة الناصر محمد دار جليلة وعمر أيضا صلاح الدين الكمال والصاحب أمين الدين عبدالله بن الغنام وعدة من الكتاب فقيل لهذه الخطة منشأة الكتاب[٢].

وظلت منشأة الكتبة عامرة حتى خربت ضمن ما خرب من خطط القاهرة فى الأزمات والمحن التى حدثت ابتداءا من سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م [٣]، إلا أن تلك المحن لم تستمر طويلا فسرعان ما عاد للقاهرة رونقها بعد ذلك وشمل التعمير أرجاءها وعمر خط منشأة الكتبة من ضمن الخطط التى كانت على النيل عندما حفره المؤيد شيخ ما بين الجامع الناصرى وبين جامع الخطيرى سنة ٨١٨هـ [٤].

وفى العصر العثمانى تحولت منشأة الكتبة للنشاط الزراعى فحفلت بالحقول والبساتين، وكانت من متنزهات القاهرة [٥].

= من هذا الجامع إلى الجامعين المذكورين مصعدين ومنحدرين فى النيل، ويجتمع بهذا الجامع الناس للنزهة فتمر به أوقات ومسرات لا يمكن وصفها، وقد خرب هذا الجامع واقفر من المساكن وصار مخوفا بعد ما كان ملهى وملعبا»، الخطط، جـ٢، ص ٣٠٤. وقد حقق المرحوم الأستاذ محمد رمزى موقع هذا الجامع وقال أنه شاهد بنفسه الخانقاة التى كانت بجواره والتى كانت معروفة باسم جامع الأربعين، وهذا الموقع تشغله الآن عمارة سكنية تقع بين فندق سميراميس وجامع عمر مكرم، فى شارع كمال الدين صلاح (الشيخ بركات سابقا)، وهذا الموقع موقع على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية (لوحة١) قبل هدمه باسم جامع الشيخ منصور وبركات. انظر: تعليق محمد رمزى على النجوم الزاهرة، جـ٧، ص ١٩٨.

(١) عن بستان الخشاب، انظر مايلى، ص ٥١.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٣٢.

(٣) هذه المحن والحوادث التى مرت بها مصر ابتداءا من سنة ٨٠٦هـ، وكان لها تأثير كبير على القاهرة وأدت إلى خراب بعض أحيائها وخططها، كان مردها إلى انخفاض النيل بدرجة كبيرة فى ذلك الوقت مما أدى إلى حدوث أزمات اقتصادية كبيرة وحدوث غلاء فى الأسعار، وصاحب ذلك أوبئة أثرت على خفض ثلث سكان القاهرة، كما أن النيل انحسر وتقلص نحو الغرب فانكشفت أراضى كثيرة وعلا الرمل على شاطئه الشرقى وبعد الماء عن القاهرة فتأثرت الخطط التى كانت واقعة على النيل، من الأسباب الهامة لتلك الأزمات أيضا ازدياد الفتن والاضطرابات والصراعات الداخلية بين طوائف المماليك، إلى جانب الفساد السياسى والأخلاقى الذى تمثل بصفة كبيرة فى اغتصاب الأملاك والأوقاف وكان المغتصبون يهدمون تلك المبانى والدور ويبيعون انقاضها مثلما حدث للرباع والدور والوكائل التى كانت بجوار جامع الطيبرسى بخط زريبة قوصون وامتد إلى جميع الدور والمناظر الممتدة على النيل وصار الساحل من منشأة المهرانى إلى قرب بولاق كيمانا موحشة وخرائب مقفرة، الإضافة لذلك كانت الدولة التيمورية تهدد المماليك، وعانت الشام متهم معاناة كبيرة، وكانت هذه المحن والأزمات هى التى دفعت المقريزى لكتابة كتابه «اغاثة الأمة فى كشف الغمة». انظر: المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٣١، السلوك، جـ٣، ص ١١٢٧، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص ١٥٢.

(٤) انظر ما سبق، ص ٢٥.

(٥) انظر خريطة نيبور للقاهرة، وكذلك خريطة الحملة الفرنسية.

وعن موقع منشأة الكتبة الآن أرى أنها كانت واقعة خلف زريبة الناصر محمد التى كانت تقع خلف جامع الطيبرسى الذى كان يقع بجوار جامع عمر مكرم الآن، كما كانت منشأة الكتبة متصلة بمنشأة المهرانى من جانبها الجنوبى.

فعلى ذلك فموقعها يشغله اليوم الجزء الجنوبى الشرقى من حى جاردن سيتى وجزء من حى المنيرة فى المنطقة المحصورة فيما بين شارع الدكتور حندوسة (شارع مستشفى اللادى كرومر سابقا) وشارع بستان الفاضل الذى فى امتداده جنوبا، وبين شارع عائشة التيمورية (شارع الوالدة باشا سابقا) وما فى امتداده شمالا (شكل ١٠).

(٤) خط موردة البلاد والميدان السلطانى:

يلى هذا الخط خط منشأة المهرانى ومنشأة الكتبة، وقد ذكره المقريزى فى عدة مواضع [١]، وأن أرض هذا الخط كانت جزءا من بستان الخشاب [٢]، وكان فم الخليج الناصرى الذى حفره الناصر محمد سنة ٧٢٥هـ يقع فى موردة البلاط [٣] كما كان الميدان الناصرى السلطانى الذى أنشأه أيضا الناصر محمد سنة ٧١٨هـ من جملة خط موردة البلاط [٤].

---

(١) الخطط، جـ٢، ص ١٤٥، ١٤٨، ٤٣٢.

(٢) بستان الخشاب كان بستانا كبيرا زمن الدولة الأيوبية، ثم قسم لعدة خطط وبساتين فى العصر المملوكى، وكان يشغل مساحة كبيرة من الأرض يمكن تحديدها بالحدود الآتية: كان الحد الغربى متمثلا فى نهر النيل والحد الجنوبى يبدأ من كوبرى القصر العينى (محمد على سابقا) وشارع الدكتور حندوسة (شارع مستشفى اللادى كرومر سابقا) وشارع بستان الفاضل وما فى امتداده حتى مقام المواردى بشارع الخليج المصرى حيث كانت هناك قنطرة السد، وكان الحد الشرقى يسير بعضه مع الخليج وبعضه الآخر فى اتجاه مستقيم إلى موضع قصر عابدين حاليا، والحد الشمالى يتمثل فى أحد الشوارع التى تصل بين ميدان عابدين وميدان التحرير.

وكانت أرض بستان الخشاب مقسمة فى العصر المملوكى إلى قسمين، القسم الشرقى منهما هو الواقع بين شارع المنيرة وشارع الخليج المصرى (بورسعيد) وكان يعرف بالمريس نسبة إلى أن كثيرا من السودان المريس والنوبة كانوا يسكنون هذا المكان فعرف بهم وكانوا يصنعون به المزر وهو نوع من البوظة يسمى المريسى، وكان المريس فى غاية العمارة وكان يرتاده أهل الخلاعة وطالبى المتعة والمتنزهين. أما القسم الغربى الذى بين شارع المنيرة والنيل فكان يضم خط موردة البلاط والميدان السلطانى وأول الخليج الناصرى. انظر: المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٠٩، ١١٣، ١١٤، ١٣١، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٣٠٣، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ٤٤، جـ٧، ٣٨٨، ٣٨٩، جـ٩، ص ٨١، ١٩٦، حاشية (١).

(٣) الخطط، جـ٢، ص ١٤٥، كان فم الخليج الناصرى يقع فى النقطة التى يتقابل فيها اليوم عائشة التيمورية بشارع كورنيش النيل بجاردن سيتى بالقاهرة.

(٤) عن الميدان السلطانى انظر ما يلى، ص ٢٦٤.

ومما ذكره «المقريزى» يتبين لى أن خط موردة البلاط على النيل كان مقسما عدة أرصفة متجاورة يختص كل منها بنوع معين من البضاعة وهى موردة البلاط وموردة الملح [١] وموردة الجبس [٢] وغير ذلك.

وموقع خط موردة البلاط والميدان السلطانى يشغله الآن جزء من حى جاردن سيتى على امتداد النيل من شارع عائشة التيمورية (الوالدة باشا سابقا) جنوبا حتى شارع عبد القادر حمزة شمالا (شكل ١١).

وقد عمر هذا الخط عمارة كبيرة فى العصر المملوكى ولا سيما فى فترة حكم الناصر محمد حيث كثر العمران والبناء على النيل فاتصلت المبانى من أثر النبى جنوبا حتى بولاق شمالا. وبالرغم من بعض المحن التى حلت بتلك الخطط التى على النيل فى بعض فترات فى العصر المملوكى، إلا أن العمران سرعان ما يعود إليها مثلما حدث أيام الملك المؤيد شيخ وما تلاه.

وقد غلب على خط موردة البلاط والميدان السلطانى النشاط الزراعى فى العصر العثمانى حيث وقعت تلك المنطقة على خريطة نيبور الذى زار مصر سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م، وكذلك فى خريطة الحملة الفرنسية وكانت عبارة عن حقول وبساتين وقد تحول جزء منها إلى ميدان يسمى ميدان النشابة [٣] الذى أنشئ فى العصر العثمانى بدلا من الميدان السلطانى الذى كان يقع غربيه والذى كان قد تحول للزراعة لأن أرضه كانت معرضة لطغيان النيل عليها، وقد تعرضت الجناين والبساتين بتلك المنطقة، وكذلك بساتين مصر القديمة وغيرها التخريب على يد الحملة الفرنسية حيث قطعوا أشجارها ونخيلها [٤].

(٥) خط زريبة قوصون:

يلى هذا الخط خط موردة البلاط والميدان السلطانى، وأرضه نتجت عن طرح البحر الخامس سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م، وقد اتصلت تلك الأرض بأرض اللوق، وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون قد خرب ميدان الملك الظاهر بيبرس باللوق[٥] وجعله بستانا ثم وهب

---

(١) ذكر المقريزى أن موقع الميدان السلطانى بموردة الملح. الخطط، جـ٢، ص ١٣١.

(٢) ذكر المقريزى أن الميدان السلطانى على النيل ويعرف ساحل النيل هناك بموردة الجبس. الخطط، جـ٢، ص ١١٤. كما ذكر أن موردة البلاط تجاور موردة الجبس. الخطط، جـ٢، ص ١١٧.

(٣) سمى بهذا الاسم لاستخدامه فى تدريب الفرق العسكرية للرمى بالنشاب (السهام).

(٤) الجبرتى (عبد الرحمن بن حسن، ت ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م)، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، (ط دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ)، جـ٢، ص ٤٣٨.

(٥) عن الميدان الظاهرى انظر ما يلى، ص ٣٧٨.

البستان للأمير قوصون [1] فأنشأ قدامه على النيل زريبة [2]، فعمر الناس هناك حول الزريبة حتى اتصلت العمارة بموردة البلاط والميدان السلطانى من الجهة الجنوبية، واتصلت بحكر ابن الأثير وخط فم الخور وبولاق من الجهة الشمالية وبأرض اللوق من الشرق، وعمَّر هناك حمام وسوق كبير وطواحين وعدة مساكن اتصلت باللوق، وأصبحت الخطط التى على طول النيل متصلة بالعمارة بدورها ومناظرها ومساجدها وخانقاواتها ومن وراءها الأزقة والشوارع والدروب حتى قاربت الخليج [3].

وفى العصر العثمانى تحول هذا الخط إلى بساتين متجاورة كما ورد فى خريطتى نيبور والحملة الفرنسية.

وعن موقع خط زريبة قوصون نجده مشغولا اليوم بالمنطقة المحصورة بين ميدان سيمون بوليفار (قصر الدوبارة سابقا) بجاردن سيتى وبين ميدان عبد المنعم رياض، وكانت الزريبة نفسها تقع فى موقع المتحف المصرى بميدان التحرير (شكل ١٢).

(٦) خط فم الخور وحكر ابن الأثير:

يلى هذا الخط خط زريبة قوصون، وأرضه ناتج طرح البحر السادس والسابع، وقد سمى بهذا الأسم نسبة إلى خليج فم الخور الذى أمر بحفره الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٤هـ [4]، وكان فمه على النيل بميدان عبد المنعم رياض الآن، وكان مساره بأول شارع رمسيس، ونتيجة لذلك امتد العمران على جانبيه وبنيت فيه الدور والمناظر الجليلة الوصف التى تشرف على النيل ومن وراءها البساتين ويفصل بينهما شارع مسلوك يؤدى إلى بولاق،

---

(١) الأمير قوصون، كان من أعظم أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون وأقرب الأمراء المقربين إليه، كان ساقيه ثم ترقى بسرعة كبيرة حتى بلغ أعلى رتبة من رتبة المماليك وهى أمير مائة مقدم ألف، وكان له نفوذ كبير وتحكم فى الدولة، وعقب وفاة الناصر محمد فى ذى الحجة ٧٤١هـ دخل قوصون فى صراع مع بعض الأمراء فكانت نهايته القتل سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م وكان محبا للعمارة وله من الآثار بالقاهرة جامعة الذى يعرف اليوم بجامع قيسون (أثر رقم ٢٠٢) بشارع محمد على ووكالة بالجمالية (أثر رقم ١١) وكان له خانقاة وجامع باق منه مئذنته (أثر رقم ٢٩٠) بقرافة السيوطى وكان له دار واصطبل كبير بالرميلة بجوار مدرسة السلطان حسن، وكان له حكر بجوار قناطر السباع بالسيدة زينب حاليا. عنه بالتفصيل انظر: المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٧٢، ٩٣، ١١٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٥، ٤٢٥، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص ٩٥، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٧، جـ١٠، ص ٤٥، ٤٨، على مبارك، الخطط التوفيقية، (ط ١٩٨٦)، جـ٥، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٩٨. على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٣، ص ٢٢٥، ٢٥٤.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٤٤. وعنه بالتفصيل انظر ما يلى، ص ٣١٠.

وقد انشى هناك حمام وجامع وسوق وسكن ذلك الخط الأكابر من الوزراء والأعيان وكان به من الدور العظيمة ما يفوق الوصف [١] . وكان للسلاطين والأمراء فى العصر المملوكى هناك بساتين مثمرة بكافة أنواع الفواكه والثمار مثل بستان السلطان برسباى [٢] وغيره .

أما حكر ابن الأثير فينسب إلى القاضى علاء الدين بن الأثير الذى كان يشغل وظيفة كاتب السر فى زمن السلطان محمد بن قلاوون ، وكان قد بنى دارا له على النيل وبنى الناس بجواره فعرف ذلك الخط بحكر ابن الأثير [٣] .

وكان هذا الحكر يشغل الجزء الجنوبى من خط فم الخور وقد اتصلت العمارة من حكر ابن الأثير إلى خط فم الخور ومن خط فم الخور إلى بولاق [٤] ، وفى العصر العثمانى حفلت المنطقة ببساتين الأمراء الكبار ومناظرهم الجميلة [٥] .

ويشغل خط فم الخور الآن المنطقة الواقعة بين ميدان عبد المنعم رياض جنوبا حتى اتصالها ببولاق بالقرب من شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) شمالا ، وكان النيل يحدها غربا ويمثل شارع رمسيس حدها الشرقى ، ويشغل مكان حكر ابن الأثير الآن المنطقة التى تحد غربا بشارع ساحل الغلال الموصل الآن بين شرق فندق هيلتون رمسيس وبين مبنى الإذاعة والتليفزيون حيث كان النيل يجرى فى ذلك المسار أيام الناصر محمد [٦] ، وكان يحده جنوبا وشرقا شارع الجلاء (الترعة البولاقية سابقا) (شكل ١٣) .

(٧) بولاق :

تلى بولاق خط فم الخور وحكر ابن الأثير ، وقد تكونت نتيجة طروحات النيل المتوالية وبصفة خاصة الطرح الخامس سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م ، وكانت مثل تلك الأراضى فى مبدأها تكون لينة وغير متماسكة ، وكانت عبارة عن هيئة جزر صغيرة تغطيها الرمال وتحيط بها البرك وتنمو بها الحلفاء والبوص ومع الزمن تتصل ببعض حتى تتكون كأرض متصلة تجف بعد ذلك وتصلب وتكون صالحة للبناء عليها أو الزراعة بها ، وهكذا تكونت أرض بولاق واتصلت من

---

(١) نفسه ، ص ١٣١ .

(٢) كتاب وقف السلطان برسباى رقم ٨٨٠ أوقاف ، ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ، أحمد دراج ، حجة وقف الأشرف برسباى ، نشر المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، (القاهرة ، سنة ١٩٦٣) ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٣١ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٣١ . ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ٩ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٥) انظر على سبيل المثال كتاب وقف الأمير عثمان كتخدا رقم ٢٢١٥ أوقاف ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٦) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص ١٨٤ .

جنوبها وجنوبها الشرقى بأرض اللوق، ومن شمالها بجزيرة الفيل (أرض شبرا وروض الفرج الآن) ومن شرقيها المقس (الأزبكية الآن)[1]. ومع الزمن كانت تظهر أمام بولاق جزر أخرى أما تتصل بها أو تتصل بالجزيرة الوسطى أمامها، أو تختفى بعد ذلك، ومن أمثلة ذلك الجزيرة التى ظهرت سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م وأغلب الظن كما يفهم من نص «ابن إياس» أنها اتصلت ببولاق بعد ذلك [2].

استغلت الأرض بولاق بعد تكوينها مباشرة كملاعب وميادين لتدريب المماليك السلطانية للرمى بالنشاب فى تلال الرمال هناك، ثم بدأ العمران فيها من سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م فى النهضة العمرانية العظيمة بمصر التى قادها الناصر محمد بن قلاوون، وتسابق الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة فى البناء عليها بالإضافة إلى الزراعة وغرس البساتين المثمرة بها[3]. وتردد الناس عليها للنزهة وصارت من أجمل وأعظم متنزهات مصر واعتبرها المؤرخ «ابن ظهيرة» من محاسن وفضائل مصر التى اختصت بها مصر والقاهرة، وما شاركها فيها غيرها بما تضم من قصور ومناظر ومساكن جليلة ممتدة على شاطئ النيل[4]، وقد كانت قد شهدت نهضة عمرانية كبيرة بها منذ فترة حكم المؤيد شيخ بعد الأزمات والمحن التى حلت بالقاهرة منذ سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م.

وتبدو بولاق كما وردت فى خريطة الحملة الفرنسية (شكل ١٤) كمدينة صغيرة (ضاحية) منفصلة عن القاهرة، وتبدو على هيئة مثلث ذو قاعدة دائرية على النيل ويمتد لمسافة ٢١٠٠ متر ارتفاع المثلث ٦٠٠ متر، ويفصلها عن القاهرة سهل عرضه ١٢٠٠ متر، وعدد من البساتين، وقد قدر عدد سكانها بأربع وعشرين ألف نسمة، وكانت ميناء بولاق من أعظم موانئ مصر لما لها من أهمية كبيرة فى انتعاش تجارة مصر الداخلية والخارجية، وقد سجل الفرنسيون بها ٢٤ مسجدا وعددا كبيرا من الوكالات من بينها ٣٠ وكالة رئيسية أغلبها أكثر اتساعا وأجمل من وكلات القاهرة [5].

وقد اتصلت بولاق بأحياء القاهرة بواسطة طريقين احدهما يربطها بالمقس وكانت تظلله الأشجار (شارع السبتية الآن) والآخر يصلها بالأزبكية وهو الذى قام المسيو لوبير أحد مهندسى الطرق بالحملة الفرنسية باصلاحه وغرس الأشجار على جانبيه وهو الذى يمثله الآن شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا).

---

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص ٣٠٧.   (٢) بدائع الزهور، جـ٤، ص ١١٠ ـ ١١١.
(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٣١.
(٤) الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، ص ٢٠٢.
(٥) جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة القاهرة، ترجمة وتحقيق أيمن فؤاد سيد، (نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة، ١٩٨٨م)، ص ٣٤٢.

وذكر المرحوم «محمد رمزى» أيضا أن بولاق قد وقعت على خرائط القاهرة المرسومة حتى سنة ١٨٥٨م كبلدة صغيرة واقعة على النيل كانت مبانيها محصورة بين شارع السبتية من الشمال ومن الجنوب بشارع اصطبلات الطرق ومن الشرق شوارع العليمى وعلوة الحجاج وتل نصر ووابور النور، وكانت الأرض التى بين بولاق القديمة وبين شارع رمسيس كلها أرضا زراعية وبساتين ولم تحدث فيها المبانى إلا فى زمن الخديوى إسماعيل (١٢٨٠ ـ ١٢٩٦هـ/ ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩م) ففى ذلك الوقت اخذت بولاق تتسع فى العمارة حتى اتصلت مبانيها بالقاهرة وأصبحت بولاق قسما إداريا من اقسامها [١].

(٨) جزيرة الفيل :

جزيرة الفيل ظهرت فى زمن الدولة الأيوبية نتيجة غرق مركب كبير يسمى الفيل فى نهر النيل، فترك فى مكانه، فربا عليه الرمل، وأخذ النيل ينحسر حوله فصارت جزيرة يحيط بها الماء من كل جانب فيما بين منية السيرج وأرض الطبالة (الفجالة حاليا) سماها الناس جزيرة الفيل، وظلت تنمو وتتسع كل عام بما يضاف إليها من الطمى الذى حمله ماء النيل، وقد زرعت فى أيام الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى (٥٦٧ ـ ٥٨٩هـ/ ١١٧٢ ـ ١١٩٣م) فوقفها على المدرسة التى أنشأها بالقرافة بجوار قبر الشافعى رضى الله عنه، وكثرت اطيانها بانحسار النيل عنها فى كل عام [٢].

وفى سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١ فى أثناء سلطنة الملك المنصور قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩هـ/ ١٢٧٦ ـ ١٢٨٧م) ازداد انحسار النيل لأرض اتصلت بأرض الجزيرة شمالا بمنية السيرج وجنوبا بالمقس (الأزبكية) فأوقفت تلك الأراض الزائدة على المارستان المنصورى، وغرس الناس بها الغروس وصارت بساتين وسكن كثير من المزارعين بها [٣].

وفى مدة سلطنة الناصر محمد بن قلاوون انحسر النيل من جانب المقس الغربى وصار ما هنالك رمالا متصلة من بحريها بجزيرة الفيل ومن قبليها بأراضى اللوق، وحينئذ عمرت بولاق خارج المقس، وأنشأوا بجزيرة الفيل ابساتين والقصور والدور حتى لم يبق بها مكان بغير عمارة وحكر على ما كان فيها وقفا على مدرسة صلاح الدين وما كان من وقف المارستان وغرس ذلك كله بساتين فزادت عن مائة وخمسين بستانا إلى سنة وفاة الملك الناصر محمد

---

(١) محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٧، ص ٣٠٨، وعن بولاق بالتفصيل، انظر: Hanna, (N), An Urban History of Bulaq in the Mamlak and Ottoman Periods, Supp. Aux Annales Islamologiques - Chier N.3, Le Cairo IFAO, 1983.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٥.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٥.

(٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) بعدما كانت عشرين، ونصب فيها سوق كبير وبنى فيها الناس الدور الكثيرة الفخمة وجامعًا فبقيت قرية كبيرة وما زالت تنمو حتى اتصلت عمارتها بمنية السيرج[(١)].

وكان الجامع الرئيسى لزيرة الفيل هو جامع الفخر [(٢)] ناظر الجيش فى زمن الناصر محمد بن قلاوون.

وقد تعرضت جزيرة الفيل فترة للمحن والأزمات التى مرت بمصر فترة وعبر عنها «المقريزى» بقوله «وأما بساتين الجزيرة فلم تزل عجبا من عجائب الدنيا من حسن المنظر وكثرة المتحصل إلى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فتلاشت وخرب كثير منها لغلو العلوفات من الفول والتبن وشدة ظلم الدولة، وتعطل معظم سوقها وفيها إلى الآن بقية صالحة» [(٣)].

ولكن جزيرة الفيل حظيت بالعناية والرعاية بعد تلك المحن وانتشرت البساتين بها مرة أخرى، وصارت من أعظم متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى، ففى العصر المملوكى كانت تقام ببساتينها الأمسيات والاحتفالات وجلسات الطرب والأدب [(٤)]، وكان

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٥ ـ ١٨٦، السلوك، جـ٢، ص ٥٣٩، ابن دقماق، الانتصار، جـ٥، ص ٤٦، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص ٣٤٧، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٢٩٧.

(٢) الفخر هو أحد المسالمة واسمة فخر الدين محمد بن فضل الله القاضى ناظر الجيش المعروف بالفخر، كان نصرانيا فأسلم وحسن اسلامه، وقد تولى أعلى الوظائف الكتابية فى زمن الناصر محمد بن قلاوون، وكان حسن السيرة محبا لأعمال الخير فقد بنى الكثير من المنشآت الاجتماعية، فقد بنى بمصر عدة أحواض ماء للسبيل وبنى مارستانا بالرملة بالشام ومارستانا ببلبيس، بالإضافة لبناء قنطرة على فم الخليج الناصرى المجاور للميدان السلطانى بموردة الجبس وقنطرة أخرى على خليج مجاور له.

بالإضافة لذلك فقد بنى ثلاثة جوامع عظيمة هى جامعة هذا بجزيرة الفيل والثانى ببولاق والثالث بجزيرة الروضة (جامع قايتباى حاليا). وقد توفى الفخر فى رابع عشر من رجب ٧٣٢هـ وله من العمر ما ينيف على سبعين عاما. انظر: المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣١١.

وجامع الفخر بجزيرة الفيل هو الآن المعرف بجامع سيدى فرج المجذوب، وقد جدده محمد بك طاهر ابن أحمد باشا طاهر فى سنة ١٢١٨هـ بشارع جزيرة بدران وتطل واجهته الرئيسية على شارع جنينة المناخ بينما تطل واجهته الجانبية على عطفة سيدى فرج المجذوب. انظر: محمد رمزى، تعليقه على النجوم الزاهرة، جـ٩، ص ٢٠١.

شاهنده فهمى، جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون، دكتوراة «مخطوطة»، (كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م)، ص ٢٨٧.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٦.

(٤) على سبيل المثال كان لابن باباى العواد أحد ندماء الملك المؤيد شيخ ومغنيه بستان بجزيرة الفيل، وقد وصف المؤرخون ابن باباى بأنه كان اعجوبة زمانه فى ضرب العود والغناء. انظر: المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٤٧٦، ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ١، ص ٥٨.

يتردد عليها علية القوم كالقضاة والعلماء [1] والجدير بالذكر أنه كان للسلطان المؤيد شيخ بستان بخط جزيرة الفيل به مختلف الأشجار من بلح وجميز ونارنج وتين وغير ذلك بالإضافة إلى منظرة وسواقى [2]، وكان الأمير أزبك بن ططغ الاتابكى يملك بستانا بجزيرة الفيل غرس به النخل والمشمش والتوت والليمون والنارنج والأترج والسنط وغير ذلك مما دار عليه من السياج وما به من الآلات والسواقى [3].

وكانت الدور بجزيرة الفيل على درجة عظيمة من العمارة والزخرفة، وكانت مسكنا للأمراء الكبار والوزراء [4].

وظلت الجزيرة الفيل حافلة بالبساتين طوال العصر العثمانى وظلت محتفظة بأسمها كما يتضح لنا من كتاب وقف الأمير عثمان كتخدا القاردوغلى المؤرخ بسنة ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م والذى كان يملك قطعتى أرض كبيرتين مزروعتين بها [5].

وجزيرة الفيل تمثل الآن قسم شبرا من القاهرة والجزء الجنوبى منها يعرف بجزيرة بدران، وكانت جزيرة الفيل تشغل المنطقة التى يتوسطها الآن شارع شبرا من الجنوب للشمال ويحدها من الغرب النيل حيث شارع أبو الفرج وشارع جسر طراد النيل حاليا ويحدها من الجنوب شارع جزيرة بدران وشارع بركات، ومن الشرق خط السكة الحديد التى حلت محل سيالة المياه التى كانت فاصلة بين هذه الجزيرة والشرابية ومنية السيرج ثم طمت فى سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م (شكل ١٦).

وبالاطلاع على خريطة الحملة الفرنسية يتبين أن أرض قسم شبرا كانت أرضا زراعية وبها الكثير من البساتين ومجموعة قليلة من المساكن بجزيرة بدران، ولم تستجد بها المبانى إلا فى عهد الخديو إسماعيل حيث أنشأ بها قصر النزهة (المدرسة التوفيقية الآن)، ثم تبعه الأعيان وكبار التجار فأنشأوا فيها القصور والبساتين على جانبى شارع شبرا ثم أخذت العمارة فى الازدياد والاتساع إلى أن امتدت المبانى إلى شاطئ النيل والسكة الحديدية وترعة الإسماعيلية [6].

---

(١) انظر على سبيل المثال ترجمة القاضى جمال الدين بن عمر على الطنبدى المعروف بابن عرب الشافعى المتوفى سنة ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢ فى : ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى، ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، (نشر مكتبة القدسى سنة ١٣٥١) جـ٢، ص ٢٦٠ .

(٢) وثيقة المؤيد شيخ رقم ٩٣٨ أوقاف سطور ١٩٨ ـ ٢٠٢، نشر فهمى عبد العليم، العمارة الإسلامية بمصر فى عصر السلطان المؤيد شيخ.

(٣) وثيقة الأمير أزبك بن ططغ رقم ١٩٨ المحفوظة بدار الوثائق القومية.

(٤) ذكر ابن حجر على سبيل المثال أن ناصر الدين محمد بن محمد الاسكندرانى المتوفى سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م كان واسع الثراء وقد عمر دارا عظيما بجزيرة الفيل استأجرها منه القاضى ناصر الدين البارزى كاتب السر فى دولة المؤيد فشيدها واضاف عليها مبانى عظيمة إلى أن صارت دار مملكة أقام بها المؤيد مدة. انظر : انباء الغمر، جـ٣، ص ٣٢.

(٥) كتاب وقف الأمير عثمان كتخدا القازدوغلى رقم ٢٢١٥ المحفوظ بوزارة الأوقاف، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٦) محمد رمزى، تعليقه على النجوم الزاهرة، جـ٧ ، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.

الفصل الثانى
الجـــزر

الجزر النيلية بحدود مدينة القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى :

الجـــزر [1] النيلية التى بنيل القاهرة أربع جزر هى جزيرة الذهب وجزيرة الروضة وجزيرة الزمالك وجزيرة الوراق . وكانت هذه الجزر من أجمل وأحسن المتنزهات فى مصر الإسلامية وخصوصا جزيرة الروضة التى كانت عروس المتنزهات على مر التاريخ .

ويرجع تكوين الجزر النيلية إلى عاملين رئيسيين هما النحت والأرساب اللذين يعرفان باسم الأكل والطرح ، وتعنى ظاهرة طرح النهر ظهور مساحات من الأراضى الجديدة التى تكونت نتيجة ترسب وتراكم الطمى وغرين النهر عاما بعد عام فى أماكن يضعف فيها قوة تيار النهر ، وهى تعرف باسم السواحل إذا كانت على شاطئ النهر أما التى تتكون فى وسط النهر فتسمى الجزر [2] .

أولا جزيرة الذهب :

توصلت إلى أصل جزيرة الذهب برجوعى إلى كتاب وقف السلطان الغورى الجامع لأوقافه [3] ، فقد تبين لى أنه كان يوجد حتى سلطنة الغورى (أى حتى نهاية دولة المماليك وبداية الدولة العثمانية بمصر) ، كان يوجد جزيرتان طوليتان متوازيتان بينهما سيالة ماء تعرف الأولى باسم جزيرة الصابونى والأخرى باسم جزيرة الذهب ، وكانتا تقعان جنوبى جزيرة

---

(١) الجزيرة كما ذكرت فى قواميس اللغة «هى كل بقعة فى وسط البحر لا يعلوها البحر ، وسميت بذلك لأنها جزرت أى قطعت عن تخوم الأرض فصارت منقطعة ، والجزيرة أيضا هى أرض ينحدر عنها الماء ويقال جزر الماء أن نضب وجف ، والجزر هو رجوع الماء إلى الخلف ، والجزيرة هى واحدة جزائر البحر سميت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض ، والجزيرة هى اسم لعدة أماكن منها محلة بالفسطاط إذا زاد الماء وطاف بها فاستقلت بنفسها» . انظر : مختار الصحاح للرازى ، القاموس المحيط للفيروزابادى ، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية . السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ٣٧٧ ، كوكب الروضة ، ورقة ١١ .

(٢) محمد رمزى ، شاطئا النيل تجاه مصر القديمة والقاهرة ، ص ٤٩٨ ، سعاد ماهر محمد جمال الدين ، الجزر النيلية ، دكتوراة «مخطوط» (كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٩م) ، المقدمة ص ب .

(٣) كتاب وقف السلطان الغورى الجامع لأوقافه رقم ٨٨٢ المحفوظ بوزارة الأوقاف .

الروضة فى وسط النيل بين ساحل النيل الشرقى الذى كان به ناحية أثر النبى التى بها رباط الآثار الذى ما زال فى موقعه جامع أثر النبى (أثر رقم ٣٢٠) وبين شاطىء النيل الغربى تجاه الجيزة، وكانت جزيرة الصابونى تقع شرق جزيرة الذهب، ثم اندمجت الجزيرتان فيما بعد وأصبحتا جزيرة واحدة تعرف الآن باسم جزيرة الذهب [1] (شكل ١٧).

وقد حدث مثل ذلك من قبل بشأن جزيرة الزمالك التى نتجت عن اندماج جزيرتى أروى وحليمة.

وجزيرة الذهب المندمجة بجزيرة الصابونى لا تزال تمثل موقعها القديم وإن اختلفت مساحتها مع الزمن، وهى طولية الشكل وتبلغ مساحتها ٣٤٢ فدان وهى تتبع مركز الجيزة من الناحية الإدارية [2].

أما عن تاريخ جزيرة الذهب قبل اندماجها نرى أن «ياقوت الحموى» قد ذكرها بقوله أنه يوجد بمصر موضعان يحملان اسم جزيرة الذهب الأول بكورة فوه والثانى بكورة الجيزية [3]، كما ذكرها أيضا «الفيروزابادى» [1] وذكرها أيضا «ابن مماتى» وقال أنها تتبع الأعمال الجيزية[2]، وقد عرفت جزيرة الذهب فى وثائق ومصادر العصر المملوكى باسم جزيرة الطائر وأنها كانت جارية فى وقف الأمير عمر بن بهادر [3].

---

(١) توصلت لهذا الاستنتاج بما ورد فى كتاب الوقف السابق صفحات ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧ حيث جاء به عن أوقاف الغورى «... وجميع الحصة السابقة فيما يذكر فيه وقدر هذه الحصة ثلاثة أسهم كوامل وتسع سهم من أصل أربعة وعشرين سهمًا شائعًا ذلك فى جميع الجزيرتين المتجاورتين وهما جزيرة الطائر المعروفة بجزيرة (ص ١٤٥) الذهب وجزيرة الطمية المعروفة بجزيرة الصابونى من أعمال الجيزية بالقرب من روضة مصر وجامع المقياس، ولكامل أراضى جزيرة الذهب حدود أربعة يعم جميعها ماء النيل المبارك فى زمن زيادته الحد الأولى وهو القبلى ينتهى إلى بحر النيل المبارك فى أراضى الناحية المعروفة بدموه الجيزة وحديثا والحد البحرى ينتهى إلى المقياس الذى بطرف روضة مصر والحد الثالث من حدود هذه الجزيرة وهو الشرقى ينتهى إلى بحر لطيف ينجز عنه الماء أحيانا فاصل بين هذه الجزيرة وبين الجزيرة المعروفة بالصابونى الآتى ذكرها فيه والحد الرابع وهو الغربى ينتهى بعضه إلى البحر الأعظم المذكور اعلاه وأما بعضه الباقى وهو نهاية القطعة الأرضى التى فى البر الغربى من جملة حقوق هذه الجزيرة التى يفصل بينهما وبين هذه الجزيرة البحر الأصيل ينتهى إلى أراضى ناحية ترسة وساقية مكة والجيزة وفى كل هذه الحدود انحراف تشفير يسير ص ١٤٦ ولكامل جزيرة الصابونى المذكورة حدود أربعة أيضا فالحد الأول منها وهو القبلى ينتهى إلى البحر المذكور الذى كان ناحية دموه المذكورة والحد الثانى منها وهو البحرى ينتهى إلى مكان تجاه المقياس الشريف المذكور فيه والحد الثالث منها وهو الشرقى ينتهى إلى بحر لطيف تجاه الآثار الشريفة وجامع ابن اللبان وهذا البحر ينشف غالبا والحد الرابع منها وهو الغربى ينتهى إلى البحر اللطيف الذى ما بين حدها وحد جزيرة الذهب.

(٢) تقرير وزارة الأشغال.

(٣) المشترك وصفا والمفترق صقعا، طبعة جوتنجن، ألمانيا، ١٨٤٦م، ص ١٠٣.

أما عن تاريخ جزيرة الصابونى قبل اندماجها فقد كانت معروفة فى وثائق ومصادر العصر المملوكى باسم جزيرة الطمية [٤]، وقد قال عنها المقريزى : «هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار والرباط من جملتها، وقفها أبو الملوك نجم الدين أيوب بن شادى وقطعة من بركة الحبش فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده والنصف الآخر على صوفية بمكان بجوار قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه يعرف اليوم بالصابونى» [٥]. وقد ظلت جزيرة الصابونى عامرة بموقعها هذا الذى حدده المقريزى حتى وقتنا هذا [٦].

وكانت جزيرة الصابونى بيد الأمراء من الاسرة الأيوبية حتى أيام السلطان العزيز يوسف بن السلطان برسباى (تولى ٣ شهور بين سنتى ٨٤١، ٨٤٢هـ) حيث أنعم بها على الخليفة العباسى المعتضد بالله داود (٨١٦ ـ ٨٤٥هـ/ ١٤١٣ ـ ١٤٤١م) فى يوم الأحد ١٤ ذى الحجة سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م [٧] إلا أن السلطان الأشرف قايتباى قد أخرجها من أخيه الخليفة المستنجد بالله يوسف (٨٥٩ ـ ٨٨٤ هـ/ ١٤٥٤ ـ ١٤٧٩م) فى شهر ذى الحجة سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م واقطعها بعض مماليكه وعد ذلك من مساوئه [٨].

وفى وقت ما فى العصر العثمانى اندمجت جزيرة الذهب مع جزيرة الصابونى وعرفتا معا بجزيرة الذهب وظلت متنزها كبيرا والغالب عليها النشاط الزراعى حتى وقت قريب من زماننا هذا حيث بدأت أراضيها تتحول إلى مبان وعن قريب تصبح كلها مبان .

---

(١) القاموس المحيط، جـ١، ص ٣٨٩. (٢) قوانين الدواوين، ص ١٢٦ .

(٣) ابن الجيعان (شرف الدين يحيى، ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، التحفة السنية بأسماء البلاط المصرية، (نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٤)، ص ١٣٧ ، ١٤٣ .

(٤) كتاب وقف الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ١٤٦ ، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٦ .

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٥.

(٦) ذكر المرحوم الأستاذ محمد رمزى أن «جزيرة الصابونى كانت تقع بين دير الطين (دار السلام حاليا) وبين معادى الخبيرى (المعادى حاليا) وأنها اندثرت بفعل مياه النيل عليها، ثم ظهرت فى أيامه (أيام محمد رمزى) جزيرة جديدة عرفت باسم جزيرة دير الطين». انظر كتاب «محمد رمزى»، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية (قسمان فى ٤ أجزاء)، (ط دار الكتب، ١٩٥٣ ـ ١٩٦٣)، القسم الأول، ص ٧٧.

* ولكن هذا الموقع الذى حدده «محمد رمزى» بعيد عن موقع الجزيرة، فهى مواجهة لأثر النبى كما ذكر المقريزى وكما وردت فى كتاب وقف الغورى فى ص ١٤٧ ، انها «تقع بالقرب من روضة مصر وجامع المقياس وأن حدها الشرقى ينتهى إلى بحر لطيف تجاه الآثار الشريفة وجامع ابن اللبان وحدها الغربى ينتهى إلى البحر اللطيف الذى بينها وبين جزيرة الذهب».

* ومن ذلك يتبين أن موقع جزيرة الصابونى أمام ساحل مصر القديمة أمام رباط الآثار وأنها لم تختف وإنما اندمجت مع جزيرة الذهب كما ذكرت آنفا وهى باقية فى مكانها للآن.

(٧) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥ ، ص ٢٢٧ ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١٩٢ .

وقد كان للأمير مراد بك [١] الذى شارك إبراهيم بك حكم وملك مصر قبيل وأثناء الحملة الفرنسية على مصر بستانا وقصرا كبيرا بالجزيرة كان كثير التردد إليه هو واتباعه [٢].

وبالنظر إلى خريطة الحملة الفرنسية نجدهم قد وقعوا جزيرة الذهب تحت اسم جزيرة ترسا نسبة لقرية ترسا المواجهة بالجيزة، وكانت جزيرة الذهب مدمجة فى ذلك الوقت مع جزيرة الصابونى.

ثانيا : جزيرة الروضة

كانت جزيرة الروضة عروس المتنزهات على مر تاريخ مصر الإسلامى، تنزه بها الخلفاء والملوك والسلاطين ورعاياهم، بل استعملت كمقر للحكم فترة من الزمن، وكانت طيبة المسكن وموطنا لأفراح الناس واحتفالاتهم وأعيادهم، وجعلت مكان للاستشفاء، وقد بلغت شأنا عظيما فى القلوب حتى أن الأمام «السيوطى» قد أفتى فى شهر رجب ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م بأنه لا يجوز البناء على بر الروضة [٣] لأن الإجماع منعقد على منع البناء على شطوط الأنهار الجارية، وكى تظل جزيرة الروضة بصفة خاصة مسرة للناظرين وكعبة المتنزهين.

نشأتها وموقعها:

جزيرة الروضة هى أقدم الجزر النيلية بحدود القاهرة، كانت موجودة قبل الفتح الإسلامى لمصر بخلاف الجزر الأخرى التى تكونت فى ظل الإسلام [٤].

(١) مراد بك، كان أصله من مماليك محمد بك أبو الذهب الذى اشتراه سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م وذلك فى اليوم الذى قتل فيه صالح بك الكبير، فأقام فى الرق أياما قليلة واعتقه وأمره وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة وقدمه على أقرانه، وتزوج بالست فاطمة زوجة الأمير صالح بك وسكن داره العظيمة بخط الكبش، ولما مات على بك الكبير تزوج بسريته أيضا الست نفيسة، ولما مات أبو الذهب اختار المماليك مكانه إبراهيم بك لحكم مصر فشاركه مراد بك فى المناصب والمشورة فى الحكم، وكان مراد بك غير محمود السيرة أحدث كثيرا من المظالم حتى أنه كان من أعظم الأسباب فى خراب مصر كما يقول الجبرتى، وكان منصرفا إلى الصيد والتنزه والتنقل بين القصور والبساتين التى أقامها أو آلت إليه بالروضة وجزيرة الذهب وقصر قايماز بالعادلية وقصر الجيزة وغير ذلك، وقد كان قد قام بعمارة جامع عمرو سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م فى الصورة التى عليها الآن. وقد توفى مراد بك بسوهاج وهو قادم إلى مصر باستدعاء الفرنسيين له فدفن عند الشيخ العارف فى ٤ ذى الحجة ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م. انظر : الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

(٢) الجبرتى، نفس المصدر والجزء، ص ٤٤٦. (٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٨٣.

(٤) عن الوقت الذى تكونت فيه الجزيرة وأسباب تكوينها، انظر : Discription de L'Egypte, Vol. 18, P.467, Casanova (p)., Essai de Reconstitution Topographique de la Ville d'al Foustat ou Misr, MIFAO XXXV (1913) P. 25. جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤. Clerget (M)., Le Caire, I PP. 24 - 27.

وهى تقع الآن فى القطاع الشرقى من مجرى النيل بين مصر القديمة ومدينة الجيزة وكانت تبدو فى بداية الحكم الإسلامى لمصر كأنها تتوسط نهر النيل أو كأنها للغرب أقرب حيث كان الفرع الشرقى للنيل كبيرا وانحسر بعد ذلك، وصارت الجزيرة فى العصر الفاطمى فى القطاع الشرقى للنيل وسيالة الروضة وصارت ضيقة جدا، وحافظت على ذلك الشكل حتى وقتنا الحاضر(١).

شكلها ومساحتها:

لم يحدث تغيير كبير فى شكل الجزيرة واطارها الخارجى كما حدث فى جزر القاهرة الأخرى، ولكن كانت هناك تغييرات طفيفة وذلك لأن مياه النيل كانت تنحت من طرفها الجنوبى لترسب فى طرفها الشمالى وتنحت من طرفها الشرقى لترسب فى الجانب الغربى، كما كان هناك أجزاء من الجزيرة فى الجنوب والشرق تبلغ الربع تقريبا تطغى عليها المياه وقت الفيضان، وتنحسر عنها وقت التحاريق، وظلت على هذا النحو حتى امتدت إليها يد الإنسان واستطاعت أن تبنى الحواجز الحجرية على سواحلها للتحكم فى عدم طغيان النهر عليها (٢).

ويصف «الإدريسى» الجزيرة فى زمنه (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) بأن طرفها الأعلى ـ حيث المقياس ـ ووسطها أعرض من رأسها والطرف الثانى محدود، ويذكر أيضا الجزيرة فيقول «أن طولها من رأس إلى رأس ميلان وعرضها مقدار رمية سهم» (٣).

وتبلغ مساحة الجزيرة الآن ٣١٨ فدانا وهى مستطيلة الشكل تقريبا وطرفاها مدببان ، ويبلغ متوسط طول الجزيرة من طرفها الشمالى (عند فندق ميرديان الآن) وبين طرفها الجنوبى عند المقياس ٣٢٠٠ متر تقريباً، كما أن عرضها فى وسط هذه المساحة من فرع النيل الشرقى إلى

---

(١) ذكر الباحث «عبد القادر عبد العزيز» فى ص ٢٨ من رسالته «استخدام الأرض فى الجزر النيلية بمحافظة القاهرة» : أن جزيرة الروضة كانت حتى أوائل حكم دولة المماليك تتوسط مجرى النيل.

* ولكن ذلك الرأى مناقض كلام الرحالة الذين زاروا مصر زمن الدولة الفاطمية والدولة الأيوبية فعلى سبيل المثال ذكر «الادريسى» المتوفى ٥٦٠هـ أى قبل إنتهاء الدولة الفاطمية «أن الفرع الغربى للنيل كان أكبر بكثير وأن عدد المراكب بالجسر عليه أضعاف مضاعفة لمراكب الجسر الشرقى» . انظر : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ط ليدن، ١٨٦٤، ص ٣٢٣.

(٢) عبد القادر عبد العزيز ، استخدام الأرض فى الجزر النيلية أمام القاهرة، ماجستير «غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣) ص ٢٨. Nordon. Iravels in Egypt and Nubia, Vol. I, P. 47.

(٣) نزهة المشتاق، ص ٣٢٥.

* والميل العربى يعرف أيضا بالهاشمى ويقدر بـ١٨٤٨ مترا. انظر : محمد كمال السيد، أسماء ومسميات، ص ٣٧، حاشية (١).

فرعه الغربى ٦٠٠ متر فى المتوسط [١].

الاسماء التى أطلقت على جزيرة الروضة :

عرفت هذه الجزيرة فى أول الاسلام باسم الجزيرة، وبجزيرة مصر [٢]، كما عرفت بجزيرة بابليون حيث ورد ذلك الاسم فى أوراق البردى التى ترجع إلى ولاية قرة بن شريك (٩٠ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٨ ـ ٧١٤م) والتى اكتشفت فى كوم اشقوه بأسيوط [٣]، وعرفت أيضا باسم جزيرة الصناعة لما أنشئ بها دار لصناعة السفن سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م [٤] كما عرفت باسم جزيرة المقياس أو دار المقياس [٥] نسبة لمقياس النيل الذى بنى بها أولا سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م كما قيل لها جزيرة الحصن [٦] نسبة للحصن الذى اقامه بها أحمد بن طولون سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، كما عرفت أيضا باسم جزيرة الفسطاط [٧] لمواجهتها لمدينة الفسطاط.

وأخيرا عرفت باسم جزيرة الروضة نسبة للبستان الذى أنشأه الوزير الفاطمى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م فى شمال الجزيرة، وقد سماه الروضة [٨] فعمت التسمية على الجزيرة كلها بعد ذلك حتى وقتنا الحاضر.

وقد ذكر المؤرخون نقلاً عن ابن المتوج فى كتابه ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل إنما سميت جزيرة مصر بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها، وبحر النيل حائز ودائر عليها، وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن فى غيرها [٩].

---

(١) تقرير وزارة الاشغال والموارد المائية، وأبعاد الجزيرة تقريبا ثابتة على مر الفترات فقد قدر «جومار» طولها بـ ٣١٥٠ متر وعرضها بـ ٧٥٠ متر. انظر: وصف مدينة القاهرة، ص ٣٣٤. أما «كريزول» فقد طولها بـ ٣٠٠٠ متر وعرضها بـ ٥٠٠ متر. Creswell, The Muslem Architecture of Egypt, 2 Vol. Oxford (1952 - 58) I, p. 85 ويذكر «محمد كمال السيد» أن مساحة الجزيرة تقرب من ٤٣٤ فدانا، انظر: أسماء ومسميات ص ٤٢٦.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٨.

(٣) أنور عبد العليم، البحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط، مقالة بكتاب «تاريخ البحرية المصرية»، (نشر جامعة الاسكندرية، ١٩٧٤)، ص ٣٤٧، إبراهيم العدوى، ولاية قرة بن شريك على مصر فى ضوء أوراق البردى، بحث فى المجلة التاريخية المصرية، المجلد ١١، سنة ١٩٦١م، ص ٦٣.

(٤) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٣، ص ٣٣٩.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٣، الادريسى، نزهة المشتاق، ص ٣٢٣.

(٦) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٨.

(٧) الكندى (أبو عمر محمد يوسف، ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، الولاة والقضاة، (طبعة رفن كست، بيروت، ١٩٠٨)، ص ٧٨.

(٨) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١.

(٩) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٣، ص ٣٣٩، السيوطى، حسن =

التطور العمرانى للجزيرة قبل العصر المملوكى:

بالرغم من النشاط الزراعى وانتشار البساتين بجزيرة الروضة منذ القدم إلا أنها كانت بحكم موقعها أمام مدينة الفسطاط عاصمة مصر عامرة بالسكان والعمران، بخلاف الجزر النيلية الأخرى التى كانت تستخدم للزراعة على وجه العموم، بالإضافة لكونها متنزه العاصمة حينئذ والمتنزهين والمتفرجين بها لا ينقطعون عنها لذلك فقد عمرت عمارة عظيمة منذ الفتح الإسلامى حتى وقتنا هذا.

وكان الجزء الجنوبى من الروضة أكثر تعميرا بحكم الموقع ومواجهته لمصر القديمة حتى قبل الفتح الإسلامى، كما أنه كان عريضا حيث أن الطرف الشمالى للجزيرة كان ضيقا وأحدث نشأة كما هو ثابت جغرافيا أن الأطراف الشمالية من الجزر هى الأطراف النامية والمنخفضة فى نفس الوقت لذا تمركز العمران فى الجزء الجنوبى من الجزيرة فى حين أن الطرف الشمالى للجزيرة كان هو المستغل فى الزراعة والبساتين، بالإضافة لوجود الجسور الرابطة بين الجزيرة وكل من الفسطاط والجيزة بالجزء الجنوبى منها [1].

وقد كان لجزيرة الروضة دور فى الأحداث التى صاحبت الفتح الإسلامى لمصر فقد كان بها القلعة تحصن بها الروم بقيادة المقوقس حاكم مصر حينئذ بعد أن قطعوا الجسر الواصل بينهم وبين الشاطئ الشرقى للنيل، ولما انتصر جيش المسلمين بقيادة عمر بن العاص خرب أبراجها وأسوارها، وقد كانت هذه الأسوار مستديرة عليها [2].

الجزيرة فى زمن الدولة الأموية (٤١هـ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٥٠م):

صار للجزيرة دور هام منذ بداية الدولة الأموية وذلك لأن الوالى مسلمة بن مخلد الأنصارى (٤٧ - ٦٢هـ/ ٦٦٧ - ٦٨١م) أنشأ بها سنة ٥٤ هـ/ ٦٧٤م دار الصناعة [3] التى

= المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٧، كوكب الروضة (مخطوط) ورقة ٣، ٤، ١١.

* وقد وردت كلمة الروضة فى القرآن الكريم فى الآية ١٥ من سورة الروم، وفى الآية ٢٢ من سورة الشورى.

* ومن معانى الروضة هى البقعة التى يصيبها الماء فينبت فيها البقل والعشب. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، جـ٣، ص ٨٣-٩٦، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٣، ٤.

(١) محمد عبد العزيز، جزيرة الروضة وآثارها الدراسة حتى نهاية العصر المملوكى، ماجستير «مخطوطة»، (كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧) ص ٤.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١٠٩، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٨، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٧، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ٩٧.

(٣) الصناعة ويقال لها دار الصناعة هى المكان المخصص لإنشاء وتعمير جميع السفن والمراكب الخاصة بأعمال الدولة سواء كانت حربية أو خاصة بركوب الخليفة أو الملك أو من المراكب التى تنقل الغلات السلطانية =

كانت تصنع بها السفن البحرية بنوعيها الحربية والتجارية، وكذلك ازداد العمران بالجزيرة فبنيت بها الدور والقصور المشرفة على النيل فى فترة حكم الوالى عبد العزيز بن مروان (٦٥ ـ ٨٥ هـ/ ٦٨٥ ـ ٧٠٤م) الذى عين للجزيرة والى يتولى الحكم [١] بها نتيجة ذلك العمران، كما كان يوجد بالجزيرة فى أيامه فرقة من ٥٠٠ فاعل معدة لمقاومة أى حريق أو هدم يكون فى البلاد [٢].

وكان بالجزيرة عدد كبير من الحوانيت ملكا للخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤م) لا سيما فى جزئها الجنوبى [٣]، وهذه الحوانيت دليل آخر على العمران الكبير الذى كانت عليه الجزيترة فى زمن الدولة الأموية.

= والأخشاب وغيرها، واطلاق لفظ الصناعة دون تخصيص على صناعة السفن منذ أوائل العصر الإسلامى يدل دلالة واضحة كما تقول د. سعاد ماهر على مبلغ اهتمام الدولة الإسلامية بالقوى البحرية ولذا فقد أصبحت الصناعة لديها تعنى فى المقام الأول صناعة السفن والاساطيل، وقد نقل الفرنج دار الصناعة عن طريق الاسبان إلى لغاتهم فقال الاسبان Darcinah وأخذتها عنهم سائر اللغات الأوربية وصارت الكلمة Arsenal، ثم عاد العرب فأخذوها عن الاسبان Iarsanah وظنوها تركية فعربوها إلى ترس خانة أو ترسانة. وأنشئت أول دار للصناعة السفن فى مصر فى العصر الإسلامى سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م فى عهد واليها مسلمة بن مخلد أثناء خلافة معاوية بن أبى سفيان وكان مقرها جزيرة الروضة على ساحلها الجنوبى الشرقى، وأحيانا كانت الصناعة على الساحل الغربى للجزيرة، فى ولاية محمد بن طغج الاخشيد (٣٢٣ ـ ٣٣٤ هـ/ ٩٣٤ ـ ٩٤٥م) نقل جزء من دار صناعة السفن من جزيرة الروضة إلى ساحل فسطاط مصر، وكان الساحل فى ذلك الوقت ينتهى إلى الطريق التى يمر بها اليوم شارع الديورة شرق فم الخليج حيث كان يجرى فى زمن الدولة الاخشيدية تحت ذلك الشارع وفى أول حكم الدولة الفاطمية نقلت دار الصناعة إلى المقس حيث كان النيل يجرى فى المنطقة التى يشغلها اليوم ميدان رمسيس بجوار جامع أولاد عنان (الفتح حاليا)، ثم اعيدت الصناعة أيام الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥ ـ ٥٢٤هـ/ ــ/ ١١٠١ ـ ١١٢٩م) إلى محلها السابق بساحل مصر حيث شارع الديورة الآن، ولما طرح البحر وتكونت أرض جديدة بين شارع الديورة وساحل أثر النبى الحالى بفم الخليج نقلت الصناعة إلى ساحل مصر تجاه دار النحاس (دير النحاس بجوار كوبرى الملك الصالح حاليا)، واستقرت مدة طويلة إلى أن نقلت إلى ساحل بولاق فى عهد محمد على باشا وعرفت باسم الترسانة.

المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٩ ـ ١٩٧، محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٤، ص ٩٩ ـ ١٠٠، انور عبد العليم، البحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط، ص ٣٤٦ ـ ٣٥٥ سعاد ماهر، البحرية فى مصر الإسلامية، (نشر الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧)، ص ٣١١ ـ ٣١٨.

Wiet, (G) Materiaux Pour un Corpus Inscriptionum, PP. 165 - 169.

(١) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبدالله، ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧١م)، فتوح مصر وأخبارها تحقيق محمد صبيح، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ٧٦، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٦١، السيوطى كوكب الروضة، مخطوط، ورقة ٢٠.

(٢) المقريزى الخطط، جـ٢، ص ١٧٨، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٨.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص ٩٦.

وفى فترة خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩ هـ/ ٧١٥ ـ ٧١٧م) بنى أسامة بن زيد التنوخى عامل الخراج بمصر مقياس بها سنة ٩٧ هـ/ ٧١٦م، وهو أول مقياس يبنى فى الإسلام [١].

الجزيرة فى زمن الدولة العباسية (١٣٢ ـ ٦٥٦هـ / ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م) :

بالرغم من خلو المصادر من الأخبار عن جزيرة الروضة أيام ولاتها من قبل الدولة العباسية إلا أن ذلك لا يعنى عدم الاهتمام بها، إلا أن اهم الأعمال التى خلدت جزيرة الروضة بناء مقياس النيل الحالى سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦٢م فى فترة خلافة الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ ـ ٨٦٢م) على يد واليه على مصر يزيد بن عبدالله التركى (٢٤٢ ـ ٢٥٣هـ/ ٨٥٦ ـ ٨٦٧م)، وقد عرف هذا المقياس باسم المقياس الجديد تمييزا له عن مقياس أسامة [٢].

وعندما استقل أحمد بن طولون بحكم مصر وأسس دولة مستقلة عن الخلافة العباسية استمرت ثمانية وثلاثين عام (٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ/ ٨٦٨ ـ ٩٠٥م) وتوترت العلاقات بينه وبين الخلافة، وتحرك القائد العباسى موسى بن بغا سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٧م فى زمن الخليفة المعتمد على الله ليحل محل ابن طولون ويكون واليا على مصر وجميع أعمال ابن طولون، لذا فقد أقام أحمد بن طولون حصنا منيعا بالجزيرة [٣] على انقاض وبقايا أبراج وأساسات الحصن الرومانى القديم [٤]، ليتخذه للدفاع ضد الجيش الذى يقوده ابن بغا وخصوصا وأن العاصمة آنذاك (مصر والفسطاط والقطائع) كانت بدون قلاع أو أسوار تحميها، وكان ذلك الحصن فى مأمن استراتيجى إذ يحيط بها الماء من كل ناحية، وقد اجتهد ابن طولون فى بنائه وانفق عليه ثمانين ألف دينار ليكون معقلا له ولحريمه وذخائره [٥]، كما اجتهد ابن طولون فى بناء المراكب الحربية وأحاطها بالجزيرة حرصا منه فى الدفاع عن الفسطاط التى أدرك أنها عرضة للهجوم

(١) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٢٩٤، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٥٨، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٢، ص ٣١٠.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٥٨.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٨٠، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٣، ص ٣٣٩، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٣، ص ٣٧٨.

(٤) كان «القلقشندى» دقيقا فى كلامه على بناء حصن ابن طولون حيث ذكر نقلا عن القضاعى أن أحمد بن طولون «جدد» الحصن الرومانى. انظر: صبح الأعشى، جـ٣، ص ٣٣٩.

* أى أنه استغل اساساته وأبراجه وأجزاء من أسواره كانت باقية أيامه، ويؤكد ذلك أقوال المؤرخين الذين أجمعوا على أن الحصن لم يستغرق بناؤه زمنا طويلا وانما ستة أشهر فقط.

* بالاضافة إلى ذلك نقول أن الحصون الرومانية بأسوارها وأبراجها كانت قوية ومتينة البنيان وكان من العناء محوها، وليس أدل على ذلك من وجود بعض الأبراج وأساسات الأسوار الخاصة بالحصن الرومانى المعروف بحصن بابليون بمارجرجس بمصر القديمة والذى كان على سمت واحد مع حصن الروضة.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٠.

والاستيلاء عليها بسهولة من ناحية النيل فاتخذ ابن طولون مائة مركب حربية سوى ما أضيف إليها من المراكب الصغيرة الحجم وعمد إلى سد مداخل البحر المتوسط بهذه المراكب خشية الهجوم عليه بحرا عن طريق فرعى دمياط ورشيد (١).

وفى تلك الأثناء كان موسى بن بغا متباطئا ومتثاقلا فى حملته على مصر لعظم شأن ابن طولون وقوته ، فلم يلبث ابن بغا أن مات سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م فكفى الله ابن طولون شره(٢).

وقد ظل حصن ابن طولون عامرا أيامه وعملت فيه صناعة مصر التى تنشأ فيها المراكب الحربية واستمرت إلى أيام محمد طغج الأخشيد فنقلها منها (٣) وظل الحصن قائما حتى أخذه النيل شيئا بعد شيء (٤) وهدمه إلى بنى مكانه الصالح نجم الدين أيوب قلعته.

ومثلما استقل ابن طولون بحكم مصر ، فعل نفس الشيء محمد بن طغج الأخشيد وأسس دولة استمرت أربع وثلاثين سنة (٣٢٣ - ٣٥٨ هـ/ ٩٣٥ - ٩٦٩م)، وفى سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م أمر محمد بن طغج الأخشيد بنقل دار صناعة السفن من جزيرة الروضة إلى دار خديجة بنت الفتح بن خاقان زوجة أحمد بن طولون بساحل الفسطاط وأطلق عليها الصناعة الكبرى(٥)،

(١) نفسه.

(٢) سجل الشعراء أعمال ابن طولون هذه من بناءه للحصن والمراكب فى قصائد بمناسبة حملة موسى بغا عليه، فقال الشاعر محمد بن داود وهو موال ومؤيد للخلافة العباسية ومتحاملا فى أشعاره على ابن طولون:

ولما ثوى بن بغا بالرقتين بلا	ساقيه زرقا إلى الكعبين والعقب
بنى الجزيرة حصنا يستجن به	بالعسف والضرب والصناع فى تعب
وراقب الجيزة القصوى فخندقها	وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راكدة	فما سوى القار للنظار والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت	بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها الغزو الروم محتسبا	ولكن بناها غداة الروع والعطب

وقال أيضا سعيد بن القاضى من أبيات له:

وإن جئت رأس الجسر فانظر تأملا	إلى الحصن أو فاعبر إليه على الجسر
ترى أثرا لم يبق من يستطيعه	من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
مآثر تبلى وإن باد أهلها	ومجد يؤدى وارثيه إلى الفخر

انظر : المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٠ - ١٨١ ، السيوطى حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٨-٣٧٩. على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ٧-٨.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١.

(٤) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١٠٩ ، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٣٣٩، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٣، ص ١٢، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٩، كوكب الروضة، ورقة ١٦.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٨، والجدير بالذكر هنا أن الساحل فى زمن دولة الاخشيد كان ينتهى إلى الطريق التى يمر فيها اليوم شارع الديورة شرقى فم الخليج حيث كان مجرى النيل يمر فى ذلك المكان حينئذ. انظر: محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٤، ص ٩٩ - ١٠٠.

وكان نقل الصناعة بسبب استراتيجى أمنى فقد أراد الأخشيد أن لا يحول بينه وبين الصناعة نهر النيل وذلك لنجدتها إذا هاجمها مهاجم، وذلك لأن صناعة الجزيرة تعرضت لهجوم كبير من قبل الثوار الخارجين على الأخشيد واستيلائهم على الجزيرة وإحراقها سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م[١]، وقد أقام الأخشيد مكان الصناعة بستانا نزها سماه المختار وعمر به قصرا مرتفعا[٢].

وقد ذكر هذا البستان والقصر «المسعودى» كشاهد عيان فى حديثه عن الاحتفال بليلة الغطاس فى زمن الأخشيد فى سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م [٣]، وصار الأخشيد ببستانه هذا وقصره يفاخر به أهل العراق، وكان يتنزه به هو وأسرته من بعده، وظل هذا البستان متنزها ملوكيا حتى أن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله قد اتخذه متنزها له وكذلك فعل ابنه العزيز بالله [٤].

الجزيرة فى زمن الدولة الفاطمية (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١م):

فى زمن الخلافة الفاطمية تمتعت جزيرة الروضة بأهمية كبرى إذ أن الخليفة المعز لدين الله لما قدم إلى مصر سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٤م اتخذها متنزها له ولأولاده وخلفاءه من بعده وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس لها وال وقاض حتى ذكرها المؤرخون المعاصرون كمدينة كبيرة

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٦، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٩.

* وموضع بستان المختار الآن الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة، فقد ذكر المقدسى «أن متنزه أمير المؤمنين عند الخليج (يقصد سيالة الروضة) بموضع يسمى المختارة.. ويلقى الخليج العمود (يقصد عمود المقياس) تحت الجزيرة عند المختارة. انظر: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط ليدن، ١٩٠٦، ص ٢٠٠.

* وقد اعتقد المقدسى أن فرع سيالة الروضة خليج شقه بعض الخلفاء من ولد العباس فسميت تلك القطعة بالجزيرة. انظر: نفس المصدر، ص ١٩٨.

* والمختارة هى كنيسة تسمت بهذا الاسم نسبة إلى بستان المختار بجوارها.

* وقد ذكر المؤرخون أن الملك الصالح نجم الدين أيوب خرب الهودج والبستان المختار عندما شرع فى بناء قلعته الصالحية بالروضة والتى كانت تمتد من المقياس جنوبا إلى زاوية البسطامى شمالا.

* وبناء على ذلك فإن موضع حصن بن طولون وموضع بستان المختار والقصر اللذين حلا محل الحصن يمتد الآن من زاوية البسطامى التى لا تزال تقع جنوب كوبرى الملك الصالح بحوالى ١٢٠ متر حتى المقياس.

* هذا وقد أطلقت مصلحة التنظيم على أحد شوارع هذه المنطقة اسم شارع المختار.

(٣) المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين، ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط بيروت، ١٩٨٧)، جـ١، ص ٣٤٤.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٩.

تقترن بالقاهرة ومصر فكان يقال «القاهرة ومصر والجزيرة» (١) كما كان للجزيرة سوق (٢) مما يدل على عمرانها الكبير فى زمن الفاطميين، وقال عنها الرحالة «الإدريسى» المتوفى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م «فى هذه الجزيرة مساكن جليلة ومبانى متصلة على ضفة النيل وهذه الجزيرة تسمى دار المقياس» (٣).

وعن العمران بالجزيرة نجد فى فترة حكم الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١هـ/ ٩٩٦ ـ ١٠٢٠م) أن الأمير غبن (٤) قد عمر جامعا بالروضة به خطبة (٥) وهو أول المساجد الجامعة

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٣٩، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٩.

(٢) ابن ميسر (تاج الدين محمد بن على، ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، المنتقى من أخبار مصر تحقيق أيمن فؤاد سيد، (نشر المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١): ص ١١٠.

(٣) نزهة المشتاق، ص ٣٢٣.

(٤) غبن هذا كان أحد خدام الحاكم بأمر الله، وفى سنة ٤٠٢هـ رقاه إلى منصب قائد القواد وقلده الشرطتين والحسبة بمصر والقاهرة والجيزة، ثم نكبه الحاكم سنة ٤٠٤هـ بقطع يده ولسانه، وحملت يده فى طبق إلى الحاكم، ثم أمر الحاكم بقتله سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م انظر: ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٥، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

* ومن الطريف أنه قد عثر فى حفائر مدينة الفسطاط على جزء كبير من طبق خزفى كبير يحمل اسم غبن والقابه، وصار لهذا الطبق شأن كبير فى تاريخ القاهرة الأثرى والفنى كما كان لغبن شأن فى تاريخها السياسى. وعن هذا الموضوع بالتفصيل انظر: حسن الباشا بحث بعنوان «طبق غبن» فى كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، نشر مؤسسة الأهرام، ١٩٧٠، ص ٥٢١.

(٥) ظلت الخطبة بهذا الجامع إلى أن عمر جامع المقياس سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م فبطلت منه، فلما أنشأ الصاحب محيى الدين من الصاحب بهاء الدين بن حنا داره قبالة هذا الجامع بالكوم الأحمر بمنشية المهرانى (بالقرب من فم الخليج الآن) طلب من والده أن يكلم السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م) فى إعادة الخطبة إليه ففعل ذلك، وصادف ذلك الطلب قبولا فى نفس الظاهر وذلك لأنه كان كثير التردد والتنزه بالجزيرة وإقامة الاستعراضات البحرية واللعب بالشوانى والمراكب فى النيل، بالإضافة لكثرة الخلق بالجزيرة ومشقتهم فى الذهاب إلى جامع المقياس بآخر الجزيرة، فأعيدت إليه الخطبة سنة ٦٦٠هـ مع استمرارها فى جامع المقياس، وكانت المبانى قد كثرت من حوله حينئذ. انظر: ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٥، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٩٧، السيوطى كوكب الروضة، ورقة ٤٠.

* وقد حل محل جامع غبن زاوية صغيرة بشارع محمد ذو الفقار بالمنيل شمال غرب كوبرى الملك الصالح بحوالى ١٥٠ مترا، وتعرف تلك الزاوية الآن باسم جامع الأباريقى لأن الشيخ أحمد الأباريقى (من أهل القرن السابع الهجرى) قد اتخذ من جامع غبن بالروضة خلوة له فدفن به فعرف بزاوية الأباريقى، وفى سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م بنى الأمير على باشا شريف أحد أمراء أسرة محمد على زاوية صغيرة بها ضريح الأباريقى وقد ذكر «على مبارك» أنه حين حفرت الأرض بقرب الزاوية لأخذ التراب منها ليرفع به أرض بستانه وجد كثيرا من قطع الرخام وأحواضا ومجارى وغير ذلك من الأشياء القديمة لجامع غبن». انظر الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١٢، سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ٢، ص ٩٧ ـ ١٠١.

* ويتكون جامع أو زاوية الأباريقى حاليا من مسجد بسيط مستطيل يتوسط جداره الجنوبى الشرقى محراب وفى الجانب الشمالى الغربى منه باب يدخل منه إلى حجرة مستطيلة المساحة اقتطع منها جزء مربع على =

بالروضة، وقد كثرت العمائر حوله حينئذ، وهذا الجامع هو الذى أشار إليه الرحالة الفارسى «ناصر خسرو» عند زيارته مصر فى سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م فعند كلامه عن الجزيرة قال «والجزيرة غربى النيل وبها مسجد جمعة وحدائق وهى صخرة وسط النهر تقسمه قسمين»(١).

وقد شهدت الجزيرة فى سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م أحداثا سياسية خطيرة تأثرت مبانيها فيها مثلما حدث بالفسطاط والقاهرة فى الشدة المستنصرية، إذ حدثت فيها فتنة عظيمة بين طائفتى العبيد والترك المتصارعتين أيام الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ/ ١٠٣٥ ـ ١٠٩٤م) عقب الشدة العظمى واستولى العبيد فى تلك الأيام على الجزيرة واستمرت الحروب بينهما مدة(٢).

ثم هدأت الأحوال بعد ذلك وعاد العمران للجزيرة لذا ففى سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م تم بناء جامع فى النهاية الجنوبية للجزيرة بجوار المقياس من جهة الغرب سمى جامع المقياس على يد الوزير بدر الجمالى بعد ترميمه للمقياس (٣).

= المستوى العلوى بأركانها أربع حنايا ركنية بسيطة أقيمت فوقها قبة، ويتوسط الحجرة مقام الشيخ الأباريقى، وكان الجامع والقبة مزخرفتين بالزخارف النباتية بالألوان الزيتية إلا أنها حجبت الآن بفعل طلاء حديث.

(١) ناصر خسرو علوى (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٤٥، ص ٦١.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٣٧، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ١٨.

(٣) جدد هذا الجامع الملك الصالح نجم الدين أيوب، وقد زاد فى مساحته وجعل حوله سورا وفى ١١ رجب سنة ٨٢٣هـ أمر السلطان المؤيد شيخ بهدم هذا الجامع وتوسيعه وتعميره على أحسن ما يكون ولكنه مات قبل إتمامه فأتمه من بعده السلطان الظاهر جقمق وأوقف عليه أوقافا كثيرة، كما عمره الاشرف قانصوه الغورى وأوقف عليه أوقافا كثيرة. وقد قام علماء الحملة الفرنسية برفع الجامع هندسيا فكان مسقطه الأفقى مستطيل الشكل ويتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به ٤ ظلات، الظلة الجنوبية الشرقية تتكون من ثلاث بلاطات والمقابلة من بلاطتين، والظلة الجنوبية الغربية من بلاطة واحدة والمقابلة مثلها، وتلك الظلات مقامة على أربع وثلاثين عمودا وأربعة أكتاف بأركان الصحن، ومدخل الجامع بالجانب الشمالى الشرقى، وله شبابيك مطلة على النيل، وكان له مئذنة ارتفاعها وقت الحملة أربعة وعشرين مترا، وكان يتصل بالجامع سلالم موصلة إلى النيل عددها ثمانية عشر درجة وربما كانت تستخدم مقياسا للنيل وقد سجلت الحملة بعض النصوص الكتابية التى كانت بالجامع وكانت تحمل دعاء للخليفة المستنصر والوزير بدر الجمالى وتاريخ سنة ٤٨٥هـ، وفى زمن محمد على أقام المهندس الفرنسى باسكال كوست فى عام ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م مصنعا للبارود بالقرب من المقياس وأقد أدى انفجار المصنع فى عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م إلى تدمير الجامع، وفى سنة ١٨٥٠م أزال حسن باشا المناسترلى محافظ القاهرة آنذاك بقايا الجامع لقيم مكانه السلاملك (الكوشك) الخاص بجلوس رجال السراية المسمى الآن قصر المناسترلى، وبنى بدلا منه مسجدا صغيرا شمال شرق المقياس. انظر: ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٥ ـ ١١٦، على مبارك، الخطط التوفيقية، ط ١٩٨٦ جـ٢، ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠، جـ١٨، ص ١٣. محمد عبد العزيز، جزيرة =

ومن المتنزهات الكبيرة التى أقيمت بجزيرة الروضة فى الدولة الفاطمية البستان الذى أقامه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى بحرى (شمال) الجزيرة وقد سماه الروضة، وكان ذلك الوقت صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة [١]، وكان الأفضل كثير التردد على الجزيرة ويمضى إليها كل يوم فى مراكب النزهة المسماة العشاريات الموكبية إلى قتل سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م [٢] وكانت جزيرة الروضة فى ذلك الوقت أنزه بقع مصر ولم يكن فيها فى الديار المصرية بقعة تشاكلها لما كان فيها من البساتين والمناظر [٣]. وموقع بستان الروضة يحتله الآن مستشفى وكلية طب القصر العينى وكلية طب الأسنان.

كما أنشأ الخليفة الفاطمى الأمر بأحكام الله (٤٩٥ ـ ٥٢٤هـ/ ١١٠١ ـ ١١٢٩م)، مكانا (متنزها) بجوار البستان المختار سماه الهودج [٤]، لمحبوبته (زوجته) البدوية التى هام بها حبا وذلك لأنها كما ذكر المؤرخون «صعب عليها مفارقة ما اعتادت، وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج على شاطىء النيل فى شكل غريب» [٥].

وقد أراد الآمر ببناء الهودج هذا أن يقربها لبيئتها التى اعتادتها، وظل الآمر يتردد على الهودج للتنزه إلى أن قتل برأس الجسر الذى بين الفسطاط والروضة فى ذى القعدة سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م [٦].

= الروضة، ص ٤٨ ـ ٥٠، عبداللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، دكتوراة «غير منشورة»، (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م) جـ٢، ص ٥٠٦. Discription De L'Egypte Vol XV, PP. 459 - 463. Wiet (G) Combe (E). Sauvaiget (J), " Repertoire Chronlogiqui D'epiqraphie Arabe I XVI Le Caire IFAO 1931 - 1964 VII 265 - 9 , No. 2794 - 6 Creswell, MAE I 219.

(١) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٧.

(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٨٧، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨١.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٠.

(٤) يمثل الهودج الآن المنطقة التى تقع مواجهة لكوبرى الملك الصالح وإلى الجنوب منه بقليل لأنه كان مجاورا لبستان المختار وكان بستان المختار يقع بآخر الجزيرة، وقد خربهما الملك الصالح نجم الدين أيوب عند بناء قلعته التى كانت تمتد من زاوية البسطامى شمالا حتى المقياس جنوبا. هذا ولا تزال زاوية البسطامى قائمة إلى اليوم بعد إعادة بنائها بشارع البسطامى وتقع على بعد ١٢٠ متر جنوب كوبرى الملك الصالح. وقد أخطأت مصلحة التنظيم حين أطلقت اسم الهودج على أحد شوارع مصر القديمة انظر: محمد رمزى، مذكرة ببيان الأغلاط التى وقعت من مصلحة التنظيم، ص ١٣.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٢، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق١، ص ٢٢١، ٢٧١.

(٦) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١١٠، ابن سعيد، المغرب، ص ٨٩، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٨٤، جـ٢، ص ٣٨٠، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٢٣. وعن قصة الخليفة الآمر مع البدوية ذكر المؤرخون أن الخليفة الآمر كان صغير السن متجاهرا بالمسكرات ومشتغلا بسماع الزمور =

= وشرب الخمر وانشغل عن أحوال المملكة وصار الناس فى زمانه مثل الغنم بلا راع فاضطربت أحوال مصر كما ذكر «ابن إياس». وكان الخليفة الآمر متيما بحب البدويات، وكانت قصة تلك البدوية تشبه القصص الخالدة وقصص ألف ليلة وليلة، فقد ذكر المقريزى نقلا عن القرطبى أن الخليفة الآمر قد ابتلى بعشقه الجوارى العربيات فكان يجتهد فى طلبهن، ولما سمع عن تلك البدوية التى بالصعيد وأنها شاعرة بليغة رائعة الجمال والحسن تحيل لرؤياها بأن ذهب لحيها متخفيا بزى الأعراب ونزل ضيفا على أهلها وتحايل حتى رآها فعشقها فرجع إلى قصره بالقاهرة وارسل يخطبها من أهلها فوافقوه فتزوجها وحظيت عنده بأسمى منزلة، وكانت هذه البدوية قد ألفت طلق الهواء وتسريح النظر فى الفضاء والسماء فضاقت نفسها أن تكون حبيسة الجدران بالقصور فشكت للآمر فأنشأ لها بجوار البستان المختار مكانا يتفق مع طلبها اسماه الهودج، وكانت تلك البدوية متعلقة بابن عم لها يسمى ابن مياح فكتبت إليه وهى بقصر الخليفة الآمر:

يا ابن مياح إليك المشتكى ... مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حيى مرأ مطلقا ... نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر مؤصد ... لا أرى إلا حبيسا ممسكا
كم تثنينا بأغصان اللوا ... حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى ... حيثما شاء طليق سلكا

فأجابها ابن مياح:

بنت عمى والتى غذيتها ... بالهوى حتى علا واحتنكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها ... لو غدا ينفع منها المشتكى
مالك الأمر إليه يشتكى ... هالك وهو الذى قد هلكا
شأن داود غدا فى عصرنا ... مبديا بالتيه ما قد ملكا

فبلغت الآمر فقال: لولا أنه ساء الأدب فى البيت الرابع لرددتها إلى حيه وزوجتها به وغضب الآمر على ابن مياح فهرب واختفى وطلبه الآمر فلم يصل إليه، وكان هناك شاعرا من بنى طئ اسمه طراد بن مهلهل فلما بلغه قضية الآمر مع العالية البدوية قال:

ألا أبلغوا الآمر المصطفى ... مقال طراد ونعم المقال
قطعت الأليفين عن ألفة ... بها سمر الحى بين الرجال
كذا كان آباؤك الأقدمون ... سألت فقل لى جواب السؤال

فلما بلغ الآمر شعره قال جواب السؤال قطع لسانه على فضوله، وأمر بطلبه فى أحياء العرب ففر ولم يقدر عليه، فقالت العرب: ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أبيات من الشعر، وتناقل الناس الأشعار وأخبار الآمر مع البدوية، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٢، السيوطى كوكب الروضة، ورقة ١٦.

وهذه القصة لها أصل مشابه من قبل حيث تزوجت ميسون بنت بجدل الكلبية معاوية بى أبى سفيان التى أنجبت له ابنه يزيد، وكانت قد برمت بحياة الترف وسكن القصور وحنت إلى حياة البادية التى نشأت فيها فقالت الأبيات المشهورة منها:

لبيت تخفق الأرياح فيه ... أحب إلى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى ... أحب إلى من لبس الشفوف
وأكل كسيرة فى عقر بيتى ... أحب إلى من أكل الرغيف =

ك

وكان للفاطميين منظرة [١] أعدت للنزهة تسمى المشتهى ذكرها المقريزى [٢] لكنه لم يحدد مكانها ولا تاريخها ، ولكن «ابن دقماق» عين موضعها فذكر أنها فى طرف الروضة تجاه الجامع الناصرى ولكن لا يوجد فى نص «ابن دقماق» من قام بإنشائها وفى أى سنة بنيت [٣]، ولكن بالرجوع إلى «ابن ميسر» فى كتابه المنتقى من أخبار مصر نرى أن المشتهى تعود إلى ما قبل سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م ذكر فى حوادث شهرى صفر وجمادى الأولى سنة ٤١٥هـ، أن الخليفة الظاهر (٤١١ ـ ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠ ـ ١٠٣٥م) ركب إلى المشتهى بجزيرة الروضة [٤].

ومنظرة المشتهى حل محلها فى العصر المملوكى رباط [٥] سمى رباط المشتهى أقام به أحد اعلام الصوفية فى زمنه وهو الشيخ الكازرونى [٦] وقد دفن به وعرف قبره فى العصر العثمانى باسم زاوية الشيخ الكازرونى، وحتى الأربعينات من هذا القرن كانت الزاوية موجودة على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية بأول شارع جامع قايتباى إلا أنها أزيلت بعد ذلك.

= وكلب ينبح الطراق دونى	أحب إلى من قط ألوف
وخرق من بنى عمى نحيف	أحب إلى من علج عنوف

وسمعها معاوية تقول هذه الأبيات أو نقلت إليه فقال: ما رضيت بنت بجدل حتى جعلتنى علجا عنوفا، هى طالق ثلاثا، دعوها تأخذ ما فى القصر فهو لها، ثم سيرها إلى أهلها بنجد وكانت حاملا بيزيد فولدته وأرضعته سنتين ثم أخذه معاوية. انظر: محمد كمال السيد، أسماء ومسميات، ص ٤٣٥.

(١) المنظرة ما هى إلا قصر كامل المرافق والمشتملات كان الخلفاء الفاطميون يتنزهون به يومى السبت والثلاثاء من كل أسبوع ويقومون بتوزيع الصدقات والمآكل على الفقراء. السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٧.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٩٠، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٦.

(٣) ورد النص كالتالى «زاوية المشتهى عمرها . . فى سنة . . وهى فى طرف جزيرة الروضة تجاه الجامع الناصرى». الانتصار، جـ٤، ص ١١٦. الجامع الناصرى كان يقع على النيل فى المنطقة التى بها أول شارع السكر والليمون جنوب قناطر مجرى العيون بفم الخليج بمصر القديمة بالقاهرة.

(٤) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٢٣، ٤١، ٤٥.

(٥) الرباط هو نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الإسلام بحد السيف، وكانت الأربطة منتشرة فى صدر الإسلام قبل أن ينتشر الدين ويستتب الأمن وتأمن الدولة الإسلامية على حدودها، وقد كانت فى تصميمها تشبه التحصينات الحربية فمعظمها عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل وفى أركانها أبراج للمراقبة، ولما زالت عن تلك الأربطة صفتها الحربية أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة تسكنها الصوفية. انظر: المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٤٢٧، سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ١، ص ٤١٣.

(٦) الكازرونى هو بهاء الدين محمد بن عبدالله الكازرونى الذى قدم إلى مصر فصحب الشيخ أحمد الجزرى صاحب الشيخ ياقوت تلميذ أبى العباس المرسى وزوج ابنته، وانقطع بعده فى المشتهى من الروضة وكان الناس يترددون إليه ويعتقدونه، وكان أعجوبة فى جذب الناس إليه، وقد توفى ليلة الأحد ٥ ذى الحجة ٧٧٤هـ/ ١٢٧٣م ودفن بزاويته بالروضة انظر: المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ٢٠٩، ابن حجر العسقلانى، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، (ط حيدراباد، ١٣٤٨هـ/ ١٣٥٠هـ، جـ١، ص ٤٩ـ ٥٠.=

وذكر ابن دقماق أيضا زاوية تعرف بزاوية المنتهى ولكنه لم يذكر القائم على تعميرها وزمن بنائها[1]، ويبدو أنها قد اقيمت فى العصر المملوكى محل إحدى المناظر الفاطمية.

ومن أخبار الجزيرة أيضا فى العصر الفاطمى أنه فى سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م نقل الوزير المأمون البطائحى إنشاء الشوانى وغيرها من المراكب النيلية من صناعة الجزيرة إلى الصناعة التى بساحل مصر[2].

=ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص ١٠٥، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ١١٤
وقال المقريزى عن الرباط «ولله در شيخنا العارف بالله الأديب شهاب الدين أحمد بن أبى العباس الدمنهورى حيث يقول:

بروضة المقياس صوفية	هم منية الخاطر والمشتهى
لهم على البحر أياد علت	وشيخهم ذاك له المنتهى

وقال العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الصائغ الحنفى:

يا ليلة مرت بنا حلوة	أن رمت تشبيهها لها عبتها
لا يبلغ الواصف فيوصفها	حدا ولا يلقى له منتهى
بت مع المعشوق فى روضة	ونلت من خرطومه المشتهى

الخطط، جـ٢، ص ٤٢٩. وقد ذكر السيوطى أنه قد سكن بالقرب من المشتهى من الصوفية سيدنا محمد وفا الأكبر والد أهل البيت الوفائى واستمر أبناءه من بعده. السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ١٦.
أما الرحالة النابلسى الذى زار مصر سنة ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م فقال: «وزرنا قبر الشيخ الكازرونى صاحب الحاشية المشهورة فى تفسير البيضاوى فى قبة هناك على الطريق. الحقيقة والمجاز، ص ٢٣٦.
وتقول د. سعاد ماهر أن المقريزى سمى الزاوية باسم الرباط مما يدل على أنها كانت بناءا كبيرا يشتمل على مجموعة من الغرف للمريدين والمنقطعين للعبادة من الصوفية للتتلمذ على يدى شيخنا الكازرونى». مساجد مصر، جـ٣، ص ٣١٠.
أما على مبارك فيذكر «أنه فى زمنه (سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) أن الزاوية المشهورة بزاوية الكازرونى موقعها غربى سراى الخديو إسماعيل، وبنتها سعادة والدة الخديوى المذكور وأقام بها الشيخ على القشلان أحد رجال الطريقة القادرية ومعه سبعة دراويش ورتبت بها مولدا سنويا». الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١٤.
وذكر المرحوم محمد رمزى، أن زاوية الكازرونى باقية أيامه (ت ١٩٤٥م) وهى مقامة الشعائر بشارع الكازرونى بجزيرة الروضة. تعليقه على النجوم، جـ١١، ص ١٢٥.
أما عن مصير هذه الزاوية فقد أزيلت فى الأربعينات من هذا القرن لانفاذ شارع جامع قايتباى وكان موضعها فى نهاية شارع عبده بدران المتفرع من شارع المنيل بالقرب من محطة أتوبيس الباشا حاليا.
هذا ويوجد بالروضة الآن شارع متفرع من شارع المنيل يتجه غربا على ناصية سينما جرين واسمه شارع قصر المشتهى، وهذا الموقع بعيد عن موقع زاوية المشتهى (الكازرونى).

(١) الانتصار، جـ٢، ص ١١٦.

(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٩٣، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٨٢.

وفى شهر شعبان ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة الروضة وظلت فى ملكه إلى أن أمره السلطان صلاح الدين الأيوبى بالقدوم إلى الشام فلما تحقق للمظفر أنه لم تكتب له العودة إلى مصر أوقف الجزيرة بكاملها على مدرسته المعروفة بالمدرسة التقوية التى كانت تعرف قديما بمنازل العز، وعلى مدرسة أخرى بالفيوم ثم سار إلى مملكة حماه حيث تولى الحكم بها (١).

جزيرة الروضة فى زمن الدولة الأيوبية (٥٦٧ـ٦٤٨هـ/ ١١٧١ـ ١٢٥٠م):

ظلت الجزيرة متنزها كبيرا فى زمن الدولة الأيوبية (٢)، كما ظلت وقفا على المدرسة التقوية بمصر حتى ولى الحكم الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ـ٦٤٧ هـ/ ١٢٣٩ ـ١٢٤٩م) فأستأجر الجزيرة من القاضى المعروف بابن السكرى مدرس المدرسة التقوية ومباشر أوقافها وذلك لمدة ستين سنة (٣).

وأقام الملك الصالح بالجزء الجنوبى من الجزيرة بجوار المقياس قلعته التى عرفت باسم قلعة المقياس أو قلعة الروضة أو قلعة الجزيرة أو القلعة الصالحية، أو قلعة جزيرة الفسطاط (٤) وقد

---

(١) ابن دقمقاق، الانتصار، جـ٤، ص ١٠٩ ـ ١١٠، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٤ ـ١٨٥، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٠، كوكب الروضة، ورقة ١١.
وعن منازل العز ذكر كل من المقريزى وابن دقماق «أن منازل العز قد بنتها السيدة تغريد أم الخليفة العزيز بالله بن المعز، ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل ولا يحجبها شىء عن منظره، ثم صارت معدة لنزهه الخلفاء، فلما زالت الدولة الفاطمية نزلها الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب مدة ثم اشتراها والحمام والاصطبل المجاور لها من بيت المال فى سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م كما اشترى جزيرة الروضة فلما أراد الخروج من مصر أوقف منازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها الحمام وما حولها، وعرفت منازل العز حينئذ بالمدرسة التقوية نسبة إلى تقى الدين عمر، وكانت عامرة أيام المقريزى». انظر: الخطط، جـ١. المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٨٤، جـ٢، ص ٣٦٤، ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ٩٣ وموقع منازل العز الآن منطقة واقعة على شاطئ النيل بمصر القديمة ومحلها الآن مجموعة المبانى التى تحد من الغرب بشارع كورنيش النيل ومن الجنوب والشرق شارع المرحومى ومن الشمال شارع القبوة. أما المدرسة التقوية فقد أقيم موضعها اليوم جامع شهاب الدين أحمد المرحومى الذى يتوسط هذه المنطقة بشارع المرحومى بمصر القديمة انظر: على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١، ص ٧١، ٧٢، محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٥، ص ٣٨٦، عبد الرحمن زكى، موسوعة مدينة القاهرة، ص ٣٧٠. Casanova, Op. Cit. P. 105.

(٢) انظر: ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق حسنين ربيع، (القاهرة، ١٩٧٢، ١٩٧٧، جـ٥، ص ٢٧٨، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ١٢ ـ١٣، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٦، ص ٣٢٠.

(٣) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٠، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٥.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣، ٢٩٧، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٣١، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨١.

بناها لتكون قصرا ومقرا للحكم وحصنا له ولمماليكه الذين أكثر من شرائهم حتى ضاقت بهم القاهرة وصاروا يشوشرون على الناس وينهبون الأسواق (١) فكثرت شكوى الناس منهم فاضطر الملك الصالح لبناء القلعة لهم على بحر الروضة فسموا البحرية نسبة لذلك، ومالبثوا غير شهور قليلة من نهاية حكم الصالح إلا وقد أزالوا دولة الأيوبيين وكونوا دولتهم المملوكية، كما ذكر المؤرخون سببا آخر لبناء القلعة وهو حب الصالح للعمارة وإنشائه لعمارات عظيمة كان يشرف عليها بنفسه لذا فقد بنى هذه القلعة لتخلد اسمه فى التاريخ (٢).

وكانت القلعة تقع فى الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة (٣)، وكان موقعها هذا موفقا من الناحية الاستراتيجية لكونها تقع بجزيرة يحيط بها نهر النيل من جميع النواحى مما جعلها فى وضع أفضل من الناحية الدفاعية، وقد شرع فى حفر أساسات القلعة فى ٥ شعبان سنة ٦٣٨هـ وابتدأ البناء يوم ١٦ من هذا الشهر (٤)، وفى العاشر من ذى القعدة بدأ الهدم فى الدور والقصور والمساجد التى بموضعها، كما هدمت كنيسة اليعاقبة(٥) كانت بجوار المقياس

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٦٩.

(٢) المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٣٠١، ٣٤١.

(٣) كانت هذه القلعة تقع بنهاية جزيرة الروضة فيما بين زاوية البسطامى شمالا حتى المقياس جنوبا، ويتضح ذلك من وصف المؤرخين وكتاب وصف مصر، فقد ذكر «السيوطى» عن زاوية البسطامى أنها بنيت فى مكان برج الطراز أول أبراج القلعة من جهتها الشمالية، وعلى ذلك يتضح أن القلعة كانت تشغل من الأرض مساحة حوالى ٦٥ فدانا واقعة فى الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة، ومكانها المنطقة التى تحد من الشمال بشارع الملك المظفر وشارع البسطامى ومن الغرب نهر النيل ومن الجنوب قصر المناسترلى ومقياس النيل ومن الشرق سيالة الروضة. انظر: محمد رمزى، تعليقه على النجوم، جـ٦، ص ٣٢٠.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣، السلوك، جـ١، ص ٣٠١.

(٥) اليعاقبة نسبة لمن يتبعون المذهب اليعقوبى أحد المذاهب الدينية المسيحية، فقد كانت الامبراطورية البيزنطية قد عقدت عدة مجمعات دينية لمناقشة أمور الدين المسيحى والتى من أهمها طبيعة المسيح عليه السلام، ومن أهم المجمعات مجمع خلقدونيا الرابع سنة ٤٥١م والذى تمخض عن خلاف كبير بين كنيسة الاسكندرية المصرية والكنيسة البيزنطية حول طبيعة المسيح إذ أن الكنيسة المصرية اعتقدت بأن السيد المسيح جوهر من جوهرين وقنوم من قنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين وقد سمى اتباع هذا المذهب اليعاقبة نسبة إلى يعقوب وهو أما ديسقورس بطرق الاسكندرية صاحب هذا المذهب حيث كان يسمى يعقوب من قبل، أو هو يعقوب أحد تلاميذه، أو يعقوب البرادعى تلميذ ساويرس بطرك انطاكية وكان أهم الزهاد المتمسكين بهذا المذهب.

أما الكنيسة البيزنطية فاعتقدت أن المسيح جوهران وطبيعتان ومشيئتان وقنوم واحد، وقد سمى اتباع هذا المذاهب بالملكانيين نسبة إلى ملك بيزنطة الذى اعتقد به وقد اتخذ المصريون من هذا الخلاف العقائدى متنفسا لهم لإعلان سخطهم واستيائهم من الحكم البيزنطى فتأجج الصراع بينهما. انظر: المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩. وعن هذا الموضوع انظر: حسنين ربيع، دراسات فى الدولة البيزنطية.

أما عن كنيسة اليعاقبة هذه التى كانت بجزيرة الروضة وكان بابها أمام باب مسجد المستنصر بالله الفاطمى بجوار المقياس فهى قديمة وترجع إلى ما قبل الاسلام، وقد ذكر المؤرخون أنها تنسب إلى ابن لقلق بطرك اليعاقبة وكان بها بئر مالحة وقد كان من عجائب مصر أن فى وسط النيل جزيرة يتوسطها بئر مالحة، وقد=

وأدخلت أرضها فى أرض القلعة، كما خرب الهودج والبستان المختار وذكر المؤرخون أنه كان بموضع القلعة أشجار ونخل وجميز فقطع منها نحو ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه وكذلك قطع أربعمائة جميزة، كما ذكروا أنه هدم ثلاثة وثلاثين مسجدا عمرها خلفاء مصر وسراة المصريين (١)، وان كان يبدو على هذا العدد المبالغة إلا أنه يعبر عن مدى عمران الجزيرة آنذاك.

وقد بالغ الصالح فى اتقان بناء القلعة وزخرفتها، وقد بناها بالجص والآجر والنورة وأنفق عليها أموالا طائلة وكان الملك الصالح يشرف بنفسه عليها «فصارت تدهش من كثرة زخرفتها وتحير الناظرين إليها من حسن سقوفها المزينة وبديع رخامها» (٢).

وكانت مساحة القلعة خمسة وستين فدانا وقد استغرق بنائها ثلاث سنوات أى تمت سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م (٣) وظلت عامرة أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأقام بها هو وأسرته ومماليكه الألف وقيل الثمانمائة، وقد اهتم بتحصينها، وأثناء ذلك جدد جامع المستنصر، وقد غرس فيها من جميع الأشجار ونقل إليها الأعمدة من المعابد المصرية القديمة وشحنها بالأسلحة والآت الحرب وكل ما يحتاج إليها من الغلال والمؤن (٤) فى ذلك الوقت الذى شهد صراعا كبيرا مع الصليبيين، وقد جعل حول القلعة شوانى (مراكب) حربية مشحونة بالسلاح ومعدة لقتال الفرنج واقفة عند الصناعة التى اختطها بالجزيرة وجعل بها عماير المراكب الحربية والنيلية (٥).

= كان الرهبان المقيمن بالكنيسة يتولون أمر قياس النيل حتى بنى المتوكل المقياس الحالى فأمر بأن يكون مقياس النيل بأيدى المسلمين وأسند تلك المهمة لابن أبى الرداد ثم توارثها أبناؤه من بعده وقد تعرضت الكنيسة للهدم أثر زلزال عنيف أيام البطرك مقار الذى عين بطريركا على اليعاقبة فى سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، ثم رممت الكنيسة بعد ذلك، وقد جعل البطريرك كيرلس الثانى مقر البطريركية فى هذه الكنيسة فترة من الزمن، وكان لهذه الكنيسة بستان وقاعات وجواسق مطلة على النيل، وقد عرفت الكنيسة بأسم كنيسة ميخائيل المختارة أو كنيسة المختار نسبة لبستان المختار، وكانت متنزها كبيرا فى زمن الدولتين الفاطمية والأيوبية، وكان الاهتمام بها كبيرا، وقد ظلت قائمة حتى هدمها الملك الصالح وأدخل أرضها فى داخل القلعة.

موقع هذه الكنيسة الآن المنطقة التى تقع أمام مدخل قصر المناسترلى بجوار المقياس انظر: ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٢، ص ٢١٠، ٢٢٠، جـ٣، ص ٥، ٦، جـ٤، ص ٧٧. ابن فضل الله العمرى، الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد، مخطوط، ص ٤٧، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣، ٤٩٦، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق ١، ص ٢٧٠.

(١) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٠، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٢.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٢.

(٣) المقريزى، نفس المصدر والصفحة، السيوطى، نفس المصدر والصفحة.

(٤) المقريزى، نفس المصدر والصفحة.

(٥) ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٤، ص ١١٧، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٠.

ولما أتم الملك الصالح عمارة القلعة انشد الشعراء أشعارا تخلد تلك الأعمال منهم الشاعر علم الدين أيدمر الحموى الذى نظم قصيدة طويلة يمدح فيها السلطان ويذكر فيها القلعة ويصف الاحتفالات بالمقياس وهى قصيدة طويلة نقلها «ابن دقماق» (١).

أما الرحالة الأديب الأندلسى «ابن سعيد» فقد ذكر الروضة وخص منها قلعة وأعمال الصالح بها بالوصف والمدح فقال « هى أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة، وبها مقياس النيل وكانت متنزها لأهل مصر فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالى السمك لم ترعينى أحسن منه » (٢).

وقال أيضا «وكنت أشق فى بعض الليالى بالفسطاط على ساحلها فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدرى اللون، ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة فى البناء، وأبصرت فى هذه الجزيرة إيوانا لجلوسه لم ترعينى مثاله ولا أقدر ما أنفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام والأبنوس والكافورى والمجزع ما يذهل الأفكار ويستوقف الأبصار، ويفصل عما أحاط به السور أرض طويلة وفى بعضها حاظر حظر به على أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر»(٣).

وفى هذه السطور رسم لنا ابن سعيد صورة جميلة لجزيرة الروضة والقلعة الصالحية فعلى الرغم من اتجاه الصالح لجعلها حصنا منيعا إلا أنه أضاف إليها السمات الجمالية وجعلها متنزها حسنا عظيما وألحق بها حديقة للحيوان ومروجا خضراء تسر الناظرين.

هذا وقد كان لبناء القلعة فى القسم الجنوبى من الروضة أثر كبير فى اتساع عمران الروضة فى جزئها الشمالى إذ تحول ساكنوا الجزء الجنوبى إليه، وكذلك عمر الشاطئ الشرقى للنيل فى الجزء المواجه للقلعة عمارة كبيرة آنذاك حيث بنى الأمراء منازلهم ليكونوا على مقربة من قلعة السلطان فعظمت عمارة الفسطاط على النيل (مصر القديمة) وانتقل إليها كثير من الامراء وضخمت أسواقها واستجدت أسواق أخرى لمجاورتها للجزيرة وقلعتها الصالحية ولخدمة الأجناد بها (٤).

وقد بقيت من القلعة الصالحية بقايا القاعات والعمائر التى قام بها الملك الصالح نجم الدين

---

(١) الانتصار، جـ٤، ص ١١٠ - ١١٤.
(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٣.
(٣) نفسه، ص ١٨٣، ١٨٤.
(٤) ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، ص ٢٧.

أيوب سجلتها الحملة الفرنسية منها قاعة رئيسية أبعادها ١٤٫٦٠ × ١٢٫٧٠ متر يتوسطها قبة كانت مقامة على أربعة أكتاف وحول القاعة أبنية مختلفة الأحجام أغلبها كان متخربا [١].

وكذلك رأى الرحالة بوكوك الذى زار مصر فى القرن الثامن عشر بقايا جدران من الطوب الأحمر ارتفاعها عشرة أقدام عبارة عن أبراج غير كاملة الاستدارة من بقايا القلعة[٢].

وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بعمل حفائر بجوار المقياس سنة ١٩٣٥م اكتشف «كامل غالب» فيها بقايا جدران وأرضيات حجرية كبيرة الحجم كانت تخص القلعة [٣].

تاريخ الجزيرة وتطورها العمرانى فى العصر المملوكى:

حظيت جزيرة الروضة فى عصر سلاطين المماليك بعناية فائقة، وظلت مدة حكمهم موضع نزههم هم ورعاياهم، ومكان احتفالاتهم وأعيادهم، وبجانب المنشآت المعمارية بالجزيرة فقد ضمت أيضا الحقول المزروعة والبساتين ذات الأشجار المثمرة والأزهار[٤] مما يبهج النفس ويسر العين ويجعل أفئدة الناس تهوى إليها فكان ينطبق عليها المثل: «ثلاثة يذهبن الحزن، الخضرة والماء والوجه الحسن»، وقد اجتمعت هذه المزايا وغيرها فى جزيرة الروضة.

ومن الجدير بالذكر أن صناعة السفن ازدهرت بدار الصناعة بالجزيرة فى العصر المملوكى ازدهارا كبيرا وشهدت الروضة متنزهات بحرية كبيرة.

أما عن العمارة بها فى العصر المملوكى فكان لها شأن كبير حتى أن ابن دقماق المتوفى سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م يذكر أنه كان يوجد بها نحو العشرين مسجدا [٥].

---

(١) Discription de L'Egypte, Vol XV, P. 465, Omar Toussoun, Memoire Sur L'histoire du Nil, L'Institut D'Egypte le Caire, Tome 2, P. 340, Creswell, The Muslim Architecture of Egypt, Vol. 2. P. 86. على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ٢٥.

(٢) Pococke , A Discription of the East and Other Countries, 2 Vol, London, 1754, P. 29.

(٣) محاضر لجنة الآثار العربية، ملحق تقرير ٧٠٤ فى نوفمبر ١٩٣٥.

(٤) ذكر السيوطى أنه كان يزرع بها من الزهور البنفسج والورد والنرجس والمنثور والسوسن وشقائق النعمان والبهار والياسمين والنيلوفر والمزرحوش والريحان والنارنج، ومن الفواكه الليمون والكمثرى والعنب والتين واللوز والسفرجل والرمان والنبق والقثاء والخيار والبلح والرطب، ومن الخضروات القرنبيط والسبانخ والقرع والباذنجان والجزر، وكان يزرع بها أيضا أشجار الزيتون والعنب والخروب والبرقوق والتوت وقصب السكر والبطيخ والخشاش. انظر: كوكب الروضة، ورقة ١٣٤.

(٥) الانتصار، جـ٤، ص ١١٦.

وعن أحوال الجزيرة فى أول العصر المملوكى نجد أن السلطان المعز عز الدين أيبك (٦٤٨ ـ ٦٥٥هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥٧م) قد أمر فى سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م بإخلاء قلعة الروضة وتحول من كان فيها من المماليك والحراس، وهدم منها جانبا وأخذ أعمدة رخامية منها وشبابيك حديد وأخشاب وغير ذلك وعمر به مدرسته التى برحبة الحناء فى فسطاط مصر [١]، وطمع فى القلعة كل من له جاه فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة [٢].

إلا أن الملك الظهر بيبرس (٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م) أمر بعمارة القلعة الصالحية واصلاحها فتم اصلاح بعضها على يد الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الذى وزع أبراجها على كبار الأمراء، وقد أمر الملك الظاهر بأن تكون بيوت جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم [٣].

وقد اضطر الظاهر بيبرس لقطع صف يتكون من أربعين شجرة جميز كانت بالروضة على شاطئ النيل ليعمر بها شوانى بدلا من الشوانى التى كانت قد سيرها إلى قبرص وتكسرت هناك [٤].

وقد كان الظاهر كثير التنزه بالروضة وعمل الاستعراضات البحرية بها، كان نتيجة اصلاحاته بقلعة الروضة أن زاد الاهتمام بالجزيرة والسكنى بها والتنزه فى ربوعها فعادت فرجا ومتنزهات وقصورا ودورا وبساتين وجوامع وحمامات [٥] وقد ازداد العمران فى شمال الجزيرة فى ذلك الوقت فبنيت المساجد والدور وغيرها وبصفة خاصة حول جامع غبن [٦] الذى رمم واعيدت إليه الخطبة سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٠م [٧].

ولكن ذلك التعمير للقلعة لم يستمر إذ أنه لما تولى السلطنة الملك المنصور قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ/ ١٢٧٩ ـ ١٢٩٠م) امتدت يده إلى القلعة وأخذ من عمدها ورخامها واعتابها شيئا كثيرا استخدمه فى بناء بيمارستانه وقبته ومدرسته بالقاهرة التى أنشأها سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨١م [٨].

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٤، السلوك، جـ١، ص ٣٨١، السيوطى، كوكب الروضة ورقة ٣٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٢.

(٢) أثناء تجوالى بأثار منطقة مصر القديمة وجدت بجامع المرحومى الواقع بشارع المرحومى المواجه للمقياس عمودين رخاميين معجزعين غاية فى الروعة ينطبق وصفهما مع ما ذكره المؤرخون عن الأعمدة التى كانت بالقلعة بالروضة ونهبت منها.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٤، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص ٩٢، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٥، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٢.

(٤) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٩، ٣٠، ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٠.

(٥) ابن دقماق، نفس المصدر والصفحة.

(٦) محمد عبد العزيز، جزيرة الروضة، ص ١٨.

(٧) انظر ما سبق، ص ٧٩.

(٨) ابن دقماق، نفسه، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٤، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٥، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ص ٢٧٢.

وفى سلطنة حسام الدين لاچين (٦٩٦ ـ ٦٩٨هـ/ ١٢٩٦ ـ ١٢٩٨م) أخذ محمد بن أصيل بن محمد الهمذانى وهو من ذرية المتوصف أبى اليزيد البسطامى (المتوفى سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م) توقيعا من السلطان لاچين بإقامة زاوية له فى سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، وقد جدد هذا التوقيع من السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير فى سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م [١] وينص التوقيع على وقف الزاوية وقطعة أرض بجوارها مزروعة ببقول وخضر وغيرها من الأشجار لينتفع بها الفقراء [٢] وقد بنيت هذه الزاوية على برج الطراز وهو أول برج من أبراج القلعة من السور الشمالى لها[٣].

وفى أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ ـ ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ ـ ١٣٤٠م) فعل ما فعله من قبل أبوه السلطان المنصور قلاوون، فأخذ من انقاض القلعة ما بنى به الإيوان المعروف بدار العدل بقلعة الجبل، والجامع الناصرى الجديد بظاهر مدينة مصر على النيل، وأخذ منها ما يقى من أعمدة ورخام وغير ذلك [٤]، ومن يومئذ دثرت معالم قلعة الروضة وخربت وصارت كأنها لم تكن ولم يبق منها سوى عقد تسمية العامة القوس وكانت تتنزه به وكان فيما يلى جانيها الغربى أدركه المقريزى سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م [٥] وفيه يقول الشاعر النواجى:

مصر قالت دمشق لا تفتخر قط باسمها

لو رأت قوس روضتى منه راحت بسهمها [٦]

وهذا يدل على عظمة ما كانت عليه القلعة وعلى أهمية الجزيرة كمتنزه عام، وبقى كذلك من آثار القلعة بقايا أبراج كثيرة بنى عليه الناس الدور الجليلة المطلة على النيل [٧] وهى باقية إلى أيام «ابن إياس» المتوفى عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م [٨].

---

(١) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥ ب.

(٢) انظر التوقيع فى السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥ب، على مبارك الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١٣ ـ ١٤.

(٣) فى سنة ٧٧٠هـ: ١٣٦٩م حولت زاوية البسطامى إلى جامع عرف بجامع الريس نسبة إلى رئيس الخلافة فتح الدين صدقة بن ناصر الدين بن زين الدين بن زيلع فى سلطنة الأشرف شعبان (٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣ ـ ١٣٧٧م) وقد ذكر السيوطى أنه رابع جامع اقيم بالروضة انظر: ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٦، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥.

ثم هدم هذا الجامع مع الزمن وعاد زاوية تعرف باسم صاحبها الأول البسطامى، وهى لا تزال موجودة حتى الآن وبها ضريح البسطامى بشارع صغير يسمى شارع البسطامى متفرع من شارع الملك الصالح على بعد حوالى ١٢٠ متر جنوب كوبرى الملك الصالح، وهى عبارة عن مسجد صغير بنى حديثا مساحته ١٢×٦ متر وبالركن الغربى منه مقام البسطامى.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٤.

(٥) نفسه.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٢.

(٧) الخطط، جـ٢، ص ١٨٤.

(٨) بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧٢.

وباندثار القلعة الصالحية عادت الجزيرة مكانا للتنزه والتفرج، وبها البساتين الكثيرة الحسنة والجوامع التى تقام فيها الجمع والأعياد والمساجد والأربطة [1].

ومن الجوامع العظيمة ألتى بنيت فى سلطنة الناصر محمد هو الجامع الذى بناه القاضى المعروف بالفخر الذى كان يشغل منصب ناظر الجيش فى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م وعرف حينئذ بجامع الفخر [2] ثم جدده الصاحب شمس الدين الشهير بالمقس ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م [3].

وفى سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م لم تسلم جزيرة الروضة مثل غيرها من الأوقاف والرزق الاحباسية التى أوقفت على أولاد الملوك والأمراء السابقين من المصادرة والحل الذى ساد فى العصر المملوكى، فقد قام النشو ناظر الخاص [4] الذى كثرت مظالمه فى دولة الناصرمحمد بضم أراضى جزيرة الروضة إلى جملة أراضى الناصر محمد بعد أن كانت بيد أولاد الملوك، كما فرض الغرامات على أصحاب الدور بها وقطع جوامك ومرتبات القضاة وشيوخ العلم وغيرهم مما يخص الجزيرة [5].

وقد عرفت جزيرة الروضة المتنزهات والمفترجات الخاصة ذلك انه فى شعبان سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م عمل الأمير جركس الخليلى طاحونا فى مركب تدور بالماء مثل الرحى وأوقفها عند رأس روضة المقياس من جهة بر الجيزة بحبال ثابتة فى البر والبحر وأكراها لبعض الطحانين، وقد صارت متنزهات خاصا يأتى الناس إليها أفواجا من كل جهة يتفرجون عليها، وقد قال فيها أدباء الزمان اشعارا كثيرة منها قول الشهاب بن العطار :

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٨٥، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢ ص ٣٨٦، كوكب الروضة، ورقة ٣٣. ابن بطوطة، الرحة، (نشر دار الكتاب اللبنانى)، ص ٣٢.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٦، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣١١، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص ٢٠٢.

وقد بنى الفخر ثلاثة جوامع، واحد ببولاق والثانى فى جزيرة الفيل والثالث هذا الذى فى الروضة وهو حسبما ذكر المؤرخون ثالث جامع أقيم بالروضة.

(٣) على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١٣.

(٤) لعب النشو دورا كبيرا فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون. وعنه بالتفصيل انظر : المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٤٧٣ ـ ٤٨٦.

أما عن وظيفة ناظر الخاص التى كان يشغلها النشو فهى من الوظائف المدنية الهامة وقد أحدثها الناصر محمد بن قلاوون، وكان أصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان من اقطاعه أو نصيبه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من الأموال العامة، وفى زمن تعطل الوزارة كان لناظر الخاص تدبير جملة الأمور. عن هذه الوظيفة بالتفصيل انظر : حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ أجزاء، (نشر مكتبة دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦)، جـ٣ ص ١٢٠٧ـ ١٢١٠.

(٥) الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ٦٠، المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٩، ص ١٣٢.

سر لطاحون الخليلي التي ... تدور بالماء بمصر حقيق

قد شنفت من وصفها مسمعي ... لأنه من كل وجه دقيق [1]

وفى سلطنة المؤيد شيخ (٨١٥ـ ٨٢٤ هـ/ ١٤١٢ ـ ١٤٢١م) أمر المؤيد فى ١١ رجب ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠ بتوسيع الجامع المجاور للمقياس بدور كانت بجانبه ولكنه مات قبل الفراغ منه فأكمله من بعده السلطان الظاهر جقمق [2].

ومن الأعمال العظيمة للسلطان قايتباى (٨٧٢ـ ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ ـ ١٤٩٥م) الأمر بتجديد جامع الفخر فى ربيع الآخر سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م الذى جدده من قبل المقسى، وكان الشاد على عمارته البدرى حسن بن الطولونى، وقد ذكر «ابن إياس» أن قايتباى ظل يتردد إلى الروضة ويكشف عن بناء الجامع حتى انتهى منه فى سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م وقد جاء فى غاية الحسن والتزخرف وعرف باسم السلطان قايتباى [3]، ولكن «السيوطى» ذكر أنه أمر بأن يزاد فى هذا الجامع زيادة أخرى فى سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م وأنشأ حول هذا الجامع الغراس والعمائر الحسنة فعمرت تلك البعقة وأحيت الروضة بعد أن كادت أن تدرس محاسنها [4]، ولعل هذه الزيادة هى القاعة التى صيرت مسجدا وتقع فى ظهر الجامع أى فى الجانب الشمالى الغربى، وقد ذكرها «السخاوى» ضمن ترجمته لقايتباى فقال «. . وبالروضة جامعة هائلا كان من قديم مع صغره ساقطا مائلا فهدمه وعمل بجانبه ربعا وأنشأ خلفه قاعة صيرها مسجدا جليلة تزيينا ووضعا، وبنى هناك عدة دكاكين وطاحون وغيرها محكم التمكين. . » [5]وقد تمت أعمال الزيادات والعمارات الأخرى بجوار الجامع فى رجب ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م [6].

ومن الطرائف التى ارتبطت بتلك الأعمال أن البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين المشرف على العمارة قد وضع ناعورة (ساقية) فى وضع غريب بحيث تدور بحمار ينقل قدمة وهو واقف من غير أن يمشى أو يدور ويركب عليها طاحونه تدور بدورانها وكانت الناس تتوجه للفرجة عليها، كما كان البدرى حسن ابن الطولونى يصنع فى كل ليلة رابع عشر من كل شهر عربى ليلة حافلة بالجامع ويسمونها البدرية، وينصب على شاطئ البحر قدام الجامع من الخيام ما لا يحصى وتتجمع المراكب هناك حتى تسد النيل ويجتمع الجم الغفير من العالم، ويوقد بالجامع وقدة حافلة ويحضرها قراء البلد قاطبة والوعاظ، وتكون ليلة حافلة لم يسمع

(١) ابن قاضى شهبة، تاريخ ابن قاضى شهبة، ص ٨٥، المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ٤٧٢، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٧٨، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٣٠٧.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٩٧، السلوك، جـ٤، ص ٥٣٤، ٥٣٧، العينى، عقد الجمان، (نشر الزهراء)، ص ١٠٨، ابن حجر العسقلانى، انباء الغمر، جـ٣، ص ٢٢١، ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص ٤٩١.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٨٣.

(٤) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥أ.

(٥) الضوء اللامع، جـ٦، ص ٢٠٨.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٨٣.

بمثلها فيما تقدم واستمر الحال على ذلك مدة ثم بطل »[1].

وما زال جامع قايتباى عامرا للآن بذكر الله تعالى، وهو مسجل أثر رقم ٥١٩ بشارع جامع قايتباى بالروضة، وهو مصمم على نسق النظام المدرسى الذى يتكون من دور قاعة وسطى وإيوانين وسدلتين وكان ملحق به إضافات معمارية مثل القاعة التى اندثرت وغيرها[2]. وقد كان للجامع أوقاف كثيرة وملاحق اغتصبت فى النصف الأخير من هذا القرن، وقد عرف الحى حول جامع قايتباى فى العصرين المملوكى والعثمانى باسم كفر قايتباى أو عزبة قايتباى وقد عرف جامع قايتباى فى وقت ما باسم جامع السيوطى لأن الأمام جلال الدين السيوطى أقام به أو سكن قريبا منه[3].

وقد أراد السلطان قايتباى أن يبنى قصرا فى خرطوم الروضة (أى أقصى الطرف الشمالى لها) يكون له أربع واجهات خالية ولكن لم يتم له ذلك[4].

أما السلطان الأشرف قانصوه الغورى (٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ/ ١٥٠٠ ـ ١٥١٦م) فقد كان أكثر السلاطين تنزها بالجزيرة على الاطلاق، وحظى المقياس منه برعاية فائقة، وأقام من الاحتفالات ما يفوق الوصف، ففى سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م أمر ببناء عدة منشآت معمارية بالروضة وجدد جامع المقياس، كما أنشأ قصرا على بسطة المقياس ومقعدا مطلا على النيل واهتم بإنشاء الحدائق والمتنزهات[5]، وقد بنى الغورى هذا القصر ليكون بمثابة استراحة جمهورية أو ملكية بتعبير اليوم، فقد ورد بكتاب وقف الغورى أنه قد «بناه متنزها لنفسه ولمن يلى ملك مصر من بعده من ملوك الإسلام»[6]. وقد أوقف الغورى على المقياس والجامع والقصر وعلى أرباب الوظائف بهم أوقافا عديدة منها أراضى بجزيرة الروضة نفسها كانت تعرف بالميدان والبرك بالقرب من زاوية البسطامى (جامع الريس) مساحتها عشرين فدانا، وكذلك حصته من أراضى جزيرتى الصابونى والذهب، وأرض جزيرة بكاملها هى جزيرة النشوة التى كانت مستجده حينئذ بين جزيرتى الصابونى ودير الطين (دار السلام حاليا)، وكذلك أوقف عدة عقارات بمصر القديمة وساحلها وغير ذلك[7].

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٨٣، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥.

(٢) عن جامع قايتباى بالتفصيل، انظر: حسنى نويصر، عمائر قايتباى الدينية بمدينة القاهرة، دكتوراة «مخطوطة»، (كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٥).

(٣) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٢٧٤.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٢٤.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٥٤، ٢٧٦.

(٦) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ٥٠٢، ٥١٠.

(٧) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ٤٩٧، ٤٩٨، وللمزيد من التفاصيل، انظر: عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، دكتوراه، «مخطوطة» (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م).

هذا وقد أراد السلطان الغورى كما أراد السلطان قايتباى من قبل بناء قصر ذات أربع واجهات خالية فى سنتى ٩١٨هـ/ ٩١٩هـ بخرطوم الروضة ولكن ذلك لم يتم [١].

وكان يوجد بالروضة قرية كانت تعرف فى العصر المملوكى باسم منيل المماليك كانت مساحتها ٢٧٠ فدانا وكان يملكها الديوان السلطانى وهى التى عرفت فى العصر العثمانى باسم منيل الروضة وكانت تقع شمال جزيرة الروضة [٢].

تاريخ الجزيرة وتطورها العمرانى فى العصر العثمانى:

ظلت جزيرة الروضة فى العصر العثمانى (٩٢٣ ـ ١٢١٦هـ/ ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م) تحظى بنفس العناية والرعاية التى كانت عليها أيام الدولة المملوكية، وكانت مقاما لطبقة متميزة من المجتمع مثل الأمراء الذين اقاموا بها القصور الفخمة والحدائق الجميلة [٣]، فضلا عن اتخاذها متنزها عظيما ومحفلا رائعا.

ومنذ الفتح العثمانى لمصر نجد ذلك الاهتمام متمثلا فى كون السلطان المظفر سليم الأول فاتح مصر قد فضل اقامته بالروضة كما أنه أقام كوشكا فوق قصر الغورى [٤] فى شهر ربيع الأول سنة ٩٢٣هـ، وقد فرغ من بنائه فى مدة يسيرة وقد قال «ابن إياس» فى هذه المناسبة:

لو علم الغورى أن قصره ... يسكن للمظفر المؤيد

اضرم فيه النار من يومه ... ولم يدع من جدره جلمد [٥]

وقد زار مصر فى أول العصر العثمانى الرحالة المغربى ابن الوزان المعروف بليو الأفريقى وأشاد بجزيرة الروضة وذكر أنها عامرة جدا بالسكان وقدر عدد سكانها بألف وخمسمائة، كما أشاد بقصر الغورى والمقياس [٦].

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٨٣، ٣٣٩. (٢) ابن الجيعان، التحفه السنية، ص ١٤٦.

(٣) اندريه ريمون، نصول من التاريخ الاجتماعى، ص ٢٠٢.

(٤) ذكر المؤرخ «يوسف الملوانى» أن هذا الكوشك (القصر) الذى أقامه السلطان سليم «مخروط الشكل» وهو بذلك يعد من التأثيرات العثمانية التى دخلت على أشكال العمائر بمصر، كما ذكر أن انه لما عاد السلطان من بلاد الروم (تركيا) وجد مكتوبا بخطه على حائط القصر داخله هذان البيتان، وهما:

الحمد لله من يظفر بنيل منى ... يردده قهرا ويلزم نفسه الدركا

لو كان لى أو لغيرى قدر انملة ... من الأمور لكان الأمر مشتركا

انظر: تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، (مخطوط برقم ٢٨ تاريخ فى مكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج)، ص ١٢٢.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ١٩٣.

(٦) ابن الوزان (الحسن بن محمد الوزان المعروف بليو الأفريقى، ت بعد سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجى ومحمد الأخضر، ط٢، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، سنة ١٩٨٣، ص ٢١٣.

وفى جمادى الأول ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م قام السلطان العثمانى عثمان الثانى بن أحمد الأول (١٠٢٦ ـ ١٠٣١هـ/ ١٦١٦ ـ ١٦٢١م) بتجديد ما انهدم من الكوشك الذى أقامه السلطان سليم كما قام بزخرفته [1].

واستمر العمران قائما بالجزيرة طوال العصر العثمانى، ونرى فى حجة وقف الأمير عابدى بك المؤرخة فى يوم ١٠ جمادى الأول سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م قيامه ببناء قاعات ومرافق خاصة بها وساقية وحوض دواب وطاحون وجنينة بالإضافة لبناء جامع وذلك فى جنوب الروضة تجاه مصر القديمة كما أوقف أوقافا وأموالا على زاوية البسطامى بالجزيرة أيضا [2].

وقد أثنى على جزيرة الروضة الرحالة «النابلسى» الذى زار مصر سنة ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م فقال« . . مررنا على الروضة وهى جزيرة ذات الحسن المشهورة والمشتملة على الخضرة وألوان الزهور» [3]. وعن قصور الروضة وبساتنيها ومتنزهاتها قال أيضا : « . . ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى الروضة بمصر فدخلنا إلى مكان يشرح صدر المشتاق ويلذ لعيون العشاق وهو فى غاية الحسن والإشراق وفيه بركة من الماء فى وسطها مكان لطيف ومقعد ظريف فجلسنا هناك حصة من الزمان نحن والاخوان وهناك قصر تقصر عن وصف محاسنه ألسنة الرقوم ويقعد فى فضاء المشرف سمير الصبابة ويقوم» [4].

وحفلت الجزيرة فى القرن ١٢هـ/ ١٨م بالعديد من القصور الفخمة والبساتين الكبيرة التى أقامها كبار الأمراء بمصر، ومن هؤلاء الأمير أحمد كتخدا المعروف بالمجنون[5] (ت ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م) الذى أنشأ بستانا غاية فى الحسن وبنى بجانبه قصرا يذهب إليه فى بعض الأحيان، ولما حضر حسن باشا (ربما حسن باشا طاهر الذى قتل سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) إلى مصر ورأى هذا البستان أعجبه فأخذه لنفسه وأضافه إلى أوقافه[6].

---

(١) الاسحاقى (محمد عبد المعطى)، لطائف أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، (ط المطبعة الأزهرية، سنة ١٣٠٠هـ)، ص ١٤٩.

(٢) الوثيقة رقم ٩٩٢ أوقاف.

(٣) النابلسى (عبد الغنى بن إسماعيل، ت ١١٤٣هـ/ ١٦٣٣م)، الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، (نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٦)، ص ٢٣٦.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٥٦.

(٥) الأمير أحمد كتخدا المعروف بالمجنون، كان من مماليك سليمان جاويش القاردوغلى ثم انضم إلى عبد الرحمن كتخدا فانتسب إليه، وتعرض للنفى بالحجاز مدة ١٢ سنة ثم استدعاه محمد بك أبو الذهب فى أمارته، وقربه إليه ورد إليه التزامه، وكان قد أنشأ بترسا التى تجرى فى التزامه قصرا وبستانا كبيرا زرع فيه أصناف الأشجار والنخيل والرياحين، وبنى أيضا داره بدرب سعادة، ودارا على الخليج المرخم، وقد توفى فى خامس من شعبان سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م. انظر: الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٦) نفسه.

وكان للأمير مراد بك [١] قصر كبير بالروضة، كان يتردد عليه، أحيانا كثيرة [٢] وهـذا القصر موقع على خريطة الحملة الفرنسية باسم قصر الروضة، وموضعه الآن المنطقة المواجهة لكوبرى الملك الصالح تماماً.

وبدراسة خريطة الحملة الفرنسية نجد بعض التجمعات البنائية القليلة الصغيرة المساحة تتمثل فى بعض الكفور يسكن بها فلاحو الجزيرة تتمثل فى كفر عبد العزيز فى شمال غرب الجزيرة، وكذلك كفر قايتباى حول جامع قايتباى، وكذلك تجمع بنائى مجاور للمقياس بالإضافة لبعض القصور والجوامع المتفرقة بها، وقد حول الفرنسيون أحد المساجد إلى طاحونة هواء وكان برأس الجزيرة [٣] (لوحة ٦).

وكانت الجزيرة كلها مزروعة وتمثل البساتين ذات الأشجار المثمرة نسبة ٢٠٪ منها والباقى مزروعة بالحبوب بالبقول والخضر من كل الأنواع.

وكانت الجزيرة موضع عناية من الحملة الفرنسية حتى أن المهندس كفرللى صمم مشروعا لتحويلها إلى مدينة فرنسية لما تتمتع به من موقع دفاعى فريد ويسهل الدفاع عنها وتقويتها ويمكن توصيلها بجزيرة بولاق، بالإضافة لمتنزهاتها وحدائقها وجوها البديع [٤] وقـد قـام الفرنسيون أثناء وجودهم بمصر بإصلاح المقياس [٥].

وقد وصف «جومار» أحد علماء الحملة الفرنسية الجزيرة بما تضمه من حقول وبساتين رائعة وخصوصا حول المقياس واستخدامها للتنزه فذكر كثرة أشجار البرتقال والليمون المورقة والمزهرة دائما مما جعل المكان نزها ومعطر الهواء بأذكى العطور فى الوقت الذى يغرد فيه الآلاف من العصافير، وقد قارن جومار بين هذه البساتين وبين البساتين الأوربية، كما أشاد بطريق الجميز الذى كان يؤدى إلى المقياس على النيل ووصف أشجار الجميز بأنها أجمل الأشجار الموجودة بمصر وأن الحيز الذى يغطيه ظلها السميك يبلغ عرضه مائة قدم، ويبلغ قطر

---

(١) انظر ترجمة فيما سبق، ص ٦٧.

(٢) الجبرتى، عجايب الآثار، جـ٢، ص ٤٤٥، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، (القاهرة، ١٩٦٩م)، ص ٣١٥.

(٣) جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ص ٣٣٧.

(٤) جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٣٣٧.

(٥) ذكر «الجبرتى» عمارة الفرنسيين للمقياس فقال: «انهم غيروا معالم المقياس وبدلوا أوضاعه وهدموا قبته العالية والقصر البديع الشاهق والقاعة التى بها عمود المقياس وبنوها على شكل آخر لا بأس به ولكنه لم يتم وهى على ذلك باقية إلى الآن، ورفعوا قاعدة العمود العليا ذراعا وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع». عجائب الآثار، جـ٢، ص ٤٣٥. وعن عمارة الفرنسيين المقياس بالتفصيل أنظر، Marcel JJ, " Mémoire Sur Le Mekyas de L'ile de Roudah" Description de L'Egypte Etat Moderne XV, Paris, 1826.

جذع أكبرها ما بين ثمانية وعشرة أقدام وعلوها مائة وعشرين قدما، وكان طول طريق الجميز ١٢٠٠ مترا [١].

إلا إن الفرنسيين قد قطعوا الكثير من الأشجار والنخيل من جزيرة الروضة، مثلما فعلوا بالبساتين والجناين بمصر وبولاق وغيرها عقب الثورة ضدهم لاحتياجهم لأخشابها لعمل القلاع وتحصين الأسوار وعمل العجلات والعربات والمتاريس والوقود وكذلك المراكب والسفن [٢].

الجزيرة فى عصر أسرة محمد على:

شهدت جزيرة الروضة فى زمن أسرة محمد على نشاطا كبيرا فقد حفلت بقصور وبساتين عديد من الباشوات والبكوات، ومن أهمها بستان إبراهيم باشا بن محمد على، بالجزء الشمالى من الجزيرة، وقد أنشأه على طراز أوروبى وجمع فيه النادر من الأشجار والزهور التى أدخلت إلى مصر من أوروبا وأمريكا والهند [٣].

وقال عنه على مبارك « والناس يترددون على اختلاف طبقاتهم إلى البستان المذكور فى أيام شم النسيم وهو من أعظم البساتين لأحتوائه على الأشجار المتنوعة الغربية المجلوبة إليه من البلاد البعيدة واحتوائه أيضا على أصناف الحيوانات والطيور وبه خلجان من البناء تجرى فيها الماء، ومغارة معمولة من الودع وجبلاية مصنوعة مغروسة بالأشجار والأزهار ويحيط بالبستان المذكور رصيف من الثلاث جهات» [٤]. ويمثل موقع البستان الآن القصر العينى الجديد.

أما فى جنوب الجزيرة فقد أقام حسن باشا المناسترلى [٥] قصرا كبيرا وكوشكا فى سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م، وهذا الكوشك (السراى) قد حل محل جامع المقياس الذى ترجع أصوله إلى زمن الخليفة المستنصر الفاطمى، وقد كان قد تعرض للتدمير من جراء انفجار مصنع البارود الذى كان بالقرب من المقياس والذى صمم بمعرفة المهندس الفرنسى باسكال كوست فى عام ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م [٦].

---

(١) وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ص ٣٣٦، ومن الجدير بالذكر أنه يوجد حتى الآن بعض أشجار الجميز بجوار قصر المناسترلى وبشارع عمرو بن العاص على كورنيش الروضة.

(٢) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

(٣) كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، ترجمة محمد مسعود، ط٢، جـ١، (نشر دار الموقف العربى، القاهرة، ١٩٨١م)، ص ١٥٠.

(٤) الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١١.

(٥) كان حسن باشا المناسترلى يشغل منصب محافظ القاهرة، وقد توفى سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م.

(٦) Creswell, The Muslem Arehitecture of Egypt, I, P. 219.

وهذا الكوشك مبنى على الطراز الأوربى المسمى الباروك والروكوكو، وهذا الطراز انتشر بمصر من عصر محمد على، والكوشك عبارة عن صالة كبيرة تحفها الحجرات، وهذا الطراز من المبانى كان يبنى من الخشب وتكسى حوائطه بالحلفا والجبس وتنقش عليه الزخارف ويكون من دور واحد.

أما القصر الكبير الذى كان أمام الكوشك فقد اندثر الآن ومحله الآن محطة المياه الموجودة شمال الكوشك، وقد تخلف من هذا القصر سلسبيل معروض حاليا بالحديقة المتحفية بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة.

وكانت جزيرة الروضة أيام «على باشا مبارك» يشغلها من الجنوب المقياس وسراى المناسترلى وشمالها بقليل تقع سراى وبستان سليم باشا الجزائرلى مطلة على سيالة الروضة وشمالا منه بستان السادات الوفائية ثم أرض الست البارودية وبها زاوية أبى يزيد البسطامى ثم أرض حسن باشا يجن وبستان شاكر بك ثم بستان وقصر على باشا شريف ثم بستان وقصر على باشا ذو الفقار ثم بستان وسراى للخديوى إسماعيل، ويفصل هذا القصر عن قصر والده عباس باشا الأول الطريق الموصل لجامع قايتباى، وفى شمال الجزيرة بستان إبراهيم باشا ابن محمد على.

أما الجانب الغربى من الجزيرة فيذكر على مبارك أنه كان يوجد من الجنوب سراى أمين باشا ثم أرض حسين باشا يجن ثم أرض على باشا شريف ثم أرض تعلق الخديوى إسماعيل ثم أرض أحمد باشا المنكلى ومنزل وبستان ورثة خليل بك، ثم القرية المعروفة بالمنيل ثم ثانية أرض ورثة أحمد باشا المنكلى ثم قصر وبستان قاسم باشا، ويتوصل منه إلى الفرع الشرقى بطريق مظلل بالأشجار [١].

هذا ويوجد حاليا مسجد يسمى مسجد الدرينى يقع شمال شرق جامع صلاح الدين داخل حرم كلية طب الأسنان، وكان يقع أيام على مبارك غرب بستان إبراهيم باشا، وهو مسجد قديم غير معروف تاريخ إنشائه لأول مرة، وقد جددته زوجى الهامى باشا ابن عباس حلمى الأول [٢] وهى والدة السيدة أمينة زوجة الخديوى توفيق التى عرفت بأم المحسنين، وبالمسجد المذكور ضريح الشيخ الدرينى الذى توفى فى سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م [٣] ويذكر على مبارك أنه لم يدفن به وإنما دفن فى بلدته درين [٤].

(١) انظر بالتفصيل: على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ١١، محمد كمال السيد، أسماء ومسميات، ص ٤٥٢ ـ ٤٦١.

(٢) على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص١٤.

(٣) الشعرانى، الطبقات الكبرى (لواقع الأنوار فى طبقات الأخيار)، (طبعة بولاق، ١٢٨٦هـ)، جـ١ ص٢٠٤.

(٤) الخطط التوفيقية، جـ١١، ص ٧٣.

وفى منتصف هذا القرن قسمت أرض المنيل إلى شوارع وتحولت أراضيها إلى مبانى، وأطول شوارعها حاليا شارع المنيل الذى يخترقها من الجنوب إلى الشمال، بينما يقطعها من الشرق للغرب شارع الروضة الذى يمتد عند كوبرى الملك الصالح إلى كوبرى الجيزة (كوبرى عباس سابقا).

جسور الروضة:

نظرا لما كانت عليه جزيرة الروضة من مكانة بصفتها عروس متنزهات مصر، ونظرا للعمران الدائم لها وكثرة الواردين إليها للتفرج والتنزه، ولما كانت تقع فى وسط النيل وتقابل مدينتى الفسطاط والجيزة لذا فقد حرص الملوك والسلاطين والأمراء على أن ييسروا الطرق إليها واتصالها بالمدينتين المذكورتين، فأقيم بها العديد من الجسور على مر الزمن (لوحة ٧).

وكان يوجد بمصر نوعان من الجسور أولهما الجسور المبنية والأخرى هى الجسور الخشبية، فأما الجسور المبنية فهى قديمة جدا بمصر، وكانت تستخدم على المجارى المائية الضيقة مثل خلجان القاهرة. أما الجسور الخشبية فهى التى أقيمت لربط جزيرة الروضة بضفتى النهر، وأحيانا تربطها بالجزر الأخرى، والجسور الخشبية عبارة عن قوارب مرصوصة بجوار بعضها البعض وموثقة معا بالحبال فيمكن المسير عليها، ويتدفق الماء من تحتها، وكانت أغلب جسور الروضة بتلك الصفة، وأحيانا كان الجسر يفتح ويقفل لعبور المراكب كما كان لها درابزين [١].

وجسر الروضة الذى يربطها بساحل مصر القديمة كان موجودا قبل الفتح الإسلامى لمصر، وقد عبر عليه المقوقس وتبعه عدد من الرومان وكبار القبط ليحتموا بقلعة الروضة أبان الفتح وقطعوه بعد عبورهم، وكان هذا الجسر من المراكب يربط ساحل مصر أمام حصن بابليون بجزيرة الروضة، كما كان يوجد جسر آخر بين الروضة والجيزة وكان عرض كل جسر منهما ثلاث قصبات [٢].

ثم أعيد عمل الجسر مرة أخرى نظرا لما كانت عليه جزيرة الروضة من أهمية، ولما قدم الخليفة العباسى المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م) إلى مصر سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م، أصلح الجسر كما تم عمل جسر آخر جديد يمر الناس فى ذهابهم عليه ويرجعون من على الجسر القديم، ولكن هبت ريح عاصفة بعد ذلك فقطعت الجسر القديم فصدمت سفنه الجسر المحدث فبطل الجسر القديم وأثبت الجديد واستخدم [٣].

---

(١) ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٤، ص ١٨ ـ ١٩.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٣.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٣٣٩، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٣٦، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٣.

واستمر جسر المأمون قائما يستخدمه الناس فى العبور وعن طريقه عبرت الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر الصقلى فى يوم الثلاثاء ١١ شعبان سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، بعد أن عبروا جسر الجيزة [١]، ويبدو أن الجسرين أهملا عقب ذلك لذا ففى أول رجب ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م أمر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بإصلاح جسر الروضة بعد أن ظل معطلا لعدة سنوات، ولكن يبدو أنه خصص للخليفة فقط إذا أن المعز منع الناس من العبور عليه [٢].

وهذا الجسر ذكره «ابن حوقل» المتوفى سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٧م وقال أنه كان يتكون من ثلاثين سفينة [٣].

أما «ناصر خسرو» الذى زار مصر سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م فقال « وثبت بين الجزيرة والمدينة (الفسطاط) جسر من ست وثلاثين سفينة» [٤].

أما الرحالة «الأدريسى» المتوفى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م فيذكر أنه كان يجاز إلى جزيرة الروضة على جسر فيه نحو ثلاثين سفينة ويجاز القسم الثانى وهو أوسع من الأول على جسر آخر وسفنه أكثر من الأول أضعافا مضاعفة وطرف هذا الجسر يتصل بالشط المعروف بالجيزة [٥].

مما ذكر يتضح لنا أن جسر الروضة ظل موجودا طول العصر الفاطمى بين الفسطاط والروضة أما الجسر الذى كان بين الروضة والجيزة فأحيانا يقام وأحيانا يستعاض عنه بالعبور فى المراكب.

وفى سلطنة الكامل محمد الأيوبى (٦١٥ ـ ٦٣٥هـ/ ١٢١٨ ـ ١٢٣٧م) عمل جسر بين جزيرة الروضة إلى الجيزة، وكان مبتدأه من قدام الصناعة المستجدة [٦] وعدة المراكب التى فيه ٥٣ مركبا وتم عمله سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، وقد أباحه السلطان لعبور الناس عليه، وقد أمر السلطان بعمل صيانة دائمة له، وكان فى هذا الجسر مواضع تفتح للمراكب العابرة منه وتعاد إلى حالها بعد عبورها، وقد سر الناس بذلك الجسر سرورا عظيما وساعد على الحركة والتنقل بين الفسطاط والروضة إلى والجيزة، وقد تميز هذا الجسر بعمل درابزين خشبى من الجانبين خشية سقوط أحد فى النيل [٧].

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣ أجزاء، تحقيق جمال الشيال ومحمد حلمى، (نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣) جـ١، ص ٢١٨.

(٣) صورة الأرض، ط ليدن ١٩٣٨م، ص ١٤٦. (٤) سفر نامه، ص ٦١.

(٥) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (ط ليدن، ١٨٦٤م)، ص ٣٢٣.

(٦) معنى ذلك أن الكامل أقام دار صناعة جديدة غربى جزيرة الروضة.

(٧) ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٤، ص ١٨، ١٩، ١٣٧.

ولما ابتدأ السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى بناء قلعته بالجزيرة سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م وحفره لسيالة الروضة أنشأ فى العالم التالى جسرا ممتدا من بر مصر إلى الروضة وكان رأس هذا الجسر قبلى خط دار النحاس أمام المدرسة الخروبية [١]، وكان هذا الجسر يتكون من واحد وعشرين مركبا وعرضه يسع جملين محملين متقابلين ولا يزدحمان، وكان الأمراء إذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم عند البر ويمشون فى طول هذا الجسر إلى القلعة ولا يمكن لأحد من العبور عليه راكبا سوى السلطان فقط، ولم يكن مسموحا فى ذلك الوقت لمرور الناس عليه لوقوعه فى حيز قلعة السلطان ولذلك كان الناس يعبرون النيل بأنفسهم ودوابهم فى المراكب [٢].

جسور الروضة فى العصرين المملوكى والعثمانى :

لما تولى السلطان عز الدين أيبك حكم مصر (٦٤٨ ـ ٦٥٥هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥٧م)، خرب القلعة الصالحية فأهمل الجسر عند ذلك إلى أن عمره الظاهر بيبرس فى ذى الحجة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م وجدد مراكبه من ساحل مصر إلى الروضة وكذلك جدد الجسر الآخر بين الروضة وبين الجيزة وذلك لعبور جيوشه لقتال الفرنج [٣].

ويبدو أن جسرى الروضة أهملا بعد ذلك وبطل أمرهما من جملة ما بطل فى مصر من الشعائر القديمة واستعيض عنهما فى العبور بالمراكب [٤].

ولم يصلنا أخبار عن اقامة الجسور فى العصر العمثانى فقد ذكر المؤرخ «ابن أبى السرور البكرى» المتوفى سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م أن الجسرين قد دثروا ولم يعمل بدلهما [٥].

---

(١) المدرسة الخروبية أنشأها كبير أسرة الخراربية بدر الدين محمد بن محمد الخروبى التاجر بعد سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م على ساحل مصر قبلى خط دار النحاس. انظر: ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ٩٩، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، ٣٦٩. وقد ذكر المرحوم محمد رمزى أن هذه المدرسة عرفت باسم جامع القبوة لأنه كان معلقا على قبو فى مدخل شارع القبوة الحالى بمصر القديمة، وقد زال هذا الجامع ولم يبق من آثاره إلا أحد حائطى القبو على يمين الداخل فى شارع القبو. انظر: تعليقه على النجوم الزاهرة، جـ٥، ص ١٧٢. وأقول أنه الآن زالت هذه البقايا وقد كانت موقعة برقم ٥٣٢ على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية (لوحة ٢ مربع ١٣ أ) برأس شارع القبوة بمصر القديمة.

(٢) ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، جـ٤، ص ١١١، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، السلوك، جـ١، ص ٣٤١، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٣، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٢٧١.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٧٠، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٧، ١٤٩، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٨٣.

(٤) ابن ظهيره، الفضائل الباهرة، ص ٢٠٢.

(٥) قطف الأزهار فى الخطط والآثار، مخطوط بدار الكتب، رقم ٤٥٧ جغرافيا، ورقة ١٦٠.

وفى زمن الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣ ـ ١٢١٦ هـ/ ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م) أقام الفرنسيون جسرا فى شوال سنة ١٢١٣هـ/ ١٢٩٨م من مراكب مصطفة من بر مصر يقع شمالى القصر العينى بقليل إلى الروضة تسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم ، (لوحة ٧) كما عملوا جسرا ثانيا كبيرا من الروضة إلى الجيزة فى موضع الجسر القديم، ولكنهم لم يقيموا جسرا مواجها له فى موضع الجسر القديم بين ساحل مصر من أمام المدرسة الخروبية إلى الروضة [١].

ولكن ذلك الجسر الذى بين الروضة والجيزة لم يستمر سوى ثلاث سنوات، إذ ذكر «الجبرتى» أنه فى جمادى الآخرة سنة ١٢١٦/ ١٨٠١م قد تفكك الجسر المنصوب بين الروضة والجيزة وذلك من شدة الماء وتحللت رباطاته وانتزعت مراسيه وانتشرت أخشابه وتفرقت سفنه وانحدرت إلى بحرى [٢].

ويتأكد لنا من خلال ما يذكره «الجبرتى» عن عدم وجود الجسر الذى كان دائما موجودا بجنوب جزيرة الروضة بينها وبين مصر بجوار موقع المدرسة الخروبية إذ يذكر أن إبراهيم باشا بن محمد على عندما وصل إلى مصر فى شهر صفر سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م بعد انتصاراته على الوهابيين أقام بقصر شريف بك بالروضة بشاطئ النيل تجاه الجيزة وعند وصوله عملوا له جسرا من الروضة إلى ساحل مصر القديمة على مراكب من البر إلى البر وردموه بالأتربة من فوق الأخشاب [٣].

أما الكبارى الحديثة على نيل القاهرة فقد عرفت أيام الخديو إسماعيل باشا (١٢٨٠ ـ ١٢٩٧هـ/ ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩م) الذى أنشأ (كوبرى) قصر النيل وهو أقدم كوبرى أنشىء فى العصر الحديث ليصل البر الشرقى بجزيرة الزمالك، وقد نفذته شركة فرنسية ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، أما كوبرى الجلاء (كوبرى الإنجليز سابقا) المواجه له الذى يصل بين الجزيرة والدقى فقد أقامته شركة إنجليزية سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م.

أما كبارى الروضة وهما كوبرى الملك الصالح وكوبرى الجيزة فقد أنشأهما الخديوى عباس حلمى الثانى (١٣١٠ ـ ١٣٣٣ هـ/ ١٨٩٢ ـ ١٩١٤م) وذلك فى سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م [٤].

---

(١) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٢٦٧، جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٣٣٤.

(٢) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٤٩٩.

(٣) نفس المصدر، جـ٣، ص ٦٠٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن الكبارى الحديثة، انظر: عبد الرحمن زكى، موسوعة مدينة القاهرة، ص ٢٣٦، فؤاد فرج، القاهرة (٣ أجزاء، ط دار المعارف، ١٩٤٦) جـ٢، ص ٣٨٨، محمد كمال السيد، أسماء ومسميات، ص ٤٩٩ ـ ٤٥٠.

ثالثا : الجزيرة الوسطى (جزيرة الزمالك)

كانت الجزيرة الوسطى من أجمل متنزهات مصر فى العصرين المملوكى والعثمانى وقد تكونت هذه الجزيرة وظهرت للوجود نتيجة اتصال جزيرتين هما جزيرة أروى جنوبا وجزيرة حليمة شمالا (شكل ٢٠).

وقد قال «المقريزى» عن موقع جزيرة أروى واسمها «هذه الجزيرة تعرف بالجزيرة الوسطى لأنها فيما بين الروضة وبولاق وفيما بين بر القاهرة وبر الجيزة لم ينحسر عنها الماء إلا بعد سنة سبعمائة »[١].

وعن تعميرها قال « . . وبنى الناس فيها الدور الجليلة والأسواق والجامع والطاحون والفرن، وغرسوا فيها البساتين وحفروا الآبار وصارت من أحسن متنزهات مصر، يجف بها الماء ثم ينكشف ما بينها وبين بر القاهرة فإذا كانت زيادة النيل أحاط الماء بها وفى بعض السنين يركبها الماء فتمر المراكب بين دورها وفى أزقتها»[٢].

وقد تأثرت مساكن هذه الجزيرة بالأحداث التى بدأت سنة ٨٠٦هـ والتى نتجت عن نقص النيل، وأعقبها فتن كثيرة، ولكن المقريزى قال « . . . وفيها إلى اليوم بقايا حسنة »[٣].

أما عن جزيرة حليمة فقال «المقريزى» عن موقعها وتاريخها « هذه الجزيرة خرجت فى سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م ما بين بولاق والجزيرة الوسطى سمتها العامة حليمة »[٤]. وقد صارت الجزيرة متنزهًا عظيمًا نصب فيها الناس الأخصاص (العشش) وزرعوا ما حول هذه الأخصاص بالزهور والرياحين والمقاثى (البطيخ والشمام والخيار والقثاء . . الخ) واتجه أرباب الخلاعة والمجون إليها وتهتكوا بأنواع المحرمات فارتفعت قيمة الأرض بها[٥].

وذكر «المقريزى» كثرة المتنزهين بالجزيرة فقال « . . . وتردد إلى هذه الجزيرة أكثر الناس حتى كادت القاهرة أن لا يثبت بها أحد »[٦].

وقد اتصلت الجزيرتان « أروى وحليمة» بواسطة طرح النيل وصارتا جزيرة واحدة هى الجزيرة الوسطى التى يعرف الجزء الجنوبى منها الآن باسم الجزيرة، والجزء الشمالى باسم

---

(١) الخطط، جـ٢، ص ١٨٦. (٢) نفسه. (٣) نفسه.

(٤) نفسه . ذكر الباحث «سامى نوار» أن جزيرة حليمة نشأت سنة ٧٤٩هـ نتيجة حفر منجك خليج موردة الحلفا من رأس موردة الحلفا تحت الدور إلى بولاق انظر : المنشآت المائية، ص ١٧٧، ولكن هذا يناقض كلام المقريزى وغيره من المؤرخين الذين ذكروا أن جزيرة حليمة ظهرت سنة ٧٤٧هـ أى قبل حفر منجك لخليج موردة الحلفا بستين، ثانيا كان موقع جزيرة حليمة شمال الجزيرة الوسطى أى ما بين بولاق والجزيرة الوسطى بينما خليج موردة الحلفا كان يبدأ من مصر القديمة أمام جزيرة الروضة وتسير بقيته موازية للجزيرة الوسطى.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص١٨٦، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢٩.

(٦) الخطط، جـ٢، ص ١٨٦.

الزمالك ، ويبدو أن هذا الاندماج قد حدث فى العصر العثمانى فى نفس الوقت الذى اندمجت فيه جزيرتا الذهب والصابونى [١] .

وهذه الجزيرة طولية الشكل وهى من جزر غرب المجرى وتتبع من الناحية الادارية قسم قصر النيل بمحافظة القاهرة وتبلغ مساحتها خمسمائة وخمسة عشر فدانا [٢] .

ويتضح من خريطة الحملة الفرنسية أن الجزيرة وقعت عليها باسم جزيرة بولاق الكبيرة أو جزيرة القرطية (نسبة إلى القرط وهو البرسيم الذى كان يزرع لها) . وبالشمال منها جزيرة صغيرة تسمى جزيرة عازر، أما فى الجنوب منها فتقع فى جزيرة صغيرة أيضا تسمى جزيرة مصطفى أغا، ثم اتصلت تلك الجزر بعضها ببعض فيما بعد وعرفت باسم الجزيرة الكبيرة أو جزيرة بولاق لمواجهتها لبولاق أو الجزيرة الوسطى ثم عم عليها أخيرا اسم جزيرة الزمالك .

وقد تعرضت مساحة وشكل الجزيرة للتغيير الذى ترتب على تحويل مجرى النيل سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م ليكون الفرع الرئيسى له هو الفرع الشرقى بدلا من الغربى وذلك لأن النيل تسلط حينئذ على الجزء الجنوبى من الجزيرة الذى كان قريب الاتصال بجزيرة الروضة أيام التحاريق وكذلك على الساحل الشرقى منها تجاه بولاق وأخذ منها جزءا، ونتج عن تحويل المجرى اتساع النيل تحت بولاق واستمرار وجود الماء تحتها طول أيام السنة، والأرض التى أكلها البحر من الجزيرة نقلها إلى الجهة الشمالية منها [٣] وقد كانت الجزيرة قبل ذلك المشروع تبدو وكأنها متصلة بالضفة الغربية للنيل، ومنذ ذلك الإصلاح أصبح الساحل الغربى للجزيرة أكثر استقامة نتيجة إقامة التكسيات الحجرية التى تحميه [٤] .

العمران بالجزيرة :

بالرغم من أن الجزيرة غلب عليها النشاط الزراعى فى أغلب تاريخها إلا أنها حفلت فى بعض فترات العصر المملوكى بالنشاط المعمارى، ويتضح الحرص على العمران بها منذ ظهورها أن الطواشى مثقال خادم تذكار ابنة الملك الظاهر بيبرس أنشأ جامعا بها ذكر المقريزى أنه عامر إلى أيامه (توفى المقريزى سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) [٥] .

---

(١) انظر ما سبق ، ص ٦٤ .

(٢) تقرير من وزارة الأشغال، سعاد جمال الدين، الجزر النيلية، ص ٧١، ٣٨٢، بينما ذكر الباحث عبد القادر عبد العزيز فى رسالته «استخدام الأرض فى الجزر النيلية» ص ٢٨ أن مساحة الجزيرة ٦٠٧ فدان .

(٣) محمد رمزى، الجغرافيا التاريخية لمدينة القاهرة، ص ٥٢٢ .

(٤) سعاد جمال الدين، الجزر النيلية، ص ٣٨٦ .

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٢٥ ، ابن دقماق، الانتصار، جـ٥، ص٤٥، وقد حقق المرحوم الأستاذ محمد رمزى موقع هذا الجامع فذكر أنه هو المجدد حتى الآن والذى يعرف حاليا بجامع الجزيرة فى حديقة النهر «أسفل كوبرى ٦ أكتوبر حاليا». انظر : تعليقه على النجوم، جـ٩، ص ٢٠٦ .

ومما يدل على كثرة العمارة بالجزيرة فى العصر المملوكى أن السلطان إينال (٨٥٧ ـ ٨٦٥ هـ/ ١٤٥٣ ـ ١٤٦١م) أمر فى يوم ١٣ جمادى الأولى سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م، بالمناداة بأن أحدا من الناس لا يعمر عمارة بجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى ولا بساحل بولاق لما رأى من ضيق الطريق من كثرة العمائر والأخصاص وأمر أيضا بهدم أماكن كثيرة فهدمت فى اليوم المذكور» [١].

ولكن التعمير ظل قائما بالجزيرة بقية العصر المملوكى [٢]، وكان للسلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى حمام كبير بالجزيرة [٣].

وكانت الجزيرة على أحسن ما تكون من الحركة والنشاط بها فى أيام فيضان النيل، ولكن أحيانا ما يطغى الفيضان عليها فتغرق بيوتها وأخصاصها وزراعاتها فتهجر حينئذ، بالإضافة إلى عوامل أخرى تؤثر سلبيا على الجزيرة مثل الاضطرابات والصراعات السياسية والعسكرية التى تكون الجزيرة مسرحا لها، فعلى سبيل المثال ذكر «ابن إياس» أن من العجائب أنه فى شعبان ٩٢١ هـ أن مع وجود علو النيل وثباته لم يسكن فى الجزيرة الوسطى ولا بيت واحد ولم يفتح فيها دكان ولم يعمل بها مقصف للمتفرجين، ولم يعلم ما سبب ذلك ولكن أشاعوا أنه سكن الجزيرة عدة مناخات لابن السلطان (الغورى) والأمراء فخشى الناس أن يسكنوا الجزيرة من النفر الذى هناك، فهذا كان السبب فى منع الناس من سكن الجزيرة» [٤].

ويبدو أن سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م كانت بداية النهاية للتطور العمرانى للجزيرة ذلك أن السلطان الغورى أمر بسد خليج الزربية بجسر عند قنطرة موردة الجبس [٥] مما أثر على الحركة إلى الجزيرة.

وكانت الطامة الكبرى للجزيرة فى أثناء الغزو العثمانى لمصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م فقد تعرضت للخراب التام وتلاشى أمرها يومئذ وخلت بيوتها من السكان وقد كانت من أجل مقترحات مصر فقد نزلت العساكر العثمانية فى بر الجزيرة على رملة البحر وصاروا يخربون بيوتها حتى لم يبق بها إلا الجدر وقد نقل أصحاب الأملاك السقوف والأبواب والطيقان فخربت بالكلية من يومئذ وانقطع الرجاء من عمارتها ثانيا [٦].

وكان من جراء ما سبق أن ساد النشاط الزراعى فى الجزيرة فى العصر العثمانى فعمرت بالبساتين والحقول.

---

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص ١١٨.
(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ٢٧٠.
(٣) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.
(٤) بدائع الزهور، جـ٤، ص ٤٧٣، ٤٧٨.
(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ١٩٦، ٢٧٠.

وفى القرن ١٢هـ/ ١٨م أقام العديد من الأمراء البساتين والقصور مثل الأمير عثمان كتخدا القاردوغلى [١] والأمير عبدالرحمن كتخدا الذى اقام بستانا على مساحة سبعة أفدنة وقصرا على مساحة فدانين ونصف [٢].

وقد رسمت الجزيرة فى خرائط الحملة الفرنسية كحقول وبساتين ، وقد اهتم الفرنسيون بها وجعلوا الجزيرة الصغيرة المسماة جزيرة عازر المواجهة لامبابة محجرا صحيا إلا أنه لم يستمر بعد ذلك [٣].

وقد بدأت العمارة تعود مرة أخرى للجزيرة أيام محمد على الذى أنشأ بها فى سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م قصرا بين المزراع فى الجهة الشمالية منها وقد اتخذه للنزهة ، وكان بالقرب من هذا القصر زمالك (عشش) يصطاف فيها رجال حاشيته وعساكر حرسه فعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم الزمالك ، كما بدأت القصور الفخمة تعرف طريقها للجزيرة وأصبحت من أرقى الأحياء بمصر بما أنشىء بها من القصور ذات البساتين والعمارات الفاخرة والحدائق الكبيرة والأندية الرياضية والاجتماعية والفنادق والمعارض والقصور الثقافية ، وصارت الجزيرة مقر السكنى الأول للطبقة الارستقراطية فى مصر فى عصرها الحديث .

صناعة السفن بالجزيرة:

نظرا لاهتمام دولة المماليك فى بعض فتراتها بالبحرية والأسطول لذا فقد شهدت الجزيرة الوسطى نشاطا بحريا كبيرا فازدهرت بها صناعة السفن والمراكب وخصوصا الحربية منها مثل مراكب الأغربة والشوانى والطرايد[٤]، وكانت أيام صناعتها وتدشينها من أبهج وأنزه أيام مصر ، وكان الناس يأتون إلى الجزيرة من جميع أنحاء القاهرة للفرجة عليها وهى ذاهبة للغزو أو لعمل المناورات والتدريبات البحرية .

ومن أمثلة ذلك تلك الشوانى الحربية وعدتها مائة مركب ما بين غربان وطرايد والتى صنعت سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م لتقوم بحملة على جزيرة قبرص وغيرها من البلاد الأوربية ردا على الغزو البحرى من الفرنج الذى تعرضت له مدينة الاسكندرية فى السنة السابقة [٥] .

(١) كتاب وقف عثمان كتخدا رقم ٢٢١٥ أوقاف، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٢) كتاب وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف. وقد ورد فى وثائق وكتب وقف الأمير عبد الرحمن كتخدا أن الأرض التى أقام عليها البستان والقصر كانت جارية فى وقف الأمير يشبك بن مهدى الدوادار وحتى تاريخ كتاب الوقف أى سنة ١١٥٧هـ كان يجاور بستان وقصر عبد الرحمن كتخدا أرض جارية فى أوقاف أولاد السلطان بيبرس وكذلك أرض فى وقف الأمير أزبك الاتابكى ، وكان يجاور بستان عبد الرحمن كتخدا أرض زراعية جارية فى وقف السلطان مراد خان والأمير إسماعيل بك وغير ذلك.

(٣) جومار ، وصف مدينة القاهرة. ص ٣٤٢.

(٤) عن هذه السفن، انظر: سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية، ص ٣٥٢ـ٣٥٩.

(٥) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ١١٣، ١٢٩، ١٣٠ ، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ، ق٢، ص٢٧، ٢٨، ٤٤، ٤٥، ٤٦.

وكذلك تم فى أيام السلطان اينال (٨٥٧ ـ ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ ـ ١٤٦١م) عمارة مراكب أغربة بالجزيرة الوسطى وذلك القيام بحملة على جزيرة قبرص، وقد أقيمت إحتفالات كبيرة بتلك المناسبة [١].

وظلت السفن تعمل بالجزيرة بعد سقوط دولة المماليك وتبعية مصر لسيادة الدولة العثمانية فقد ذكر « ابن إياس» أنه فى رجب سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م توجه ملك الأمراء (خاير بك) إلى الجزيرة الوسطى وسبب ذلك أن الأمير تنم الناظر على وقف الدشيشة [٢] التى ترسل إلى الحرمين الشريفين كان قد صنع هناك مركبا كبيرا لحمل الدشيشة وكان طولها مائة وعشرين ذراعا وبها فرن وطاحون وصهريج للماء الحلو ومقعدو مبيت واسطبل للخيل فعرضها على ملك الأمراء ثم فك أخشابها وأرسلها على ظهور الجمال إلى الطور ومن هناك يرسلها إلى البحر المالح [٣].

رابعا : جزيرة الوراق

كانت جزيرة الوراق منتزهًا كبيرًا فى بداية العصر المملوكى لأنه كان يحتفل بربوعها إلى جانب النيل وشبرا المواجهة لها بعيد الشهيد الذى كان يمثل مهرجانا شعبيا آنذاك [٤].

وجزيرة الوراق ذات شكل بيضاوى تقع فى وسط مجرى النيل وتتبع من الناحية الإدارية مركز امبابة محافظة الجيزة.

وهذه الجزيرة من أكبر الجزر النيلية إذ تبلغ مساحتها ١٥٤٠ فدانا [٥]، وتدل حالتها على أنها مقتطعة من رأس الدلتا [٦].

وجزيرة الوراق من النواحى القديمة واسمها الأصلى جزيرة الأسل وكانت من الأعمال الجيزية [٧]. وقد عرفت بجزيرة الوراق نسبة لمواجهتها لناحية الوراق التى بالبر الغربى للنيل.

والنشاط الغالب على هذه الجزيرة الآن النشاط الزراعى فقط.

(١) ابن إياس، نفس المصدر، جـ٢، ص ٣٦٢.
(٢) الدشيشة هى القمح المجروس أى الذى يطحن غليظا.
(٣) بدائع الزهور، جـ٥، ص ٣٩٩.
(٤) عن هذا العيد بالتفصيل انظر ما يلى، ص ٥١٥.
(٥) عبد القادر عبد العزيز، استخدام الأرض فى الجزر النيلية، ص ٢٩.
(٦) نفسه، إبراهيم زرقانه، قمة دلتا النيل وتغير مواضعها منذ أقدم العصور البشرية حتى الوقت الحاضر، مجلة آداب الاسكندرية، المجلد الرابع، ١٩٤٨م، ص ٢٩.
(٧) ابن الجيعان، التحفة السنية، ص ١٤٣.

الفصل الثالث
البرك

تعتبر برك القاهرة من أعظم متنزهات مصر طوال تاريخها الإسلامى حتى منتصف القرن الماضى ، وقد تمتعت بأهمية كبيرة فى العصرين المملوكى والعثمانى على وجه الخصوص .

والبرك فى اللغة لها نفس مدلولها الحالى فهى «مستنقع الماء وهى شبه حوض يحفر فى الأرض ، وقد سميت بذلك لإقامة الماء بها» . (١)

ومن البرك ما هى طبيعية مثل بركة الرطلى وبركة الفيل حيث كان منسوب أرضها منخفضاً عن منسوب باقى أراضى القاهرة فتمد بالماء زمن الفيضان فتصير بركاً ، ومنها ما هى صناعية مثل بركة بطن البقرة (الازبكية) التى استنبطها الخليفة الفاطمى الظاهر وبركة الناصرية التى استنبطها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، كما أمتدت الأيدى البشرية للبرك الطبيعية فى العصر المملوكى بالاعتناء بها والاهتمام بحفرها وبناء الجسور عليها وغير ذلك ، وقد ترتب على ذلك أزدياد العمران حولها لذا فقد نمت القاهرة حينئذ نمواً عظيماً ، وظلت بالكاد على مساحتها فى العصر العثمانى .

وكان مجتمع أحياء القاهرة مجتمعاً متميزاً ، تميز سكانه بمكانتهم الرفيعة فى المجتمع إلا أن البرك كانت موضع تنزه القاهريين جميعاً باختلاف طبقاتهم وأجناسهم وعقائدهم ، وكانت موضعًا متميزاً لاحتفالاتهم ومواسمهم .

وكانت لبرك القاهرة أهمية اقتصادية كذلك ، فقد كانت عبارة عن أراضى زراعية منخفضة المستوى تملأ بماء النيل وقت الفيضان ، وبعد ذلك تزرع بمحاصيل شتوية ، وكانت تلك الأراضى من أخصب الأراضى ولا تحتاج لمجهود كبير لحرثها وزرعها ، بالاضافة للنشاط التجارى والسياحى الكبير الذى تكون عليه زمن الفيضان .

وكانت البرك تجرى فى أوقاف السلاطين والأمراء وغيرهم من ذوى المكانة الرفيعة فى المجتمع ، مثل بركة الفيل التى كانت ضمن أوقاف الظاهر بيبرس ، وكذلك كانت بركة الحبش وقفاً على السادة الأشراف أبناء الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

---

(١) انظر مادة بركة فى : لسان العرب لابن منظور ، مختار الصالح للرازى ، والمخصص لابن سيده .

وقد أمكننى حصر عشرين بركة بالقاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى ، ذكر «المقريزى» اربع عشرة بركة فقط ، وعملت دراسة طبوغرافية لهم ، وكذلك تتبعت تاريخها وتطورها ودورها فى عمران القاهرة . وهذه البرك مرتبة من الجنوب إلى الشمال كالتالى :

بركة الحبش

تعتبر بركة الحبش أقدم بركة بالقاهرة ذكراً بالتاريخ ، وظلت على مدى التاريخ الإسلامى من أهم متنزهات مصر .

أسماءها :

عرفت هذه البركة بعدة أسماء ففى صدر الإسلام عرفت ببركة المعافر ، كما عرفت أيضاً ببركة حمير نسبة لقبيلتين عربيتين نزلتا حولها زمن الفتح الإسلامى لمصر . [1] ، كما عرفت أيضاً باصطبل قرة [2] نسبة إلى قرة بن شريك العبسى الذى ولى مصر من سنة ٩٠ هـ إلى سنة ٩٦ هـ الذى أهتم بها وغرسها قصباً ، كما عرفت أيضاً باصطبل القامش أى القصب الذى كان يزرع بها . [3]

أما عن اسم بركة الحبش فهناك رأى ينسبها إلى الجنان الواقعة قبلى البركة وهى منسوبة إلى قتادة بن قيس بن حبشى الصدفى الذى شهد فتح مصر ، والجنان تعرف بالحبش وبه تعرف بركة الحبش [4]. أما الرأى الآخر فيذكر أن البركة عرفت بالحبش لأنها من ضمن أملاك طائفة من الرهبان الحبش، وقد حدث أن صادر أحمد بن طولون البطريق ميخائيل بطرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار لذلك باع النصارى بعض أملاكهم ومنها أرض الحبش بظاهر مصر ، وكذلك الكنيسة المجاورة للمعلقة بقصر الشمع بمصر التى باعوها لليهود . [5]

كما عرفت البركة فى العصر الفاطمى وما يليه بأسم بركة الاشراف نسبة إلى الأشراف من نسل على بن أبى طالب الذين جرت البركة فى أوقافهم . [6]

---

(١) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٥٥ ، المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ .

(٢) نفس المصدرين والصفحتين .

(٣) نفسهما .

(٤) نفسهما .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ، ، ابو صالح الأرمنى ، كنائس وأديرة مصر ، ص ٥٤ - ٥٥ .
وهذه الكنيسة المذكورة أعلاه هى المعروفة الآن بالمعبد اليهودى المجاور لكنيسة الست بربارة بحصن بابليون .

(٦) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ ، ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٥٥ .

موقعها وحدودها ومساحتها :

ذكر «المقريزى» أن «بركة الحبش تقع ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل»(١) . كما ذكر أيضاً عن ابن يونس فى تاريخه «... أن قبلى بركة الحبش جنان تعرف بقتادة بن قيس بن حبش الصدفى وأن الحد البحرى ينتهى إلى البئر الطولونية وإلى البئر المعروفة بموسى بن أبن خليد ، وهذه البئر هى المعروفة بالنعش» (٢) ، كما ذكر أيضاً نقلاً عن أبن المتوج «... أن البركة وقف الاشراف الطالبيين وهذه البركة حدودها أربعة ، الحد القبلى ينتهى بعضه إلى أرض العدوية بفصل بينهما جسر هناك وباقية إلى غيطان الوزير والحد البحرى ينتهى بعضه إلى أبنيه الآدر التى هناك المطلة عليها وإلى الطريق وإلى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الشعيبية ، والحد الشرقى إلى حد بساتين الوزير المذكورة ، والحد الغربى ينتهى بعضه إلى بحر النيل وإلى أراضى دير الطين وإلى بعض حقوق جزيرة ابن الصابونى وجسر بستان المعشوق الذى هو من حقوق الجزيرة المذكورة» . (٣)

بتحليل تلك النصوص يتبين من النص الأول أن بركة الحبش كانت تقع جنوبى مدينة الفسطاط فيما بين الجبل والنيل ، وهذا الجبل المقصود به جبل المقطم الذى كان يحيط بالبركة من الجهتين الشرقية والشمالية ، فأما الجهة الشرقية فعلى شكل هضبة أقيم على بعضها قرية البساتين القديمة ، وأما الجهة الشمالية فتمثل هضبة اسطبل عنتر حالياً وكان الجزء الغربى منها يمثل هيئة جبل كان يسمى قديماً الرصد .

ومن تحليل النص الثانى نجد أن الحد القبلى أى الجنوبى للبركة كانت حدائق وبساتين ، وأن الحد البحرى (الشمالى الشرقى) ينتهى إلى البئر الطولونية ، وإلى بئر النعش ومن حسن الحظ أن البئر الطولونية لا تزال موجودة حتى الآن بحى البساتين جنوب القاهرة وتسمى الآن بير أم سلطان ، وهى تمثل مأخذ مياه للقناطر التى أنشأها أحمد بن طولون والتى لا يزال الجزء الجنوبى منها باقياً بالبساتين الآن . أما البئر المعروفة بالنعش فقد ذكر «على باشا مبارك» أنها كانت موجودة أيامه فى حوض عفصه من أراضى البساتين (٤) ، وهذا الحد البحرى يمثل من الجهات الأصلية الجهة الشمالية الشرقية.

ومن تحليل النص الثالث يتبين أن الحد القبلى أى الجنوبى للبركة ينتهى بعضه إلى أرض العدوية أى أرض المعادى حالياً (٥) ، والبعض الآخر ينتهى إلى أراضى وغيطان تابعة

---

(١) الخطط ، جـ ٢ ص ١٥٢ . (٢) نفسه ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٥٥ .
(٣) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ . (٤) الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٣٧٢ .

* وهذه البئر كانت تقع غربى البئر الطولونية ، وقد وضع عليها ساقية لرى أراضى البساتين وقد رأيتها وقد تحولت الأراضى الزراعية لمبانى سكنية الآن .

(٥) المعادى : كانت قرية قديمة تعرف باسم منية السودان كانت بين بركة الحبش وطرا ، وبها دير على النيل يسمى دير العدوية ، نسبة إلى سيده مغربية تسمى العدوية فسميت الناحية حينئذ بناحية العدوية. ولا يزال هذا الدير مجدداً فى موقعه حتى الآن على كورنيش النيل بالمعادى ويسمى الآن كنيسة العذراء . انظر : ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٥ ، ص ٤٣ ، ، محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، جـ ٣ ، ص ١٧ ، ، سعاد ماهر ، القاهرة القديمة وأحياؤها (سلسلة المكتبة الثقافية ، رقم ٧٠) ص ١٢٢ - ١٢٤ .

للبساتين [١] ، والحد البحرى أى الشمالى ينتهى بعضه إلى بيوت كانت هناك والبعض الآخر إلى بركة الشعيبية التى كانت تقع شمال بركة الحبش ، والحد الشرقى كانت به بساتين الوزير ، والحد الغربى ينتهى بعضه إلى نهر النيل والبعض الآخر إلى أراضى دير الطين [٢] ، أى دار السلام حالياً وإلى بعض حقوق جزيرة الصابونى [٣] وجسر بستان المعشوق ويمثله الآن الطريق الزراعى بين أثر النبى والمعادى .

- ونخلص مما سبق أن موقع بركة الحبش حتى منتصف هذا القرن كان يمثله أراضى زراعية كانت تقع فى زمام قرية دير الطن (حى دار السلام حالياً) ، وزمام قرية البساتين (حى البساتين حالياً) ، وكانت تقدر بألفين ومائتى فدان منها مائتين وثلاثة عشر فداناً كانت تتبع قرية دير الطين ، والباقى فى زمام البساتين ، وكانت هذه المنطقة تحد من الجنوب بأراضى ناحية البساتين ومن الشرق قرية البساتين ومن الشمال جبانة مصر التى كانت تسمى بالقرافة الكبرى ، وجبل الرصد وتعرف حالياً باسطبل عنتر وأرض قرية أثر النبى فى الحد الفاصل بينها وبين دير الطين (دار السلام) ومن الغرب كان يحدها جسر النيل الواصل بين دير الطين (دار السلام) وبين المعادى ويمثله اليوم الطريق الزراعى . [٤] (شكل ٢٣) .

وقد قدر «ياقوت الحموى» طول بركة الحبش بنحو ميل [٥] ، بينما ذكر «ابن دقماق» أن البعض

---

(١) البساتين : كانت قرية قديمة تعرف ببساتين الوزير ، وقد نسبت إلى عدة وزراء ، فقد ذكر «ابن دقماق» (أنها تنسب إلى الوزير ابى الفرج يعقوب بن كلس وزير الخليفة الفاطمى العزيز ، ويقال أنها منسوبة إلى الوزير محمد بن على المادرائى وقيل أنها منسوبة إلى الوزير أبى الفضل ابن الفرات المعروف بابن خنزابه وزير كافور ، وهى سبعة بساتين). أنظر : الانتصار ، جـ ٤ ص ٥٧ .

وقد ذكر «المقريزى» «أنها تنسب إلى الوزير ابى الفرج محمد بن جعفر المغربى وزير المستنصر الذى مات سنة ٤٧٨هـ وأنها تقع قبلى بركة الحبش ، وفيها مساكن وبساتين كثيرة وبها جامع تقام فيه الجمعة» .

الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ .

وأقول أن القرية القديمة لا تزال واقعة على تل مرتفع يتوسط الآن حى البساتين جنوبى القاهرة .

(٢) دير الطين : من القرى القديمة على شاطىء النيل وكانت تقع غربى بركة الحبش ، ودير الطين نفسه كان لرهبان الحبش الذى تنسب إليهم بركة الحبش ، وقد ذكر محمد رمزى «أن الاراضى الزراعية التابعة لها كانت مقدرة فى دفاتر المكلفات والأموال باسم بركة الحبش التى كانت من الضواحى القديمة من عهد الفتح العربى . انظر : القاموس الجغرافى فى جـ ٢ ق٣ ص١٤ وقد عرفت دير الطين منذ حوالى منتصف هذا القرن باسم دار السلام وتحولت أراضيها إلى مبانى .

(٢) عن جزيرة الصابونى ، أنظر ما سبق ، ص ٦٥ .

(٤) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص ١٥٠ . وأقول أن هذه الأراضى التى حددها محمد رمزى قد بنيت الآن عن آخرها بطريقة عشوائية .

(٥) معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥٩١ . يقدر الميل بـ ١٨٤٨ متر حالياً . أنظر : محمد كمال السيد ، أسماء ومسميات ، ص ٣٧ ، حاشية ١ .

قدر مساحتها بألف فدان [١] ، ويرجع الاختلاف فى مساحتها لتذبذب مستوى الماء فيها من وقت لآخر تبعاً لحالة الفيضان .

تاريخ البركة وإيقافها :

أما عن تاريخ البركة فنقول أن أول من أهتم بها هو الأمير قرة بن شريك العبسى الذى غرس بها قصباً ، ثم دخلت فى ملك أبى بكر المادرائى [٢] الذى كان وزيراً للطولونيين الذى ربما اشتراها من الرهبان الحبش ، وقد قام بوقفها فى سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م على بعض المنشآت المائية هى بئرين وقنطرتين وسرب ماء وقناطر ومجارى مائية قام بأنشائها سنة ٣٠٣ هـ أو ٣٠٤ هـ بالقرافة لخدمة القبائل القاطنة بها بالإضافة إلى بعض الأمور الخيرية الأخرى مثل المصرف على فقراء سكان القرافة من المعافر وغيرهم . [٣]

ثم استولى عليها الوزير الفاطمى الصالح طلائع بن رزيك (٥٤٩ هـ - ٥٥٦ هـ / ١١٥٤ - ١١٦١) وأوقفها على السادة الأشراف الحسينيين أحفاد الحسين بن على كرم الله وجهه . [٤]

وفى زمن الدولة الأيوبية شاركهم فيها أقاربهم الطالبيين ، وفى زمن الدولة المملوكية ثبت الوقف عليهم عدة مرات [٥] ، ثم استولى عليها النشو ناظر الخاص للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وعوض الأشراف عنها مالاً من بيت المال يصرف لهم سنوياً ، فلما مات الناصر محمد وتسلطن بعده ولده الملك المنصور أبو بكر فى ٢١ ذى الحجة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م بادر باعادة البركة إلى الأشراف وظلت وقفاً عليهم بعد ذلك [٦] ، وقد أراد السلطان الغورى أن يخرجها من أوقافهم [٧] إلا أن

---

(١) الانتصار ، جـ ٥ ص ٥٦ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن على المادرائى ، ولد بنصيبين سنة ٢٥٨ هـ ، وقدم إلى مصر سنة ٢٧٢ هـ ، وفى السنة التالية خلف أباه فى نظره أمور خمارويه بن أحمد بن طولون ، ثم استوزره هارون بن خمارويه (٢٨٣ هـ - ٢٩٢ هـ) إلى أن قدم محمد بن سليمان الكاتب من بغداد وأزال الدولة الطولونية سنة ٢٩٢ هـ وحمل رجالهم إلى العراق فكان منهم أبو بكر المادرائى ، ثم عاد مرة أخرى إلى مصر ودبر امرها وأمر ونهى ، وقد كان واسع الثراء محباً لأمور الخير وقد بنى العديد من المبانى الدينية والخيرية ، وقد صودر عدة مرات وكان قد حج ٢٧ حجة ، وقد توفى فى شوال سنة ٣٤٥ هـ . أنظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٣) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٥٥ - ٥٦ ، المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ .

(٤) نفس المصدرين والصفحتين .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ٣٩٠ .

(٦) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٥٥ ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٥٥٢ ، بن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٠ ، ص ٤ .

(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٤ ، ص ٢٦ .

ذلك لم يتم حسبما يتضح لنا من أحدى الوثائق العثمانية التى تبين استمرار وقف البركة على الأشراف [1].

وكانت البركة فى العصرين المملوكى والعثمانى تعتبر من أعمال مصر من جانبها القبلى [2] أى تتبع فسطاط مصر من الناحية الادارية .

تغذية البركة بالماء والزراعة بها :

كانت بركة الحبش تغذى بالماء عن طريق خليج بنى وائل [3] الذى يخرج من النيل جنوبى مصر القديمة مما يلى باب مصر الذى كان يعرف أيام المقريزى بباب القنطرة [4] من أجل قنطرة بنيت هناك. (شكل ٢٣) .

وكانت الأرض وقت أن يغمرها النيل تشبه البرك ولهذا سميت بركة كما ذكر ياقوت

---

(١) ورد فى الوثيقة المحفوظة بالباب العالى سجل ٦٣ ص ٣١١ و F ١٣٣٤ والمؤرخة بسنة ١٠٠٣ هـ «وقف أواضى بركة الجيش وفدان الشعيبية وغيط التجار بجوار البركة المذكورة وزرقه قليوب والتربيعة الكاينة بسوق أمير الجيوش والحانوت خارج السوق وهى من أوقاف ابو بكر المردانى على السادة الأشراف وجميع الطين الكاين بأراضى بلقس وكفورها الزاوية وكوم البحرى وهى من أوقاف السلطان طلائع بن رزيك الفايزى على السادة الأشراف وكانت تؤجر منه السنة ٣٥٠٠٠ نصف» .

(٢) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٥٥ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٥ .

* ذكر سامى نواو فى رسالته المنشآت المائية ص ١٧٥ ما نصه «أن خليج بنى وائل يمد بركة الشعيبيه بالماء من حدها الشمالى وكانت البركة تقع شمال بركة الحبش فعلى هذا لا يمكن أن يمد بركة الحبش بالماء لأنه يصب ببركة الشعيبية ويؤكد ذلك أن بركة الحبش كانت تصل لنهر النيل مباشرة بحدها الغربى ويفسر ذلك تحرك نهر النيل غرباً مع ردم بركة الشعيبية بحيث أصبح من الأسهل توصيل خليج بنى وائل بخليج الأشراف الخارج من بركة الحبش وبذلك أصبح خليج بنى وائل يخرج من نهر النيل ليصب فى بركة الحبش» .

* وهذا الرأى مناقض للواقع الذى يقول أن خليج بنى وائل هو نفسه خليج الأشراف ، كما أن بركة الحبش كانت تشرف على النيل بجزء من أراضيها ويفصلها عنه فى أغلب حدها قرية دير الطين والأراضى الزراعية التابعة لها مما يجعلها تحتاج إلى خليج بنى وائل ليغذيها بالماء ، كما أنه ليس من المعقول أن يصب خليج بنى وائل فى بركة الشعيبية المحدودة المساحة (٥٤ فداناً فقط) فلو كان هذا لغرقت المنطقة كلها وإنما حفر الخليج ليغذى بركة الحبش ذات المساحة الكبيرة (أكثر من ١٠٠٠ فدان) .

(٤) باب القنطرة كان يقع بسور مصر (الفسطاط) الذى بناه قراقوش وزير الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ، وكان واقعاً بالقرب من النيل ، وقد عرف بهذا الاسم نسبة للقنطرة التى تقع على يمينه والتى أقيمت على خليج بنى وائل والتى يرجع بناءها إلى زمن الخليفة الفاطمى العزيز بالله ، ويرى المرحوم «محمد رمزى» أنه كان واقعاً فى مدخل شارع الصغير عند تلاقيه بشارع أثر النبى فى الجهة الجنوبية من مصر القديمة . أنظر : المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٣٤٧، جـ٢ ، ص ١٦١ . ، محمد رمزى ، الجغرافيا التاريخية لمدينة القاهرة (عواصم مصر الاسلامية) ، مقالة بمجلة العلوم ، المجلد الخامس ، السنة التاسعة ، عدد نوفمبر / ديسمبر ١٩٤٢ ، ص ٦٥٨ .

الحمـوى [1]، وبعد أن ينتهى فيضان النيل ويصرف المـاءعنها تنكشف أراضيها ولا تحتاج إلى الحرث المينها بل تلاق لوقاً وتزرع أصنافاً شتوية أسوة بأرض الملق أى الأرض اللينة ، وقد كانت تزرع بالكتان والبرسيم والقصب وأصناف الورود وكانت تحف بها أشجار النخيل والرطب والأعناب وأشجار الجميز والأشجار الأخرى ، وكانت تزدهى بالحسن والنضارة . [2]

العمائر حول بركة الحبش :

بنيت حول بركة الحبش الدور والقصور والمناظـر والجواسق والجوامع والأديرة والكنائس منذ الفتح العربى لمـصر ، وكان العمران على أحـسن ما يكون فى العصـر الفاطمى وقد عاش المسـلمون وأهل الذمة فى وحدة واحدة فى الأحياء حول البركة حينئذ [3] . واستمرت البركة عامرة بعد ذلك فى زمن الدولة الأيوبية .

وفى بداية العصر المملـوكى وقع الاهتمام بعض الشىء باقامة منشآت دينية مثل الجوامع والأربطة على حدود البركة ، ومن أمثلة ذلك قيام الوزير الصاحب تاج الدين بن حنا [4] ببناء جامع سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م على حافـة البركة فى شـاطئـها الغربى بناحيـة دير الطين وقد جعل له خـطبة وأوقف عليـهـا أوقافاً [5] وذلـك عـند تعميـره بسـتان المعشـوق [6] بجـواره واقامـة المنـاظـر هـناك ، وفى هذا الجامع يقول الشاعر السراج الوراق :

بنيتـم على تقـوى من الله مسجداً ... وخـير مبانى العابـدين المسـاجد

فقـل فـى طـراز معلـم فوق بركة ... على حسنها الزاهى لها البحر حاسد[7]

كما سبق للصاحب تـاج الديـن أن انشأ أيضـاً رباطاً على بركة الحبش سنة ٦٦٨ هـ/١٢٦٩م [8] .

(١) معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٥٩٢ .

(٢) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ٦٨ ، محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٤ ، جـ٦ ، ٢٨١ - ٢٨٣ .

(٣) عن العمران حـول بركة الحبش فى العصر الفـاطمى ، انظر : محمـود الحسينى ، التطور العمرانى لـعواصم مصر الاسلامية - الفـسطـاط ، العسكر ، القطائع - حتى نهـاية العصر الفاطمى ، دكتوراه مخـطوطة ، (كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٧) ص ١٦٨ - ١٧٧ .

(٤) هو الوزير الصاحب تـاج الدين محمد بن الصاحب فخر الـدين بن الوزير الصاحب بهاء الدين عـلى بن سليم بن حنا، من أسرة عريقة تولت أرفع المناصب فخر الدين بن الـوزير الصاحب بهاء الدين على بن سليم بن حنا ، من أسرة عريقة تولت أرفع المناصب فى الدولة المملوكـية وكانوا أهل علم ودين وادب ، وقد ولد الصاحب تاج الدين سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢ م وتوفى سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م ودفن بالقرافة بمصر ، وهو الذى بنـى رباط الآثار . انظر: المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٤٢٩ .

(٥) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص ٧٨ .، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٦) عن بستان المعشوق ، انظر ص   من هذا البحث .

(٧) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .   (٨) نفسه ، ص ٤٢٧ .=

كما أقيم حول البركة فى العصر المملوكى بعض المنشآت التى أرتبطت بالتنزه فقد بنى الملك الناصر محمد بن قلاوون مسطبة لإطعام الطير بغرض الصيد هناك ، كما بنى ابنه أنوك منظرة وحوشاً لتربية الطيور كان يقضى اغلب أوقاته بها مع مغنيه قد شغف بها حباً [(١)] .

ويبدو أن العمران حول البركة بغرض السكنى قد توقف بعد فترة الازدهار الكبيرة التى عمت البلاد كلها زمن الناصر محمد بن قلاوون ، وخصوصاً أن مصر تعرضت لمحن وشدائد عظيمة منذ مطلع القرن التاسع فهجرت الإقامة حول البركة ، وهناك سبب آخر هو وقوع الاهتمام بعمارة القاهرة نفسها وبعد بركة الحبش عنها لذا فقد ظلت البركة موضع تنزه فقط بقية العصر المملوكى وفى العصر العثمانى .

بركة الشعيبية

تسميتها :

سميت بركة الشعيبية بهذا الاسم نسبة إلى بنى الشعيبية الذين بنو حولها فى زمن الدولة الايوبية والدولة المملوكية . [(٢)]

موقعها :

تلى هذه البركة بركة الحبش فى موقعها من الجنوب الشمال فهى تقع شمال بركة الحبش فيما بين الهضبة المسماة الرصد (اسطبل عنتر حاليًا) وبين جسر الأفرم [(٣)](الطريق الزراعى أمام أثر النبى حاليًا) .

وكان ماء النيل يأتيها من خليجين احدهما يقع قبليها (جنوبها) كان بجوار منظرة الصاحب تاج بن حنا المعروفة بمنظره المعشوق [(٤)] والخليج الآخر هو خليج بنى و اثل [(٥)] من شمالها والذى يغذى بركة الحبش .

= يرجع بناء الاربطة على البركة لانها امتداد للقرافة الكبرى التى كانت متنزهاً كبيراً فى العصر المملوكى ، وعن هذا الموضوع أنظر :محمد حمزة ، قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، ماجستير مخطوط ، (كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦)

(١) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٤٩٢ .

(٢) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٥٥ ، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩

(٣) ابن دقمان ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٥٥ ، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٨ وجسر الافرم كان بظاهر مصر فيما بين المدرسة المعزية برحبة الحناء (محلها الآن جامع عابدى بك على كورنيش النيل بمصر القديمة) وبين رباط الآثار . المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥, والأفرم هو الأمير عز الدين ايبك بن عبدالله الصالحى المعروف بالأفرم الكبير ، كان من كبار امراء دولة المماليك البحرية ، ومن أعماله جسر الافرم هذا ، كما بنى جامعاً ورباطاً على سفح هضبة الرصد (اسطبل عنتر حاليا) مطلين على بركة الحبش ، بناهما سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م إلى جانب اعماله على بركة الشعيبية . وقد توفى سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م . وعنه بالتفصيل انظر : ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص١٣٠ ـ ١٣٢

(٤) المعشوق هو بستان كبير كان مزروعا بالأشجار جنوبى الفسطاط من جملة خطة راشدة ، وقد آلت ملكيته عبر =

ويمثل موقع البركة الآن منطقة الزهراء بمصر القديمة [١]

مساحتها وحدودها :

تبلغ مساحة بركة الشعيبية أربعة وخمسين فدانًا [٢] ، أما حدودها فان الحد القبلى (الجنوبى) كان ينتهى بعضه إلى الجسر الفاصل بين هذه البركة وبين بركة الحبش ، وكان يوجد بهذا الجسر قنطرة يدخل الماء منها إلى بركة الشعيبية وباقى هذا الحد أرض ومباتى تخص مناظر المعشوق التى بناها ابن حنا [٣] ، أما الحد البحرى (الشمالى) فكان بعضه جسر يصل بين هذه البركة وبين بركة شطا التى تقع شمالها ، وكان هذا الجسر يعرف بجسر الحيات وكان فى هذا الجسر قنطرة تصل الماء بين البركتين [٤] وقد عرف هذا الجسر باسم جسر السنجارى [٥] عندما بنى منظرة عليه ، أما الحد الشرقى للبركة فكان ينتهى إلى الدور والأبنية التى بناها أعيان القضاة والكتاب على حافتها ، أما الحد الغربى فكان ينتهى إلى جرف النيل . [٦]

تاريخ وقف البركة والعمارة عليها :

كانت هذه البركة وقفا للمؤرخ ابن مماتى [٧] سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م ثم استأجر البركة الأمير عز

=الزمن إلى عدد من الوزراء والامراء منذ زمن الدولة الطولونية حتى دولة المماليك ، ففى زمن الطولونيين عرف بجنان كهمس بن معمر المتوفى ٣١١هـ ثم عرف بجنان المادرائى المتوفى ٣٤٥هـ ثم عرف باسم الأمير تميم بن المعز (أخو الخليفة العزيز بالله المتوفى ٣٧٤هـ) ، ثم جدده الوزير الفاطمى الأفضل بن أمير الجيوش فعرف به ، وفى زمن الدولة الأيوبية صار من وقف الشيخ الصابونى على بنية وعلى رباطه الذى كان مجاوراً لقبة الامام الشافعى ، ثم فى زمن الدولة المملوكية حكر أرضة الصاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر ووقفه على رباط الآثار . انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩ - ١٦٠

= (٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٨ - ١٥٩

(١) ذكر سامى نوار فى رسالته "المنشآت المائية" ، ص١٧٣ " أن بركة الشعيبية مكانها اليوم عين الصيرة : ولكن هذا الموقع ليس له أى علاقة بموقع بركة الشعيبية التى كانت تقع بمنطقة الزهراء

(٢) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٥٥ . ، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩

(٣) كان فى هذا الحد قديماً ترعة ردمها الصاحب تاج الدين بن حنا وأقام منشآته هناك .

(٤) كان فى هذا الحد أيضاً ترعة أخرى يجرى ماء النيل فيها إلى هذه البركة ثم ردمها الأمير عز الدين أيبك الأفرم بعد ذلك . المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩ .

(٥) هو بدر الدين يوسف بن الحسين بن على السنجارى نسبة إلى بلدة سنجار باقليم الجزيرة ، تولى قضاء المذهب الشافعى بالقاهرة سنة ٦٥٥هـ فى أثناء سلطنة الملك المنصور على ابن الملك المعز ايبك ، ثم تولى بعد ذلك منصب قاضى القضاة الشافعية ، وقد توفى فى رجب ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م . انظر . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٤٢ ، ٢١٩ .

(٦) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩ ، وقد ذكر المقريزى هذه الحدود القائمة أول العصر المملوكى نقلاً عن نصين لأبن المتوج بينهما فاصل زمنى . وقد وفقت بين النصين فى تعيين تلك الحدود .

(٧) انظر ترجمته فى : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٠

الدين أيبك الأفرم فحازها بالجسور والأسوار عن الماء وجعلها بستاناً غرس به الأشجار والكروم وحفر الآبار وزرع بها الشتول والخضروات ، وقد خصص من مساحتها خمسة أفدنة العمارة حولها ، وقد بنى أعيان المصريين من القضاة والكتاب الدور والمناظر حولها (١) ، وكان نتيجة لإقامة الأفرم لجسره الذى عرف أيضاً بجسر الشعيبية أن كثر السكان فى المنطقة حينئذ مما حدا بالأفرم أن يبنى مسجداً جامعاً على الجسر لخدمة سكان المنطقة فى سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م . (٢)

وقد تخربت الدور والمناظر حول البركة وعلى طول جسر الأفرم نتيجة للمحن التى ألمت بمصر فى بداية القرن ٩هـ / ١٥ م وقد ذكر المقريزى "أن البركة فى أيامه كانت مزارع وبساتين وغير ذلك"(٣).

وقد كانت البركة متنزهاً لأهالى مصر قبل تحويلها لبستان ، وكانت الشختاتير (٤) (مراكب النزهة) تدخلها ، وظلت موضع تنزه بعد تحويلها لبستان حتى تعرضت للتخريب والدمار ، وتحولت إلى كيمانات فى بداية القرن ٩ هـ/ ١٥م . (٥)

بركة شطا

الموقـــع :

كانت بركة شطا تقع شمال بركة الشعيبية ، وحدد "المقريزى" موضعها بقوله "هذه البركة موضعها الآن كيمان على يسرة من يخرج من باب القنطرة بمدينة مصر طالباً جسر الأفرم ورباط الآثار" . (٦)

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩ .

(٢) عرف هذا المسجد الجامع زمن المقريزى باسم جامع اللبان نسبة لإقامة الشيخ محمد اللبان الشافعى به ، وقد تخرب وما حوله عقب المحن التى حلت بمصر سنة ٨٠٦ هـ وكذلك لانحسار النيل عنه فبطلت منه الصلاة يوم الجمعة ، ولكن الجامع ظل قائماً بعد ذلك حيث ورد فى وثائق السلطان الغورى . انظر : ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٧٨ ، المقريزى ، جـ٢ ، ص٣٠٣ ، كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف ص ١٤٦ .

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٨ .

(٤) الشختاتير جمع شختور أو شختورة وهى مركب نيلى كان يستعمل للنزهة ، ويبدو مما ذكره المؤرخون عن استعماله فى النيل والبرك والخلجان بالقاهرة ومن صور الرحالة له أنه كان مسلوب الشكل مدبب الطرفين ، وكان طوله يتراوح بين خمسة وعشرة أمتار وعرضه من متر إلى مترين وكان له سار واحد وله من ستة الى عشرة مجاديف وكان شخص يقف فى مؤخرته بقائم طويل معه يحركه يميناً أو يساراً ، وكان بالجزء الخلفى منه كابينه خشبية (حجرة صغيرة) لها سقف مدبب فتح بكل جانب من جانبيها طاقات (نوافذ) عددها بين اثنين إلى اربعة لها ستائر تغطيها .

(٥) الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩ .

(٦) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١ .

وبناءاً علـى ذلك يمكن تحديد مـوقع هذه البركة الآن بـأنها تمثل الجزء الجـنوبى من خرطة الـشيخ مبارك شمال محطة الزهراء حالياً بمصر القديمة .

وكان الماء يدخل إلى هذه البركة عن طريقين ، الأول من خـليج بنى وائل بواسطة برابخ (أنابيب) والآخر عن طريق قنطرة تتوسط جسر الحيات [1] الفاصل بينها وبين بركة الشعيبية جنوبها [2] .

العمارة حول البركة فى العصر المملوكى :

كانت الدور تحيط بالبركة وكان بجـوارها بستان فيه منظرة ودرابة [3] . وطاحون وحمـام وبظاهر بابه حوض سـبيل كان القاضى مـخلص الدين الموقع المعـروف بالمخلص قد عمرهـم ، وكذلك كان يتوسط البركة مسجد يعرف بمسجد الجلالة يتوصل إليه من خلال قناطر . [4]

وقد تخربت الـدور والبساتين حول البركة فى الـقرن ٩هـ/ ١٥م نظراً لأنقطاع الماء عـنها وأصبح موضع البركة كيماناً [5] .

بركـــة قـــارون

الموقع والمساحة والحدود :

حدد "المقريزى" موقـع هذه البركة بقوله "هذه البـركة موضعها الآن فيما بين حـدرة ابن قميحة خلف جامع بن طولون وبين الجسر الأعظم الفاصل بين هذه البركة وبركة الفيل" . [6]

وحدرة ابن قميـحة ذكرها كلاً من ابن دقمـاق والمقريزى [7] ونستدل مـن كلامهما ومن مـسحنا

(١) ورد جسر الحيات باسم جسر الجنات فى كتاب الانتصار لابن دقماق ، جـ٤ ، ص٥٥ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١ ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٥٥ .

(٣) الدرابة نوع من الابواب الخشبية . انظر :

عبداللطيف ابراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار ، "بحث فى كتاب دراسات فى الآثار الاسلامية ، (القاهرة ، ١٩٧٩) ، ص٤٠٧ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١ ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٥٥ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١ .

* كان لانحـسار الماء عن الضفة الشرقية للنيل فى بدايـة القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى عظيم الأثر فى خراب الخطط والمنشآت الواقعة على الضفة الشرقية ، وبالتالى تأثرت البرك الثلاث المذكورة بذلك لصعوبة مدها بالماء عن طـريق خليج بنى وائل الـذى لم يهتم أحد بمده وتـنظيفه من أوله حـيث طغى الرمل عليـه ، بالاضافة للمحـن الاخرى التى ذكرها المقريـزى والتى بدأت سنة ٨٠٦هـ ، واذا كـنا قد رأينا عودة العمـران مرة أخرى أيام المؤيد شيخ للخطط المواجهة لجزيرة الروضة والجزيرة الوسطى فإن المنطقة جنوب الفسطاط والتى تشمل البرك الثلاث المذكورة أنفا لم تأخذ حظها من التعمير مرة أخرى .وانظر بالتفصيل الفصل الاول .

(٦) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١

(٧) نفس المصدر ، جـ١ ، ص٢٩٩ ، ٣٠٤ . الانتصار ، جـ٤ ، ص١٢٤ ، جـ٥ ، ص٤٥ .

للمنطقة أن حدرة ابن قميحة لا تزال على حالها حتى الآن ، وهى أرض منحدرة من تلال زينهم وينزل منها إلى شارع زينهم المتعامد على أول شارع زين العابدين (١) .

أما الجسر الأعظم (٢) فيقع مكانه الآن شارع مراسينا الذى يمتد من ميدان السيدة زينب حتى جامع سلار وسنجر الجاولى .

وعلى ذلك تبدو البركة فى زمن المماليك تشغل مساحة كبيرة تقدر بحوالى خمسة عشرة فداناً يحدها شرقًا حافة جبل يشكر وحدرة ابن قميحة وغربا كان يحدهـا بساتين وأرض حكرت فى زمن الناصر محمد بن قلاوون وبنى عليها ، وشمالا كان يحدها الجسر الاعظم .

ويمثل موضع البركة اليوم المنقطة الممتدة بين شارع زينهم الجديد جنوبا وشارع سلامة شمالاً وشارع الوابور شرقاً وحارة الشيخ البغال وسيدى زينهم غرباً .

أسماء البركة :

كانت بركة قارون تعرف أيضاً أيام المماليك باسم بركة الفيل الصغرى ، كما كانت تعرف أيضاً بأسم بركة قراجا (٣) ، وقد وقعها الرحالة نيبور الذى زار مصر سنة ١١٧٥ ـ ١١٧٦هـ/ ١٧٦١ ـ ١٧٦٢ م فى خريطته بأسم بركة أيوب بك ورمز لها بالحرف (y) نسبة لأيوب بك (٤) الذى كان يملك

---

(١) ذكر المرحوم "محمد رمزى" أن حدره ابن قميحة كانت واقعة على الحافة الغربية من جبل يشكر فى الجهة الجنوبية الغربية من قلعة الكبش ، ومكانها الآن الموضع المنحدر من تلول زين العابدين حيث ينزلون منها إلى خطى البغالة والمذبح فى نقطة تلاقى شارع العسكر بشارع امير الجيوش فى منطقة التلول المذكورة بقسم السيدة زينب بالقاهرة . انظر: تعليقة على النجوم ، جـ٧ ، ص١٩٧ .

* وإنى وإن كنت اتفق مع ما ذكره المرحوم رمزى عن موقع حدرة قميحة بشكل عام إلا أنى أرى ان التحديد الذى ذكرته اعلاه هو الذى قصده المقريزى عنها .

* كما لم يتوصل الباحث فهمى عبدالعليم إلى موضع الحدرة بالضبط حيث اعتقد انها تمثل أول طريق بيرم التونسى (سكة المذبح سابقاً) بمنطقة زينهم . انظر : العمارة الاسلامية ، (دكتوراه) ، ٧١ .

* والجدير بالذكر هنا أن "على باشا مبارك" اعتقد خطأ أن حدرة ابن قميحة هذه هى الحدرة الواقعة فى أول شارع قلعة الكبش بجوار جامع صرغتمش من الجهة الغربية (شارع الدحديرة الآن) . انظر : الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص٣١٨ .

* كما ان مصلحة التنظيم اطلقت اسم الحدرة على زقاق فى منطقة الغنامة بشارع السيدة عائشة جنوبى جامع البردبنى بقسم الخليفة وهذا خطأ أيضاً .

(٢) قال المقريزى عن الجسر الأعظم "ان هذا الجسر فى زماننا هذا قد صار شارعا مسلوكا يمشى فيه من الكبش إلى قناطر السباع واصله جسر يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل وبينهما سرب يدخل منه الماء وعليه أحجار يراها من يمر هناك" . الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١ .

(٤) كان ايوب بك من مماليك محمد بك أبوالدهب ، وقد وصفه الجبرتى بأنه كان خيراً ، وقد تولى أمرة الحج =

داراً وحوشاً على الشاطىء الشرقى للبركة ، ولاتزال المنطقة تعرف للآن بحوش أيوب بك أمام الساقية الأثرية .

وقد عرفت البركة فى العصر العثمانى بأسم بركة الملا ، وقد وقعت بهذا الاسم على خريطة الحملة الفرنسية [1] ، ثم عرفت بعد ذلك باسم بركة البغالة [2] ، نسبة لضريح ومسجد الشيخ البغال .

العمارة حول بركة قارون :

كانت البركة محفوفة بالعمائر والبساتين أيام الطولونيين والأخشيديين لأنها كانت داخلة ضمن نطاق وحدود مدينتى العسكر والقطائع [3] ، ثم خربت بخرابهما .

وفى بداية دولة المماليك البحرية كان ماحول البركة خالياً من المبانى وكان يقع غربها بستان كبير ، وابتدأ البناء حولها من سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون حيث عمت القاهرة الكبرى نهضة عمرانية كبيرة ايامه ، وأول من عمر حول البركة هو الأمير اقبغا عبدالواحد [4] الذى أتاح له الناصر محمد حكر أرض البستان الذى يقع غربى البركة فعمره وعرف بحكر أقبغا وأذن للناس بالنباء فيه فبنى فيه الأمراء والجند الدور والمساكن ، وسكن هناك عدد كبير من التتر والوافدين من أواسط آسيا فى ذلك الوقت وانتشأ بعمارة هذا الحكر سوق وجامع [5] واتصلت عمارة الحكر بعمارة خط قناطر السباع وخط السبع سقايات المجاورين له [6] . وكانت البركة وما حولها عامرة فى زمن المقريزى [7] (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٠م)

=فترة، وكان مهتما بالعلم والعلماء وقد توفى سنة ١٢١٥هـ . انظر: عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٤٥٣ ـ ٤٥٤، مظهر التقديس ، ص ٢٢٥ .

(١) انظر الخريطة تحت رقم ١٥٢ فى المربع 12 - X . (٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص٣١٩ .

(٣) عن بركة قارون زمن الطولونيين والاخشيديين ، انظر : Salmon G., Etudes Sur La Topographie du Caire- La Kal'at al- Kabchet la Birkat al Fil, IFAO le Cairo, 1902. محمود الحسينى ، التطور العمرانى لعواصم مصر الإسلامية .

(٤) هو الامير علاء الدين أقبغا عبدالواحد استدادار السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وقد وصف بالظلم ، واليه تنسب المدرسة الاقبغاوية التى على يسرة الداخل من باب الجامع الأزهر المعروف بباب المزينين ، وقد قتل سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣ م. انظر بالتفصيل المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٣ ـ ٣٨٦ .

(٥) المقريزى ، الخطط جـ٢ ، ١١٦ .

(٦) خط قناطر السباع يمثل موضعة الان منطقة ميدان السيدة زينب بالقاهرة ، اما خط السبع سقايات فكان يقع غرب خط قناطر السباع ومكانه الآن حارة السيدة زينب وفروعها وكان يمتد جنوباً حتى يصل إلى قرب قنطرة السد التى كانت تقع امام جامع الموارادى الآن بشارع الخليج المصرى (شارع بورسعيد) . وكان حكر اقبغا يمتد شمال غرب خطى قناطر السباع والسبع سقايات . ومن الاخطاء التى وقعت فيها مصلحة التنظيم أنها اطلقت اسم شارع السبع سقايات على شارع يصل بين شارع القصر العينى وسكة حديد حلوان غربى الخليج بينما كان خط السبع سقايات شرقى الخليج . انظر : محمد رمزى ، مذكر ببيان الاغلاط التى وقعت من مصلحة التنظيم فى تسمية الشوارع والطرق بمدينة القاهرة وضواحيها ، (ط دار الكتب ، ١٩٢٥) ، ص ١٢-١٣ .

(٧) المقريزى، الخطط جـ٢، ص ١٦١.

وكان لسلاطين المماليك عمائر ومنشآت تطل علـى البركة مباشرة كمنشأة المؤيد شيخ [١] وكذلـك فى المنطقة المحيطة بالبركة مثل منشآت قانصوه الغورى [٢] .

وفى العصر العثمانى استمر العمران قائماً حول البركة ، وكانت مساحتها تتناقص مع الزمن حيث كـان النـاس يقتطعــون أجـزاءاً منهـا ويبـنون عليها منازلهـم ، بالإضافة لتحويل مسـاحات منها لبساتين . [٣] وقد بقيت من البركة مساحة صغيرة أيام "على باشا مبارك" بغير بناء [٤] إلا أنها ردمت بعد ذلك وبنى عليها وبذلك زالت آثار البركة كلية .

بركة الحمصانى

هذه البركة لم يذكرها المقريزى وإنما ذكرت ببعض الوثائق ، ففى وثيقة المؤيد شيخ ورد أنه كان له بناء [٥] بخط الجسر الأعظم بظاهر القاهرة ، وعن حدوده ذكر "أن الحد القبلى ينتهى إلى الطريق تجاه الكبش والمصلاة والحد البحرى ينتهى إلى بركة الحمصانيين والحد الشرقى ينتـهى إلى الطريق السالكة إلى قناطر السباع والقلعة ، وفى هذا الحد خمسة عشر مـقعداً واثنى عشر مخزناً بأبواب مقنطرة كاملة الابواب والحد الغربى ينتهى إلى البركة" [٦] .

وبناء على ماورد بهذه الوثيقة نقول أن بركة الحمصانيين هذه تقع الآن بمنطقة حوش أيوب بك [٧] بالسيدة زينب المطل على قلعة الكبش أمام الساقية الأثرية (أثر رقم ٤٣٢) مباشرة . [٨]

---

(١) كان بناء المؤيد شيخ عبارة عن مصبغة ورد ذكر حدودها كـالتالى : الح القبلى ينتهى إلى حدود وقف ابن صورة ، والحد البحرى ينتهى إلى مكان يعرف بوقف تاج الدين السنسى والحد الشرقى ينتهى إلى الطريق السالكه إلى مصر وغيرها وفيه الباب وحانوتـان والحد الغربى ينتهى الى البركة المعروفة ببركـة قارون . وثيقة المؤيد رقم ٩٣٨ أوقاف سطور ١٨٦- ١٨٨ ، نشر فهمى عبدالعليم ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ ويبدو مما سبق ان هذه المصبغة ربما كانت تقع بالمنطقة التى بها جامع السيدة زينب .

(٢) كتاب وقف السلطان الغورى ، رقم ٨٨٢ أوقاف .

(٣) انظر خريطة الحملة الفرنسية .

(٤) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص٣١٩ .

(٥) هذا البناء عبارة عن مخزن للسلاح والعتاد العسكرى خاص بالسلطان المؤيد فهو يحـوى طبلخاناة ومخازن للسلاح وبيت الزردخاناه وأماكن المخاوندار وغير ذلك ، انظر الوصف الوثائقى للبناء فى :
وثيقة المؤيد شيخ رقم ٩٣٨ أوقاف سطور ١٨٩ - ١٩٥ ، نشر فهمى عبدالعليم ، المرجع السابق ١٩٨ - ١٩٩ .

(٦) نفس الوثيقة سطور ١٩٦ - ١٩٨ ، نفس المرجع ، ص١٩٩ . ، وانظر أيـضاً : على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ص٢٨٨ .

(٧) وقع حوش أيوب بك على خريطة الحملة الفرنسية برقم ٢٠٧ فى المرجع V-11

(٨) يشغل معظم مـساحة البركة الآن مدرسة أم المؤمنين الاعدادية بنات وكذلك مجموعة العمارات التى حول المتاجر الشعبية بشارع أيوب المتفرع من شارع مراسينا بالسيدة زينب .

ومن تطبيق حدود بناء المؤيد شيخ الآن نرى أن الحد القبلى له ينتهى إلى شارع أيوب بك تجاه الكبش أما الساقية وأن المصلاة المذكورة بهذا الحد المقصود بها جامع لاجين السيفى (أثر رقم ٢١٧) لأننا نراه موقع بأسم جامع المصلى فى خريطة الحملة الفرنسية تحت رقم ٢٠٤ فى المربع U-11 وان شارع مراسينا (عبدالمجيد اللبان حاليا) الذى تقع واجهة الجامع به قد وقع على خريطة الحملة الفرنسية باسم سكة المصلى تحت رقم ٢٠٦ فى المربع U-11 ، وان الحد البحرى (الشمالى الغربى) للبناء الذى كان ينتهى للبركة يقع الآن فى فناء مدرسة أم المؤمنين الاعدادية بنات ، وأن الحد الشرقى يمثله الآن شارع مراسينا الذى ورد فى الوثيقة أنه الطريق السالكة إلى قناطر السباع (ميدان السيدة زينب حالياً) والقلعة ، والحد الغربى يقع بفناء المدرسة المذكورة .

وقد ذكرت بركة الحمصانى أيضا فى كتاب وقف السلطان الغورى الذى أوقف بناءاً عبارة عن حوانيت ومخازن وقاعات وزريبة مطلة على البركة المعروفة بالحمصانى [١] على الأرض المحتكرة ظاهر القاهرة المحروسة بخط الجسر الاعظم قريباً لقناطر السباع وحدود هذا البناء وردت كالتالى : الحد القبلى ينتهى بمكان يعرف بالركنى عمر الاستادار، والحد البحرى ينتهى بمكان يعرف بعبد الله النشار ، والحد الشرقى ينتهى إلى شارع المسلوك وفيه الواجهة الشرقية والحوانيت والبابان والرواشن والحد الغربى ينتهى إلى البركة المذكورة (بركة الحمصانى) [٢] ، وبناء على ذلك نرى أن بناء الغورى هذا كان يقع شمال غربى بناء المؤيد ويطل على شارع مراسينا .

وقد اعتقد بعض الباحثين أن بركة الحمصانى هذه هى بركة قارون [٣] ، ولكننا نقول أنهما مختلفتان ، وأن بركة الحمصانى كانت تقع شمال شرق بركة قارون وأنهما كانتا موجودتين فى العصر المملوكى الجركسى كل على حده فى وثيقة المؤيد شيخ ووثائق الغورى ، ويبدو أنه قبل ذلك أن بركة الحمصانى هذه كانت جزءاً من بركة قارون واقتطعت فى العصر المملوكى الجركسى وصارت قائمة بذاتها . وقد تحولت أرض هذه البركة إلى بستان بعد ذلك مما نراه بخريطة الحملة الفرنسية . [٤]

---

(١) انظر الوصف الوثائقى للبناء فى كتاب وقف الغورى رقم ٨٨٢ ق أوقاف ، ١٠٥ ، الوثيقة رقم ٤٥٢ جـ أوقاف .

(٢) كتاب وقف الغورى رقم ٨٨٢ ق أوقاف ، ص ١٠٥ .

(٣) ذكر الباحث "عوض الامام" فى رسالته "أن المقريزى أخطأ عندما ذكر أن شارع الجسر الأعظم كان يفصل بين بركة الفيل وبركة قارون وأن الصواب أن شارع الجسر الأعظم يفصل بين بركة الفيل وبركة الحمصانى على ضوء ما ورد بوثيقة الغورى. انظر : الأصول الوثائقية الجامعة لأوقاف السلطان الغورى ، دكتوراه "مخطوطة" (كلية الآداب ، جامعة أسيوط ، ١٩٨٨) ص ١٧١ الحاشية .

ولكننا نقول أن المقريزى لم يخطىء لأن الزميل الباحث لم يطلع على وثيقة المؤيد التى ورد بها ذكر لكلتا البركتين أى انهما مختلفتان ، وبغض النظر عن هذا السبب الرئيسى فلطالما ورد أكثر من اسم لمكان واحد .

(٤) بدراستنا لخريطة الحملة الفرنسية نجد بها بركة موقعة باسم بركة طولون برقم ٢٣٨ فى المربع V-10 وتقع بأعلى الكبش ، ولم يذكروا هذه البركة ضمن حصرهم للبرك لأن هذه البركة ليست بركة طبيعية من التى تأخذ مياهها من الخلجان وإنما كانت عبارة عن منطقة غائرة محاطة بتلال مرتفعة بأعلى الكبش خلف جامع قايتباى (أثر رقم ٢٢٢) وأنى أرى أنها قد استخدمت كخزان ومنهل للمياه ليأخذ سكان الكبش حاجتهم للماء منها وكان يأتيها عن طريق الساقية الأثرية (أثر رقم ٤٣٢) .

(٦) بـــركة الفيـــل

بركــة الــفيــل من أقدم برك القــاهرة ذكراً فى التاريخ ، وكانت مــن أعظم متنزهاتها حــتى نهاية القرن الماضى .

سبب تسميتها :

اختلف فــى سبب تسمية الــبركة ببركة الفيــل فهناك رأى ينسبــها إلى رجل أسمه الفــيل كان أحد أصحــاب أحمد بن طــولون [١] (٢٥٤ - ٢٦٩ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٢ م) ، وهنــاك رأى ثانى للأســتاذ المرحوم «محمد رمزى» ينسبها إلى دار الفيلة التى كانت واقعة على حافة البركة [٢] وهناك رأى ثالث يذكر أنها قيل لها بركة الفيل لأنه كان يسبح فيها فيل كبير يخرج الناس لرؤيته . [٣]

أما اللفظ الوثائقى فى زمن المماليك والعثمانيين فهو إما بركة الفيل أو بركة الأفيلة . [٤]

موقع البركة ومساحتها وحدودها :

كانت بركة الفيــل تقع فيما بين مصر الفسطــاط والقاهرة ، وكانت مساحتها فى الــعصر الفاطمى كبيرة جداً ولم يكن عليها بنيان حتى عام ٦٠٠ هـ وكانت تعتبر من ظواهر مدينة القاهرة [٥] ، وفى

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص ٣٦٢ .

(٢) القاموس الجغرافى ، القسم الأول ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

* وقد ذكر الاستاذ محــمد رمزى «أن» دار الفيلة هذه كانت واقعــة على حافة البركة وتعود إلــى زمن خماروية بن أحمد بن طولون (٢٦٩ - ٢٨٢ هـ / ٨٨٢ - ٨٩٥ م) حيــث أنه كان مغرماً باقتناء الحيوانات مــن السباع والنمور والفيلة والزرافات وغيرها ، وأنشأ لكل منها داراً خاصة له ومنــها دار الفيل هذه على حافة البركة من الجهة القبلية (الجنوبية) الشرقية حيث شــارع نور الظلام الآن وكان الناس يقصدون البركة للنزهة والفرجة عــلى الفيلة فاشتهرت بينهم ببركة الفيل من وقتئذ الى اليوم .

*وذكر الاستاذ رمزى ايضاً فى تعليقه على النجوم ، جـ٧ ، ص ٣٦٧ «أن دار الفيلة هذه التى على بركة الفيل غير دار الفيل التى كانت على بركة قارون واشتراها كافور الاخشيدى أمير مصر من حبس بنى مسكين فهذه الدار كانت واقعة على سكة المذبح من الجهة الشمالية منها جنوبى خط البغالة بقسم السيدة زينب» .

** ولكننى لا أدرى من أى مصدر استقى الاستاذ رمزى معلومــته عن دار الفيلة وحدد مكانها بشارع نور الظلام ، فقد ذكر «ابن دقماق» فى كــتابه الانتصار جـ٤ ، ص ١٢٥ «أن دار الفيل الأولى كانت علــى بركة قارون فى جنان بنى مسكين ، وفى زمن كافور الاخشيدى نقلت الفيلة إلى الدار التى بالقرب من الجامع الطولونى على جبل يشكر قبلى مناظر الكبش» .

* فعلى ذلك تكون الدار بعيدة عن الموضع الذى حدده الاستاذ رمزى بشارع نور الظلام .

(٣) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، القسم الأول ، ص ١٥٣ .

(٤) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف ، حجة وقف الأمير حسن كتخدا عزبان رقم ١٧٦ أوقاف .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٦٢ .

العصـر المملـوكـى كانـت حـدودها تمتد من بسـتان الحبانية شمالاً [١] ، الى بسـتان سيـف الإسلام شرقاً [٢] إلى تحت الكبش إلى الجسر الأعظم الفاصل بينها وبين بركة قارون جنوباً إلى الخليج المصرى غـربـاً [٣] . وكانت مساحتها تقـدر بنحو أربعين فداناً فى العصر المملوكى ، وتقـلصت مساحتها مع الزمن حتى وصلت إلى الشكل البيضاوى الذى وقعـت به فى خريطة الحملة الفرنسية (برقم ١٣٦ فى المربعين T.8, T.9 ، ورقم ١٦ فى المربعين R-9, Q-9 .

وكانت البركـة تشغل من القاهرة المسـاحة التى تحد اليوم من الـشمال بسكة الحبانـية ومن الغرب بشارع درب الجماميـز فشارع اللبودية وشارع الخليـج المصرى ثم من الجنوب بشارع عبـدالمجيد اللبان (مراسينا سابـقاً) ثم يميل الحد إلى الشمال الشرقـى حتى مدرسة أزبك اليوسفى حتـى يتقابل مع أول شارع نور الظلام ويسير فيه إلى أول شارع الألفى فشارع مـهذب الدين الحكيم فسكة عبدالرحمن بك وما فى امتدادها إلى الشمال حتى تقابل الحد البحرى (الشمالى الغربى) . [٤] (شكل ٢٦) .

ايقاف البركة :

وعن تاريخ هذه البركة نجد أنها فى العصر المملوكى كانت وقف أيتام الملك الظاهر بيبرس [٥] ثم استولى الأمراء على أجزاء من مساحتها بعد ذلك [٦] واستمر التعدى على أرضها ونسى إيقافها .

تغذية بركة الفيل بالماء :

كانت بركة الفيل تـغذى بالماء فى العصر المملوكى من موضعين ، الأول مـن ناحية الجسر الأعظم تجاه الكبـش عن طريق مجرى مائى مـغطى بمجاديل حجريـة ، وقد ذكر «المقريزى» أنها كـانت قديماً

---

(١) بستان الحبانية كان أحد البـساتين الواقعة بظاهر القاهرة الفاطمية خارج باب زويلـة وكان واقعاً شمال بركة الفيل ، وقد سمى بـهذا الاسم نسبة إلى أحـد البطون العربيـة من طى ، وقد أوقفه الـسلطان الملك الناصـر صلاح الدين الأيوبى على خانقاة سعيد الـسعداء ، وفى العصر المملوكى فصل الناس بين بستان الحبانـية وبين بركة الفيل بطريق يسلك المارة فيها ، وهذا الطريق يمثله الآن سكة الحبانية . أنظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٣٣ ؟

(٢) بستان سيـف الاسلام كان أحد البساتين بظـاهر القاهرة الفاطمية وكـان يقع شرقى بركة الفيـل ، وقد عرف بذلك الاسم نسبـة الى سيف الإسلام هفتـكين بن نجم الدين أيوب أخـو صلاح الدين . أنظر : المقـريزى ، الخطط ، جـ٢، ص ١٣٣ ، ٣٩٧ .

(٣) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٥ ، ص ٤٥ .

(٤) محمـد رمزى ، القاموس الجغـرافى ، ق١ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ . ، تعليـقه عـلى الـنجوم ، جـ ٧ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٥) ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص٦ .

(٦) انظر ما يلى ، ص ١٦٦ .

قنطــرة كبيرة تهدمت فعـــمل لها مجاديـــل حجـرية ، وكانت هــذه القنطرة أو المجرى تتصــل ببركة قارون [١] التى تأخذ مياهها من عند قنطرة السد . [٢]

أما الموضع الآخر لتغذيتهــا فعن طريق قبو (سرب) يتصل بالخليج الكبيــر كان أصله قنطرة تعرف بالمجنونة كــانت قد تهدمت فى زمن المقــريزى ، وذكر أنه تبقى منهــا بقية عقد ناحية الخــليج كان قد عقده الأمير الطيبرسى وبنى فوقه متنزهاً [٣] .

ومن الطريف أن اسم قنطرة المجنونة هذا يرتبط بإسم بانيها وهو الأمير الطيبرسى [٤] ، فكان الماء يندفع من الخليــج ليملأ البركة التى كانت منخفـضة بشدة وبسرعة مجنونة فسموا الـقنطرة المجنونة ، وكان الأمير الطيبرسى هذا يعتريه الجنون وقد تلقب بالمجنون فجاء هذا الارتباط [٥] ، وقد كان لهذا الأمير محــبة زائـدة للفقراء والصوفـية لذا فقد بنى هذه القـنطرة لأجل الشيخ شهاب الديـن الحنبلى الـعابـر [٦] ولفقرائه ، وقد نظم الشـعراء فى ذلك الموضوع أبياتاً يتفكهون بها مـنها قول الشاعر علم الدين بن الصاحب [٧] :

ولقد عجبت من الطبرس وصحبه . . . وعقـــولهم بعقـــوده مفتـــونة

عقــدوا عقــوداً لا تصــح لأنهم . . . عقدوا لمجنون على مجنونة [٨]

وموضع قنطرة المجنونــة الآن يقع بشارع الخليج المصرى فى نقطة بجـوار جامع ذو الفقار بك (أثر رقم ٤١٥) الشهير بجامع غيطـاس بك من الجهة الجنوبية له [٩] . وكانت هذه القـنـطرة موجودة حتى

---

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص ١٥٢ .

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص ١٦٢ .

(٤) الطيبرس هـو الأمير سيف الدين الطيبـرس بن عبدالله المنصورى (نسـبة إلى السلطان المنصور قـلاوون) كان يشغل منصب والى القلعة ، وكـان من أعيان الأمراء بمصر ، وكان متديناً وله محبة زائدة بالـفقراء «الصوفية» إلا أنه كان متشدداً فى احكامه وخـصوصاً مع النساء ، وقد توفى سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م . أنظـر : المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ص٥١ . ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص ٤٨ ، النجوم الزاهرة ، جـ٨ ، ص ٢٣٠ .

(٥) هذا رأى المرحوم محمد رمزى ، انظر القاموس الجغرافى ق١ ، ص١٥٢ .

(٦) هو شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن عبدالمنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور النابلسى الحنبلى العابر ، وقد سمى بهذا الأسم لأنـه يعبر الرؤيا وصنـف فيها . وقد توفى سـنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧ م . انظر : المقريـزى ، السلوك ، جـ١ ، ص ٨٥٠ ، ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص ٤٨ ، النجوم ، جـ٨ ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٧) هو علم الدين أحمـد بن يوسف عبدالله بن الصاحب ، توفى ٦٨٨ هــ / ١٢٨٩ م . انظر : ابن تغرى بردى ، المنهل ، جـ ٣ ، ص ٤٩ ، الحاشية .

(٨) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٦٢ ، ابن تغرى بردى ، المنهل ، جـ٣ ، ص٤٩ ، النجوم ، جـ٨ ، ص ٢٣٠ .

(٩) محمد رمزى ، تعليقة على النجوم ، جـ٨ ، ص ٢٣٠ .

آخر القرن الماضى حيث ذكر «على باشا مبارك» أن الماء كان يصل منها إلى جناين المنزل والقصور أمامها والى البجمون الباقى من بركة الفيل . [(١)]

الزراعة ببركة الفيل :

كانت بركة الفيل من ضواحى القاهرة ، واعتبرت من النواحى ذات الوحدة المالية المقرر على اراضيها الخراج سنوياً ، وكانت بركة الفيل منخفضة يغمرها ماء النيل عن طريق الخليج المصرى وقت الفيضان ، وبعد نزول الماء كانت تزرع أصناف شتوية ، وكان أشهر محصولاتها القرط المعروف بالبرسيم حيث كان يستهلك فى تغذية دواب القاهرة ، وظلت البركة معتبرة فى دفاتر المساحة من النواحى المربوط على أراضيها الخراج ولم يحذف اسمها من جداول اسماء النواحى إلا بعد أن تحول معظم أراضيها إلى مساكن . [(٢)]

انتهاء بركة الفيل :

كانت بركة الفيل كبيرة المساحة كما ذكرت آنفاً ، وبدأ البناء حولها من بداية القرن ٧ هـ / ١٣م، ثم اقتطعت منها مساحات وتوالى البناء عليها طوال العصرين المملوكى والعثمانى حتى وصلت الى المساحة التى نراها برخيطة الحملة الفرنسية المرسومة سنة ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م ، ثم ما لبثت هذه المساحة أن بنى عليها الخديوى عباس حلمى الأول (١٢٦٥ - ١٢٧١ هـ / ١٨٤٨ - ١٨٥٤ م) سراى ذات حديقة كبيرة وهى التى كانت مسماه سراى الحلمية ، وفى سنة ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م قسمت أرض الحديقة ، وفى سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م ، هدمت السراى وقسمت أراضيها أيضاً وبيعت جميع القطع وأقيمت عليها عمارات حديثة تعرف بين أخطاط القاهرة بالحلمية الجديدة [(٣)] .

العمارة حول بركة الفيل فى العصر المملوكى :

تمتعت بركة الفيل فى العصر المملوكى بأهمية عظيمة ، فبنى حولها السلاطين والأمراء وأعيان الدولة القصور ذات البساتين والمناظر والدور الكبيرة من جميع جهاتها ، وكذلك بنيت حولها المساجد والخانقاوات والمدارس والزوايا والحمامات .

وكان ما حول البركة حتى بداية الدولة الأيوبية بساتين ، ثم بدأ الملوك والأمراء الأيوبيين يحفون شواطئها بمناظر الفرجة ، ثم بدأ البناء بتلك البساتين بدرجة قليلة بعد سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٢ م حتى

---

(١) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص ١٠٣ .

(٢) محمد رمزى ، القاموى الجغرافى ، ق١ ، ص ١٥٢ ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٣٦٦ .

(٣) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص ١٥٢ ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٧ ص ٣٦٦ .

كانت النهضة العمرانية الكبيرة حول البركة فى فترة حكم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة حيث عمرت القاهرة وظواهرها عمارة كبيرة وامتد العمران إلى بر الخليج الغربى الذى كان خالياً من المبانى ، وحينئذ حكرت أراضى البساتين والأرض الفضاء حول البركة واختطت بها الخطط والأحياء والحارات والدروب ، وقد تميزت العمائر بالثراء الشديد والتأنق وعظمة وفخامة العمارة وجمال وروعة الزخرفة فصارت بركة الفيل متنزهاً عظيماً يسكن حولها الطبقة المتميزة العليا فى المجتمع المصرى فى العصر المملوكى ، واستمر ذلك الوضع الطبقى فى العصر العثمانى .

ومن الخطط التى عمرت فى العصر المملوكى حول البركة خط قبو الكرمانى بالجانب الغربى منها فيما بينها وبين الخليج وكان من أعمر خطط القاهرة ، وفى الجانب الشرقى لها حكرت أرض بستان سيف الاسلام وعمر به خط درب ابن البابا وحكر الخازن ، وفى الجانب الجنوبى للبركة عمر خط الجسر الاعظم وفى الجانب الشمالى عمرت حارة الحبانية .

أ - العمارة بالجانب الشرقى والجنوبى الشرقى للبركة :

ظل الجانب الشرقى للبركة خالياً من البناء حتى بداية القرن ٨ هـ / ١٤ م ، وفى فترة حكم الناصر محمد حكرت البساتين شرقى البركة وعمرت بكثافة وصارت من أعمر خطط القاهرة ، وقد عمر هناك حكر الخازن فى الجزء الجنوبى الشرقى وخط درب ابن البابا شرقية .

وحكر الخازن هذا ينسب للأمير علم الدين سنجر الخازن [(١)] والى القاهرة أيام الناصر محمد ، وقد قال «المقريزى» عن هذا الحكر : «هذا المكان فيما بين بركة الفيل وخط الجامع الطولونى ، كان من جملة البساتين ثم صار اصطبلاً لخيول المماليك السلطانية ، فلما تسلطن العادل كتبغا أخرج منه الخيول وعمله ميداناً يشرف على بركة الفيل سنة ٦٩٥ هـ ، ونزل إليه ولعب بالأكراه أيام سلطنته كلها إلى أن خلعه الملك المنصور لاجين وقام فى الملك من بعده فأهمل أمره وعمر فيه والى القاهرة

---

(١) هو الامير علم الدين سنجر بن عبدالله الخازن والى القاهرة ، كان من مماليك الملك المنصور قلاوون ، وفى زمن الملك الاشرف خليل بن قلاوون ترقى وصار خازناً ثم شاد الدواوين ثم ولى الكشف بالبهنسا بالوجه القبلى ثم ولى القاهرة وشد الجهات وأقام عدة سنين حتى عزل عن ولاية القاهرة سنة ٧٢٤ هـ ، وقد قاد مع والى قوص حملة لغزو النوبة فى عسكر كبير ، وكان حسن السيرة والسياسة والاخلاق ، واليه ينسب حكر الخازن هذا على بركة الفيل ، وكان له من الآثار مسجد فوق الدرب الذى استجده بالحكر وكان له خانقاه ورباط وتربة دفن بها بالقرب من الامام الشافعى ، وقد توفى عن ٩٠ عاماً فى يوم السبت ٨ جمادى الأولى سنة الاولى سنة ٧٣٥ هـ .

انظر : المقريزى ،

الخطط ، حـ ٢ ، ص ١٣٥ ، ٤٢٨ ،. السلوك ، جـ ٢ ، ص ٣٨٨ . ، ابن حجر العسقلانى الدرر الكامنة ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

بيتاً فعرف حينئذ بحكر الخازن وتبعه الناس فى البناء هناك وأنشئوا فيه الدور الجليلة فصار من أجل الاخطاط وأعمرها وأكثر من يسكن به الأمراء والمماليك» . (١)

وذكر «المقريزى» أيضاً حكر الخازن فى كلامه عن ميدان بركة الفيل وذكر أنه كان مجاوراً لاصطبل قصر بكتمر الساقى (٢) الذى حل محله الآن الحوض المرصود ، كما ذكر أيضاً أن المدرسة البشيرية (أثر رقم ٢٦٩) تقع بحكر الخازن (٣) .

ومما سبق يتبين أن حكر الخازن يقع بالجانب الجنوبى الشرقى لبركة الفيل ويمثله الآن المنطقة السكنية المحصورة بين شارع الخضيرى جنوباً حتى مدرسة بشير الجمدار شمالاً . (٤)

أما خط درب بن البابا فقال عنه المقريزى : «هذا الخط يتوصل إليه من تجاه المدرسة البندقدارية بجوار حمام القارقانى ويسلك فيه إلى خط واسع يشتمل على عدة مساكن جليلة ، ويتوصل منه الى الجامع الطولونى وقناطر السباع وغير ذلك ، وكان هذا الخط بستاناً يعرف ببستان ابى الحسين بن مرشد الطائى ، ثم عرف ببستان نامش ، ثم عرف أخيراً ببستان سيف الإسلام طغتكين بن أيوب وكان يشرف على بركة الفيل وله دهاليز واسعة عليها جواسق تنظر الجهات الأربع ، ويقابله حيث الدرب الآن المدرسة البندقدارية وما فى صفها الى الصليبة بستان يعرف ببستان الوزير بن المغربى وفيه حمام مليحة ويتصل ببستان ابن المغربى بستان غرف اخيراً ببستان شجر الدر وهو حيث الآن سكن الخلفاء بالقرب من المشهد النفيسى ويتصل ببستان شجر الدر بساتين إلى حيث الموضع المعروف اليوم

---

(١) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

(٢) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٣) الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٩٩ .

(٤) ذكر «محمد رمزى» فى تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص ٣٠٦ «أن الأرض التى كان عليها حكر الخازن واقعة فى المنطقة التى تحد اليوم من الشرق بشارع أزبك وحارة نجم الدين ومن الشمال بحارة نجم الدين أيضاً وبعطفة حمام بابا ومن الغرب شارع محمد قدرى باشا ومن الجنوب شارع الخضيرى بالقاهرة» .

* ولكن بالرجوع الى المصادر والوثائق المملوكية نجد أن ارض حكر الخازن كانت أكبر من تلك المساحة التى حدده الاستاذ رمزى لأنها كانت تمتد شمالاً حتى مدرسة بشير الجمدار التى كانت واقعة بأرض الحكر .

* وذكر المرحوم «رمزى» أيضاً فى نفس الصفحة «وقد اطلقت مصلحة التنظيم اسم سنجر الخازن على حارة متفرعة من ميدان مصطفى باشا فاضل شرقى المدرسة الخديوية باعتبار أن حكر الخازن كان بتلك الجهة وهذا غير صحيح لأن الجهة المذكورة بعيدة عن الموقع الأصلى لهذا الحكر ولا علاقة لها به» .

* واقول أن هذه الحارة تقع بحى الحلمية الجديدة وقد عدل اسمها بعد ذلك إلى اسم شارع السيد البيلاوى (نقيب الاشراف سابقاً) لسكنه فى تلك الجهة وهذه الحارة (الشارع الآن) تصل بين شارع مصطفى سرى وميدان مصطفى فاضل . انظر :

محمد كمال السيد أسماء ومسميات ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

بالكبارة من مصر ، ثم أن بستان سيف الإسلام حكره أمير يـعرف بعلم الدين الغتمى فبنى فيه الناس الدور فى الدولة التركية وصار يعرف بحكر الغتمى وهو الآن يعرف بدرب ابن البابا» . (١)

والأمير ابن البابا الذى ينسب إليه الخط هو جنكلـى ابن البابا من كبار أمراء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٢) .

وقال «على مبارك» فى تحقـيق البساتين التى ذكرها المقريزى «ومن حقـوق بستان ابن المغربى الآن المدرسة البندقدارية المعروفة اليوم بزاوية الآبار التى بشارع السيوفية ومدرسة البنات الكائنة بجوارها وما فى صفها الى شارع الصليـبة أما بستان سيف الإسلام فكان فى مقابلته علـى يمنة السالك من الشارع إلى الصليبة ، وكان يمتد إلى بركة الفيل وفيه إلى الآن الحمام المعروف بحمام البابا» (٣) .

يتضح لنا مما سبق أن خط درب ابن البابا كان فى أصله بـستان من البساتين القديمة التى كانت تمتد خارج باب زويلة حـتى مشهد السيدة نـفيسة ، وفى العصر المـملوكى وخاصة أيام الناصـر محمد بن قلاوون حكرت أرض هذه البساتين وبنيت عليهـا الخطط ، وكان خط ابن الباب هذا يقع شرقى بركة الفيل وحكر الخازن .

وفى شمـال البركة عـمرت حارة كبـيرة تسمى حـارة حلب ، وأحيـاناً اطلق عـليها فـى المصادر والوثائق اسـم زقاق حلب واتصلت عمـارتها بخط ابن البابـا ، وقال «المقريزى» عنها فـى كلامه عن الحارات «حارة حلب هـى خارج باب زويلة تعرف اليوم بزقـاق حلب كانت قديماً من جمـلة مساكن الأجناد» (٤) ، كما ذكرها أيضاً فى كلامـه عن المدرسة المهذبية (٥) وعن حمام الدود (٦) . وكانـت حارة حلب تواجه جامع قوصون (قيسون) .

---

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص ١٣٤ .

(٢) هو الأمير علـم الدين جنكلى ابن الـبابا بن خليل بن عـبدالله العجلى ، مـن كبار أمراء الملك الناصـر محمد بن قـلاوون ، كـان قد قدم إلى مصر سـنة ٧٠٤ هـ من مقـامه بالقرب مـن آمد وقـد زوج الناصر محـمد ابنه ابراهيم من ابنة الأمير ، وظل معظما ايام الناصر وايـام ابنه الصالح اسماعيل حتى مات يوم الاثنين ١٧ ذى الحجة ٧٤٦ هـ ، وكان حسن الخلقـه والاخلاق وعرف عنه حب العلم والعلماء . انظـر : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٣) الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص ٢٣٥ .

(٤) الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٣ .

(٥) قال المقريزى عنها «هذه المدرسة بحارة حلب خارج القاهرة عنـد حمام قمارى بناها الحكيم مهذب الدين محمد بن أبى الوحش المعـروف بابن أبى حليقة تصـغير حلقة رئيـس الأطبـاء بدبار مصر ولى رياسة الأطبـاء فى حادى عشر رمضان ٦٨٤ هـ واستقر مدرس الطب بالمارستان المنصورى» . الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٩٧ .

* ذكر على مبارك أن هذه المدرسة كانت موجودة أيامه وكانت تعرف بتكية الخلوتية وهى داخل عطفة مراد بك التى بأول شارع الحلمية . الخطط التوفيقية ، جـ ٦ ، ص ٤١ .

(٦) أنشأ هـذا الحمام الأمير سـيف الدين الدود المتوفى سنة ٦٥٧ هـــ / ١٢٥٨ م ، وقد صار هذا الحمـام من أوقاف قايتبـاى هو وحمـام للنسـاء بجواره ، وقد رمم الحمام فى العصر العثمانى وقد وقع فى خريطة الحملة الفرنسية=

وحارة حلب كانت متصلة العمران فى العصريـن المملوكى والعثمانى ، وقد ذكر «على مبارك» أن حارة أو زقاق حلب تمثـلت فى عطفة مراد بك التى تقـع على اليمين للسالك من شـارع محمد على متفرعة من شارع السيوفية ، وبها زقاقان احدهمـا ليس بنافذ والآخر يتصل بشارع محمد على [١] ، كما ذكر أيضـاً أن وقت دخول الفرنساوية كان زقاق حـلب المذكور درباً نافذاً متصـلاً بشارع الداودية والحبانية ، وكان فيه عدة بيوت شهيرة بينها بيت مراد بك الذى سمى به الزقاق [٢] . هذا وقد ضاع جزء كبير من حارة حلب فى شارع محمد على عند فتحه فى عهد الخديو اسماعيل [٣] .

ويجوار حارة حلب استجد خط عرف باسم خط حوض ابن هنس ، وحوض ابن هنس هذا الذى نسبت إليـه الخطة هو حوض ترده الدواب وينقل إلـيه الماء من بئر ، وهو من أوقاف ابـن هنس على اعمال الخير ، وعمل باعلاه مسجداً مرتفعاً وساقية ماء على بئر معين [٤] .

وكـان حـوض ابـن هنـس [٥] واقعـاً فـى مـحور شارع محمد على وفى تجاه مـدخل شارع على باشا ابراهيم [٦] .

وقد ذكر «عـلى مبارك» أن موضع خـطة ابن هنس فى زمـنه يمتد من عـطفة مراد بك الى عـطفة الغسالة التى بآخر ميدان الحلمية [٧] .

= برقم ٩٣ فى المربع Q - 7 ، وقد اندثر الحمام الآن وكان مكانه عند تقابل شارع محمد على بشارع السروجية . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٨٥ . ، على مبارك ، الخطـط التوفيقية ، جـ ٦ ، ص ١٩٥ . ، محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص ٣٣١ . ، اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص ١٢٤ . ،
Pauty, ED, Les Hammams Du Cairo, MIFAO LXIV, La Cairo, 1933, no. 30.
وكتاب وقف قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف ، ص ٦٩ - ٧٥ .

(١) الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(٢) نفسه ، ص ١٤٨ .

(٣) محمد كمال السيد ، أسماء ومسميات ، ص ٣٨٣ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ .

(٥) ذكر «المقريزى» عن ابن هنس انه الأمير سعد الدين مسعـود بن الأمير بدر الدين هنس ابن عبدالله أحد الحجاب فى أيام الصالح نجم الديـن أيوب ، وقد مات يوم السـبت عاشر من شوال سنة ٦٤٧ هـ ودفن بجوار الحوض ، وكان هذا الحوض قد تعطل فى زمن المقريزى فجدده الأمير تتر أحـد الأمراء الكبار فى مدة سلطنة المؤيد شيخ سنة ٨٢١ هـ ، وتتر هذا تسلطن عدة شهور سنة ٨٢٤ هـ .
الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ .

(٦) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٧) الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

* وقد ذكر على مبارك أيضاً أنه يـوجد بأول عطفة مراد بك قبر تسمية العامة بالـشيخ الاربعين ، وهو على غالب الظن قبر ابن هـنـس المذكور وأما الحوض فقد زال من زمن مديد وأمـا البئر المعين فغالباً هى المـوجودة بمنزل الأمير يعقوب . أنظر : الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .=

أما عن المنشآت الدينيـة التى بنيت على الحافة الشرقية لبركة الفيل بحكر الخازن ولاتزال موجودة اليوم فهى المدرسة البشيرية ومسجد مغلباى طاز وجامع أزبك اليوسفى .

فأما المدرسة البشيـرية فقد بناها الأمير سعد الدين بشير الجـمدار الناصرى سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م وكان موضعهـا مسجداً يعرف بمسجد سـنقر السعدى الذى بنـى المدرسة السعدية (التكـية المولودية أو مسرح الدراويش حالـياً أثر ٢٦٣) فهدمه بشير الجمدار وبـنى المدرسة الصغيرة التى تـتكون حاليا من قاعـة واحدة ، وقد ذكـر "المقريـزى" أنه جعـل بها خـزانة كـتب وأنهـا من المدارس الـلطيـفة [(١)] (الصغيرة)، وقد عرفت فـى العصر العثمانى باسم زاوية الشيخ طلام ، وكـانت قد جرت لها عمارة سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م على يد الأميـر عمر أغادار السـعادة [(٢)] ، وهى تشرف الآن عـلى شارع نور الظلام وتحمل رقم ٢٦٩ فى فهرس الآثار الإسلامية بالقاهرة .

وكـذلك كـان يوجـد بحكر الخـازن مسـجد مغلـباى طاز [(٣)] الذى بـنى سـنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م واعتقد ان هذا المسجد بنى فى محل مسجد الخازن [(٤)] ويتضح ذلك من وثيقة السلطان طومان باى [(٥)] ، والمسجد موجود بحارة بنت المعمار المتفرعة من شارع نور الظلام ، ويحمل رقم ٢٠٧ فى فهرس الآثار الإسلامية .

= هـذا ويوجـد بحـى الحلميـة شـارع اسمه شارع ابن هنس ثم عدل اسمه الى شارع أحمد باشا تيمور (١٨٧١ - ١٩٣٠ م) تخليداً لذمراه .

محمد كمال السيد ، اسماء ومسميات ، ص ٣٨٤ .

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٩٩ .

(٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٦ ، ص٨- ٩ .

* اغادار السعادة لـقب تركى المقصود به أكبر موظفى القصر الهـمايونى ، وكان أغادار السـعادة هـو المشرف على أوقاف الحرمين الشريفين ، انظر بالتفصيل :

أحمد السعيد سليمان ، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، (ط دار المعارف القاهرة) ، ص١٨ - ١٩,

(٣) هو الأمير مغلباى طاز الابوبكرى ، كان من مماليك المؤيد شيخ ، وترقى فى عهد اينال إلى أمير عشبرة ثم إلى أمير طبلخاناه ، وفى سلطنة خشقدم ترقى إلى أمير مائة مـقدم ألف ، وكان قد تولى عدة وظائف هامة منها نيابة صفد وحسبة القاهرة وامرة الحج ، وقد تزوج من آسية بنت السلطان بلباى ، وعندما خلع يلباى من السلطنة نفى مغلباى إلى دميـاط بـطالا ، وقد توفـى بها فى صـفر ٧٨٣هـ / ١٤٦٨م من عـمر ينيـف على ٨٠ عاماً ودفن بتربته بالصحراء . انظر: ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ١٦ ، ص١٥٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٨٤ ، ٣٨٥ . ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ١٠ ، ص ١٦٤ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص٢٠ .

(٤) انظر ما سبق ، ص١٥٢ حاشية

(٥) ورد بوثيقة طومان باى رقم ٢١٨ بدار الوثائق القوميـة فى سطور ٢٨- ٣٠ أنه آل إليه بيت كان من أوقاف مغلباى طـاز الابـوبكـرى وكانـت حـدوده وقـت انشـائه كالتـالى "الحد القبلى ينـتهى إلى الطريق المـسلوك وفيه الواجهة والحد البحرى ينتـهى إلى البركة والحد الشرقى ينتهى الى مكان يعـرف قديماً بالخازن والحد الغربى الى دار تعرف قديماً بالحلبى .

كـما يوجد أيضاً بحكر الخازن جامع أزبك اليوسفى (أثر ٢١١) الذى بنى سنة ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٣م [١] ، وهو مبنى على نمط النظام المدرسى الذى ساد فى النصف الثانى من حكم دولة المماليك الجراكسة ، والذى يتكون من درقاعة وسطى مغطاة يحيط بها ايوانان وسدلتان [٢] ، وهو يقع الان بشارع أزبك الذى يتفرع من شارع الصليبة بالسيدة زينب .

أما عن الدور والقصور التى كانت تحيط بالحافة الشرقية للبركة فكانت تنتمى إلى السلاطين وكبار الأمراء شأنها فى ذلك شأن الدور الأخرى التى على جميع جوانب البركة ، وكانت تتميز بالثراء المعمارى والزخرفى والتوافق الجمالى الكبير .

ومن السلاطين الذين كان لهم دور تطل وتشرف على البركة مباشرة السلطان برسباى فقد كان له دار كبيرة بزقاق حلب تطل من جهتها البحرية على بركة الفيل [٣] .

وكان للسلطان قايتباى حوالى خمسة بيوت بالجانب الشرقى للبركة موزعة مابين حكر الخازن ودرب ابن البابا وزقاق حلب . [٤]

---

(١) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ١ ، ص٢٧٢ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٤ ، ص١١٥ - ١١٦ .

(٢) عن الجامع بالتفصيل ، انظر : سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ ، ص٢٨٢ - ٢٩٢ .

(٣) ورد بكتاب وقف السلطان برسباى رقم ٨٨٠ أوقاف ص١٠٥ ، ١٠٧ ، انه امتلك داراً كانت معروفة قديما بالعمادى بن الشرف بخط زقاق حلب وهى مطلة على بركة الفيل ، وكان حدها القبلى ينتهى الى دار تعرف بالسيفى جركس الخليلى والى الطريق والحد البحرى ينتهى الى بركة الفيل والحد الشرقى ينتهى الى زاوية والى الطريق والحد الغربى ينتهى الى الدار المعروفة قديما بايدغى ثم عرفت بالمقر السيفى جركس الخليلى ، وفى ص١٠٨ ورد أنه كان له مكان آخر تجاه داره عبارة عن اصطبل ذكر أن حده القبلى ينتهى إلى مكان يعرف بسكن الطنبغا والحد البحرى إلى زقاق والحد الشرقى إلى الطريق وفيه الواجهة والحد الغربى إلى مكان يعرف بسكن الطنبغا .
انظر ايضاً :
على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٤ ، ص١٢١ .
* ملحوظة : وقعت جميع المنشآت والدور والقصور التى وردت بالوثائق والمصادر على بركة الفيل فى العصر المملوكى .

(٤) ذكر السخاوى فى ترجمة لقايتباى أنه كان له بيت بدرب الخازن كان يعرف ببردبك المعمار بناه بمشارفة شاذ بك مطل على بركة الفيل مجاور بيت امامه البرهان الكركى ، وذكر أيضاً أنه ابتنى عمارة عظيمة على البركة أيضاً مضافة لبيت خاير بك من حديد وبيت تجاهه بمشارفة الحاج رمضان المهتار وآخر بباب سر جامع قوصون مطل عليها أيضاً بمشارفة جانم دوادار يشبك الدوادار كما شارف جانم ايضاً لقايتباى عمارة بيت اركماس الظاهرى المطل على بركة الفيل ايضاً . انظر : الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص٢١٠ .وبيت خاير بك من حديد الذى ذكره السخاوى تذكر عن احدى الوثائق السلطان قايتباى (محكمة بدون تاريخ) انه كان يقع بزقاق حلب . انظر : عبداللطيف ابراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار بحث فى كتاب دراسات فى الاسلامية ، ص٣٩٩ - ٤٠٠ .
* وفى كتاب وقف السلطان قايتباى وصف لعدة اماكن بدرب البابا ، وكذلك بدرب الماس بجوار حمام حليقة بحكر الغتمى المطل على بركة الفيل وقد ذكر حدودة كالاتى : الحد القبلى ينتهى الى الاسطبل الذى هناك والى الزقاق وفيه الابواب والحد البحرى ينتهى الى بركة الفيل المذكورة والحد الشرقى ينتهى الى الاسطبل الذى هناك=

وكان للامام البرهان الكركى [١] قاضى قضاه الحنفية فى سلطنة الأشرف قايتباى دار مجاوره لدار قايتباى بحكر الخازن مطلاً على بركة الفيل [٢] ، وفى وثائق السلطان طومان باى آخر سلاطين المماليك الجراكسة ورد بها أن بيت الكركى يقع بالحد الشرقى لبيت طومان باى مطلاً على بركة الفيل [٣] .

وكان السلطان الأشرف طومان باى آخر سلاطين المماليك (٩٢٢- ٩٢٣هـ / ١٥١٦- ١٥١٧م) يملك عدة دور وهو أمير بالجانب الشرقى للبركة بحكر الخازن ودرب ابن السابا وزقاق حلب ، وهذه الدور كبيرة وكاملة المرافق والملاحق والحدائق .

ففى الوثيقة رقم ٢١٨ أنه آل إليه ملكية بيت خرب كان من أوقاف مغلباى الأبو بكرى [٤] وقد تصرفت فيه زوجته اسية بنت يلباى [٥] وكانت حدود هذا البيت وقت انشائه كالتالى "الحد القبلى ينتهى إلى الطريق المسلوك وفيه الواجهة ، والحد البحرى ينتهى إلى البركة والحد الشرقى ينتهى إلى مكان يعرف قديماً بالخازن [٦] والحد الغربى إلى دار تعرف قديماً بالحلبى [٧] .

= والى الساقية وحمام حليقة والحد الغربى ينتهى الى ملك يعرف بطوغان قديما والآن بغيره . انظر ص٢٢٢ - ٢٢٤, وهذا الدار كان قايتباى قد وقفه قديما على الامير جانم البهلوان .

* كذلك ذكر على مبارك: عدة وقفيات للسلطان قايتباى لأماكن له بزقاق حلب مطلة على بركة الفيل . انظر الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ص١٦٤ - ١٦٧ ؛ كما ذكر "ابن اياس" أن السلطان سليم شاه العثمانى فاتح مصر تحول لسكن بيت قايتباى المطل على بركة الفيل والذى يقع خلف حمام الفارقانى فى يوم الثلاثاء ١٦ رجب ٩٢٣هـ، وانه كذلك أمر بسد الخليج من عند قنطرة عمر شاه فترة حتى تمتلىء بركة الفيل بالماء . انظر : بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص١٩٤ - ١٩٥ ، ٢٠٢ .

* ونفس الشىء ذكره المؤرخ بن "ابى السرور البكرى" . انظر :
تاريخ ملوك مصر ، "النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢١٦ تاريخ)، ورقة ٢١ ، ٤٢ .

(١) الكركى هو قاضى الحنفية برهان الدين ابراهيم بن زين الدين عبدالرحمن بن اسماعيل الكركى الحنفى ، كان عالماً رئيساً من أعيان الحنفية ، وقد تولى وظيفة قاضى قضاه الحنفية مرتين ، وكان إماماً للأشرف قايتباى ، كما تولى عدة وظائف هامه منها مشيخة مدرسة أم السلطان شعبان ، واستيفاء الصحبة وهى وظيفة جليلة يشرف صاحبها على كتابة مراسيم السلطان المتعلقة بالشئون المالية ، كما ولى مشيخة المدرسة الحسامية التى بناها الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة زمن السلطان المنصور قلاوون وهى تقع بخط المسطاح قريباً من حارة الوزيرية بالقاهرة ، وتولى أيضاً مشيخة المدرسة الأشرفية، وقد تعرض لمحن كثيرة فى حياته . وقد مات فى شعبان ٩٢٢هـ وسبب موته أنه نزل يتوضا على سلم القيطون الذى ببيته على بركة الفيل وفى رجله قبقاب فزلت رجله بالقبقاب فوقع فى البركة وكان فى قوة ملئها أيام النيل ، فلما وقع ثقلت عليه الثياب فمات من وقته . انظر :
ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص٦٦ . ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٦ ، ص١٤ .

(٢) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص٢١٠ . (٣) انظر ما يلى ص١٦٢ .

(٤) انظر ما سبق ، ص ١٥٨ .

(٥) هى اسية ابنة السلطان الظاهر سيف الدين يلباى الذى تولى السلطنة سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م لمدة شهرين فقط .

(٦) انظر ماسبق ، ص١٥٢ . (٧) الوثيقة رقم ٢١٨ المحفوظ بدار الوثائق القومية سطور ٢٨ - ٣٠ .

وقد ابدلت آسية هذا البيت إلى الأمير برسباى بن عبد الله العلائى [١] الذى هدمه هو بنائين بجوارة وبنى مكان كل ذلك داراً كبيرة ذكرت حدودها كالتالى "الحد القبلى ينتهى إلى الطريق وفيه الباب والواجهة ، والحد البحرى ينتهى الى بركة الفيل ، والحد الشرقى إلى مكان يعرف بالمقر المرحوم مغلباى طاز ، والحد الغربى ينتهى إلى سكن سيدنا برهان الدين الامام (الكركى) [٢] .

من خلال ما ذكر عن حدود البيت كما ورد بالموضعين السابقين يتبين لى أن واجهته القبلية (الجنوبية) كان ينتهى إلى الطريق الذى ربما يمثله اليوم حارة بنت المعمار وأن الحد البحرى (الشمالى) كان يطل مباشرة على البركة والحد الشرقى كان ينتهى إلى مسجد مغلباى طاز الذى حل محل المسجد الذى كان قد أنشأه من قبل سنجر الخازن [٣] وأن الحد الغربى كان ينتهى إلى بيت الشيخ برهان الدين الكركى الذى حل محل الدار القديمة التى كانت تعرف باسم الحلبى .

وفى كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ق أوقاف ملحق به أوقاف طومان باى ذكر فيه بناءان لطومان باى بخط درب الخازن ذكر حدودها كالتالى : الأول حده القبلى ينتهى إلى الطريق وفيه الواجهة والحد البحرى ينتهى إلى بركة الفيل والحد الشرقى ينتهى إلى بيت الكركى والحد الغربى ينتهى إلى المجاز المشترك بينه وبين البناء الثانى [٤] .

أما البناء الثانى فحده القبلى ينتهى إلى الطريق وفيه الباب والحد البحرى ينتهى إلى البركة والحد الشرقى ينتهى إلى البناء الأول والحد الغربى الى بناء يعرف بوقف السيفى اسنبغا الطيارى ثم عرف بالأمير ازدمر الدوادار [٥] ثم عرف بالأمير ايدكى [٦] .

وقد ذكر حدود البنائين معاً كالتالى: الحد القبلى ينتهى إلى الطريق والحد البحرى ينتهى الى بركة الفيل والحد الشرقى ينتهى الى بيت الكركى والحد الغربى ينتهى الى بيت الجناب السيفى ايدكى [٧] .

وكان لطومان باى بناءان بخط درب ابن البابا مطلة على بركة النيل استبدلهما مع الأمير ايدكى ببنائين آخرين بحكر الخازن مطلة على بركة الفيل ايضاً ، البناء الأول الذى بخط ابن البابا كانت حدوده كالتالى : الحد القبلى كان ينتهى إلى زقاق وفيه الواجهة والباب ، والحد البحرى ينتهى إلى

---

(١) هو الأمير برسباى العلائى الأشرفى من مماليك الأشرف قايتباى الذى انعم عليه بأمره عشرة فى محرم ٨٩٩ هـ واصبح أمير طبلخاناه فى سنه ٩٠٨ فى أيام الغورى . انظر :
ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص٢٩٧ ، جـ٤ ، ص٣١

(٢) ملخص الوثيقة والانتقال بالبيع الذى بالهامش الايمن بظاهر الوثيقة بتاريخ ٥ ربيع آخر ٩٠٠ هـ .

(٣) انظر ما سبق ، ص١٥٢ ، ١٥٧ .

(٤) كتاب الوقف ٨٨٢ أوقاف ، ص٥٤٨ ، سطور ٣ - ٦ .

(٥) فى وثيقة الأمير ازدمر من على باى رقم ٢٤٠ المحفوظة بدار الوثائق القومية وصفاً لهذه الدار .

(٦) كتاب وقف الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص٥٤٨ سطور ٣- ٦ .

(٧) نفس الصفحة ، سطور ٧ - ٩ .

بركة الأفيلة والحد الشرقى ينتهى إلى مسكن تمرباى والحد الغربى ينتهى إلى بيت الأمير اربك [١] نائب القلعة الشريفة [٢] .

أما البناء الثانى المجاور لـه فحده القبلى كان ينتهى إلى الزقاق ، والحد البحرى إلى البركة والحد الشرقى ينتهى إلى بيت المرحوم اصباى ، والحد الغربى ينتهى إلى ملك يجرى فى أملاكه . [٣]

أما البنائين اللذين بحكر الخازن وكانا فى ملك ايدكى وصارا فى ملك طومان باى فذكر حدودهما كالتالى : الأول حـده القبلى ينتهى إلى الطريق المسلوك وفيه الباب والحد البحرى ينتهى إلى بركة الفيل، والحد الشرقى ينتهى إلى دار تعرف قديماً بالسيفى قراتمر والحد الغربى ينتهى إلى مكان يعرف بالأمير تنمر رأس نوبه كبير . [٤]

والبنـاء الثانى المجاور لـه فحده القبلى ينتهى إلى الطريق وفيه الواجهـة والحد البحرى ينتهى إلى بركة الفيل والحد الشرقى ينتهى إلى بيت السيفى أقباى الأيتمشى والحد الغربى ينتهى إلى بيت الست وغيره . [٥]

وقد ذكر "على باشا مبارك" أنه كان يوجد فى زمنه دار كبـيرة متخربه كانت للسلطان طومان باى وكانت تقع بزقاق حلب مشـرفه على بركة الفيل وكانت تقع على يمين شارع السيوفـيه مواجهة للتكية المولوية [٦] . ولكننى أرى أن هذه الدار كانت ملك السلطان قايتباى وآلت إلى طومان باى الذى كان ناظراً على أوقاف السلطان قايتباى ، فقد ذكر "البكرى" أن السلطان سليم سكن فى الدار التى عرفت فيما بعـد بأسم دار عجم زاده المطلة عـلى بركة الفيل بعد فـتح مصر ورجوعه من الاسكـندرية وبقى ساكناً بها إلى أن خرج متوجهاً إلى بلاده فـى ثلاثة وعشرين من شعبان سنة ٩٢٣هـ [٧] ، وقد سبق "لابن اياس" أن ذكر أن السلطان سليم سكن بدار قايتباى التى تقع خلف حمام الفارقانى المطل على بركـة الفـيل [٨] وهـذه الـدار آلت ملـكيتـها بعد ذلك إلى سنان باشا الدفـتردار ثم إلى محمد بك عجم زاده [٩] .

---

(١) هو اربك الشـاشف الذى تولى نيابة القلعة فى ٥ ذى الحجة ٩٠٥ هـ بدلاً من جان بلاط الابج فى زمن السلطان جان بلاط ، وقد تولى هذا المنصب لشهور قليلة ثم استبدله الملك العادل طومان باى بعد ذلك بشخص يدعى طوخ المحمدى فى ٢٦ رجب ٩٠٦هـ . بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص٤٤٠ ، ٤٧٠ .

(٢) كتاب وقف الغورى ٨٨٢ ، ص٥٣٨ سطور ١٤ - ١٦ .

(٣) كتاب وقف الغورى ٨٨٢ ، ص٥٤٠ ، سطور ٣- ٦ .

(٤) نفسه ، ص٥٧٣ ، سطور ٢- ٦ . (٥) نفسه ، ص ٥٧٤ ، سطور ١٣- ١٦ .

(٦) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص١٨٠ .

(٧) قطف الأزهار ، مخطوط ورقة ٦٥ . النزهة الزهية ، مخطوط ، ورقة ٢١ .

(٨) بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ .

(٩) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ١٨٠ .

ب - العمارة بالجانب الجنوبى لبركة الفيل :

عمر جنوب بركة الفيل فى العصر المملوكى خط الجسر الاعظم الذى يمثله الآن شارع مراسينا (عبدالمجيد اللبان حالياً) ، وتمت فى هذا الخط عمارة القصور العظيمة التى تطل من جهة على بركة الفيل ومن الجهة الأخرى على الجسر الاعظم ،وحتى زمن الناصر محمد بن قلاوون لم يكن على بركة الفيل من جهة الجسر الاعظم مبان وانما كانت البركة ظاهرة يراها المار ، ثم أمر الناصر محمد بعمل حائط قصير بطولها فأقيم الحائط وصفر بالطين الاصفر ثم حدثت الدور هناك [(١)] .

وفى زمن "على باشا مبارك" كانت أرض البركة المجاورة لهذا الشارع مزارع وبساتين مملوكة لبعض الأمراء [(٢)] ثم بنى على تلك المزارع والبساتين بعد ذلك حتى صارت إلى ماهو عليه الآن .

ومن العمائر الدينية التى بنيت فى العصر المملوكى وكانت تطل على جنوب بركة الفيل زاوية عرفت باسم زاوية ابراهيم الصائغ ، وقد قال المقريزى ان موضعها بوسط الجسر الأعظم تطل على بركة الفيل عمرها الأمير سيف الدين طغاى بعد سنة ٧٢٠ هـ وأنزل بها فقيراً أعجمياً من فقراء الشيخ تقى الدين رجب الشيرازى [(٣)] يعرف بالشيخ عز الدين العجمى كان يعرف صناعة الموسيقى وله نغمة لذيذة وصوت مطرب وغناء جيد فأقام بها إلى أن مات فى سنة ٧٢٣هـ فتغلب عليها الشيخ ابراهيم الصائغ إلى أن مات يوم الأثنين ١٤ رجب ٧٥٤هـ فعرفت به" [(٤)] .

وقد ذكرت هذه الزاوية فى وثائق السلطان برسباى لأنها كانت مجاورة لأملاكه [(٥)] .

وهذه الزاوية كانت موجودة إلى نهاية القرن الماضى حيث ذكرها "على باشا مبارك" [(٦)] .

ومن أهم العمائر الدينية أيضا بخط الجسر الأعظم وكانت تطل من الجهة الأخرى على بركة الفيل جامع لاجين السيفى الذى أقيم سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م [(٧)] ولايزال عامراً بذكر الله تعالى للآن (أثر رقم ٢١٧) .

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٢) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص٣٣٣ .

(٣) كان الشيخ تقى الدين رجب ابن اشيرك من أعلام الصوفية وكان مبجلاً من سلاطين وامراء المماليك ، أنشأ له الناصر محمد زاوية تحت قلعة الجبل بعد سنة ٧٢٠هـ ، وجددت سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م ، وهى مسجلة أثر رقم ٤٧٦ . المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٢ .

(٤) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٣ ـ ٤٣٤ .

(٥) انظر مايلى ، ص١٧١ .

(٦) قال " وأظن هذه الزاوية هى الموجودة لصق حوش ابراهيم جركس فى مقابلة منزل حسن باشا ناظر المطبعة الكبرى سابقاً . انظر : الخطط التوفيقية ، جـ٦ ، ص٤٥ .

* واعتقد المرحوم محمد رمزى أن هذه الزاوية هى أصل جامع لاجين ، النجوم ، ص٩ ، ص٨٩ . ولكن يتضح لنا مما سبق أن هذه الزاوية غير جامع لاجين ، وانها قد اندثرت الآن وكان موقعها غرب جامع لاجين .

(٧) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص٢٣٢ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ص٢٢٤ .=

وحفل خط الجسر الأعظم المطل على جنوب بركة الفيل بالقصور العظيمة التى قل أن يوجد لها نظير ، والتى بنيت أثناء سلطنة أعظم سلطان بناء وهو الناصر محمد بن قلاوون ، وتجاورت تلك القصور بجانب بعضها البعض وأمامها أبنية الكبش ، وكان شارع الجسر الأعظم حينئذ هو الطريق الذى تسلكه المواكب السلطانية لذلك صار له أهمية كبيرة فى الحياة الاجتماعية للقاهرة زمن المماليك.

ومن تلك القصور العظيمة قصر الأمير بكتمر الساقى [١] ، وقد أنشأه له السلطان الناصر محمد سنة ٧١٧هـ ، وكان يقع فى الحد الجنوبى للبركة على الجسر الأعظم مطلاً على الكبش عند مدرسة سلار وسنجر الجاولى [٢] (اثر ٢٢١) ، وقيل أن موضعه كان دار الأمير سلار ودور أخوته وقطعة من الميدان [٣] .

وقد كان هذا القصر من أعظم مساكن مصر وأجلها قدراً وأحسنها بنياناً وقيل أنه عمل أساسه اربعين ذراعاً [٤] ، وقد أدخل فى أرضه الميدان الذى أنشاه العادل كتبغا وأخذ قطعة من بركة الفيل بخلاف شرط الواقف عليها [٥] ليتسع بها الاسطبل الذى للأمير بكتمر بجوار القصر ، وقد ذكر المؤرخون أن القصر والاسطبل اكتملا على هيئة قل ما رأت العين مثلها ، وقد حفل القصر بالزخارف الرائعة واستعمل فيها الرخام واللازورد والذهب وعرق اللؤلؤ . [٦]

= حسن القصاص ، مساجد الامراء فى عصر السلطان جقمق (قراقجا الحسنى - الجمالى يوسف - لاجين السيفى)، دكتوراه "مخطوطة" ، (كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٥) .

(١) هو الأمير بكتمر بن عبدالله الركنى الساقى ، كان من مماليك المظفر بيبرس الجاشنكير ثم انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فحظى عنده بالرعاية وجعله ساقياً له ، وصار يترقى فى الوظائف حتى بلغ منصب أتابك العسكر وهو من المناصب الأولى فى دولة المماليك ، وكان له شأن عظيم وكان صاحب الحل والعقد بالدولة ، وكان قد جمع أموالاً طائلة ، وكان جيد الطباع حسن الأخلاق ، وكان الملك الناصر قد زوجة أخته ورزق منها بولد اسمه احمد ، وكان له انشاءات عظيمة بمصر منها قصور بسرياقوس وخانقاة وتربة له بالقرافة، وفى سنة ٧٣٣ هـ أثناء عودته ومعه ابنه من الحجاز مصاحبين للملك الناصر محمد تحرز كل منهما من الآخر وخاف الناصر منه فدس له ولأبنه السم فماتا بالطريق . انظر : ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص٣٩٠ - ٣٩٧, ابن حجر العسقلانى ، الدورر الكامنة ، جـ١ ، ص٤٨٧ . ابن اياس ، بدائع الزهور، جـ١ ، ص٤٦٤ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٦٤ .

(٣) المقريزى ، السلوك ، ج٢ ، ص١٧٣ . وعن هذا الميدان ، انظر مايلى ، ص ٣٨٠ .

(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص١٨٨ .

(٥) كانت بركة الفيل جارية فى اوقاف أولاد الملك الظاهر بيبرس ، وطلب السلطان الناصر محمد استبدال جزء من أرضها لاجل القصر بموقع آخر إلا أن قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى رفض طلب السلطان لأنه يخالف مذهبه ولذلك اعتزل القضاء ، وعين السلطان بدله القاضى سراج الدين الحنفى الذى أذعن لرأى السلطان فحكم باستبدال الأض فى غرة رجب ٧١٧ هـ فلم يلبث هذا القاضى سوى مدة شهرين إلا وقد مات ، فاستدعى السلطان القاضى الحريرى مرة أخرى إلى منصبه .انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨ ، السلوك ، جـ٢ ، ص١٧٣ ـ ١٧٤ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٤ ، ص٤٠ .

(٦) ذكر المقريزى أن النفقة على العمارة كل يوم بلغت مبلغ ألف وخمسمائة درهم غير محسوباً فيه ثمن الأحجار=

ولما تمت عمارة هذا القصر فى عشرة أشهر سنة ٧١٧هـ سكنه بكتمر ، وكان الناصر محمد دائم النزول والمبيت به [١] ، ومن هذا القصر خرج شوار (جهاز) ابنه الأمير بكتمر لما تزوجها الأمير أنوك ابن السلطان الناصر محمد سنة ٧٣٢هـ ، وهذا الشوار ندر ان يكون له مثيل فى تاريخ مصر [٢] .

ولما مات بكتمر صارت أوقافه بيد أولاده وأولادهم وصارت فى النهاية بيد ابن ابنته أحمد بن قرطاى المعروف بـ أحمد بن بنت بكتمر ، وكان القصر فى غاية من الحسن ولا ينزله إلا اعيان الأمراء إلى أن كانت سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م فتصرف ابن بنت بكتمر هذا فى محتويات القصر فباع رخامه وشبابيكه وكثيراً من سقوفه وأبوابه وغير ذلك وعمل بدل الرخام بلاطاً واستبدل بالشبابيك الحديد شبابيك خشب [٣] ، وقد قام بهذا التصرف منتهزاً فرصة غياب السلطان المؤيد شيخ وذهابه إلى دمشق لمحاربة نوروز الحافظى مما يدل على أهمية دور وقصور القاهرة الخاصة بأمراء الدولة الكبار باعتبارها من الأماكن الاستراتيجية الهامة التى تمثل رموزاً للدولة .

وفى حدود سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧ م تملك هذا القصر عائلة المؤرخ بن تغرى بردى ثم ابتاعه منهم غصباً الأمير تمر باى رأس نوبه النوب فى سنة ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م بنحو ألف دينار [٤] وتوارث ملكية هذا القصر الأمراء بقية العصر المملوكى ، واستمر عامراً فترة فى العصر العثمانى [٥] . وموضع هذا القصر الآن منطقة الحوض المرصود بالسيدة زينب .

ومن القصور التى بناها الناصر محمد لأمرائه على بركة الفيل بخط الجسر الأعظم قصر الأمير بهادر الجوباتى بجوار زاوية البرهان الصائغ تجاه الكبش [٦] ، وقد اندثر هذا القصر الان وكان موقعة غربى جامع لاجين .

= والعجل التى تحملها لأنها كانت تخص السلطان وكذلك غير محسوب فى المصاريف والنفقة أجرة الفعلة لأنهم استخدموا فى البناء أهل السجون المحبوسين ولو حسبت ذلك لبلغت النفقة اليومية الضعف ، واستمرت العمارة عشرة أشهر وقدرت النفقة الف الف (مليون) درهم زيادة على خمسين ألف دينار سوى ما حمل وسوى من سخر فى العمل . انظر الخطط ، ج٢ ، ص٦٨ .

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٦٤ .

(٢) انظر بالتفصيل : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨ . ، ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص١١٠ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨ .

(٤) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص٣٩٢ .

(٥) ظل قصر بكتمر قائماً حتى بنى مكانه الأمير صالح بك القاسمى أمير الحج داره العظيمة سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م ، ثم صارت هذه الدار تتقلب مع تقلب حوادث الأيام إلى أن أصبحت من أملاك الحكومة فجعلت فى عهد محمد على باشا الكبير ورشة لعمل الاسلحة والذخائر وعرفت باسم ورشة الحوض المرصود بشارع مراسينا بالقاهرة ، ثم هدمتها الحكومة بعد ذلك وشقت فيها شارع محمد قدرى باشا فقسمها قسمين الغربى منها وهو معظم مساحتها جعلته متنزهاً عاماً باسم متنزه الحوض المرصود ، والقسم الآخر لا يزال قائماً شرقيه وهو مجعول مستشفى يسمى مستشفى الحوض المرصود للأمراض الجلدية . انظر :على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص٣٢٨ ـ ٣٣٠ . محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص١٨٨ .

(٦) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ،ص٥٤٠ ، عبدالرحمن زكى ، القاهرة ، تاريخها وآثارها (ط القاهرة ، ١٩٦٦) ، ص١١٧ .

ومن القصور التى بنيت على البركة بخط الجسر الأعظم قصر الأمير أرغون الكاملى [١] ففى سنة ٧٤٦ هـ/ ١٣٤٥م رسم السلطان الكامل شعبان للأمير أرغون الكاملى بدار أحمد شاد الشرابخاناه [٢] وأمر بأن يعمر له بجوار هذه الدار قصراً من مال السلطان يطل على بركة الفيل من جهة وعلى الجسر الأعظم مقابل الكبش من الجهة الأخرى، وأدخل فى ذلك القصر ٢٠ ذراعا من أرض البركة ، وانتهى من عمارة القصر فى صفر ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م وكان ملاصقاً لقصر بكتمر الساقى الذى يقع شرقية [٣] وذكر "على مبارك" أن محله فى زمنه الحوش المقابل لجامع الجاولى المعروف بحوش ابراهيم شركس وما يجاوره إلى الحوض المرصود [٤] . أما موضعه اليوم فعمارات حديثة .

وذكر المؤرخون أنه كان يوجد بخط الجسر الأعظم مقابل الكبش دار مطلة على بركة الفيل ، كانت أول أمرها ملكاً للأمير أولجاى اليوسفى [٥] زوج خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان ، ثم آلت إلى الأمير على باى رأس نوبة كبير [٦] وكان يسكن بجوار على باى الأمير أقباى الطرنطاى [٧]

---

(١) الأمير أرغون الكاملى هو سيف الدين بن عبدالله الكاملى الصغير نائب حلب ثم نائب دمشق ، تبناه الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون وزوجه أخته من أمه بنت الأمير أرغون العلائى فى سنة ٧٤٥هـ ، وكان يعرف بأرغون الصغير ، فلما مات الملك الصالح وتولى الملك من بعده أخوه الملك الكامل شعبان أعطاه إمرة مائة وتقدمه الف وسماه أرغون الكاملى فى جمادى الأول ٧٤٦هـ . وقد وتولى نيابة حلب سنة ٧٥٠هـ ونيابة دمشق ٧٥٢هـ، وعاد إلى نيابة حلب مره أخرى سنة ٧٥٤هـ ، ولما تسلطن الملك الناصر حسن للمرة الثانية سنة ٧٥٥ هـ عزله ، وفى سنة ٧٥٦ هـ اعتقله الناصر حسن بالقاهرة ثم بالاسكندرية ثم نفاه إلى القدس بطالاً ، وبنى هناك تربة له دفن بها لما مات يوم الخميس ٢٦ شوال سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧ م وعمره نحو ٣٠ سنة . انظر : المقريزى ، الخطط، جـ٢، ص٧٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٠ ، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧ ، المنهل ، جـ٢ ، ص٣٢٣ .

(٢) هذه الدار سكنها الملك الظاهر جقمق وهو أمير ومنها تسلطن سنة ٨٤٢هـ ، ثم سكنها الملك الأشرف إينال وهو أمير كذلك ، ومنها تسلطن ايضاً سنة ٨٥٧هـ ، انظر: المقريزى ، السلوك ، جـ٤ ، ص ١٠٧٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٠ ، ص١٢٠ ـ ١٢١ ، جـ١٥ ، ص ٤٣٨ .، وانظر ما يلى ، ص١٧١ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٧٢ .، السلوك ، جـ٢ ، ص٧٠٢ . ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٠ ، ص١٢٧ . ، المنهل ، جـ٤ ، ص٢٧٩ .

(٤) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص ٣٢١ .

(٥) هو الأمير سيف الدين الجاى بن عبدالله اليوسفى الناصرى ، كان من مماليك الناصر حسن والذى رقاه إلى أمير مائة مقدم ألف ، وقد تولى عدة وظائف هامة فى الدولة ، وتزوج بخوند بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان ، ولما توفيت خوند بركة توترت العلاقة بين الجاى والسلطان وخرج الجاى عليه فى محرم ٧٧٥ هـ إلا أنه انهزم ومات غريقاً فى النيل فى ٨ محرم سنة ٧٧٥هـ/ ١٢٧٣م ودفن بقبة مدرسته بخط سويقة العزى بسوق السلاح (اثر رقم ١٣١) . انظر : ابن تغرى بردى المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٦) فى هذه الدار أراد على باى أن يقتل الظاهر برقوق ، وذلك بأنه ادعى المرض ليعوده الظاهر برقوق عند عودته من فتح الخليج فى ١٩ ذى الحجة سنة ٨٠٠ هـ ، ولكن تلك المؤامرة فشلت وأدت إلى القبض على على باى وخنقه . انظر : ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ١ ، ص٤٦٦ ـ ٤٦٩ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ ، ص٥٠٥ ـ ٥٠٧ .

(٧) هو الأمير سيف الدين اقباى بن عبدالله بن حسين شاه الطرنطاى المعروف بالحاجب ، كان من مماليك الظاهر =

وبسبب هـذا الجوار كانت الفتنة الـتى أدت إلى خروج على باى علـى السلطان الملك الظـاهر برقوق وأدت إلى موته [١] .

وقد امتلك السـلطان برسـباى بناءاً يطل على بركة الفيل تجاه الكبش بالـقرب من قناطر السباع كان يعرف قديماً بالمقر اليوسفى سودون بقجة [٢] ثم عرف بعد ذلك بأسم السلـطان برسباى ، وهذا البناء كان يتكون من قاعة (قصر) مطلة على البركة واصطبل ومرافق وغير ذلك ، وقد ذكر حدوده بأن الحد القبلى كان ينتهـى إلى مكان كان يعرف قديماً بوقف بكتمر الساقى ، والحـد البحرى إلى مكان يعرف بالموردة فاصل بين ذلك وبين زاوية الـشيخ إبراهيم الصائغ وإلى بركة الفيل والحد الـشرقى ينتهى إلى بركة الفيل ، والحد الغربى ينتهى إلى الطريق العظمى [٣] .

وقـد ذكر المؤرخـون أنه فى يوم الاثـنين ٢٦ صفـر ٨٢٦ هـ قد قـدم إلى القاهـرة الأمير إيـنال النوروزى [٤] واستقر بها "أمير مجلس" ونزل فى الدار التى تقابل الكبش على بركة الفيل [٥] .

ويبدو لى أن هذه الدار هى دار أحمـد شاد الشرابخاناه التى سكنها كل مـن جقمق وإينال قبل أن يتسـلطنا ، وكانت هـذه الدار مخصصة لمـن يلى وظيفة كـبرى فى دولة المماليـك مثل وظيفـة أمير المجلس وهو المشرف على ترتيب مجلس السلطان وتدبير أمر حراسته وغير ذلك من المهام [٦] ولذلك

= برقوق ومن خـواصه وأعيان دولته ، وتولى فـى زمنه وفى زمن الناصر فـرج عدة وظائف هامة حتى مـات ليلة الأربعاء ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٨١٢ هـ . انظر: ابن تغرى برد ى، المنهل الصافى ، جـ٢ ، ص٤٦٥ ـ ٤٦٦ .

(١) هذه الفتـنة كما رواها "ابن اياس" سببها أن مملوكاً مـن مماليك على بـاى تعرض لجارية من جوارى الأمير اقباى الطرنطـاى الذى كان ساكناً بجواره فـقبض أقباى على هـذا المملوك وضربه أربعـمائه عصاه ، فاشتكـى على باى للسلطان بـرقوق عساه ان يثار لمملوكه مـن الأمير أقباى ، ولكن السلطان لـم يفعل شيئاً ، فاضمر فـى نفسه الغل والانتقام ودبر المؤامرة التى فشلت وأدت إلى موته . انظر : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ ، ص٥٠٥ ـ ٥٠٦ .

(٢) ذكر "ابن اياس" انه فى صفر سـنة ٨٠١ هـ قامت فتنة بين الأمراء وأراد بعضهم القبـض على سودون بقجة وكان ساكناً على بـركة الفيل ، ولما أرادوا مسكه رمى نفسـه من الطاقة إلى البركة وهرب واختـفى " . بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٦٤٠ ـ ٦٤١ .

(٣) كتاب وقف السلطان برسباى رقم ٨٨٠ أوقاف ، ص ١٢٥ ، سطور ١ ـ ٥ . أحمد دراج ، حجة وقف السـلطان برسباى ، نشر المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٣، ٢٤ .

(٤) هو الأمير سيـف الدين اينال بن عبدالله النوروزى ، أصله من مماليك الأمـير نوروز الحافظى المتغلـب على دمشق ودواداره ، ثم انتقل بعد قتل استاذه لخدمة السلطان المؤيد شيخ وترقى إلى ولى نيابة غزة ثم انتقل إلى نيابة حماه ، وفى أوائل سلطـنة الأشرف برسباى تولى نيابـة طرابلس، ثم أستدعى إلى الـقاهرة وانعم برسباى عليـه بامره مائة وتقدمه ألف ثـم استقر أمير مجلـس ثم أمير سلاح واستمر بـها إلى أن توفى فى أول ربيع آخـر سنة ٨٢٩هـ ومن المعروف أنه كان زوج أخت المؤرخ ابن تغرى بردى . انظر : ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ٣ ، ص١١١

(٥) ابن الصيرفى نفسه ص٢٤ ، العينى.، عقد الجمان ، (نشر الزهراء) ، ص١٩٩ ـ ٢٠٠

(٦) عن هذه الـوظيفة بالـتفصيل انـظر : حسن الباشـا ، الفنون الاسلاميـة والوظائف عـلى الآثار العربيـة ، جـ١ ، ص٢٥٩ ـ ٢٦٤ .

كانت هذه الدار قريبة من القلعة . وقد رأينا مثـل ذلك الأمر فى سكن من يتولى وظيفة الأمير اخور بغربى البركة .[1]

ويبدو أن هـذه الدار قد سكن بهـا أيضاً الأمير يونـس الدوادار المتوفى فى رمـضان ٨٦٥ هـ [2] حيث ذكر ابن تغرى بردى أنه فى يوم الأحد ٢٥ جماد الآخرة سنة ٨٦٠ هـ ركب الدوادار يونس من قاعة ابن قطينة بساحل بولاق بعد أن أقام بها مدة توعك كان به وتوجه الى بيته تجاه الكبش على بركة الفيل .[3]

جـ - العمارة بالجانب الغربى للبركة :

عمر الجانب الغربـى للبركة فيما بينها وبين الخلـيج المصرى وقد كثفت تلك المنطقة بـالعمائر نظراً لموقعها المتميز فحفلت بالخطط والدروب فى العصر المملوكى وأهمها خط قبو الكرمانى [4] الذى عمر زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وقد ذكر «المقريزى» هذا الخط لما تكلم على قنطـرة آق سنقر فقال : «أن هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل إليها من خط قبو الكرمانى ومن حارة البدبعيين التى تعرف اليوم بالحبانية» [5] .

ولما تكلـم عـلى جـامع بشتاك قال «هذا الجـامع خارج القاهرة بخـط قبو الكرمانى عـلى بركة الفيل» [6] .

---

(١) انظر ما يلى ، ص ١٧٧ ، حاشية (١) .
ومما يذكر فى هـذا الشان أيضاً ارتباط الـسكن بالوظيفة نقول أن قـصر واسطبل الامير قوصـون الذى كان مجاوراً لمدرسة السلطان حسن والذى جدد عدة مرات والباقى منه الآن الأثر رقم ٢٦٦ ، كان مخصصاً لكل من يلى وظيفة الأتابك وذلك لقربه من القلعة ، وظل على ذلك حتى انتقل سكن الأتابكى إلى الأزبكية حين خصص قصر أزبك لهذا المنصب . كما أن دار منجك بسوق السلاح خصص لمن يلى وظيفة أمير السلاح.. انظر : ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ٩ ، ص ١٢١ ،. محـمد رمزى ، تعليقه على نفس الجـزء ، ص ١١٠ - ١١٠ ، محمد حسام ، اربعة بيوت مملوكية من الوثائق العثمانية ، بحث فى مجلة حوليات اسلامية ، المجلد ٢٤ سنة ١٩٨٨ ، ص ٨٨ .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص ٤٧٢ .

(٣) حوادث الدهور ، جـ ٢ ، ص ٤٧٢ .

(٤) الكرمانى هـو الأمير طقز دمر الحموى الـكرمانى نائب الـسلـطنة بديار مصر ودمشـق فى سلطنة الناصـر محمد بن قلاوون ، وقد عاصر أيـضاً أربعة من أبناءه ، وكان له حكـر بالجانب الغربى للخـليج فبنى قنطرة لـيتوصل اليه ، وكان لطقـز دمر دار مطلة على بـركة الفيل محلهـا الآن المدرسة الخديوية ، وقد مـات طقز دمر فى ليلـة الخميس مستهل شهر جمادى الأخرة سنة ٧٤٦ هـ . انظر .
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١١٦ ، ١٤٧ .

(٥) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(٦) الخطط ، جـ ٢ ص ٣٠٩ .

وبما أن حارة الحبانية وجامع بشتاك المعروف بجامع مصطفى باشا فاضل لا يزال موجودين بشارع درب الجماميز ، يتبين من ذلك أن خط قبو الكرمانى كان واقعاً شرقى الخليج ومكانه اليوم شارع درب الجماميز فى المسافة بين سكة الحبانية وبين حارة السادات .[(١)]

ومن أهم العمائر الدينية التى بنيت على الشاطىء الغربى لبركة الفيل خانقاة وجامع الأمير بشتاك الناصرى [(٢)] بخط قبو الكرمانى محصورين بين الشاطىء الغربى للبركة والشاطىء الشرقى للخليج ، فقد أنشأ الخانقاه على شاطىء الخليج الشرقى واحتفل بافتتاحها فى أول شهر ذى الحجة سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م ، وقرر فيها عدد من الصوفية وأجرى لهم الخبز والطعام فى كل يوم واستمر ذلك مدة [(٣)] ، وقبالتها بدأ فى بناء جامعة على شاطىء البركة فى رمضان ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦م ،وفرغ من بنائه فى شهر شعبان سنة ٧٣٧ هـ أو فى شهر ذى الحجة فى رواية أخرى [(٤)] .

ومما لا شك فيه أن ذلك الجامع وتلك الخانقاة كانا من أعظم العمائر روعة وجمالاً ويدل على

---

(١) أطلقت مصلحة التنظيم اسم قبو الكرمانى على حارة بشاوع سويقة السباعين فى بر الخليج الغربى فى حين أن خط قبو الكرمانى كان واقعاً فى بر الخليج الشرقى . انظر :
محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ١١ ، ص ٢٧٤ .

(٢) هو الأمير سيف الدين بشتاك أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون وعظيم دولته ، وقد رقاه الناصر إلى أعلى رتبة فى رتب المماليك وهى أمير مائة مقدم ألف ، وولاه عدة وظائف هامة بالدولة ، وفى سنة ٧٣٣ هـ أضيف إلى أملاكه وثروته اقطاع وأملاك الأمير بكتمر الساقى حتى أنه تزوج امرأته ، ومن الطريف أنه كان بين الأمير بشتاك وبين الامير الاتابكى قوصون منافسة شديدة فى كل شىء حتى فى العمائر ، فقد كان قوصون قد اشترى قصر بيسرى بالشارع الأعظم على يسار المتجه إلى باب الفتوح فبنى بشتاك مقابله قصراً عظيماً فأحيا اسم بين القصرين من جديد ، وعقب وفاة السلطان الناصر محمد احتدم الصراع والتنافس بين الأميرين وانتهى بالقبض على بشتاك واعتقل بالاسكندرية وقتل هناك فى ربيع آخر ٧٤٢ هـ وقد كان واسع الثراء حتى أن اقطاعه كانت عبرته مائتى ألف دينار فى السنة ، وكان له منشآت معمارية عديدة أهمها قصره الذى لا يزال موجوداً بين القصرين (أثر رقم ٣٤) ، والجامع والخانقاة ببركة الفيل (أثر ٢٠٥) والحمام بسوق السلاح (أثر رقم ٢٤٤) . أنظر : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، السلوك ، جـ٢ ، ٦١٤ . ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ٢٠، المنهل الصافى ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ - ٣٧٢ . ، ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، جـ١ ، ص ٤٧٧ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٤١٩ .

(٤) الشجاعى ، تاريخ الملك الناصر ، ص ١٢ - ١٣ . ، المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ . ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٢٣ .

* ومن الملاحظ أن المؤرخ «ابن اياس» قد أخطأ فى نسبة الجامع فنسبه إلى الأمير بشتاك العمرى وهذا الخلط لتشابه الاسم فقد قال «فى شهر رمضان سنة ٧٧٠ هـ كانت وفاة الأمير بشتاك العمرى رأس نوبة النوب وهو صاحب الجامع المطل على بركة الفيل بالقرب من قنطرة سنقر » ، انظر : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق٢ ، ص ٨٦ .

* ومن الملاحظ أن ابن اياس أخطأ كذلك فى تاريخ وفاة بشتاك العمرى فذكر أنه فى رمضان سنة ٧٧٠ هـ ولكن الصحيح أنه توفى فى سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م .

أنظر : ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ ٣ ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

ذلك آثار بشتاك الباقية وهى قصره ببين القصرين (اثر رقم ٣٤) وكذلك مدخل حمامه بسوق السلاح (اثر رقم ٢٤٤) ويؤيد ذلك ما يقوله «المقريزى» عن الجامع بأنه «من أبهج الجوامع واحسنها رخاماً وانزهها وأدركناه إذا قويت زيادة ماء النيل فاضت بركة الفيل وغرقته فيصير لجة ماء» [١] .

ومن العمائر الدينية أيضاً بالجانب الغربى من البركة خانقاة سعد الدين بن غراب [٢] أثر رقم ٣١٢، وقد أنشأها سنة (٨٠٣ هـ - ٨٠٨ هـ / ١٤٠٠ - ١٤٠٦ م) ، وهى تطل مباشرة على بر الخليج الشرقى ، وهى تقع غربى جامع بشتاك بشارع درب الجماميز [٣] ، وكان لابن غراب أيضاً دار بالقرب من خانقاته كانت تطل على بركة الفيل . [٤]

ومن العمائر الدينية التى بنيت فى الجانب الغربى للبركة مدرسة (جامع) قراقجا الحسنى [٥] (أثر رقم ٢٠٦) الذى بنى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م وأوقف قراقجا عليه أوقافاً عديدة وقد ذكر فى وثيقة

---

(١) الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ .

* تم تجديد الجامع فى سنة ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م بامر الأميرة الفت هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل اخى الخديوى اسماعيل ، ولم يتبق من الجامع الأصلى سوى مئذنته العالية الرشيقة الحافلة بالنقوش والكتابات ، وكذلك تبقى بوابته الأصلية ، أما الخانقاة فقد اندثرت وأقامت الأميرة ألفت هانم سبيلاً مكانها سنة ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م بشارع درب الجماميز انظر بالتفصيل : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ ، ٤١٩ . ، محمد رمزى ، تعليقه على النجوم ، جـ ٩ ، ص ٢٠٨ . ، علـى مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩١ - ٩٢ ، جـ ٤ ، ص ١٣٧ ، جـ ٦ ، ص ١٤١ . ، حسن بعد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص ١٤٣ - ١٤٦ . ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ - ٢١٣ .

(٢) هو القاضى سعد الدين ابراهيم بن عبد الرازق بن غراب الاسكندرانى ، ينتمى إلى اسرة قبطية ، وقد تولى عدة وظائف هامة منها ناظر الخاص وناظر الجيوش واستادار السلطان وكاتب السر ، وكان أحد الأمراء مقدمى الألوف الاكابر فى الدولة ، وقد لعب دوراً كبيراً فى دولة المماليك الجراكسة ، وقد توفى يوم الخميس ١٩ رمضان ٨٠٨ هـ ولم يبلغ الثلاثين عاماً .
أنظر : المقريزى ، جـ ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

(٣) ذكر «على مبارك» خانقاة ابن غراب أنها كانت كبيرة الحجم ولم يبق منها فى زمنه إلا ايوان واحد وبها سبيل مهجور وقد جعلت زاوية مقامة الشعائر . انظر :
الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩٢ ، جـ ٦ ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، ١٣٩ .
وعنها انظر : سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ ، ص ٧٧ - ٨١ .

(٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ١١٧١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق٢ ، ص ٧٣٤ .

(٥) قراقجا هو سيف الدين قراقجا عبدالله الحسنى الظاهرى امير اخور كبير ، من كبار الأمراء الذين لعبوا دوراً كبيراً فى تاريخ دولة المماليك الجراكسة ، وقد توفى بالطاعون فى يوم ١٨ صفر ٨٥٣ هـ ، وعنه بالتفصيل انظر : السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٦ ، ص ٢١٦ . ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٥ ، ص ٣٩٠ . ، عبد اللطيف ابراهيم ، وثيقة الأمير اخور كبير قراقجا الحسنى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٨ ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٥٦ . ،
عن المدرسة بالتفصيل ، انظر : سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ ، ص ١٣٤ - ١٤٢ .

قراقجا أن موقع الجامع يظاهر القاهرة المحروسة خارج بابى زويلة والخرق بخط المسجد المعلق [(١)] بدرب الغنامسة على يمنة السالك من درب النيدى وغيره وعلى يسرة السالك من جامع بشتاك طالباً درب النيدى وغيره [(٢)] ، كما ذكر أيضاً أن حد الجامع القبلى كان ينتهى إلى حوش خراب يعرف بالغور والحد البحرى كان ينتهى إلى الطريق السالك والحد الشرقى إلى زقاق والحد الغربى ينتهى إلى الزقاق المتوصل منه إلى درب النيدى [(٣)] .

ومما سبق يتبين أن درب النيدى هذا يمثله الآن شارع درب الجماميز وكان يمثل الحد البحرى (الشمالى الغربى) للجامع ، أما الحد القبلى (الجنوبى الشرقى) الذى كان ينتهى إلى حوش يعرف بالغور فيمثل موقعه الآن مدرسة الشيخ صالح ، أما الزقاق الذى بالحد الشرقى فيمثله اليوم حارة السادات ، وكان الحد الغربى ينتهى الى زقاق غير موجود حالياً .

كما أنشأ قراقجا أيضاً مسجداً صغيراً أشبه بزاوية وكذلك سبيلاً وكتاباً على الجانب الآخر من الشارع أمام المدرسة (الجامع) ، كما الحق بتلك المنشآت حوانيت عديدة [(٤)] وكان السبيل موجوداً حتى نهاية القرن الماضى [(٥)] .

كما كان لقراقجا دار كبيرة [(٦)] مجاورة لمدرسته كانت تطل على بركة الفيل آلت ملكيتها

---

(١) المسجد المعلق هو المرتفع مدخله عن مستوى أرضيه الطريق ، ولعل هذا المسجد هو المنسوب إلى سيف الدين اسنبغا حارس الطير الذى تولى نيابة السلطنة فى أيام الناصر حسن بن قلاوون ، وكان هذا المسجد بدرب الجماميز الذى كان يعرف بدرب قراقجا الحسنى (على حد قول وثيقة قانى باى الرماح رقم ١٠١٩ أوقاف) على رأس درب النيدى، وقد تجدد بعد سنة ٨٠٠ هـ ، انظر : المقريزى ، الخطط جـ ٢ ، ص ٣٣١ . ، عبدالطيف ابراهيم ، المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٢) عبداللطيف ابراهيم ، المرجع السابق ، ص ١٩٩ ، سطور ١٠ – ١٣ (٣) نفسه ، ص ٢٠٣ ، سطر ٤٦ – ٤٩ .

(٤) نفسه ، ص ٢٠٣ .

(٥) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ص ١٧ .

(٦) فى وثيقة قراقجا رقم ٧٤٨ أوقاف المؤرخة بأول شعبان ٨٤٥ هـ . ذكر لقاعة كبرى ذات ايوانين متقابلين فيما بينهما دور قاعة ، وكانت تطل على بركة الفيل وذكر أن الحد القبلى ينتهى إلى بركة الفيل والحد البحرى كان ينتهى إلى حوش يعرف بابن ارج وغير ذلك ، والحد الشرقى ينتهى إلى مقر السيفى جانم اميراخور وإلى البركة والحد الغربى ينتهى إلى ملك السيفى مغلباى عبدالله الخاصكى وغير ذلك .

* وهذه الوثيقة التى استشهدت بها غير الوثيقة رقم ٩٢ أوقاف والتى نشرها د . عبداللطيف ابراهيم .

فـى نهايـــة العصـــر المملوكى إلى الأميـــر قانى باى الرماح [١] ، ومحـل هذه الدار الآن مـدرسة الشيخ صالح [٢] .

ومن أهم العمائر المدنية التى كانت تحد الشاطىء الغربى لبركة الفيل فى العصر المملوكى دار الأمير طقز دمر والتى نزل بها السلطان غياث الدين أحمد ضيـفاً على السلطان الظاهر برقوق هرباً من تيمور لنك [٣] . وكانت هذه الـدار تقع بالمنطقة التى تشغلها الآن مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية (الميرية سابقاً) [٤] .

ومـن القصـور الهامة التى كانت تطـل على الشاطىء الغربى لـلبركة قصر فاطمة الخـاصبكية [٥] زوجـة السلـطـان قايتبـاى ، وكـان قصـراً كـبيـراً كامل المرافق والمشتملات ، وكـان ملحق به حمام كبير وحـديقة وغير ذلك وذكـر بوثيقتها رقـم ٧٠٧ أوقاف أن القصر يقـع بخط قنطرة سـنقر بدرب البرناق وكان يطل على بركة الفيل مباشرة ، وكـان حده البحرى ينتهى إلى الطريق المسلوك وهو درب

---

(١) عبداللطيف ابراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار ، (كتاب دراسات فى الآثار العربية) ص ٤٣٦ . سامى عبدالحليم ، اثار الامير قانـى باى قرا الرماح بالقاهرة ، دكتـوراه «غير منشورة» (كلية الآداب ، جامـعة القاهرة ، ١٩٧٥) ص ٤٤، ٤٥ ، ٧٨ ، ٣٠٤ .

* ومن الجدير بـالذكر هنا أن د . عبدالـلطيف ابراهيم ربط بـين سكن الأميرين قراقـجا الحسنى وقانى بـاى بتلك المنطقـة على بركة الفـيل وبين وظيفة كل مـنهما وهى وظيـفة أميراخور كبيـر أى المشرف على اصطـبلات وخيول السلطان والتى ذكر المؤرخون أنها كانت توجد على بركة الفيل وفى الرميلة . انظر :
الوثائق فى خدمة الآثار ، ص ٤٠٠ .

(٢) توارث الأمراء سكنـى هذه الدار فى العصر العثـمانى حتى آلت فى النهـاية الى الويزر رب السيف والقـلم محمود سامى البارودى ، ثم اقيمت بـها مدرسة الشيخ صالح بعد ذلك انظر : على مبارك ، الخـطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩٥ . ، عبداللطيف ابراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار ، ص ٤٧٦ .

(٣) كان السلطان غياث الدين أحمد بن أويس يحكم العراق ابتداءاً من سنة ٧٨٤ هـ وفر من أمام تيمور لنك سنة ٧٩٥ هـ فاستضافه السلطان الظاهر برقوق بمصر وانزله بدار طـقز دمر على بركة الفيل ، وظل فى صراع كبير على حكم العراق وايران حتى قتل سنة ٨١٣ هـ . انظر :
المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٧١ . ، ابن تغـرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٦ . ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٣ ، ص ١٨١ . ، ابن حجر العسقلانى ، انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٤٥٩ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ . ، ابـن دقماق ، الجوهر الثمين ، جـ ٢ ص ٢٩ . ، ابن الـصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٢١١ .

(٤) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ١ ص ١١٣ .

(٥) هو خوند فاطـمة ابنة العلاء من خاص بـك ، كانت زوجة الملك الأشرف قايـتباى ، ثم تزوجت بعد وفـاته الملك العادل طومان باى ، وكانت من مشـاهير النسـاء فى العصر المملوكى ، وكان لها كلمـة مسـموعة لمدة ثلاثين سنة ، وقد تعرضت فى أواخر أيامها لبعض الشدائد والمحن ، وقد توفيت يوم الأربعاء ٢٢ ذى الحجة ٩٠٩ هـ . انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٦٤ .

الجماميز الآن ، وكان حده الشرقى ينتهى الى سويقة والى بيت يعرف بالأمير محمد نقيب الجيش[1]، والحد الغربى ينتهى الى بيت السلطان قايتباى [2] .

ومحل القصر الآن داخل حدود المدرسة الخديوية [3] .

ومن الملاحظ أن قصر فاطمة الخاصبكيه قد صار من ضمن أوقاف السلطان الغورى [4] ، وكذلك الحوانيت التى تقع شمال القصر والتى كانت من أوقافها أيضاً [5] .

أما الأمير قانى باى الرماح [6] فقد امتلك كما ذكرت من قبل دار قراقجا الحسنى فجددها وأضاف

---

(١) ذكر على مبارك أن هذه الدار صارت فى زمنه بيد ورثة على برهان باشا اخى راتب باشا الكبير ، وقد دخلت فى حدود المدرسة الخديوية ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩٧ .

(٢) ورد فى كتاب وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف ص ٢٩٤ - ٢٩٥ أنه وقف على زوجته فاطمة الخاصبكية هذا المكان والأبنية الثلاثة بخط قنطرة آق سنقر داخل درب يعرف بالبرناق المطل على بركة الفيل وذلك فى حياتها وبعد وفاتها يصرف ريع ذلك على مدرسته وتربته بالصحراء .

(٣) يستفاد مما ذكره الجبرتى وعلى مبارك أن هذا القصر تنقل بين الأيدى إلى أن انتقلت ملكيته إلى الأمير يوسف بك الجزار فى سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م وظل به حتى مات سنة ١١٣٤ هـ / ١٧٢٢ م فسكنه من بعده اسماعيل بك بن ايواظ بك فجدده وصرف عليه أموالاً طائلة وزخرفة بالرخام وعمره عمارة عظيمة وظل به حتى قتل سنة ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣ م فتخرب من بعده ، ثم بعد مدة كبيرة أنشأ فى مساحة القصر الأمير سامى باشا المرلى داراً كبيرة بعد أن اشترى الأحواش التى بجانبها روسعه بها ، وبعد مدة اشتراها الأمير مصطفى فاضل أخى الخديوى اسماعيل فبناها بناءاً جديداً وغرس بها بستاناً عظيماً ، ثم دخلت فى أيام على باشا مبارك للمعارف إلى أموال الدولة وجعل بها ديوان المعارف ولما تولى نظارة الأوقاف نقل ديوان الأوقاف بها مع ديوان المدارس وجعل بها كتبخانة قبل انتقالها الى مبناها الحالى بميدان باب الخلق ، ثم بنى مكانها أبنية المدرسة الخديوية الثانوية الآن . انظر:

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩٧ - ١٠٠ .

(٤) كتاب وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٢ أوقاف .

*وربما أجبر الغورى خوند فاطمة الخاصبكية على التنازل عن أملاكها ومنها هذا القصر ولم تغير حدوده عما ذى قبل ، فقد ورد فى ص ٩٨ أن حده القبلى كان ينتهى إلى بركة الفيل ، والبحرى إلى زقاق غير نافذ داخل درب البرناق ، والحد الشرقى لبيت المرحوم قانصوه . وكان يعرف بوقف خشقدم ، والحد الغربى ينتهى لمكان يعرف بكاتب الجراية .

(٥) عن الأصول الوثائقية روصف تلك الحوانيت انظر : عوض الامام ، الاصول الوثائقية الجامعة لأوقاف السلطان الغورى ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٦) عن ترجمته بالتفصيل انظر : سامى عبدالحليم ، آثار الأمير قانى باى قرا الرماح بالقاهرة «دكتوراة» .

إليها [١] ، كما اشترى عدة أماكن بجوار هذا البيت وأقام مكانها بيتاً نُعت بالبيت الكبير [٢].

د - العمارة بالجانب الشمالى لبركة الفيل :

عرفت العمارة طريقها شمال وشمال شرق بركة الفيل فى العصر الفاطمى حيث اختطت حارة المصامده وحارة الهلالية وحارة البديعيين التى عرفت فيما بعد بحارة العيدانية ، إلا أن تلك الحارات تخربت زمن الأيوبيين وجعلت أراضيها بساتين .

وفى العصر المملوكى اختطت حارة الحبانية مكان حارة العيدانية ، وكان يتوصل اليها من تجاه قنطرة سنقر ، وكان بعض دورها يشرف على بستان الحبانية الذى أوقفه صلاح الدين الأيوبى على خانقاه سعيد السعداء وبعضها يطل على بركة الفيل [٣] ، وكانت تلك الحارة تصل بين شارع درب الجماميز إلى شارع الداودية [٤] .

ويبدو أن شمال بركة الفيل احتفظ لوقت كبير فى العصرين المملوكى والعثمانى بالبساتين ولم تكثف به العمارة كالجانب الغربى للبركة [٥] .

ومن أهم العمائر الدينية التى بنيت بحارة الحبانية وكانت تطل مباشرة على بركة الفيل مدرسة زين الدين الاستادار (أثر رقم ٢٠٤) التى انتهت عمارتها فى جمادى الآخره سنة ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م وقد قرر بها حضور ومتصوفة [٦] .

وكان للسلطان الغورى دار كبيرة شمال شرق البركة بحكر اقوش الموصلى بالقرب من جامع قوصون [٧] وكانت هذه الدار تطل مباشرة على البركة وقد ذكر أن حدها القبلى كان ينتهى الى

---

(١) ذكر فى وثيقة قانى باى «أن الحد القبلى ينتهى بعضه إلى قاعات تعرف بالمقر الأشرفى يونس أمير نقيب الجيوش المنصورة ، وبعضه إلى بيت قانى باى الكبير ، وبعضه إلى بركة الفيل ، والحد البحرى ينتهى إلى زقاق ، والحد الشرقى إلى فسحة بها أصل جميز وبعضه إلى بناء يعرف بالسيفى شاد بك ومطل على البركة أيضاً ، والحد الغربى إلى زقاق فاصل بينه وبين اسطبل قانى باى أيضاً وإلى أماكن تخص قانى باى وإلى البركة .
أنظر سامى عبدالحليم ، المرجع السابق ، ص ٣١٧ - ٣١٨ ، سطور ٥٠٧ - ٥١٤ .

(٢) ذكر أن هذا البيت يقع بدرب أرغون شاه بدرب النيدى وكان حده القبلى ينتهى الى بركة الفيل والحد البحرى ينتهى الى بناء قديم والحد الشرقى كان بعضه ينتهى الى بيت يعرف بسكن قانى بردى وبعضه الى البيت الآخر له ، والحد الغربى إلى مقام سيدى عبدالله وسكن تمر بغا وسكن قان بردى وتمه الى بركة الفيل . انظر :
سامى عبدالحليم ، المرجع السابق ، ص ٣٠٣ ، سطور ٣٩٨ - ٤٠٢ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦ ، ٢٠ .

(٤) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٤٥ .

(٥) نفسه :

(٦) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، جـ ١ ، ص ١٢٩ . ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٧) كانت هذه الدار قديمة اشتراها السيفى تانى بك بن عبدالله بن يشبك أمير خازندار كبير فى صفر ٩٠٧ هـ / ١٥٠١م ثم باعها للسلطان الغورى . انظر :
الوثيقة رقم ٥٦١ جـ / أوقاف ، عوض الامام ، المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

الطريق ، والحد البحرى ينتهى الى بركة الفيل ، والحد الشرقى كان ينتهى إلى مكان يعرف قديماً بالغرسى خليل والحد الغربى ينتهى إلى مكان يعرف قديماً بورثة الأمير أقوش [1] ، وموضع الدار الآن مبانى تطل على شارع محمد على .

العمارة حول بركة الفيل فى العصر العثمانى :

ازداد العمران على بركة الفيل فى العصر العثمانى ، وتناقصت مساحة البركة مع الزمن بفعل اقامة البيوت مكانها ، وكانت منطقة بركة الفيل هى المكان المفضل لسكنى الطبقة الارستقراطية فى ذلك الوقت [2] .

وقد ذكر البكرى (ت ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م) أن البركة فى زمنه فى غاية العمارة وهى مسكن أمراء الدولة العثمانية وكلما تقادم الزمن ازدادت عمارة [3] ، ففى القرن ١٠ هـ / ١٦ م كان يسكن بها ٢٠٪ من عدد أفراد الطبقة الارستقراطية [4] ، وحتى منتصف القرن ١١ هـ / ١٧ م كان يوجد بمنطقة بركة الفيل ٣٣٪ من المجموع الكلى للطبقة الارستقراطية [5] ، ومن منتصف القرن ١١ هـ / ١٧ م حتى منتصف القرن ١٢ هـ / ١٨ م كان يسكن على شاطىء البركة ٤٠ ٪ من عدد كبار الشخصيات فى مقابل ١٧ ٪ ببداية القرن ١٠ هـ / ١٦ م . [6]

ومن أوساط القرن ١٢ هـ / ١٨ م بدأ البكوات يتركزون حول كل من بركة الفيل وبركة الأزبكية وهما أوسع برك القاهرة واكثرها امتلاءاً بالماء - مصدر انتعاشهم - فى معظم أوقات السنة ، إذ بلغت نسبتهم هناك ٥٣ ٪ فيما بين سنتى ١١٦٩ هـ و ١٢١٣ هـ / ١٧٥٥ و ١٧٩٨ م ، وارتفعت الى ٥٨٪ عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م [7] .

---

(١) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ ق أوقاف ، ص ٩٠ . ، الوثيقة رقم ٥٦١ جـ أوقاف ، عوض الامام ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٢) المقصود بكلمة ارستقراطى وارستقراطية أفراد الطبقة الحاكمة فى مصر وهم كبار الشخصيات المملوكية عند نهاية دولة المماليك الجراكسة ومنهم صفوة المماليك «بكوات وكشاف» وكذلك ضباط الاوجاقات فى العصر العثمانى وهى طبقة دخيلة فى مقابل الشعب المصرى الخاضع لهم من برجوازية وطنية (المشايخ وكبار التجار والطبقات الشعبية) . اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص ٢١٣ .

(٣) قطف الأزهار من الخطط والآثار ، مخطوط ، ورقة ١٥٤ .

(٤) اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٥) نفسه ، هامش ٢١٥ .

(٦) نفسه ، ص ١٧٩ .

(٧) عند نهاية القرن كان كل واحد من البكوات الذين كانت لهم حرية واسعة فى الاختيار بين عدة بيوت يمتلك على الاقل داراً فى ضواحى بركة الفيل وعادة حى قوصون وأخرى فى الازبكية وعلى سبيل المثال كان لعلى بك الكبير ثلاثة بيوت ولمحمد بك أبو الذهب اثنان ولاسماعيل بك اثنان أما مراد بك فكان له ستة بيوت ، وكان لمحمد =

وقد حفل الشاطىء الشرقى للبركة بكثير من دور الأمراء فى العصر العثمانى وهذه الدور تعود أغلبها للعصر المملوكى فكانت تجدد أحياناً أو تبنى من جديد محل دور قديمة ، وقد وقع بخريطة الحملة الفرنسية كثير من هذه الدور ، وكان كثير منها يقع بزقاق حلب الذى كان يمثل درباً نافذاً متصلاً بشارع الداوادية وشارع الحبانية ، وقد عرف زمن الحملة بعطفة (زقاق) مراد بك [١] ، وكانت تسمى الطريق باسمه لوقوع بيته الكبير به ، وكان هذا البيت يشرف على رحبة مربعة تقرب مساحتها من ٦٠ × ٦٠ متراً ، وكانت الرحبة على بعد خمسين متراً من شارع الحلمية [٢] .

وكان يجاور بيت مراد بك بيت منافسه الأمير ابراهيم بك الكبير [٣] شيخ البلد وكان هذا البيت كبيراً جداً [٤] وكان بجواره بيت أبنه مرزوق بك [٥] ، الذى سكنه بعد موت صاحبه الأمير عبدالرحمن بك [٦] ، وكان يوجد حمام يعرف بحمام ابراهيم بك فى مقابل بيته وهو الذى كان يعرف زمن المقريزى باسم حمام قمارى [٧] ، وكان يوجد بجوار بيت مرزوق بك بيت الأمير سليمان

= بك الالفى العدد نفسه ولمرزوق بك أربعة ولابراهيم بك خمسة . انظر :

ريمون ، فصول ، هامش ص ٢٦ ، عبدالرحمن زكى ، خطط القاهرة أيام الجبرتى ، (بحث فى كتاب عبدالرحمن الجبرتى لمجموعة باحثين) ، (نشر الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٦) ص ٤٨١ .

(١) أنظر ترجمته بالتفصيل فى ص ٦٧ .

(٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

* وقد وقع هذا البيت فى خريطة الحملة برقم ٨٨ ، فى المربع Q - 7 .

(٣) هو ابراهيم بك المحمدى ، كان من مماليك محمد بك ابى الذهب ، وقد تولى بعد موته مشيخة البلد ورياسة مصر فى سنة ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م وظل بها مدة طويلة ، وعند مجىء الحملة الفرنسية هرب الى دنقلة بالسودان وبها مات سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٥ م وجىء بجثته الى مصر فدفن بالامام الشافعى .

الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٥٣٧ - ٥٣٨ . ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٤) وقع بخريطة الحملة الفرنسية برقم ٨٩ ، فى المربع Q-8 .

(٥) وقع برقم ٩٠ ، فى المربع Q-8 .

* كانت هذه البيوت قد دخلت فى جنينة سراى الحلمية ولما قسمت أرض الحديقة حل محلها الآن عمارات سكنية حول شارع مهذب الدين الحكيم .

(٦) توفى عبدالرحمن بك سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م ، انظر ترجمته فى :

الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٥١ .

(٧) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

* وقد وقع الحمام برقم ٩١ ، فى المربع Q-8 .

بك الشابورى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م [(١)] ، وكان يليه بيت قاسم بك المتوفى سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠٠ م [(٢)] .

ومن البيوت التى كانت ببركة الفيل قريبة من شارع نور الظلام بيت اسماعيل بك بن محمد بك الدالى والذى عمل به فرح لولده واستمر خمسة عشر يوماً سنة ١١٤٧ هـ/ ١٧٣٤ م [(٣)] .

ومن القصور الكبيرة المملوكية الأصل والتى استمر السكنى بها فى العصر العثمانى قصر سكنه الأمير حسن كتخدا عزبان كان يقع بجوار مدرسة بشير الجمدار [(٤)] ، وكان قصراً كبيراً يحتوى على تكوينات معمارية كثيرة وذكر بالوثيقة أن حدوده كالتالى «الحد القبلى كان ينتهى لأماكن قديمة جارية فى وقف السلطان قايتباى والحد البحرى ينتهى بتمامه إلى بركة الفيل والحد الشرقى ينتهى إلى سكن ابراهيم بك وكتف باب الجامع القوصونى والحد الغربى الى أماكن قديمة وقف ذو الفقار بك [(٥)] .

وذكر الجبرتى أنه فى سنة ١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م تقلد كاشفان لاسماعيل بك يسمى كل واحد منهما «عثمان» صنجقين وسكن أحدهما بيت مصطفى بك الذى كان سكن محمد بك طبل وهو على بركة الفيل بجوار جامع أزبك اليوسفى وهو الذى يسمى بعثمان بك طبل [(٦)] .

أما العمارة جنوب البركة حيث خط قناطر السباع بالجسر الأعظم فكان فى غاية العمران ، ومن الأبنية التى ورد ذكرها فى الوثائق العثمانية وكانت تطل على البركة قصر أمين الدين محمد كمال الدين بن زين الدين عرفات ، وكان هذا القصر يجاور مدرسة لاجين السيفى ، وكان حده القبلى ينتهى الى مدرسة لاجين السيفى والحد البحرى ينتهى بعضه الى البركة وبعضه الى مجاز سالك إلى الشارع الأعظم وأما الحد الشرقى فكان بعضه ينتهى إلى مكان يعرف قديماً بالاستادار ثم عرف بعد ذلك بالوزير سنان باشا وباقى الحد كان ينتهى إلى البركة والحد الغربى كان ينتهى إلى ربع مطل على الطريق وقف السيفى لاجين [(٧)] .

---

(١) انظر ترجمته فى : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ، على مبارك ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .
* وقع هذا البيت برقم ١١٠ ، فى المربع P - 8 .

(٢) انظر ترجمته فى : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ٤٥٧ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية جـ ٢ ، ص ١٥١ . وقع هذا البيت برقم ١١١ فى المربع P-8 ، وقد دخلت بعض مساحة هذا البيت فى شارع محمد على حالياً .

(٣) أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص ٥٩٢ .

(٤) ورد فى وثيقة الأمير حسن كتخدا عزبان وقم ١٧٦ أوقاف المؤرخة بـ ٦ رمضان ١١٤٨ هـ أنه توارث سكنى هذه الدار افراد عديدين فقد كان المكان يعرف بسكن السيفى طراباى وبعده بالمرحوم سنان باشا الدفتردار وبعده بسكن رضا باشا بولاية الجيش وبعده بالمرحوم سيدى ابراهيم وبعده المرحوم .... بك وبعده بسكن المرحوم أحمد افندى الرونامجى وبعده بالمرحوم ابو بكر اغادار السعادة ثم عرف أخيراً بسكن الأمير حسن كتخدا عزبان .

(٥) نفس الوثيقة .   (٦) عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٥٠٣ .

(٧) سجلات الشهر العقارى سجل ٥٥ م ، ص ٧٦ ، ٧٧ مادة ٢٩٢ محكمة الأحوال الشخصية .

أما الجانب الغربي للبركة فقد عمر خط درب الجماميز عمارة كبيرة مكان خط قبو الكرماني ، واستمر السكن بالقصور والبيوت المملوكية من قبل أمراء الدولة العثمانية . (١)

وكان درب الجماميز المكان المفضل لسكنى أكابر الأمراء وخصوصاً في القرن ١٢ هـ / ١٨ م ومن الأمراء الذين سكنوا درب الجماميز الأميران ابراهيم كتخدا القاذدوغلي ورضوان كتخدا الجلفي ، وهما الأميران المسيطران على مصر في منتصف القرن ١٢ هـ / ١٨ م (٢) ، وكذلك من كبار الأمراء الذين سكنوا بدرب الجماميز الأمير أحمد كتخدا عزبان المعروف بأمين البحرين المتوفى سنة ١١٤١هـ/ ١٧٢٨ م (٣) ، وقد سكن في بيت ابن ايواظ المطل على بركة الفيل بدرب السادات (٤) وقد شهد هذا البيت الكثير من الأحداث في تاريخ مصر في العصر العثماني ، وقد أقام به بعض الباشوات الذين تولوا حكم مصر (٥) .

وكذلك كان للأمير سليمان أغا كتخدا الجاويشية بيت بدرب الجماميز وقد سكنه بعده الأمير علي بك الدفتردار المتوفى ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م (٦) ، وكان بجواره بيت عبدالله أغا كتخدا الجاويشية (٧) .

ومن الدور الهامة بالجانب الغربي للبركة بيت السادة البكرية وقد زاره الرحالة النابلسي (٨) وهو البيت الذي استولى عليه الشيخ السادات وعرف به (٩) .

وفي أواخر شهر ذي الحجة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م شرع ابراهيم بك الكبير شيخ البلد زمن الحملة الفرنسية في زواج ابنته عديلة هانم للأمير ابراهيم بك المعروف بالوالي أمير الحج سابقاً ، وعمر لها بيتاً مخصوصاً بجوار بيت الشيخ السادات من قبليه . (١٠)

---

(١) وثيقة الأمير حسين كتخدا عزبان رقم ١٧٦ أوقاف .
(٢) الجبرتي ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٢٣ . ، اندريه ريمون ، فصول ، ص ١٨١ .
* وقد وقع بيت رضوان كتخدا تحت رقم ٢ في المربع S - 9 بخريطة الحملة .
(٣) الجبرتي ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ .
(٤) أحمد شلبي ، أوضح الاشارات ، ص ١٩٧ . ،
الدمرداش (أحمد الدمرداش كتخدا عزبان) ، الدرة المصانة في أخبار الكنانة ، تحقيق عبدالرحيم عبدالرحمن ، (نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٩) ص ٢٨٠ ، ٢٩٣ .
(٥) الدمرداش ، نفس المصدر ، ص ٥ . ، الجبرتي ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٤٨ .
(٦) الجبرتي ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ٢٨٣ .
(٧) الدمرداش ، الدرة المصانة ، ص ٣٤٥ .
(٨) الحقيقة والمجاز ، ص ٢٥٩ .
(٩) الجبرتي ، عجائب الآثار ، جـ ، ص ٤٢٧ .
(١٠) الجبرتي ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ص ١٣٦ - ١٣٧ . ، علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩٥ .

وكذلك كان فى بحرى دار السادات دار على كتخدا الجاويشية [١] .

أما العمارة شمال بركة الفيل فقد نمت نمواً كبيراً فى آخر العصر العثمانى وصارت حارة الحبانية خطاً كبيراً حظى بسكن العديد من أثرياء الأمراء ، ومن الأمراء الذين ملكوا العديد من المنشآت حول المتنزهات ومنها بركة الفيل الأمير عثمان كتخدا [٢] فقد ورد بكتاب وقفة أنه كان له بيت بجوار المدرسة الزينية بالحبانية وكانت تطل على البركة من حدها الغربى [٣] .

ومن الدور التى كانت بحارة الحبانية ومطلة على بركة الفيل بيت الشيخ حسن بن حسين كتانى بن على المنصورى الحنفى [٤] .

وكان حى قوصون شمال شرق البركة المواجه لجامع قوصون أرقى أحياء البركة وتسكنه الطبقة الارستقراطية فى مصر ، وكان البكوات يفضلون الإقامة هناك ، ومن الدور الهامة التى ورد ذكرها بالمصادر العثمانية وحدد المؤرخ "أحمد شلبى" مكانها بحى قوصون على بركة الفيل دار عرفت بدار شكر بره أو فره [٥] . وقد توارث السكنى بها عدة أمراء منهم الأمير مصطفى بك ثم الأمير شاهين أحمد اغا المتوفى سنة ١٢٠٨هـ[٦] ، وكان تجاه هذا البيت بين الأمير صالح أغا [٧] ، وكذلك دار عمرها الأمير رضوان كتخدا ابراهيم بك المتوفى سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ، وكانت هذه الدار تعرف بدار مكة على بركة الفيل [٨] .

وكذلك من البيوت التى ورد ذكرها أنها كانت ببركة القيل ولم تحدد مواقعها بالضبط منزل عباس اغا [٩] ، كذلك منزل عبدالرحمن بك [١٠] ، وقاعة خليل افندى [١١] ، ومنزل غيطاس بك . [١٢]

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٩٥ .

(٢) انظر منشآته كذلك على بركة الأزبكية ، ص٢٣٢ .

(٣) كتاب وقف الأمير عثمان كتخدا مستحفظان رقم ٢٢١٥ أوقاف والمؤرخ بيوم ١٥ ربيع الآخر سنة ١١٤٩ هـ ، ص١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٩٢ .

(٤) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص٤٤٩ .

(٥) أوضح الاشارات ، ص٥٤٧ ، ٦٣٠ .

(٦) أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص٥٤٧ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ . ، الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٧) أحمد شلبى ، اوضح الارشارات ، ص٥٩٤ ، الدمرداش ، الدرة المصانة ، ص٤٢٠ .

(٨) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٦٤٦ .

(٩) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص٦٥ .

(١٠) أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص٥٣٥ .

(١١) أحمد شلبى ، اوضح ، ص٥٢٦ .

(١٢) الدمرداش ، الدرة المصانة ، ص٢٤٠ .

وقد تعرضت بيوت الأمراء على حافة بركة الفيل للتخريب زمن الحملة الفرنسية أثناء ثورتى القاهرة بها [١] ، ولكن سرعان ما رممت واصلحت فى زمن محمد على . ومن الآثار الجليلة التى بنيت فى عصره جامع حسن باشا طاهر [٢] .

واستمرت بركة الفيل متنزهاً فى عصر محمد على ثم ردمت فى عهد عباس حلمى الأول (١٢٦٥ـ ١٢٧١هـ / ١٨٤٨ـ ١٨٥٤م) .

بركة الناصرية

الموقع والإنشاء :

لا تعتبر هذه البركة من البرك الطبيعية التى كانت منتشرة بالقاهرة ، ولكنها حفرت واستنبطت أيام الناصر محمد بن قلاوون ، وكان موقعها قديماً من جملة جنان الزهرى [٣] التى كانت تمتد على الضفة الغربية للخليج المصرى من عند موقع السيدة جنوباً حتى الأزبكية شمالاً ، ولما خربت تلك الجنان صار موقع البركة كوم تراب ، ولم يكن بموضعها وقت إنشائها من عمائر سوى كنيسة عرفت بكنيسة الزهرى ، وهى واحدة من الكنائس والأديرة التى كانت متوزعة مابين مصر الفسطاط والقاهرة . [٤]

---

(١) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٤٣٤ ـ ٤٣٥ .

(٢) عن هذا الجامع بالتفصيل ، انظر :

سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٢ ، ص٢٩٩ ـ ٣٠٣ .

(٣) جنان الزهرى هذه تنسب إلى أبى العباس عبد الوهاب بن موسى بن عبدالعزيز بن عمر بن الصحابى عبدالرحمن بن عوف الزهرى أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان أبو العباس هذا قد تولى الشرطة بمصر وقد توفى فى رمضان سنة ٢١٠ هـ .

* وكانت تلك الجنان قد حبسها الزهرى على أولاده وكانت تمتد من موقع قنطرة عبد العزيز بن مروان التى كانت تقع قرب ميدان السيدة زينب وتمتد تلك الجنان شمالاً إلى باب اللوق والأزبكية ، وفى زمن الدولة القاطمية عرف العمران والبناء طريقه الى تلك الجنان والبساتين على يد ابن التبان الذى كان يتولى منصب رئيس المراكب أيام الخليفة الآمر باحكام الله فعرف البر الغربى للخليج باسم بر ابن التبان ، وشمل جميع جنان الزهرى ، ولكن ذلك التعمير لم يستمر طويلاً ، وعادت المنطقة إلى بساتين حتى زمن سلطنة الناصر محمد بن قلاوون حيث حكرت وقسمت إلى أكثر من ١٥ حكراً غربى الخليج ، وعرف الجزء الجنوبى باسم حكر الزهرى الذى يشغله الآن حى الناصرية بالسيدة زينب بالقاهرة . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١١٤ ـ ١١٥ .

* ونلاحظ أن بقية من جنان الزهرى ظلت موجودة ومحتفظة بهذا الاسم فى العصر العثمانى وقد ورد ذكرها فى الوثيقة رقم ٢٨١٦ أوقاف والمؤرخة بيوم ٢ ربيع الثانى سنة ١٠٣٧ والخاصة بوقف الأمير حسن افندى بن حسين اغا على التكية المولوية . انظر مايلى ، ص٣٧٣ .

* وقد خلدت مصلحة التنظيم اسم جنان الزهرى فأطلقته على شارع صغير موازى لشارع نوبار يصل بين شارع المبتديان وشارع الملك الناصر .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

وقد وقعت البركة بخريطة نيبور [١] ورمز لها بالحرف W ، وكذلك وقعت بخريطة الحملة الفرنسية تحت اسم بركة ستى نصره أو بركة السقايين [٢] وتبلغ مساحة البركة سبعة أفدنة [٣] ، ويمثل موقعها الآن جزء من حى الناصرية بالسيدة زينب ، ومكانها اليوم المنطقة التى يخترقها شارع ستى نصره ويحدها من الشرق شارع محمد فريد (جزء من شارع عماد الدين سابقاً) ، ومن الغرب شارع مصطفى كامل (الشيخ عبدالله سابقا) ، ومن الجنوب شارع درب البندق ، ومن الشمال شارع الشيخ ريحان .

واستنبطت هذه البركة بطريقة غير مباشرة إذ أن الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أنشأ ميداناً سنة ٧٢٠هـ يسمى ميدان المهارى بجوار موضع البركة ، وأراد بناء زريبه بجوار جامع الطيبرسى [٤] على النيل لتربية الخيول وغيرها التى سيستخدمها فى الميدان ، فاحتاج إلى طين يبنى به الزريبة فتراءى له أن يستخرج التراب من مكان البركة [٥] ، وأوكل العمل للأمير بيبرس الحاجب الذى نزل بالمهندسين وقاسوا مساحة البركة ووزعها على الأمراء ليلتزم كل أمير بحفر مساحة منها ، وبدأ العمل بها يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الأول ٧٢١هـ [٦] ولما تم حفر البركة نقل ما خرج منها من الطين إلى الزريبة ،

---

(١) رحلة إلى مصر ، جـ١ ، ص٢١٠ .

(٢) ذكر "على مبارك" فى الخطط التوفيقية جـ٣ ، ص٣٥٠ " أن البركة الناصرية هى المبينة على خريطة الحملة الفرنسية بأسم بركة أبو الشامات أو بركة المعهد أو بركة قاسم بك ومن حقوقها ديوان المالية الذى كان بيتاً لاسماعيل باشا المفتش والمبانى المقابلة له

* ولكن هذا الرأى ينافى الواقع والحقيقة ، فمن خلال الوثائق وما ذكره المؤرخون عن الآثار التى لا تزال باقية للآن مثل جامع آق سنقر وجامع الاسماعيلى ومدرسة قانى باى بأنها بنيت على الحافة الشرقية لبركة الناصرية فاننا نجدها كذلك فى خريطة الحملة الفرنسية موقعة على الحافة الشرقية لبركة ستى نصره أو السقايين ، لذا نستنتج أن بركة الناصرية هى نفسها بركة ستى نصره أو السقايين وليست بركة أبو الشامات كما اعتقد على باشا مبارك ، انظر ايضاً : محمد رمزى ، تعليقة على النجوم الزاهرة ، جـ١٢ ، ص٨٧ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٤) عن جامع الطيبرسى ، انظر ماسبق ، ص٤٩ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٦) هذا التاريخ هو ما ذكره المقريزى . انظر الخطط ، جـ٢ ، ١٦٥ .

* ويتفق "ابن كثير" مع المقريزى فى تاريخ السنة التى حفرت فيها البركة ، ولكنه اختلف معه فى الشهر حيث ذكر أنها حفرت ابتداءاً من المحرم . انظر :
البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٩٨ .

* أما "ابن اياس" فيذكر أن الناصر محمد شرع فى حفر البركة الناصرية سنة ٧٢٩ هـ ، وأنه أجرى إليها الماء من الخليج الناصرى وبنى قصراً كبيراً بالميدان المجاور لهذه البركة وأنشأ بها بستاناً تحت هذا القصر . انظر :
بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٦٠ .

* ورأيى هنا أن اغلب المؤرخين ذكروا أن حفر البركة كان سنة ٧٢١ هـ ، ولكن نستنتج من نص ابن اياس أنه ربما أعاد حفرها سنه ٧٢٩ هـ وأقام القصر والبستان بجوارها بالميدان ، وأوصل إليها الماء من الخليج الناصرى مباشرة بدلاً من الخليج القديم الخاص بها الذى كان ينبع (يخرج) من جوار مخرج الخليج الناصرى على النيل .

وأجرى إليها الماء من جوار الميدان السلطانى الكائن بأرض بستان الخشاب عند موردة البلاط . (١)

ايقــاف البركــة :

ربما كانـت البركة تجرى فـى وقف الناصر محمد لأنه هو الـذى استنبطـها ، ولكن فى العصر العثمانى انتقل وقفها إلى تكية المولوية كما يتضح مما ذكره الجبرتى . (٢)

العمارة حول البركة :

كان حفر البركة سبباً مباشراً فى عمران خط الناصرية ، فقد سمح السلطـان الملك الناصر محمد بن قلاوون للناس فى حكر ما حول البركة فبنوا عليـه الدور العظيمة وصار خط البركة الناصرية عامراً ومتصل البناء بخط قناطر السباع والسبع سقايات . (٣)

وبالرغـم من المحن والحوادث والفوضـى السياسية الـتى ألمت بالقـاهرة ومصر منذ سـنة ٨٠٦هـ واستمـرت فترة أيام المـقريزى (٤) (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) إلا ن التعـمير عاد بعد ذلـك مرة أخرى ، وظلت البركة وما حولها من أعمر الخطط بالقاهرة بقية العصر المملوكى .

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

* أى أن فم الخليـج الذى يغذى البركة كـان بجوار فم الخليج الـناصرى على النيـل الذى حفر بعد البـركة بأربع سنوات . انظر الخطط ، جـ٢ ، ص١٤٥ .

(٢) عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٥٢٣ .

* ومما يؤكد قول الجبرتى هو أن ميدان المهارى الذى كان يجاور البركة من الجهة الغربية حول إلى بستان فى العصر العثمانى وأوقف على تكية المولوية أيضاً .

انظر بالتفصيل مايلى ، ص٣٧٢ .

(٣) المقريزى ، ا لخطط جـ٢ ، ص١٦٥ .

* من الجدير بالذكر أنه كان بموقع البركة توجد كنيسة فقـط تسمى كنيسة الزهرى بالاضافة لبعض الكنائس والأديرة حولها فى منطقة قناطر السباع والسبع سقايات من كنائس الحمراء القديمة ، ولما أراد الناصر محمد حفر البركة حفر ماحول كنيسة الـزهرى هذه وصارت وسط الحفر حتى تعلقت وكـان القصد أن تسقط من غير تعمد ولـكنها بسبب ذلك تعرضت للهدم على يد العامة وكانت هذه هى بدايـة الحادثة التى عرفت باسم حادثة الكنائس التى بدأت يوم الجمعة ٩ ربـيع آخر ٧٢١ هـ وتعرضت فيـها الكنائس والأديرة التـى بالقاهرة هى ومن فـيها للتحريق والـتخريب والنهب . انظر بالتفصيل عن هذه الحادثة ومـا ترتب عليها : المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ص٢٠٦ ـ ٢٢٧ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص٦٣ـ٧٢ .

* ويتضح لنا رغبة النـاس فى الميل للقديم والحفاظ على ذكراه فى ذكر درب يسمى درب الكـنيسة أنشيء بعد ازاله الكنيسة وهذا الدرب مذكور بالوثيقة رقم ٢٨١٦ أوقـاف والمؤرخة بتاريخ ربيع ثانى سنة ١٠٣٧ هـ . وهذا الدرب لا يزال قائماً للآن باسمه ويصل بين شارع خيرت وبين شارع الناصرية .

(٤) تأثرت بركة الناصرية بعض الشيء فى تلك الأزمات ، ومن الأزمات الـسياسية التى تأثرت بها الناصرية الفتنة التى حدثت سنة ٨٠٠هـ والتى قام بهـا على باى وشـاركة فيـها الأمير يلبغا الأحـمدى المجنون ، ولما فشلت مؤامرة=

وفى أثناء الغزو العثمانى للقاهرة تعرضت الناصرية للدمار والتخريب أثناء المعارك بين المماليك والعثمانيين فى محرم ٩٣٣هـ [١] ، ولكن ما أن هدأت الحال حتى بدأ التعمير يعود إلى تلك المنطقة بل أن خط الناصرية صار من أكثر المناطق ارستقراطية ورفاهية فى العصر العثمانى واحتوى على قصور وبيوت العديد من الباشوات والبكوات والكشاف . وبالنظر إلى خريطة الحملة الفرنسية نجد الجانب الشرقى والجنوبى الشرقى للبركة عامراً بالحارات والدروب أما الجانب الغربى فإنه احتفظ بالبساتين والحقول .

ومن العمائر الدينية الجليلة التى بنيت على حافة البركة فى العصر المملوكى والتى لاتزال قائمة للآن مسجد الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبدالله شاد العمائر [٢] الذى بنى شمال شرق البركة والذى جدد مكانه جامع ومقام سيدى محمد ابو طبل بسويقة السباعين بشارع المذبح المتفرع من حارة السقايين بالناصرية ، وقد وقع الجامع فى خريطة الحملة الفرنسية بأسم زاوية ابو طبل برقم ٢١٤ فى المربع Q-13 ، وقد أقام سنقر بجوار جامعة داراً جليلة وحمامين بخط البركة الناصرية [٣] اندثروا الآن .

ومن الآثار أيضاً جامع الأمير أرغون شاه الاسماعيلى [٤] على شاطىء البركة الشرقى والذى تم بناؤه فى شهر شعبان ٧٤٨هـ ، ولا يزال هذا الجامع عامراً بذكر الله تعالى [٥] (أثر رقم ٢٥٣) ، وهو موقع بخريطة الحملة برقم ١٩٢ فى المربع R-13 .

= على باى لمقتل السلطان برقوق ، أمر برقوق بنهب بيت يلبغسا الذى كان قد بناه جديداً على البركة الناصرية . انظر :

ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ١ ، ص٤٦٩ .

*وكذلك ما حدث سنة ٨٠٨هـ من خروج بعض الأمراء على الناصر فرج بن برقوق ، فاتخذ فرج من بيت الأمير سودون الحمزاوى على بركة الناصرية مركزا لتجمع قواته ليصد بها الخارجين عليه . انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ق١ ، ص٧٤٠ .

(١) تعرضت زاوية عماد الدين والبيوت التى حولها بالناصرية للأحداث والدمار فى المعارك فى المحرم سنة ٩٢٣هـ بين المماليك والعثمانيين . انظر :

ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص١٥٤ .

(٢) الأمير آق سنقر تولى عدة وظائف هامة زمن الناصر محمد بن قلاوون ، وكان واسع الثراء ، وقد عمر قنطرة آق سنقر على الخليج الكبير بخط قبو الكرمانى قبالة الحبانية ، وقد جعل على جامعة بالناصرية أوقافاً عديدة ، وقد عزل وصودر ومات بدمشق ٧٤٠هـ .

انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٩ ، السلوك ، جـ٢ ، ص٥٠٥ . ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة، جـ٩ ، ص١٢٢ . ،على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٣٠ .

(٣) انظر ترجمته فيما سبق ، ص١٦٩ .

(٤) عن هذا الجامع انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٧ .

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٤٨ ، ٣٤٩ ، جـ٤ ، ص١١٤ ، ١١٥ .

سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٣ ، ص٢٢٩ ـ ٢٣٤ .

وفى الجزء الجنوبى الشرقى لبركة الناصرية أقام الأمير قانى باى الرماح مدرسته [1] سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٦م (أثر ٢٥٤) بالإضافة إلى منشآت أخرى بجوارها اندثرت الآن ، وكانت تتكون من مبنى كبير يشتمل على ربع وحوانيت وووكالة وفرن وبعض المرافق الأخرى ، كما امتلك قانى باى أيضاً مبنى آخر كان يشتمل على عدة قاعات وطباق سكنية مقابل مدرسته وقد امتلكة قانى باى عام ٩١٢هـ عن طريق الاستبدال ، بالاضافة لذلك فقد امتلك قانى باى أيضاً أحد الأبنية بالناصرية بخط حوض أرغون شاه تجاه مسجده بشارعى الناصرية وجامع الاسماعيلى ، وكان يجاور المسجد المذكور حوض لشرب الدواب واصطبل خاصين بالأمير أرغون شاه كما تذكر حجة الوقف ، وقد امتلك قانى باى هذ المبنى عام ٩١٩هـ عن طريق الشراء وكان يشتمل على حديقة بها أشجار يانعة وطاحونين [2] .

أما عن عمران خط بركة الناصرية فى العصر العثمانى فقد أصبح من الأحياء الراقية التى يسكن بها صفوة الطبقة الارستقراطية من باشوات وبكوات واصحاب الوظائف الكبيرة مثل الكشاف [3] الذين كاد يكون الحى خاصاً بهم فى نهاية العصر العثمانى ، واستطاع الأستاذ "اندرية ريمون" حصر خمسة بيوت لكشاف كانوا بالناصرية سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م ، والبيت السادس كان قد شيده قاسم بك أبو سيف [4] قد شيده عندما كان لا يزال كاشفاً ، وقد زوده بحديقة واسعة وكان يحاول ان يجعل حى الناصرية حياً حديثاً أو حى الكبراء والوجهاء [5] ، وكان يفتح حديقة قصرة للناس وكانت تحيط بالقصر وتشقها قنوات الماء التى تصل إلى البركة أيام فيضان النيل ، واحكم جريان الماء فى قنوات مرتفعة وغرس فيها الزهور والفواكة والأشجار والنخيل ونسق بها

---

(١) وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية باسم جامع أمير اخور برقم ٢٦٣ فى المربع S-13 .

(٢) عن مدرسة قانى باى الرماح بالناصرية ومنشآت أخرى وترجمة حياته وأعماله انظر :

سامى عبدالحليم ، أعمال الأمير قانى باى قرا الرماح بمدينة القاهرة ، دكتوراة "غير منشورة" ، (كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥) .

(٣) الكشاف جمع كاشف ، والكاشف هو الموظف الذى يتولى ادارة الكاشفية حيث كانت مصر فى العصر العثمانى مقسمة إلى خمسة اقاليم ادارية كبرى كان يطلق على كل منها لفظ ولاية ، كما وجد ٣٤ قسماً أصغر من الأقسام أطلق عليها الكاشفيات .

وعن هذه الوظيفة بالتفصيل ، انظر :

Shaw, S., The Financial and Adminstractive Organization and Development of Ottoman Egypt 1517- 1798, Princeton, 1962, PP. 13-60 - 63 .

ليلى عبداللطيف ، الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، مطبوعات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ ، ص٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤٥٣ .

صلاح هريدى ، دور الصعيد فى مصر العثمانية ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص١٠١ ، ١٠٣ .

(٤) توفى سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م . انظر ترجمته فى ألجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٥٢٣ ـ٥٢٥ .

(٥) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص١٩٩ .

جلسات مفروشة لخاصته ظللها بالزهور [١] . ويشغل مكان القصر الآن عمارة الأوقاف بشارع الكومى .

ومن دور الكشاف العظيمة بالناصرية دار حسن الكاشف المتوفى سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م والتى ذكر الجبرتى أنه "صرف عليها أموالاً عظيمة فما هو إلا أن تم بناءها ولم يكتمل بياضها حتى وصلت الفرنسيس فسكنها الفلكيون والمدبرون وأهل الحكمة والمهندسون لذلك صينت من الخراب" [٢] ، وقد اندثر هذا القصر الآن ويشغل موقعه الآن موقعة الآن مدرسة السنية بالسيدة زينب [٣] .

ومن الدور الكبيرة التى بنيت بحى الناصرية والتى لاتزال قائمة للآن دار ابراهيم كتخدا السنارى المتوفى ١٢١٦هـ ١٨٠١م [٤] والتى بناها سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م وقد استخدم هذه الدار علماء الحملة الفرنسية أثناء احتلالهم مصر ، وتقع الدار بحارة مونج بالسيدة زينب وهى مسجلة رقم ٢٨٣ . [٥]

وكانت بركة الناصرية طوال العصر العثمانى متنزهاً كبيراً وحفلت شواطئها بقصور ومناظر وبساتين كبار الأمراء وليس أدل على ذلك ما رواه الرحالة "النابلسى" فى رحلته التى زار فيها مصر سنة ١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م ، وزار فيها البستان الزاهى والقاعة العظيمة والقصر الذى بناه حجى باشا على البركة مباشرة ، وما كانت تتم به من جلسات سماع ومغنى [٦] .

بركة أبو الشامات (بركة المعهد أو بركة قاسم بك)

هذه البركة نادرة الذكر فى المصادر والوثائق المملوكية [٧] ، وقد ورد زكرها باسم بركة ابو شامة

(١) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٥٢٣ ـ ٥٢٤ ، =
=عبد الرحمن زكى "بحث خطط القاهرة فى أيام الجبرتى" ، من كتاب عبدالرحمن الجبرتى ، ص٤٨٣ ، ٤٩٣ .
وانظر وصف الجبرتى الرائع للقصر والحديقة فى الملحق رقم ٧ من الرسالة .

(٢) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ٤٥٦ .

(٣) عبدالرحمن زكى ، المرجع السابق ، ص٤٩٢ .

(٤) الجبرتى ، المرجع السابق ، ص٥٢٥ .

(٥) عن هذه الدار ، انظر :
Revault, J & Maury, B., Palais et Maisons du Caire du XIV au XVIII Siecle, le Caîro IFAO, PP. 82- 101.

(٦) الحقيقة والمجاز ، ص٢٨٣ـ ٢٨٤ .

(٧) ذكرها المقريزى مرة واحدة عرضاً دون أن يسميها فى ذكره لميدان المهارى حيث قال : "ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موضعها كرم القاضى الفاضل .. انظر :
الخطط جـ٢ ، ص١٩٩ .

فى احدى الوثائق العثمانية وكانت تحيط بها البساتين [(١)] وقد وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٢٨٧ فى المربع S-15 باسم بركة أبو الشامات حيث كان يحدها شمالاً غيط أبو الشامات الذى وقع بالخريطة برقم ٢٨٩ فى المربعين P,Q-14 . كما عرفت أيضا ببركة قاسم بك حيث يحدها شرقاً غيط قاسم بك الذى وقع بالخريطة برمق ٢٨٥ فى المربع S-14 . [(٢)]

كما أطلق عليها الفرنسيون بركة المعهد لأنهم اتخذوا من بيت قاسم بك وبيت حسن كاشف وبيت ابراهيم السنارى الواقعة شرقى البركة مقراً لعلماء الحملة . [(٣)]

وكانت هذه البركة تشغل مساحة حوالى ١٠ افدنه وتشغل ارضها الآن المنطقة المحصورة بين شارع أمين سامى جنوباً وشارع اسماعيل اباظة شمالاً وشارع منصور شرقا وشارع القصر العينى غرباً . [(٤)]

بركة السباعين (الدمالشه)

قال "المقريزى" عن بركة السباعين " عرفت بذلك لأنه اتخذ عليها دار السباع وهى موجودة هناك إلى يومنا هذا ، وهى من جملة حكر الزهرى وعليها الآن دور ولم تحدث بها العمارة إلا بعد سنة سبعمائة وإنما كان جميع الخط وما حوله من منشأة المهرانى إلى المقس بساتين ثم حكرت " [(٥)]

وقد ذكر هذه البركة على باشا مبارك ولكن جانبه الصواب فى تحقيق موضعها . [(٦)]

ولكن برجوعى إلى خريطة الحملة الفرنسية وجدت هذه البركة موقعة عليها بركة الدمالشة برقم ٢٢٤ فى المربع P- 12 ومساحتها لا تتعدى اربعة أفدنه ولا يزيد طولها عن ١٥٠ متراً وعرضها عن

---

(١) كتاب وقف الأمير حسن افندى بن حسين اغا رقم ٢٨١٦ أوقاف والمؤرخ بيوم ٢ ربيع الثانى سنة ١٠٣٧ هـ ، ص٦ ، ٧ .

(٢) يشغل غيط قاسم بك المنطقة الممتدة بين شارع خيرت وبين شارع نوبار .

(٣) عبدالرحمن زكى ، المرجع السابق ، ص٤٩١ ، ٤٩٣ .

(٤) هذا التحديد استنبطته من مطابقة خرائط الحملة الفرنسية مع خريطة القاهرة للآثار الاسلامية لوحة ١ . انظر ايضاً :
محمد رمزى ، تعليقه على النجوم ، جـ٩ ص١٩٤ـ ١٩٥ .

(٥) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٢ .

(٦) قال عنها على مبارك .. وبركة السباعين محلها الآن عمارة محمد بك الشماشرجى ومابجوارها من العمارة من الجهة القبلية وكان يفصلها عن القاهرة مزارع وكان المار من بوابة الناصر إلى جهة الشيخ ريحان بجدها على يساره وترب القاصد بقربها وكانت باقية إلى وقت دخول الفرنساوية وطولها على الخريطة التى رسموها اربعمائة وخمسون متراً وعرضها المتوسط مائة وخمسون متراً ومساحاتها تقرب من ستة عشر فداناً بفدان وقتنا هذا" . انظر : الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٣١ .

١٢٠ متراً . كما أنها لا تقع على يسار المار من بوابة الناصرية [١] إلى جهة الشيخ ريحان [٢] كما ذكر على مبارك باشا بل تقع على يمين المار ، وقد خلط المرحوم على مبارك بينها وبين بركة الناصرية فى ذلك الأمر .

ومن خلال خريطة الحملة الفرنسية أيضاً نرى أن البركة كانت محاطة بحارات وآثار لا يزال الكثير منها على حالها للآن ، ومعظمها موقع بخريطة القاهرة للآثار الاسلامية مثل مسجد عابدين بك وجامع مسكه وزاوية البرمونى وجامع عماد الدين والشيخ ريحان وحارة السقايين وحارة الزير المعلق وسويقة السباعين وغير ذلك ، ونستخلص من ذلك أن موضع بركة السباعين (الدمالشة) كما وقعت بخريطة الحملة تنطبق الآن على الجزء الجنوبى من قصر وميدان عابدين شمالاً حتى ميدان المبدولى الواقع به جامع محمد المبدول جنوباً .

ويؤيدنا فى هذا الرأى ما ورد بوثيقة الأمير عثمان جلبى والمؤرخة بتاريخ ٢ شعبان ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م [٣] انه من أوقافه " القطعة الأرض المغروزة من الجنينة الكاين ذلك بمصر المحروسة بخط الزير المعلق فيما بين حارة عابدين وسويقة السباعين والمطل على بركة الدمالشة" . كما قام الأمير بعمارة تحوى مقعداً فى الجنينة التى تطل على البركة ذكر أنها بخط الزير المعلق قرب سويقة صفية ، كما أنه أوقف ستة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً فى كامل أرض البركة المعروفة ببركة الدمالشة الكاين ذلك بمصر المحروسة بخط حارة السقايين .

وبدراسة خريطة الحملة الفرنسية نجد ان حدها الشرقى بها جنينة صغيرة تمثل تلك التى ذكرت بالحجة .

يتضح لنا مما سبق أن بركة السباعين هى نفسها بركة الدمالشة وأنها ظلت عامرة فى العصرين المملوكى والعثمانى .

بركة الشقاف (الفرايين)

قال المقريزى عن هذه البركة " أن هذه البركة فى بر الخليج الغربى بجوار اللوق [٤] وعليها الجامع

(١) وقع باب الناصرية فى خريطة الحملة برقم ٢٦٥ فى المربع .

(٢) وقع الشيخ ريحان برقم ٢٧١ فى المربع R -13 .

(٣) وثيقة الأمير عثمان جلبى زاده بن يوسف بك دفتر دار مصر المحروسة رقم ٨٥ أوقاف .

(٤) اللوق معناها فى اللغة اللين يقال لاق الشىء يلوقة لوقاولوقه لينه ، وكانت أرض اللوق هذه أرض لينة فبعد أن ينتهى فيضان النيل ويصرف الماء عنها تنكشف أرضها ولا تحتاج إلى الحرث للينها ورخاوتها فتنثر بها البذور حيث تزرع أصنافاً شتوية .=

المعروف بجامع الطباخ [1] فى خط باب اللوق ، وكانت هذه البركة من جملة أراضى الزهرى [2] ، وكان عليها فى القديم عـدة مناظر منها منظرة الأمير جمال الدين موسـى بن يغمور وذلك أيام كانت أراضى اللوق مواضع نزهة قبل أن تحتكر وتبنى دوراً وذلك بعد سنة ستمائة" . [3]

ومن خلال نص المقـريزى هذا نستطيع أن تحـدد مكان ومساحة البركة إذ نجـد من حسن الحظ أن جامع الطباخ لا يزال موجودا للآن إلا أنه مجدد ، ويقع فى ميدان باب اللوق فى تقاطع شارع محمد فريد من شارع سامى البـارودى (شارع على باشا ذو الفقار سابقا) ، كما أنـه موقع على خريطة

= وكانت أراضى اللوق فى الزمن الماضى مما يغمره ماء النيـل ثم انحسر عنها فى سنتى ٣٣٠هـ ٥٦٠هـ وأصبحت أرضاً زراعية انشىء بها كثير من البساتين والمنشآت مثل منشـأة القاضى الفاضل وبستانه ومنشأة ابـن ثعلب وبستانه ومنشأة الكتبة وغيرها مما ذكره المقريزى ، ثم زالت هـذه المنشآت وبقيت أرض اللوق أرضاً زراعية ولم يحدث فيها بناء بعد ذلـك إلا فى سنة ٦٦٠هـ حيث قدم عـلى مصر طائفة من الـتتار مستأمنين فـأنزلهم الملك الظاهـر بيبرس البندقدارى فى دوركان قد أمر بعمارتها من أجلهم فى أراضى اللوق ، وفى أواخـر سنة ٦٦١هـ قدم طوائف عدة من المغول والبهادرية فأنزلهم السلطان فى مسـاكـن عمرت لهم باللوق ، ومن ذلك الوقت أصبح بأرض اللوق عدة احكار عامرة آهلة بالسكان ثم أخذت هذه الأحكار فى الخراب تدريجياً إلى أن اندثرت عن آخرها فى القرن العاشر الهجرى / الخامس عشر الميلادى .

ومن تطبيق الحدود التى ذكرها المـقريزى لأرض اللوق يتبين أنها كانت ممتدة على النيل من الجـهة الغربية من مدينة القاهرة وتشمل المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع قنطرة الدكة ومن الغرب بأول شارع رمسيس ما فى امتداده فشارع القصر العينى والحد القبلى (الجنوبى) شارع بسـتان الفاضل والحد الشرقى شارع الخليج المصرى فشارع نوبار إلى أن يتقابل مـع شارع الشيخ ريحان فينعطف الحد مائلاً إلى الشرق حتى يـتصل بشارع محمد فريد عـند تلاقية بشارع التحرير ثم يستقيم الحد متجهاً إلى الشمال فى شارع عماد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى (الشمالى)، وكان الحد الشرقى لأرض الـلوق هو مكان الشاطىء الشرقى للـنيل تجاه القاهرة لغاية سنـة ٦٩هـ أى أن النيل كان يجرى عند هذا الحد قبل ظهور أرض اللوق .

ومن الاطلاع علـى خريطة الحملة الـفرنسية وعلى خـريطة مدينة القـاهرة سنة ١٨٥٨م يتبين أن أرض الـلوق التى ذكرت حدودها كانت لغاية تلـك السنة أطيانا زراعية وليس فيها من المبانى إلا مجمـوعة من المساكن الواقعة خارج باب اللوق بين شـارع البستان وبين شارع جامـع جركس ، وفى زمن الخديوى اسمـاعيل بدأ الناس فيهـا بالعمارة والبناء حتى صارت إلى ماهى عليه الآن . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١١٧ ، .

محمد رمزى ، تعليقة على النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٣٠٨ ، جـ٩ ، ص١٩٣ .

(١) جامع الطباخ نسبة للحاج على الطباخ ، طباخ المـلك الناصر محمد بن قلاوون ، وهذا الجامع كان أصلاً من إنشاء الأمير جمال الديـن أقوش فجددة الحاج على الطباخ فـنـسب اليه ، وكان الحاج على الطـبـاخ يملك حوالى ٢٢ داراً بالقاهرة إلا أنها صودرت من ضمن ماصودر من أملاك الطباخ عندما تعرض للمصادرة والاضطهاد سنة ٧٤٦هـ فى سلطنة الملك الكامل شعبان ، انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣١٥ . السلوك جـ٢ ، ص٦٨٦ .

(٢) عن حكر وأراضى الزهرى انظر ماسبق ، ص١٨٨ .

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٢ .

الحملة الفرنسية برقم ٩٩ فى المربع N - 13 على البركة التى وقعت على الخريطة بأسم بركة الفرايين برقم ١٥٠ وتشغل المربعين N-12, N- 13 ، وهى على شكل مستطيل مساحتها حوالى عشرة أفدنة .

نستنتج من ذلك أن بركة الشقاف تغير اسمها إلى بركة الفرايين وقد اطلق عليها هذا الأسم الأخير فى أواخر العصر المملوكى ، ويتضح لنا ذلك مما ذكره المؤرخ "ابن اياس" من أنه فى يوم ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٩١٨هـ قد أقام الأمير قانصوه بن سلطان جركس وقدة وإحراقة نفط ببركة الفرايين حيث كان يقع داره عليها . (١)

كما عرفت البركة أيام على باشا مبارك باسم بركة البرقان (٢) ، وترجع تلك التسمية لوقوع عطفة عليها تسمى البرقان التى وقعت بخريطة الحملة برقم ٧٤ فى المربع N - 12

وظلت البركة قائمة حتى ردمت زمن الخديوى اسماعيل ويشغل مكانها الآن جزء من مبنى محافظة القاهرة والجزء الشمالى من قصر وميدان عابدين بالقاهرة .

وباطلاعنا على حجة وقف الأمير عابدى بك رقم ٩٩١ المحفوظة بوزارة الأوقاف والمؤرخة بيوم ١٥ شوال ١٠٣٣ هـ ، ورد بها أنه هدم أماكن قديمة وبنى مكانها قاعة وحمام مستوقد وحوض لشرب الدواب ، وأحد عشر حانوتاً بخط سويقة صفية (٣) بالقرب من الزير المعلق (٤) بمصر المحمية ، وكانت هذه الأماكن مطلة على بركة تسمى بركة ابن العظمة من الحد القبلى والحد الغربى وكان بقية الحد القبلى ينتهى إلى جنينة والحد البحرى إلى زقاق والحد الشرقى إلى منزل عابدى بك .

يتضح من ذلك أن بركة الشقاف عرفت فى القرن ١١ هـ / ١٧م باسم بركة ابن العظمة حيث وقعت المنشآت الخاصة بعابدى بك فى خريطة الحملة شرقى بركة الفرايين (الشقاف) . (٥)

---

(١) بدائع الزهور ، جـ٤ ، ص٢٨٠ .
(٢) الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٢٤ .
(٣) وقع الزير المعلق برقم ٢٣١ فى المربع O-12 فى خريطة الحملة الفرنسية .
(٤) وقعت حارة صفية برقم ٤٣ فى المربع N- 11 فى خريطة الحملة الفرنسية .
(٥) وقع بيت عابدى بك برقم ٩١ فى المربع O - 11 حارة عابدين برقم ١٣٨ فى المربعين O,P - 11 وجامع عابدى بك برقم ١٤٨ فى المربع O - 11 ،وبيت آخر لعابدين برقم ١٤٩ فى المربع O - 11 ، وحمام عابدين برقم ٦٧ فى المربع O - 11 وسكة عابدين برقم ٦٨ فى المربع N - 11 .

بركة الفهادة (أبو الشوارب)

هذه البركة نادرة الذكر فى المصادر والوثائق المملوكية حتى أن المقريزى لم يوردها فى ذكر البرك ، وإنما وردت مرة واحدة فى نص لابن الصيرفى [١] وقد وجدتها مذكورة فى الوثائق العثمانية ، ففى وثيقة الأمير حسن أغا أنه أوقف أماكن بمصر المحروسة بخط حدرة الكماجين المطل على بركة الفهادة المعروفة ببركة أبو الشوارب . [٢]

يدل هذا على أن بركة أبو الشوارب ما هى إلا بركة الفهادة ويرجع أصلها للعصر المملوكى وليس العصر العثمانى كما اعتقد البعض [٣] .

هذا وقد وردت بركة أبو الشوارب ضمن قائمة نيبور للبرك [٤] ورمز لها على الخريطة بالحرف U كما وقعت بركة أبو الشوارب برقم ٨٢ فى المربع M - 11 فى خريطة الحملة الفرنسية تحت اسم بركة أو غيط أبو الشوارب وكان جزء منها مزروعاً حينئذ

وموقع بركة أبو الشوارب الآن نمثله فى خريطة القاهرة للآثار الإسلامية ، بمنطقة فضاء تتوسط المثلث المحصور بين شوارع محمد على وعبد العزيز وحسن الأكبر ، وفى الركن الجنوبى الغربى جامع رضوان بك أبو الشوارب [٥] الذى نسبت إليه البركة .

وكان رضوان بك أبو الشوارب قد إهتم بإعادة حفر البركة وبنى عليها داراً كبيرة [٦] بجوار جامعة [٧] بحارة الهدارة ، وقد آلت هذه الدار فى النهاية إلى الأمير شريف باشا الكبير فهدمها

---

(١) ذكرها "ابن الصيرفى" فى ترجمة للأمير يشبك الاسحاقى الشهير بيشبك جن وبالبهلوان الأشرفى برسباى ، أحد مقدمى الألوف ، والذى توفى فى جمادى الأول سنة ٨٧٥ هـ، وأنه كان ظالماً ، اهلك القاضى فتح الدين السوهائى من كثرة مايحط عليه وبسبه فإنه كان جاره بسكنه ببركة الفهادة . انظر : انباء الهصر ، ص٢٢٩ ـ ٢٣٠ . لم يستطع المحقق حسن حبشى أن يتوصل إلى تحقيق موضع البركة.

(٢) وثيقة الأمير حسن أغا رقم ١٨٥ المحفوظة بالأوقاف والمؤرخة بيوم ٢٥ رجب سنة ١١٩٩هـ .

(٣) اعتقد على مبارك ، و د. درويس أبو سيف أن البركة تعود لإنشاء أبو الشوارب . انظر: على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٩٦ ،

Abouseif, (D), Azbakiyya and its Environs from Azbak to Islmail (1476 - 1879) Suppl. Aux Annales Islamdlo-giquees Cahiern . 6. Le Caire, IFAO, 1985, P.20

(٤) رحلة إلى مصر ، ص٢١٠ .

(٥) توفى رضوان بك ابو الشوارب سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢ م ودفن بجامعة على البركة . انظر: الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص١٤٥ .على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٩٣ .

(٦) وقع هذا البيت برقم ١٤٩ فى المربع M - 12 فى خريطة الحملة .

(٧) وقع الجامع مجاوراً لبيت ابو الشوارب برقم ١٥٠ فى المربع M - 12

وأدخل فيها عدة دور كانت بجوارها وبناها بناءاً محكماً وعمل بها بستاناً وبقيت بيده إلى أن توفى بعد سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م ثم انتقلت إلى ابنه على باشا شريف الذى قام بردم البركة وعمل بها اصطبل لخيوله [١] ، وكان يقابل بيت رضوان بك بيت حسن كتخدا المعروف بساجربان الذى توفى بالشام سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م . [٢]

وقد كانت البركة البركة موضع تنزه واحتفالات فى العصر العثمانى وما تلاه وحفلت بالأبنية العظيمية الفخمة على شاطئها . [٣]

بركة الدم

بالنظر إلى خريطة الحملة الفرنسية نجد غربى القاهرة ثلاث برك متتابعة هى بركة الدم وبركة والصابر وبركة الفوالة .

وبركة الدم هذه أصغرها وطولها مائة متر فى عرض خمسين متر وذكر "على مبارك" أن محلها فى زمنه الأرض التى تجاه بيت محمود خليل ، وأنها كانت مصرفاً لجمع مياه المدابغ والقاذورات والسلخانات [٤] ، وقد سميت بهذا الأسم حيث يجرى بها دم السلخانات [٥] ويمثل موقعها الآن التقاء شارع مظلوم بشارع شريف (المدابغ سابقاً) .

وربما كانت هذه البركة هى التى ذكرها أولياء شلبى فى القرن ١١هـ/ ١٧ م باسم بركة الدباغين بالقرب من باب اللوق . [٦]

وقد وقعت بركة الدم بخريطة الحملة الفرنسية برقم ٣٥٦ فى المربع M-15 وكانت تأخذ مياهها من الخليج الناصرى .

وكانت أمثال هذه البرك تنتشر بالقاهرة وتملأ بالماء وقت فيضان النيل .

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقة ، جـ٣ ، ص٣٩٦ .

(٢) نفسه ، ص٣٩٧ . ، الجبرتى عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٤٥٦ ـ ٤٥٧ .

(٣) من أمثلة ذلك ما ذكره الجبرتى فى حوادث شهر ربيع الأول ١٢٣١هـ/ ١٨١٦ م عندما أنشا ولى افندى المعروف بولى جحا وكان يشغل منصب كاتب الخزينة العامرة وهو من طائفة الأرنؤود، أنشا داراً عظيمة بخط باب اللوق على البركة المعروفة بأبى الشوارب وأدخل فيها عدة بيوت بجانبها وبناها على نسق واصطلاح الأبنية الأفرنجية والرومية وتأنق فى زخرفتها واتساعها واستمرت العمارة بها نحو الستين . انظر :
عجائب الآثار جـ٣ ، ص٥٠٧ .

(٤) الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٢٩ .

(٥) جومار ، وصف مدينة القاهرة ، ص٨٠ـ ٨١ .

(٦) Abouseif (D), Op. Cit., P. 20 .

بركة الصابر

كانت بركة الصابر تلى بركة الدم ، وكان طولها مائة وخمسين متراً وعرضها مائة وعشرين متراً . (١)

وقد وقعت برقم ٣٤٠ فى المربع 14 - L بخريطة الحملة الفرنسية ، وكانت تأخذ مياهها من الخليج الناصرى .

ويشغل مكانها الآن المنطقة التى بها شارع بنك مصر بشارع شريف باشا (المدابغ سابقاً) بباب اللوق بالقاهرة .

بركة قرموط (الضوالة)

قال " المقريزى" عن هذه البركة " هذه البركة فيما بين اللوق والمقس وكانت من جملة بستان ابن ثعلب (٢) فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى من موردة البلاط رمى ما خرج من الطين فى هذه البركة وبنى الناس الدور وعرفت تلك الخطة كلها ببركة قرموط . . " (٣)

كما ذكرها "المقريزى" فى مواضع أخرى ففى كلامه على الخليج الناصرى ذكر أن بركة قرموط تقع مابين الميدان الظاهرى وبين باب البحر (٤) . وكذلك فى كلامه على قنطرة الكتبة قال أنها على

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ص١٢٩ .

(٢) ابن ثعلب هو الأمير الشريف فخر الدين اسماعيل بن ثعلب ، وينتهى نسبه إلى عبدالله بن جعفر الطيار بن أبى طالب ، وكان ابن ثعلب أحد أمراء مصر فى عهد العادل الأول الأيوبى أخى صلاح الدين ، وكان له مدرسة تسمى المدرسة الشريفية بجوار درب كركامة على رأس حارة الجودرية بحى الفحامين بالقاهرة الفاطمية ، وقد مات فى ١٧ رجب سنة ٦١٣ هـ .

* أما عن بستان ابن ثعلب فقد كان عظيم القدر مساحته ٧٥ فداناً فيه سائر الفواكة وجميع مايزرع من الأشجار والنخيل والكروم والرياحين وغير ذلك ، وكان البستان يمتد من باب اللوق إلى قنطرة الدكة ، وقد آل البستان بعده لابنه فاشتراه منه الملك الصالح نجم الدين ايوب وأنشأ فى جزء منه ميدان باب اللوق . أنظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١١٨ . ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

*وقد خلدت مصلحة التنظيم اسم ابن ثعلب باطلاقه على شارع صغير خلف البنك الأهلى المركزى بشارع قصر النيل بين شارعى الشريفين والقاضى الفاضل .

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٤ .

(٤) نفسه ص ١٤٥ .

* والميدان الظاهرى موقعة اليوم بباب اللوق فى المنطقة التى تحد من الشرق بشارع يوسف الجندى وشارع القاضى الفاضل ، ومن الشمال شارع قصر النيل ومن الغرب شارع مريت باشا ومن الجنوب شارع البستان . ولمزيد من التفاصيل انظر مابلى ، ص٣٧٨ .

* وباب البحر كان يقع على مدخل شارع فم باب البحر المتفرع من شارع الجمهورية .

الخليج الناصرى بخط بركة قرموط [١] . وفى كلامه على جامع المغربى قال أن هذا الجامع بالقرب من بركة قرموط مطل على الخليج الناصرى .[٢]

يتضح مما سبق أن بركة قرموط كانت تتوسط المسافة بين باب اللوق وباب البحر وأنها كانت قرب قنطرة الكتبة التى يمثل موقعها الآن نقطة التقاء شارعى طلعت حرب و٢٦ يوليو وكانت أيضاً بجوار جامع المغربى الذ ى لايزال محله الآن زاوية صغيرة بشارع عدلى .

فبناءاً على ذلك أرى أن موقع البركة تمثل الآن فى المنطقة التى تحيط بشارع عبدالخالق ثروت (الملكة فريدة سابقاً) شمالاً وشارع قصر النيل جنوباً ، وشارع جواد حسنى (طلعت حرب سابقا) وشارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقاً) غرباً [٣] .

هذا وقد وقعت هذه البركة باسم بركة الفوالة فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٣٤١ فى المربع K - 14 ، وكانت تستمد ماءها من الخليج الناصرى مباشرة ، وكان متوسط طولها حوالى ٣٠٠ متر وعرضها المتوسط مائة متر . [٤]

وقد ذكر المقريزى أن هذه البركة تنسب إلى أمين الدين قرموط مستوفى الخزانة السلطانية ولم يذكر ترجمة كاملة له . [٥]

أما عن العمران حول البركة فى العصر المملوكى فنرى أنها كانت على أحسن مايكون ويرجع السبب الرئيسى لذلك إلى حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون للخليج الناصرى سنة ٧٢٥هـ ورمى الطين حول البركة فبنى الأمراء والأعيان وأثرياء الناس الدور عليها وصار خط بركة قرموط من أعمر الخطط ، وكانت بها الديار الجليلة التى تناهى أصحابها فى إحكام بنائها وتحسين سقوفها وزخرفتها

---

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٠ .

(٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٨ .

* موقع هذا الجامع الآن زاوية صغيرة نعرف بزاوية المغربى بها ضريح المغربى وهى تقع من مدخل العمارة رقم ٣٠ بشارع عدلى على يسار المتجه إلى شارع سليمان باشا فيما بينه وبين شارع شريف .

(٣) ذكر المرحوم "محمد رمزى" موقع البركة بأنها كانت واقعة فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع ٢٦ يوليو (فؤاد الأول سابقاً) ومن الغرب بشارع شامبليون ومن الجنوب بشارع عبدالخالق ثروت (الملكة فريدة سابقاً) ومن الشرق بشارع شريف باشا (المدابغ).

* إلا أنه بدارسة خريطة الحملة الفرنسية نجدها تقع شرقى الخليج الناصرى أى أنها لاتمتد إلى شارع شامبليون الذى كان يقع غرب الخليج الناصرى وليس شرقية ، كما أن حدها الشمالى لا يمتد إلى شارع ٢٦ يوليو ، وإنما بدراسة خريطة الحملة الفرنسية ومطابقتها بخرائط القاهرة الحالية نجد أن ذلك الحد ينتهى إلى شارع عبدالخالق ثروت أو لمسافة قليلة بالقرب منه .

(٤) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٢٩ .

(٥) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

بالرخام والبياض وألحقوا بها حدائق وأشجار تسقى من آبار حولها فكانت تعد من المساكن البديعة النزهة [١] ، وكان سكان هذه الدور طبقة متميزة فى العصر المملوكى معظمهم من الكتاب مسلمين ونصارى . [٢]

ثم يذكر المقريزى " أن خط بركة قرموط تعرض للخراب والدمار وهدمت المنازل وبيعت أنقاضها فى الأزمات والمحن التى حلت مصر ابتداءاً من سنة ٨٠٦هـ " فزالت الطرق وجهلت الأزقة وانكشفت البركة وبقى حولها بساتين خراب [٣] .

لكننا نجد أن تلك الأزمات لم تقض على القاهرة ، بل عاد لها رونقها ونضارتها ، وقد وقعت البركة فى خريطة الحملة وقد أحاطت بها الأرض الفضاء والبساتين وإلى الشرق منها بالقرب من بركة الأزبكية خطت بعض الحارات . وقد ردمت البركة هى والبرك التى حولها عند تنظيم المنطقة المحيطة بها والتى أصبحت تمثل وسط البلد والحى التجارى لها فى عهد الخديوى اسماعيل .

بركة الأزبكية

كانت بركة الأزبكية من أعظم البرك مساحة فى العصرين المملوكى والعثمانى وأكثرها ارتباطاً بالتنزه ومظاهره ، ويمثل موضعها الآن حديقة الأزبكية وما حولها .

وقد ذكر المقريزي هذه البركة وأنها "كانت تعرف ايامه ببركة بطن البقرة وأنها تقع فيما بين أرض الطبالة [٤] وأراضى اللوق [٥] ويصل إليها ماء النيل من الخور فيعبر فى خليج الذكر اليها [٦] ، وكانت

---

(١) الخطط ، جـ ٢ ، ص١٦٤ .

(٢) يصف المقريزى "صورة دقيقة تعبر عن هذا الوضع المميز للبيوت وسكانها بالبركة بقوله " فكم حوت تلك الديار من حسن ومستحسن وأنى لأذكرها وما مررت بها قط إلا وتبين لى من كل دار هناك آثار النعم ، أما روائح تقالى المطبخ أو عبير بخور العود والند أو نفحات الخمر أو صوت غناء أو دق هاون ونحو ذلك مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهة عيشهم وغضارة نعمهم" . انظر :
الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٤ .

(٣) نفسه ، ١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٤) عن أرض الطبالة ، انظر مايلى ، ص٢٩٨ .

(٥) عن أراضى اللوق ، انظر ماسبق ، ص١٩٩ .

(٦) على خليجى الخور والذكر ، انظر مايلى ، ٣١٠ .

البركة تواجه قصر اللؤلؤة (١) ودار الذهب (٢) فى برج الخليج الغربى • (٣)

وكان موضع البركة فى العصر الفاطمى جزءاً من بستان كبير يسمى بستان المقس يقع بين المقس (٤)

---

(١) قصر اللؤلؤة كان احد المناظر الفاطمية ، وكان يطل على الخليج الشرقى بالقرب من باب القنطرة ، وكان من أحسن القصور واعظمها زخرفة وهو أحد متنزهات الدنيا المذكورة فإنه كان يشرف من شرقية على البستان الكافورى ويطل من غربية على الخليج ، وكان غرب الخليج بركة بطن البقرة وبساتين عظيمة وراءها النيل ، وهذا القصر بناه الخليفة الفاطمى العزيز بالله وقد أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بهدمه ونهب ما فيه ثم بناه بعد ذلك ابنه الظاهر لاعزاز دين الله . انظر :

المسبحى ، تاريخ مصر ، ص١٦٧ ، المقريزى الخطط جـ١ ، ص٤٦٧ ـ ٤٦٨ . ، على مبارك ، الخطط التوفيقية، جـ٣ ، ص٦٠ .

* وحل محل قصر اللؤلؤة الآن الدور والأبنية المجاورة لضريح الشعرانى (أثر رقم ٥٩) ، بشارع الخليج المصرى .

(٢) دار الذهب كانت تطل على شاطىء الخليج الشرقى ، بناها الوزير الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، وضم إليها داراً كانت تعرف بأسم دار الفلك كان قد بناها فلك الملك أحد الاستاذين بقصر الخليفة الحاكم ، وكان الأفضل ينتقل إلى دار الذهب إذا انتقل الخليفة إلى قصر اللؤلؤة ليكون قريباً منه ، وقد أسهب المقريزى فى وصف ما كان يرتب من أطعمة كل يوم وليلة لإقامة الخليفة الوزير بمنظرتى اللؤلؤة والذهب وما يصرف للحرس الخاص وحرس الوزير من أطعمة ووقود وشموع كما أسهب فى وصف مراسم الانتقال والاقامة وقد ذكر المقريزى موقع دار الذهب فقال : أن هذه الدار خارج القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة ، وقد بنى مكان دار الذهب فى العصر المملوكى دار بأسم دار بهادر الأعسر ، ثم عرفت بدار الأمير الوزير المشير عبدالغنى الفخرى ، وكانت تقع بجوار مدرسته (أثر ١٨٠) من شرقيها . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٤٧ ، جـ٢ ، ص٧٤ ، ٣٢٨ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٧٦،

محمد الكحلاوى ، مدرسة الأمير عبدالغنى الفخرى ، ماجستير "غيرمنشورة" (كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨١) ، ص١١٧ .

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٣ .

(٤) المقس قرية قديمة قبل الفتح الاسلامى وكان اسمها الرومانى Tandunias وقد أطلق عليها العرب العرب أم دنين، وكانت تطل على النيل مباشرة قبل أن ينحسر ، وكانت ميناءاً للقاهرة فى العصر الفاطمى ، وقد أنشأ الخليفة المعز لدين الله هناك دار صناعة السفن ، وقد أنشأ بها الخليفة الحاكم بأمر الله جامعاً عرف فى العصر المملوكى باسم جامع المقس وكان يطل على الخليفة الناصرى ، وقد عرف بعد ذلك بجامع أولاد عنان (جامع الفتح بميدان رمسيس حالياً) .

ويرجع تسمية القرية بالمقس نسبة للمكس وهى الضريبة التى كانت تحصل هناك حتى كانت ميناء القاهرة ، كما عرفت أيضاً باسم المقسم لأن العرب قسموا الغنائم التى حصلوا عليها أثناء الفتح هناك ، وغلب استعمال لفظ المقسم فى المصادر والوثائق العثمانية. وعند جامع المقس كان ينتهى السور الذى بناه قراقوش وزير السلطان صلاح الدين الأيوبى ليحيط بالقاهرة وظواهرها كما بنى قراقوش هناك برجاً بجوار الجامع محل المنظرة الفاطمية القديمة ، وكان الجامع يشرف على النيل مباشرة فى ذلك الوقت، وقد جدد الجامع قراقوش ثم جدده الوزير الصاحب شمس الدين عبدالله المقس وزير السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون فى سنة بضع وسبعين وسبعمائه وهدم البرج وعمل مكانه جنينة ، وكان النيل قد انحسر عند المكس حوالى سنة ٧٠٠هـ ، وقد ذكر=

وجنان الـزهرى [١] ، وكان يشرف على النيل من غربيه (قبل أن يـنحسر) ويشرف على الخليج الكبير من شرقية . [٢]

وفى أيـام الخليفـة الظاهر لإعـزاز دين الله (٤١١ ـ ٤٢٧هـ / ١٠٢٠ ـ ١٠٣٦م) أمر بعد سـنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩ بإزالة أنـشاب هذا البستـان وأن يعمل بركة قدام مـنظرة اللؤلؤة ، وفـى أيام الشدة الكبرى التى حدثت من سنة ٤٥٧هـ حتى سنة ٤٦٤ هـ [٣] فى خلافة المستنصرة بالله هجرت البركة وبنى موضعها عدة أماكـن عرفت بحارة اللصوص إذ ذاك [٤] ، ولكنها عمـرت موات أخرى فى أيام الخليفةة الآمر بأحكام الله (٤٩٥ ـ ٥٢٤هـ / ١١٠١ ـ ١١٣٠م) فى وزارة المأمون بن فاتك البطائحى (٥١٥ ـ ٥١٩هـ/ ١١٢١ ـ ١١٢٥م) حيث أزيلـت تلك الأبنية وعمق حفر الأرض وأجـرى إليها الماء من خليج الذكر فصارت بركة عرفت ببطن البقرة [٥] .

واستمرت البركة على حالـنا حتى تعرضت للمحن التى حدثت أيام الـسلـطان الملك العادل كتبغا سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م حيث حدث تقصير كبير للنيـل فحدثت مجاعة ، وصارت البركة كيمان يعرف بكوم الجـاكى مجاوراً لميدان الـقمح [٦] وصار ما حولهـا خراباً من أرض الطبالة حـتى باب اللوق ، ويذكر " المقريزى" أيـضاً أن البركة كانت أيامه خراباً " إلا مـوضع صغير منها كان النـاس يجتمعون هناك للنزهة . [٧]

= المقريزى أنـه أدرك المقس فى أيامه خـطة فى غاية العـمارة وبها عدة أسواق ويـسكنها أمم من الأكـراد والأجناد والكتاب وغيرهم .

* وكانت المقـس تشغل المنطقـة التى تحد من الغرب بـشارع عماد الدين ومـن الجنوب بشارع قنطـرة الدكة وشارع القبيلة ومن الشرق بشارع الكنيسة المرقـية ومن الشمال بشارع بين الحارات وحتى ميدان رمسيس . انظر : المقريزى الخطط جـ٢ ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، ٢٨٣ ـ ٢٨٤ الـقلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٣٦١ ، على مبارك ، الخطـط التوفـيقيـة ، جـ٣ ، ص٢٥٠ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، جـ٤ ، ص١٢٧ـ ١٢٩ . محمـد رمزى ، القـاموس الجغرافى ، ق١ ، ص١٢٨ـ ١٢٩".

(١) عن جنان الزهرى ، ما سبق ، ص١٨٨ .

(٢) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٣ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٠٥ ، ٣٢٦ ، جـ٢ ، ص٢ ، ١٠٠ ، ٢٦٥ .

(٤) المقريزى ، الخطط جـ٢ ، ص١٦٣ .

(٥) نفسه .

(٦) ميدان القـمح قال عنه المقـريزى "أن هذا المكان خارج بـاب القنطرة يتـصل من شرقية بـعدوه الخليج ومن غـربيه بالمقس، و بعضهم يسميه ميدان الغلة ، وكان مـوضعاً للغلال أيام كان المقس ساحل القاهرة" . الخطط ، جـ٢ ، ص١٢٤ ـ ١٢٥ .

* ونلاحظ أن ميدان القـمح (الغلة) ظل يستخدم فى تجارة وتـخزين الحبوب فى العصر العثمـانى وما بعده ، وقد وقع بمكانه فى خريطة الحملة الفرنسية وكالتين للقمح (رقم ٣١٥ فى المربع E- 8 ، رقم ٤٠٣ فى المربع D - 8.

* ويمثل موضع ميدان القمح الان النصف الشرقى من منطقة باب البحر .

وكانت البركة والمنطقة حولها تأخذ مياهها من خليج الذكر فلما طم وخربت مناظر اللوق سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م وصارت هذه البقعة مقطع طريق واستمرت على ذلك مدة طويلة لم يلتفت إليها أحد من الناس ، ثم أن أحد الناس أوصل الماء إلى أرض بركة الأزبكية عن طريق الخليج الناصرى فصار الماء يدخل إليها فى آخر الزيادة ويروى بعض أراضيها وتزرع بالبرسيم والشعير . [١]

عمارة البركة على يد أزبك :

كتب لنا المؤرخ ابن اياس ما قام به الأمير أزبك من ططخ [٢] من إصلاح للبركة وحفرها والعمارة الكبرى حولها ، تلك العمارة التى خلدت اسمه بخلود مدينة القاهرة ، وجعلت الأزبكية من أهم البقاع وأنزهها فى بقية العصر المملوكى وكل العصر العثمانى وعصر أسرة محمد على وظلت الأزبكية لوقتنا الحاضر من أهم احياء القاهرة وقلبها النابض بالحياة والحركة والتجارة قال «ابن اياس» عن موقع البركة قبل إصلاح أزبك " كانت هذه البقعة أرض ساحة خراب ذات كيمان فى أرض سباخ وبها أشجار أثل وسنط وبها مزار سيدى عنتر [٣] وسيدى وزير [٤] وغيرهما من الأولياء رضى الله عنهم وكان فى هذه الأرض جامع خراب يسمى جامع الجاكى [٥] وهو باقى إلى الآن" . [٦]

---

(١) ابن ياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) الأمير أزبك من ططخ الأشرفى نسبة للأشرف برسباى ثم الظاهرى نسبة للظاهر جقمق ، جلبة تاجر المماليك ططخ من بلاد الجركس ، فاشتراه الأشرف برسباى سنة ٨٤١هـ فجعله أحد كتبته ، ثم انتقل لولده العزيز ، ثم اشتراه الظاهر جقمق فأعتقه وزوجه ابنته فلما ماتت تزوج أختها ، وقد تدرج فى الرتب حتى وصل إلى أمير مائة مقدم الف وهى أعلى رتبة فى رتب المماليك ، وكانت أهم وظيفة تقلدها ازبك هى آخر وظيفة له وهى أتابك العساكر اى مقدم المماليك السلطانية وقائد الجيش وذلك فى بداية حكم السلطان قايتباى سنة ٨٧٢هـ واستمر بها نحو ٢٨ عاماً ، وكانت له جولات عديدة فى التجاريد والحملات ، انتصر فيها على أعداء الدولة التركمانية المتاخمة لحدودها ، وكذلك انتصر على الدولة العثمانية عدة مرات .

وكان عظيم القدرة والمهابة ، حج عدة مرات ، وكان ينوب عن السلطان فى الاحتفال بكسر سد الخليج وإمارة الحج والسفارات وغير ذلك ، وكان عظيم الثراء وخلف ثروة طائلة ، وقد توفى يوم الأحد ٢٤ رمضان ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م عن عمر يناهز٨٤ عاماً ودفن بتربة استاذه الملك الظاهر جقمق وهى تربة قانى باى الجركسى . انظر : السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠ـ ٢٧٢ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٤١١ ، ٤١٣ . ، أنا مارى شيل ، قال بعنوان "الاتابكى اربك من ططخ مؤسس الأزبكية بالقاهرة ، عدد خاص من مجلة فكر وفن خاص بالقاهرة فى عيدها الألفى .

(٣) سجل مزار سيدى عنتر بخريطة الحملة الفرنسية برقم ١٠٤ فى المربع I-11 فى جنوب شرق البركة .

(٤) كان مقام سيدى وزير هذا يجاور جامع أزبك قد ورد ذكره فى كتاب وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٠ أوقاف ، ص ٣٢٠ .

(٥) جامع الجاكى كان فى المنطقة المحصورة بين شارع الأزهر وسكة المناصرة . انظر بالتفصيل : محمد رمزى ، تعليقة على النجوم الزهرة ، جـ ٩ ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٦) بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١١٦ .

وعن عمارة أزبك للبركة يقول "أنه حسن ببال أزبك أن يعمر مناخ لجماله [١] فى تلك البقعة وكان ساكناً بالقرب منها ، فلما عمر المناخ حلا له هناك العمارة فبنى القاعات الجليلة ثم الدوار والمقعد والمبيتات والحواصل وغير ذلك ثم أنه أحضر أبقار ومحاريث وجرف الكيمان التى كانت هناك ومهدها ثم حفر بها هذه البركة الموجودة الآن ، وأجرى إليها الماء من الخليج الناصرى ، وجدد عمارة قنطرة خليج الذكر التى كانت هناك ثم بنى على هذه البركة رصيفاً محتاطاً بها وتعب فى ذلك تعباً عظيماً حتى تم له ما أراد من ذلك فكان فى قوة الحر يدور خلف المحاريث فى الكيمان وغيرها وأصرف على ذلك مالا له صورة ما يزيد على مائتى الف دينار" . [٢]

وعن عمارة منطقة الأزبكية يستطرد ابن اياس فيقول : " ثم شرعت الناس تبنى على هذه البركة القصور الفاخرة والأماكن الجليلة ، ولازالت تتزايد فى العمارة إلى سنة احدى وتسعمائة ، وقد رغب الكثير من الناس فى سكنى الأزبكية وصارت مدينة على انفرادها ، ثم أنشأ بها الجامع الكبير وجعل به خطبة وأنشأ به المئذنة العظيمة وجاء غاية فى الحسن والتزخرف والبناء . . ثم أنشأ حول هذا الجامع الربوع والحمامات والقياصر والطواحين والأفران وغير ذلك من المنافع وسكن فى تلك القصور وتمتع بها مدة طويلة حتى مات وبقى له تذكار بالأزبكية " .

ولما كملت عمارة الأزبكية ودخل الماء إلى بركتها أنعم السلطان قيتباى على الأتابكى أزبك بأرضها وكتب له بذلك مربعة شريفة ، وكانت أرض الأزبكية قبل اعتناء أزبك بها أرض محتكرة موقوفة على خزائن السلاح [٣] منذ العصر الأيوبى" [٤] .

---

(١) ذكر على مبارك أن مكان مناخ جمال أزبك اللوكاندة الخديوية ، وهى التى سميت فيما بعد بأسم فندق شبرد .
الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٣٦٣ .

* وقد احترقت هذه اللوكاندة فى حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ وبقى مكانها فضاءا عمل فى جزء منها الآن جراج متعدد الطوابق ، ويمثل مكان المناخ الآن المنطقة المحصورة بين شارع الجمهورية شرقاً وشارع عماد الدين غرباً وشارع سليمان الحلبى شمالاً وشارع ٢٦ يوليو جنوباً .

(٢) بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١١٧ .

(٣) قال المقريزى عن حكر خزائن السلاح الذى يمثل موضع البركة " هذا الحكر كان يعرف قديماً بحرك الأوسية وهو فيما بين الدكة وقنطرة الموسكى ، وقفه السلطان الملك العادل أبو بكر بن ايوب على مصالح خزائن السلاح هو وعدة أماكن بمدينة مصر مع مدينة قليوب وأراضيها فى جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وستمائة وظهر كتاب الوقف المذكور من الخزائن السلطانية فى جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمائة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقد خرب أكثر هذا الحكر وصار كيماناً " .
الخطط ، جـ ٢ ، ص ١١٩ .، وانظر ايضاً :
على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٦٨ ـ ٦٩ .

(٤) بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١١٨ .

وقد قدرت مساحة البركة في العصر المملوكى بـ ٦٠ فداناً (١) واستمرت كذلك فى العصر العثمانى . (٢)

أما عن تاريخ أعمال أزبك بالأزبكية فقد ابتدأها فى شهر ذى الحجة سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٦م وفى جمادى الأولى سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٨م كان انتهاء عمارة قاعات الأزبكية وحضر الاحتفال بها السلطان قايتباى الذى بات ليلتها فى ضيافة أزبك (٣) . وفى جمادى الأولى سنة ٨٨٩ هـ/ ١٤٨٤م كان انتهاء المشروع ككل (٤) ، وفى سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م كان أول افتتاح لسد خليج بركة الأزبكية الذى يمدها بالماء (٥)

وبعد اكتمال الأزبكية ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م بدأ الرحالة الأجانب يكتبون عن الأزبكية وعن عمارتها الجديدة ومنهم الرحالة "فابرى" الذى أشاد بجمال وفخامة مساكنها وعن منظر البركة البهيج بعدما كانت المنطقة مجرد أدغال ومناطق ينبت بها البوص والحلفاء وكانت منطقة خطرة " (٦) .

وقد اصبحت الأزبكية بعد تعميرها بقعة قدر لها أن تشهد كثيراً من الأحداث السياسية والاجتماعية وكانت الاضطرابات السياسية على أشدها فى نهاية دولة المماليك ، وقد تأثرت منشآت الأزبكية بتلك الأحداث تأثراً كبيراً ونال بعضها التخريب والتحريق كالقاعات والقصور والربوع والدور حتى قناديل الجامع وحصره كانت تنهب فى تلك الأحداث ، ومن أهم الأحداث ما حدث فى شهر ذى الحجة سنة ٩٠٠ هـ أثناء الفتنة التى قام بها الأمير قانصوة خمسمائة أمير اخور كبير الذى اتخذ من الأزبكية مركزاً لتجميع قواته ضد منافسية ، ونال الأتابكى أزبك أذى كبير بسبب ذلك وكاد يقتل فطلب من السلطان قايتباى عزله ونفيه إلى مكة خوفاً على حياته ويرجع سبب ذلك لكونه صهرا للأمير قانصوة خمسمائه (٧) .

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٥٠ .

(٢) من الجدير بالذكر هنا أن الرحالة عبدالغنى النابلسى الذى زار مصر فى سنة ١١٠٥هـ /١٦٩٣م ونزل ضيفاً فى دار اسرة السادة البكرية المطلة على البركة التى كانت وقتئذ مزروعة فتناقش فى مساحتها وهل هى اعرض من مرجة دمشق أم المرجة أعرض منها مما دعاة إلى قياسها بالذراع الذى حدده بثلاثة أشبار فكانت مساحتها ١٠٥٠ ذراعاً طولاً فى ٤٤٢ ذراعاً عرضاً . انظر : الحقيقة والمجاز ، ص ٢٨٧.

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ .

(٤) Abouseif, Op. Cit., P.23

(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٢١٩ .

(٦) Fabri, (F)., (1483), Le Voyage en Egpte Cairo , 1975, P. 919.

(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٣١٠ ـ ٣١٤ .

وقد تكـــررت مثـــل تلك الحوادث بـالأزبكية مرات عـديدة مثلمـــا حدث فى جـمادى الآخر ٩٠٢هـ [١] ، وفى شوال ٩٠٦ هـ [٢] ، وفى رمضان ٩٠٧هـ [٣] ، وفى محرم ٩١٦هـ [٤] .

ومن الجدير بالذكر أنه قد خصص قصر أزبك بالأزبكية لمن يلى وظيفة أتابك مصر فى بقية العصر المملوكى مثل الأميرقصروة الذى كان نائباً للشام فلما تولى الأتابكية بمصر نزل بقصر أزبك فى جمادى الآخـر سـنـة ٩٠٦هـ [٥] ، وكذلـك نـزل به الأتـابكى قيـت فى شوال ٩٠٧هـ [٦] أثنـاء سلطـنة الغورى، وكذلك نزل به الأمير أركماس الذى كان نائباً للشام وتولى الأتابكية فى مصر فى ذى الحجة ٩١١هـ [٧] .

وقد رأينا مـثل ذلك الأمر من قبل من تـخصيص بيوت على الـبرك للوظائف الكبـرى فى الدولة وهذا يدل على أهـمية البرك كمكان ارسـتقراطى متميز ، وكـان ذلك فى تخصيص قصـر على بركة الفيل لمـن يلى وظيفة أمـير اخور [٨] وكذلك تخصيـص قصر على نفس البركة لمن يلـى وظيفة أمير مجلس [٩] . وكذلك تخصيص قصر على بركة الرطلى لمن يتولى منصب الوزارة [١٠] .

تخطيط الأزبكية من خلال وثيقة أزبك :

سجل أزبك أعماله بالأزبكية بحجة وقـفه المؤرخة بسنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥و والتى تحمل رقم ١٩٨ والمحفوظ بدار الوثائق القومية [١١] ، وقد فقد الجزء الأول منها الذى كان يحوى وصف الجامع [١٢] ولكن موقعة محدد فى مواضع أخرى من الوثيقة .

(١) نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠ .
(٢) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٥ .
(٣) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٧ .
(٤) نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٧٨ .
(٥) نفسه ، جـ ٣ ، ص ٤٥٨ .
(٦) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٩ .
(٧) نفسه ، جـ ٣ ، ص ٩٢ .
(٨) انظر ماسبق ، ص ١٧٧
(٩) انظر ماسبق ، ص ١٧١
(١٠) انظر مايلى ، ص ٢٤٣ .
(١١) نقلت محتويات دار الوثائق القوميةمـن مبناها بالقلعـة الى مبنى ملحق بالهيئة المصرية العامة للكتاب برملة بولاق .
(١٢) هذا الجامع تالى فى تاريخه لـبناء القاعات ، وهو مرقع على خريطة الحملة الفـرنسية برقم ١٧٧ فى المربع I-11 وقد قام جراند بـك بعمل تخطيط لـه قبل هدمه سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩ . انـظر كراسات لجنة حفظ الآثـار لـسنة ١٨٩٤ تقرير ١٦٦ لوحة (١) .
*وكان الجامع يقـع بالقرب من مدخل شارع الأزهـر وأزيل ضمن ما أزيل فى تنـظيم ميدان العتبـة الخضراء وفتح شارع محمد على. انظر :
حسن عبدالوهاب ، تخطيط القاهرة ، ص ٤٠ .

وقد بنى أزبك مجموعتين متقابلين من المبانى بينهما شارع مسلوك ،المجموعة الأولى تطل مباشرة على البركة والثانيـة تقابلها عبر الشارع ، وقد بنيت المجموعـة الأولى أولاً ، وقد اختار أزبك موقعاً متميزاً لبناء منشآته على البركة فهى تقع بالجهة الشرقية منها لتستقبل الهواء والنسيم الذى يهب من الشمال الغربى .

ولم يكن بالموقع من أبنية سوى مزارى سيدى عنتر وسيدى وزير ، وكان القصر هو أول ما بناه أزبك وتلاه بناء الجامع والقيصرية وغيرها من المبانى التجارية .

ومن خلال الوثيقة نجد وصفاً شاملاً لتلك المنشآت وقد اتصفت بالفخامة والعظمة واتبعت الأساليب والتخطيطات المعمارية التى كانت سائدة فى زمنه ، وحفلت بالزخارف الرائعة [(١)] ، وشكلت تلك العمائر حياً متكاملا يحوى المنشآت الدينية مثل الجامع الذى قام أيضاً بدور خانقاة ترد الصوفية إليه ، وذلك حوت المنشآت الاجتماعية مثل الحمامات والسبيل والسواقى وحوض دواب ، كذلك حوت المنشآت التجارية مثل القيصرية والطواحين وغير ذلك .

وتصف الوثيقة أولاً العمارة البحرية المطلة على بركة الأزبكية وهى ثلاثة أماكن متجاورة ، والأول هو الدوار والثانى الحوانيت والربع فوقها والثالث سكن اينال شاد العمائر .

فأما الأول فهو الدوار:

وكان لهذا الدوار أحد عشر باباً ، الابواب الثلاثة الأولى كانت تؤدئ فى الغالب إلى ثلاثة قصور سكنية بها قاعات سكنية كما يبدو مما تبقى من بداية الوثيقة [(٢)] . وكان الباب الرابع يؤدى إلى مقعد [(٣)] . والباب الخامس يؤدى إلى مطبخ واسطبل وساقية [(٤)] والباب السادس يؤدى إلى شر ابخاناه خاصة بالامير أزبك [(٥)] ، والباب السابع يؤدى إلى

---

(١) بالرغم من تلك الأوصاف التى نجدها بالوثيقة إلا أنه للأسف قد اندثرت كل المنشآت التى تنتمى لأزبك ، وكان من الممكن التعرف عليها من مثيلاتها التى أنشأها يشبك بن مهدى بالحسينية وهى مجموعته التى اتخذت متنزهاً كبيراً وكانت تضم بركة وبساتين وقاعات وأبنية أخرى اثنى عليها قايتباى وفضلها على مجموعة أزبك ولكن للأسف لم يتبق منها سوى قبته التى عرفت بأسم قبة الفداوية وهى على أية حال هى وقبته بحى القبة تعكس صورة حية لما كانت عليه كل من منشآت أزبك ويشبك ، ومهما كان التماثل فالأزبكية كانت فريدة فى كونها غيرت تخطيط المدينة وخففت المناخ أثناء الصيف ..Abousief (D)., Op. Cit., P. 29.

(٢) سطور من ١ ـ ١٢٢ من الوثيقة .

(٣) سطور من ١٢٣ ـ ١٤٢ . وعن المقعد انظر مايلى ، ص

(٤) سطور ١٤٢ ـ ١٥٣ .

(٥) سطرى ١٥٣ ـ ١٥٤ .

* والشراب خاناه هى بيت الشراب ، وكانت تشتمل على أنواع الأشربة المرصدة للسلطان أو الأمير وكان بها الأوانى النفيسه . انظر : حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ ٢ ، ص ٦١٤ .

فراش خاناه [١] ، والباب الثامن يؤدى إلى طشت خاناه [٢] ، والباب التاسع يؤدى إلى رواق تركى [٣] ، والباب العاشر يؤدى إلى كرسى راحة [٤] ، والباب الحادى عشر يؤدى إلى حاصل [٥] .

وقد ذكرت حدود هذا المكان كالتالى : كان الحد القبلى ينتهى إلى الطريق المسلوك وفيه واجهة هذا المكان وبابه الأصلى ومطل الشباك الذى بمبيت المقعد المذكور والحد البحرى ينتهى إلى بركة الأزبكية وفيه واجهة القيطون والقاعتين والقصر والمقعدين مطل ذلك على البركة الأزبكية ، والحد الشرقى ينتهى إلى مكان يعرف بإنشاء الجناب السيفى الزينى سالم [٦] ، والحد الغربى ينتهى بعضه إلى الربع المعروف بإنشاء الواقف (أزبك) ، وباقية إلى الرواق والاسطبل المعروفين بإنشاء الواقف ويسكن الجناب السيفى اينال شاد العمائر بخدمة الواقف .

أما المكان الثانى فى العمارة البحرية الملاصق للمكان الأول فهو يشتمل فى سلفه على عشرة حوانيت صف واحد ، كل حانوت يشتمل على مسطبة ودراريب وداخل ومنافع وحقوق ، ويشتمل علوة على ربع يتوصل إلى بابه من استطراق مشترك بين الربع المذكور وبين المكان الثالث المعروف بسكن السيفى اينال شاد العمائر [٧] ، وهذا الربع يحتوى على صف من عشر طباق كلها مطلة على الشارع المسلوك [٨] .

أما عن حدود المكان الثانى فإن الحد القبلى ينتهى إلى الشارع المسلوك وفيه واجهة الحوانيت المذكورة ومساطبها وواجهة الطباق ومطل طاقاتها ، والحد البحرى ينتهى إلى معالم المكان الأول المعروف بالقصر ، والحد الشرقى ينتهى إلى المكان الأول والحد الغربى ينتهى إلى الاستطراق المشترك بين رفع هذا المكان وبين المكان الثالث [٩] .

---

(١) سطرى ١٥٤ ـ ١٥٥ .

* رالفراش خاناه هى بيت الفراش ركان يشتمل على أنواع الفرش من البسط رالخيام .

انظر : حسن الباشا ، نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٨٠٤ .

(٢) سطور ١٥٥ ـ ١٥٨ .

* رالطشت خاناه هى بيت الطشت . انظر : حسن الباشا ، نفس المرجع ، ص ٧٤٢ .

(٣) سطور ١٥٨ ـ ١٦٤ .

(٤) سطرى ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٥) سطرى ١٦٦ ـ ١٦٧ .

(٦) ورد ذكر الزينى سالم فى المقامة القادرية التى أوردها ابن اياس فى كتابة المخطوط " نزهة الأمم فى العجائب والحكم " .

وعن تلك المقامة ، انظر مايلى : ص ٥٤٧ .

(٧) سطور ١٧٤ ـ ١٧٨ .

(٨) انظر وصف هذا الربع بالكامل فى سطور من ١٨٧ ـ ١٨٤ .

(٩) سطور ١٨٤ ـ ١٨٨ .

أما المكان الثالث من العمارة البحرية وكان ملاصقاً للمكان الثانى من الجهة الغربية فهو المكان المعروف بسكن السيفى اينال شاد العمائر [١] .

أما عن حدوده فإن الحد القبلى كان ينتهى إلى الشارع المسلوك وفيه روشن الرواق الذى على الطريق وطاقاته وواجهته وبابها والاستطراق الذى تمن داخل الواجهة وهو المشترك المعين أعلاه ، والحد البحرى ينتهى إلى البركة الأزبكية وفيه مطل الرواق الثانى والحد الشرقى ينتهى بعضه إلى الربع والحوانيت التى بالمكان الثانى وباقية إلى المكان الأول والحد الغربى ينتهى إلى مكان يعرف بملك السيفى قان بك قريب الواقف (أزبك) [٢] وهذا آخر وقف الأماكن التى بالعمارة البحرية .

أما العمارة القبلية التى بها الجامع المعمر بذكر الله تعالى والتى أماكنها متجاورة متلاصقة صف واحد يفصل بينها وبين العمارة البحرية الشارع المسلوك ، فتشتمل على أماكن متعددة وأبوابها ثمانية عشر باباً فى صف واحد يفتح من الغرب إلى الشرق كالتالى :

- الباب الأول يؤدى إلى فرن [٣] .
- الباب الثانى يؤدى إلى طاحون [٤] .
- الباب الثالث يؤدى إلى حانوت [٥] .
- الباب الرابع يؤدى إلى طاحون [٦] .
- الباب الخامس والسادس لخونتين كل منهما بصفة الحانوت [٧] .
- الباب السابع يؤدى إلى حمام للنساء [٨] .
- الباب الثامن والباب التاسع والباب العاشر والباب الحادى عشر إلى حوانيت [٩] .
- الباب الثانى عشر إلى حمام الرجال [١٠] (رقم ١٧١ فى المربع I-11 فى خريطة الحملة) .

---

(١) انظر وصف هذا السكن بالكامل فى سطور ١٨٩ ـ ٢٣٣ .
(٢) سطور ٢٣٣ ـ ٢٣٨ .
(٣) سطور ٢٤١ ـ ٢٤٨ .
(٤) سطور ٢٤٨ ـ ٢٥٠ .
(٥) سطور ٢٥٠ ـ ٢٥٢ .
(٦) سطور ٢٥٢ ـ ٢٦٢ .
(٧) سطرى ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .
(٨) سطور ٢٦٣ ـ ٢٨٢ .
(٩) سطرى ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
(١٠) سطور ٢٨٤ ـ ٢٨٧ .

- الباب الثالث عشر والباب والباب الرابع عشر والباب الخامس عشر لحوانيت [1] .

- الباب السادس عشر يؤدى إلى مجاز متسع أرضى مشترك الاستطراق بين الجامع وبين مقام سيدى عنتر وبين الميضأة وبين منافع متعلقة بالحمامين ، وبه سلم يؤدئ من ناحية إلى طبقتين ومن الناحية الأخرى إلى ربع من ١٦ طبقة منهم ١٥ صفاً واحد تشرف على الشارع وكان يوجد ٥ مخازن على يسار الممر تحت الجامع وعلى يسار الداخل أيضاً باب قاعة خطيب الجامع ويليه باب يدخل منه إلى مجاز به مقام سيدى عبدالقادر الصابر وعلى يمين الممر باب يؤدى إلى رحبة متسعة وبها باب يؤدى إلى رواق ، وبآخر الممر حديقة تضم ساقية تمد الحديقة والحمامين والميضأة بالماء اللازم [2] .

- والباب السابع عشر والباب الثامن عشر يؤديان لمخازن تحت الجامع [3] .

وإلى الشرق من هذه العمارة كان يوجد الجامع ذو الأعمدة وبالناحية الشرقية منه كان يوجد سبيل يعلوه كتاب .

وإلى الغرب من هذه العمارة استجد ازبك بناء قيسارية [4] سنة ٨٩٠هـ ، وقد وصفت تلك القيسارية بأنها تتكون من ٨٩ حانوتاً و٢٩ مقعداً ،يتوسطها (صحن مستطيل) بوسطة فوارة ، وربما كانت القيصرية تتكون من عدة طبقات فوق بعضها البعض ، ولم تذكر الوثيقة أى طباق سكنية بالقيصرية ، وكان يوجد على جانبى القيسارية أربعة حوانيت اثنان على كل جانب ، وقد كانت القيصرية تقع غرب الفرن .

وقد استجد ازبك غيط جنوب القيسارية وبحره غربها [5] .

---

(١) سطرى ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٢) سطور ٢٨٩ ـ ٣٣٥ .

٣) سطرى ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

(٤) كانت القياسر نوعاً من الأسواق حيث أنها تضم عدداً من الحوانيت للتجارة كما أنها كانت تختص بنوع من البضائع وإن كانت اسماؤها لا تنطبق على مايباع فيها من بضائع ، وهى إن تشابهت فى المعنى العام إلا أنها لم تكن فى حجمها أو تخطيطها مشابهة للأسواق فهى فى الحجم يمكن أن توضع مع السويقات أى يمكن اعتبارها سوقاً صغيرة. اما من ناحية التخطيط فهى وإن كانت تحتوى على دكاكين إلا أن هذه الدكاكين لم تكن مبنية على جانبى الشارع مثل الأسواق بل إن كل قيسارية كانت قائمة بذاتها يمتلكها فرد ومن الجائز أن يتوارثها افراد .
وكانت إما مستطيلة أو مربعة تصطف الدكاكين بداخلها وكان لها أبواب خارجية تبلغ أحياناً سبعة أبواب تغلق ليلاً وكان يقوم على حراستها حارس أو حارسان وكان يعلو هذه المحلات ربع يسكنه الاجانب وغيرهم . انظر :
آمال العمرى ، أضواء على المنشآت التجارية فى مصر المملوكية ، بحث فى مجلة كلية الآثار ، ١٩٧٨ ، ص٦٧ ـ ٦٨ .

(٥) ظهر الوثيقة سطور ٨٠ ـ ٤٨ .

وقد وقع بخريطة الحملة الفرنسية درب يسمى درب البحره (رقم ١٦١ فى المربع K-11 وقد ذكرت حدود القيسارية فى الوثيقة كالآتى : الحد القبلى ينتهى إلى الغيط المستجد الانشاء ، والحد البحرى ينتهى إلى . . . والحوانيت الأربعة المذكورة ، والحد الشرقى ينتهى إلى الفرن المذكور بعضة وباقية إلى الساقية التى برسم الجامع وفيه باب سر القيصارية المذكورة والحد الغربى ينتهى إلى البحرة الآتى ذكرها فيه بعضه وباقيه إلى الغيط الموعود بذكره أيضاً [١] .

وقد وقع بخريطة الحملة الفرنسية درب الوكالة (رقم ١٦٢ فى المربع K-11 حيث حل لفظ الوكالة بدلاً من القيسارية فى العصر العثمانى .

وكان يجاور القيسارية أيضاً حوض معد لسقى الدواب [٢] وكذلك عدة مخازن وعدة طباق سكنية تعلوه [٣] .

أما الغيط فوصف بأنه كان كبير ويقع غرب وجنوب القيسارية وبه كثير من أنواع الأشجار المثمرة وبه بئر وساقية بجوار المخازن والحوض [٤] .

وقد كان لازبك عدة بساتين وبيوت منتشرة حول البركة وفيما بينها وبين الخليج [٥] مما كان له أكبر الأثر فى اطلاق اسمه على الحى كله بجدارة واستحقاق .

بركة الأزبكية فى العصر العثمانى :

بعد وفاة أزبك مؤسس الأزبكية قل الاهتمام بعمارتها بل أن منشآتها تعرضت للنهب والتخريب أيام السلطان الغورى [٦] ، وتعرضت للدمار أكثر أثناء الغزو العثمانى لمصر [٧] .

ويدأ الاهتمام يعود للأزبكية بشكل واضح فى القرن ١١هـ/ ١٧م فقد بدأت بعض الأسر الثرية من الشيوخ والتجار فى البناء حول البركة وتبعهم كبار الأمراء [٨] ، وكان أكبر عمران لها فى القرن ١٢هـ/ ١٨م إذ خفت حولها بيوت الأمراء من أصحاب الوظائف الكبرى فى الدولة ، وكذلك كبار

---

(١) سطور ٨٤ ـ ٨٧ .
(٢) سطور ٨٧ ـ ٩٠ .
(٣) سطرى ٩٠ ـ ٩١ .
(٤) سطرى ٩١ ـ ٩٢ .
(٥) سطور ٩٦ ـ ١٠٢ .
(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص١٣٧ .
(٧) نفسه ، ص١٩٦ ، ٢٣٣ .
(٨) اندرية ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص١٨٢ .

التجار ، كما أنها تميزت بصفة خاصة باقامة كبار الشيوخ والسادة الأشراف وأصحاب الطرق الصوفية لبيوتهم حول البركة [١] .

وعمرت الأخطاط حول البركة عمارة كبيرة فى العصر العثمانى ، وكان للأقباط حى خاص بهم فى شمال البركة المعروف الآن بحارة النصارى [٢] ، بالإضافة لتواجدهم أيضاً جنوب شرق البركة حول جامع عثمان كتخدا . وفى شمال البركة أيضاً عمر خط قنطرة الدكة [٣] ، وفى شمال شرق البركة تكثف العمران واختط خط الرويعى [٤] حول جامع الرويعى [٥] ، وفى جنوب شرق البركة عرفت المنطقة بأسم العتبة الزرقاء [٦] وكانت أشد المناطق ازدحاماً بالعمارة حول البركة ، وفى جنوب

---

(١) من كبار الشيوخ والسادة الأشراف الذين اقاموا بالأزبكية فى النصف الثانى من القرن ١٢ هـ / ١٨م الشيخ عبدالله الشبراوى شيخ الأزهر المتوفى فى ٦ ذوى الحجة سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م ، وكان بيته بمنطقة الرويعى على البركة . الجبرتى ، جـ١ ، ص٢٩٥ ـ ٢٩٧ .

وكذلك ابنه عامر المتوفى فى ٢٩ محرم ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨م كانت داره قرب دار ابيه .

الجبرتى ، جـ١ ، ص٥٢٩ .

كذلك سكن حول البركة السيد الشريف محمد بن حسين الحسينى العادلى الدمرداش المتوفى ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م .

الجبرتى ، جـ١ ، ص٣٣١ .

والشيخ المرحومى (ت ١١٧٨ / ١٧٦٥م) ، وكذلك الشيخ حسن المقدسى وكان بيته مطل على البركة مباشرة (ت ١٨ جمادى الأخر ١١٨٢هـ /١٧٦٨م) . الجبرتى ، جـ١ ، ص٤٣٠ .

وكذلك الشيخ محمد الجزايرلى (ت١١٧٨هـ / ١٧٦٥م) الجبرتى ، جـ١ ، ص٤٣٠ .

وكذلك الشيخ احمد المغربى (ت ١٧ ربيع أول ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م) . الجبرتى ، جـ١ ، ص٤٧٠ .

وكذلك السيد الشريف محمد هاشم الاسيوطى (ت ١١٩١هـ / ١٧٧٧م) الجبرتى ، جـ١ ، ص٥٠٩ .

والشيخ أحمد الحموى (ت ١١٩٩هـ ١٧٨٥م) وكان بيته بخط الساكت على البركة . الجبرتى ، جـ١ ، ص٦٠٥ ـ ٦٠٦ .

(٢) وقع خط حارة النصارى برقم ٢٥٧ فى المربعين F - 13, F - 12 فى خريطة الحملة الفرنسية ، ووقع رصيف حارة النصارى برقم ٢٥٥ فى المربع G - 12 .

(٣) وقعت حاوة قنطرة الدكة برقم ٣٤٧ فى المربع G- 14

(٤) وقعت حاوة الرويعى برقم ١٩٤ فى المربع G- 11 وضريح الرويعى برقم ١٩٦ فى المربع G-11 وسبيل وكتاب الرويعى برقم ١٩٧ فى المربع G-11 ، وسكة الرويعى برقم ٢٠١ فى المربع G -11.

(٥) أنشأ هذا الجامع السيد أحمد الرويعى شاه بندر التجار بمصر فى القرن ٩هـ/ ١٥م . انظر على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٠٣ ، جـ٤ ، ص٢٤٨ .

* وقد وقع هذا الجامع برقم ١٩٨ فى المربع G-11 فى خريطة الحملة .

وهذا الجامع لا يزال عامراً ويحمل رقم ٥٥ فى فهرس الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة .

(٦) سجلت منطقة العتبة الزرقاء برقم ١٦٩ فى المربع K-11 والمربع I-11 ووقع باب العتبة الزرقاء برقم ١٧٩ فى المربع I- 11 .والعتبة الزرقاء هذه التى اصبحت علماً على المنطقة كانت عتبة قصر الأمير رضوان كتخدا الجلفى وكان لونها أزرق .

غرب البركة عمر خط الساكت [1] ، وكانت العمارة قليلة غرب البركة وظلت المنطقة شبه ريفية إلى وقت طويل فى العصر العثمانى إلا أنه من منتصف القرن ١٢هـ/ ١٨م بدأ الأمراء يزحفون عليها بعد امتلاء الجانب الشرقى للبركة [2] .

وكانت الأزبكية موضع عناية الولاة فى العصر العثمانى فكانوا يحرصون دائماً على تعميرها فعلى سبيل المثال أنه وقع حريق فى سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م فى حى الساكت على البركة كان سبباً فى تلف كثير من الدور الكبيرة ، غير أن ولاة الأمور وقتئذ حتموا سرعة تعميرها لدرجة أنهم ألزموا غير القادرين على التعمير ببيع ما يملكون لمن يستطيع التعمير ، وهكذا تم تعميرها فى أقرب وقت فلم يحل ميعاد الفيضان الثانى حتى كانت الأزبكية أبهج وأحسن مما كانت عليه [3] .

وكان للبركة الدور الأول فى زمن الحملة الفرنسية على مصر فقد اتخذوها مقراً لقيادتهم ومسكناً ومتنزهاً لهم فقد اغتصبوا كثيرا من قصورها ودورها وأقاموا فيها ، وأنشأوا أيضاً مسرحاً كوميدياً لهم، كما أقاموا مطاعم وملاهى خاصة بهم حول البركة ، وكذلك بدأوا فى شق الطرق الواسعة حولها [4] ، وقد شهدت البركة الكثير من الأحداث فى ربوعها فى زمن الحملة الفرنسية ، كما كانت مسرحاً للمعارك الحربية فى اثناء ثورتى القاهرة ضد الحملة الفرنسية [5] .

وظلت البركة قائمة حتى أيام الخديوى اسماعيل حيث بدأ تنظيمها وتحويلها إلى حديقة كبيرة وإنشاء المسارح والملاهى بها ، وشق الطرق الحديثة حولها وإزالة الترب والكثير من الحارات والبيوت والمنشآت الأخرى على النمط الأوربى [6] .

الدور والقصور الشهيرة حول البركة :

تميزت الدور والقصور حول البركة مباشرة بالفخامة والجمال ، وقد أبيح بعضها للناس للتمتع من خلالها بالتنزه وقت الفيضان ، كما كان لبعضها مكانة كبيرة بين الناس ، وكانت مشغولة دائماً

---

(١) وقع ضريح الساكت برقم ٣٠٦ فى المربع I-13 ، وكتاب الساكت برقم ٣٠٠ فى المربع I- 13 كما وقعت حارة الساكت برقم ٣٤٣ فى المربع H-14

(٢) اندرية ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعية ، ص١٩٤ .

(٣) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص٤٨٦ .

حسن عبدالوهاب ، تخطيط القاهرة ، ص٤٣ .

* وقد ذكر الجبرتى فى هذه المناسبة أن الأمير رضوان بك بلغيا عمر داراً عظيمة هناك ، وكذلك الخواجا السيد عمر غراب ، والسيد أحمد عبدالسلام ، والحاج محمود محرم .

(٤) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٣٤٢ ، ٤٠٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

(٥) نفسه جـ ٢ ، ص ٣٢٠ - ٣٤٢ ، ٤٣٣ - ٤٣٥ ، ٥٦١ - ٥٧٠ .

(٦) علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٥١ .

والمترددين مثل دار السادة البكرية [1] التى كانت تشرف مباشرة على الشاطىء الجنوبى للبركة وكانت تقع بدرب عبدالحق السنباطى [2] ، بخط الساكت [3] الذى كان يشغل الجهة الجنوبية الغربية للبركة ، وكان درب عبد الحق هذا يقع غربى مجموعة أزبك ، ويمثل موقع دار البكرية [4] الآن المبنى المواجه لمصلحة البريد على ناصية شارع البيدق أمام جراج الاوبرا الذى حل محل دار الأوبرا القديمة .

وقد تنوعت أملاك السادة البكرية على البركة ما بين الدور والحدائق والحمامات والوكائل والأسواق وغير ذلك [5] ، وقد نزل الرحالة "النابلسى" ضيفاً عليهم بذلك البيت أثناء رحلته ، وكان يحتفل فى هذا البيت بالمولد النبوى الشريف .

(١) السادة البكرية ينتمون إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ويذكر "على مبارك" أن وجودهم بمصر يرجع إى ماقبل سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م ، وكان شأنهم محدوداً فى الدولة المملوكية ، ولما فتح العثمانيون مصر منحوا شيخ البكرية امتيازات لم تكن له من قبل منها الأوقاف العديدة ومنها أنهم جعلوه شيخاً لمشايخ الطرق الصوفية ومشرفاً على أوقافها ، وكان شيخ البكرية يجمع أحياناً بين الخلافة البكرية ونقابة السادة الأشراف .

وكان الكثير من السادة البكرية على جانب كبير من العلم وكان منهم أدباء حملوا لواء الأدب والشعر والعلوم الدينية فى العصر العثمانى .

وكانوا أيضاً على جانب كبير من الثراء فاستطاعوا بناء القصور الفخمة وخصوصاً على برك القاهرة والخليج . انظر:

الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٥٦٦ ، جـ٣ ، ص٢٥٠ . ،

المحبى ، خلاصة الأثر فى اعيان القرن الحادى عشر ، ط المطبعة الوهبية ، مصر ، ١٢٨٤هـ ، جـ١ ، ص١١٧ ـ ١١٨ . ، جـ٢ ، ص١٩٦ ـ ١٩٩ . ،

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٤١٥ ـ ٤٥٠ .

محمد سيد الكيلانى ، الادب المصرى فى الحكم العثمانى ، نشر دار الفرجانى ، القاهرة ، ص٧٠ ـ ١٣٤ .

محمد توفيق البكرى ، بيت الصديق ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ .

(٢) كان عبدالحق السنباطى قاضيا شافعياً أيام السلطان الغورى ، وقد تولى مشيخة الصوفية بجامع أزبك بالاضافة للعديد من الجوامع والمدارس الاخرى ، وقد توفى سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٤م وتوارث أبناءه منصب القضاء الشافعى . انظر : السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٤ ، ص٣٧ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٤ ، ص١٢٠ ، الغزى ، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، (ط بيروت ، ١٩٧٩م) ، جـ١ ، ص٢٢١ .

* وللشيخ عبد الحق السنباطى جامع موقع بخريطة الحملة الفرنسية برقم ٢٥٣ فى المربع K-12 ، وهذا الجامع لايزال موجوداً ، وهو صغير ومجدد ويقع بدرب عبدالحق خلف سينما أوبرا .

(٣) وقعت حارة الساكت برقم ٣٤٣ فى المربع H-14 بخريطة الحملة الفرنسية،كما وقع مكان تحت اسم الساكت برقم ٣٠٦ فى المربع L-13،كما وقع كتاب الساكت برقم ٣٠٠ فى المربع I-13 أى أن خط الساكت جنوب غرب البركة .

* هذا ويوجد زاوية صغيرة بها ضريح بأسم الشيخ محمد الساكت بالقرب من شارع علوة الكوم الذى يصل بين شارع الأزهر وشارع الموسكى بالقرب من ميدان العتبة وبذلك يكون موقع الزاوية فى الجنوب الشرقى لبركة الأزبكية وبعيدة بعض الشىء عن خط الساكت الذى وقع بخريطة الحملة الفرنسية .

(٤) وقع بيت البكرى برقم ٢٥٣ فى المربع K-12 فى خريطة الحملة .

(٥) وقع جامع البكرى برقم ١٦٣ فى المربع K-12 ، سبيل البكرى بجواره (رقم ١٦٤ المربع K-12 وسوق البكرى برمق ٢٤٣ فى المربع K-12 ، وسكة سوق البكرى برقم ٢٥٠ المربع K-12 .

ومن الدور العظيمة على الشاطىء الجنوبي لبركة الأزبكية وتوارث سكناها أغنى أغنياء مصر فى القرن ١٢هـ/ ١٨م دار الشرايبي وكانت أسرة الشرايبي أكبر تجار مصر فى ذلك القرن ، وهذه الدار كما يقول الجبرتى "هى أحدى دور المجد والفخر والعز ، وكانت تتكون من اثنى عشر مسكناً متجاوراً كل مسكن منها كان بيتاً متسعاً على حدته ، وكانت هذه الدار ملتقى أمراء مصر وأدبائها وضيوفها ، وكانت تقع مقابل جامع أزبك . (١)

ثم انتقلت ملكية الدار إلى الأمير رضوان كتخدا الجلفي (٢) (ت ١١٦٨ هـ/ ١٧٥٥م) ، فأدخل عليها تعديلات ووسع حدائقها وأباحها للنزهة لكافة الناس وخاصة أيام الفيضان ، وكان على باب هذه الدار العمودان الملتفان المعروفة عند أولاد البلد بثلاثة ولية (٣) ، وعقد على مجالسها العالية قباباً عجيبة منقوشة بالذهب واللازورد والألوان والزخارف الدقيقة وعمل بوائك على البركة مباشرة كانت بمثابة سوق عامرة وقت الفيضان ، وكانت هذه الدار بفخامتها وبذخ أثاثها موضعاً للشعراء . (٤)

---

(١) أسرة الشرايبي من أصل مغربى ، وكان أفرادها أكبر تجار فى مصر فى القرن ١٢هـ/ ١٨م، ومن أبرزهم محمد الدادة أبو القاسم الشرايبي المتوفى يوم السبت ١٦ رجب سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م، ومنهم قاسم الشرايبي بن الحاج الداده وهو الذى أسس جامع الرويعى وقد توفى يوم السبت ١٢ ربيع الآخر ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م ، وكذلك أحمد بن محمد الشرايبي المتوفى سنة ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥ وكان من أعيان التجار المشهورين كأسلافه ، وكانت أسرة الشرايبي فى غاية الغنى والرفاهية ويتمتعون بمكارم الأخلاق والإحسان ، وكان يتردد إلى منزلهم العلماء والفضلاء ، وكان لديهم مكتبة كبيرة مفتوحة للإعارة والاطلاع ، وكان صالونهم الأدبى لا ينقطع . انظر بالتفصيل :

أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص٥٨٩ .

الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص١٣٧ ، ١٣٨ ، ٢٦١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٢) رضوان كتخدا الجلفى كان مشاركاً ابراهيم كتخدا القازدوغلي في السيطرة على مصر ، وكان منصرفاً إلى لذاته وفسوقه وخلاعاته ونزهاته ، وكان يتجاهر بالمعاصى والراح والوجوه الملاح وتبرج النساء ومخاليع أولاد البلد ، وكما يقول المثل "الناس على دين ملوكهم" ، لذا فقد تأثروا بذلك الجو فخرجوا عن الحد فى تلك الأيام ، وقد توافد على رضوان كتخدا الأدباء والشعراء ولهم فيه مدائح كثيرة .

وإلى رضوان كتخدا تنسب عمارة باب العزب بالرميلة بالقلعة ، وقد آلت إلية سواء بطريق شرعى أو غير شرعى جملة غيطان حول البركة وبالمقسم وقنطرة الدكة عمل بها قصوراً وبركاً صناعية عديدة ، وكانت له قصور عديدة أخرى بالقاهرة وغيرها يتنقل فيما بينها للنزهة وخصوصاً أيام فيضان النيل ، وقد توفى سنة ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م وعنه بالتفصيل انظر : الدمرداش ، الدرة المصانة ر ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ص٢٨٤ - ٢٨٩ .

(٣) المقصود بثلاثة أوليه الأعمدة المفرغة المكتنفة للشباك الصغير الذى يقع بالمداخل ذات العقود المداينية (الثلاثية) .

حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص٣٥٨ .

* ثم أطلق الجزء على الكل فعرفت الدار كلها بالثلاثة ولية .

(٤) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص٢٨٥ .

ثم أنتقلت ملكية الدار بعد ذلك للأمير محمد بك أبو الذهب [(١)] الذى كان قد تزوج محظية رضوان كتخدا المذكور [(٢)] ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الأمير طاهر باشا الكبير [(٣)] ثم إلى ملك أحمد باشا طاهر [(٤)] فهدمها ووسعها بدور بجوارها وشيدها مرة أخرى وأحكم بناءها واستمرت بيد ورثته إلى أن اشتراها عباس باشا الأول فهدمها ووسعها وبناها بناءاً فخماً لوالدته ، ومنذ ذلك الوقت أطلق على تلك المنطقة اسم العتبة الخضراء بدلاً من العتبة الزرقاء ، وبقيت الدار إلى زمن الخديوى اسماعيل ، ثم لما حصل التنظيم بالأزبكية أخذ منها جزء كبير بسبب التنظيم وبقى منها جزء كان به المحكمة المختلطة . [(٥)]

ويمثل موقعها الآن الحديقة التى تقع وسط الميدان العتبة وجزء من مبنى مطافىء القاهرة وقسم الموسكي [(٦)] .

وكما كان ابراهيم كتخدا الانكشارية [(٧)] شريكا لرضوان كتخدا فى ممارسة السلطة فقد جاوره فى الاقامة الأزبكية إيضاً فكان بيته مجاورا لبيت رضوان ، وبيت ابراهيم كان فى الأصل ملك محمد

---

(١) انظر ترجمته فيما سبق ، ص٢٣٤ .

(٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٧٩ .

(٣) هو الأمير الكبير طاهر باشا الأرنؤوطى ، تولى مصر ٢٦ يوماً فقط ، وقتل فى رابع صفر ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ، ودفن بقبته ببركة الفيل الملحقه بجامع حسن باشا طاهر انظر : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٥٧٥-٥٧٦, على مبارك . الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٨١ -٣٨٢ . ، حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص٣٥٧ .

(٤) هو الأمير حسن باشا طاهر الذى يقال أنه ابن اخت محمد على باشا ، وكان ناظراً على ديوان الجمارك ببولاق ، وقد توفى فى جمادى الثانية ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م ودفن بقبته (أثر رقم ٥٦٥) التى كانت واقعة جنوب مسجد السيدة زينب ثم دخلت ضمن مساحة المسجد فى التوسعات المتوالية له .
الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ٥٩٠ - ٥٩١ .
على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٨٢ - ٣٨٣ .

(٥) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٧٩ .

(٦) حسن عبدالوهاب ، الأزبكية ماضيها وحاضرها ، مقالة بمجلة الهندسة ، عدد مارس ١٩٣١ ص ٨٤ ، تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها ، ص٤٤٠ ، اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص١٨٤ .

(٧) الامير ابراهيم كتخدا انتهت له السيادة مصر هو وقسيمة رضوان كتخدا الجلفى ، وكان هو الذى يتولى الحكم بشكل فعلى بينما كان رضوان منكباً على ملذاته ، وقد امتلك عدة دور وقصور بالقاهرة منها دارة المجاورة لدار رضوان الجلفى قوصون ، ودار بباب الخرق وهى دار زوجته بنت البارودى ، والقصر المنسوب لها بمنطقة مصر القديمة ، والقصر عند سبيل قايماز بالعادلية .
وقدمات على فراشة فى صفر ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م ، وهى نفس السنة التى مات فيها رضوان الجلفى . انظر : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٤ .

شلبى بن ابراهيم الصابونجى [١] ، وقد أعطى وجود هذان الاميران الشريكان لحى الأزبكية فى منتصف القرن ١٢هـ /١٨م مكانة اجتماعية كبيرة استمرت بعد ذلك [٢] .

وكان للأمير عثمان كتخدا القازدوغلى [٣] أراضى وحدائق ومبانى عديدة بدرب عبد الحق السنباطى مجاورة لأملاك السادة البكرية ، كان قد حصل عليها بطريق الشراء والاستبدال وأقام بجوارها جامعة (أثر ٢٦٤) برصيف الخشاب [٤] المطل على البركة من جانبها الجنوبى الغربى ، وألحق به سبيلاً وكتاباً وبنى بجواره أيضاً حماماً ، كما أنشأ على شاطىء البركة الجنوبى قصراً ذا قاعات ومقاعد ومناظر مطلة مباشرة على البركة بالإضافة لذلك أنشأ منشآت تجارية مثل الحوانيت المتاخمة للجامع وربع كبير وحوشين وساقية وفرن واسطبلات وغير ذلك [٥] .

وقد اندثرت كل تلك المنشآت ما عدا الجامع المعروف الآن بجامع الكيخيا ويطل على شارعى الجمهورية وقصر النيل ، وكان قد بدأ بنائه سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م ، واحتفل بتلك المناسبة احتفالاً كبيراً ، وقد أوقف عليه الأمير أوقافاً عديدة [٦] .

ومن الدور الكبيرة التى كانت تشرف على البركة بدرب عبدالحق الدار التى أنشأها على بك

---

(١) مات الأمير ابراهيم شوربجى الصابونجى عزبان فى شوال ١١٣١هـ / ١٧١٩م ، وسبب تسميته بالصابونجى انه كان متزوجاً بابنه الحاج عبد الله الشامى الصابونجى ملتزم وكالة الصابون ، وكان له عزوة عظيمة ومماليك وأتباع . انظر :

الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص١٧٠ - ١٧١ ، ٢٩٢.

اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(٢) اندرية ريمون ، المرجع نفسه ص١٨٤ .

(٣) هو الأمير عثمان كتخدا القازدوغلى تابع الأمير حسن جاويش القازدوغلى ، ترقى فى الرتب حتى صار كتخدا (وكيل) طايفة مستحفظان ، وصار من كبار الأمراء وأحد المتحكمين بمصر وله كلمة مسموعة وحرمة وافرة ، وقد ساعدته ظروفه على اقتناء ثروة كبيرة ، ومن منشآته بالقاهرة بخلاف ما عمره بالأزبكية منشآت خيرية عديدة منها زاوية العميان ورحبة ورواق الاتراك ورواق السليمانية ، كل ذلك بالأزهر الشريف ، وقد رتب مرتبات كبيرة من وقفة . وقد قتل سنة ١١٤٩ /١٧٣٦م انظر :

الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٤) سجل رصيف الخشاب برقم ٢٩٤ فى المربع K-13 فى خريطة الحملة الفرنسية .

(٥) كتاب وقف الأمير عثمان كتخدا رقم ٢٢١٥ أوقاف .

(٦) كتاب الوقف رقم ٢٢١٥ أوقاف ، أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص ٥٧٧

وعن الجامع وتخطيط المنشآت ، انظر :

حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٦ .

Abouseif .(D),Op.Cit.,PP.55-58

الكبير [١] بجوار بيت البكرية ، وقد توفى بها سنة ١١٨٧ هـ / ١٨٧٣م وقد أنشأها لمحظيته نفيسة خاتون [٢] وألحق بها حوضاً وساقية وطاحون .

ولما مات على بك الكبير تزوج الأمير مراد بك من نفيسة خاتون وأقام معها بالرغم من أنه كان يملك بيتين اخرين بنفس المنطقة [٣] ، وكان على بك يعقد الديوان بهذه الدار حتى كادت أن تكون مقر الحكومة [٤] ، وكانت هذه الدار مجاورة لدار السيد خليل البكرى وكلاهما هدم عندم الأزبكية ومحلهما عند ميدان الأوبرا الآن . [٥]

ومن القصور العظيمة على الشاطىء الغربى للبركة وكان له شأن كبير فى القرن ١٢هـ / ١٨م القصر الذى كان للسيد ابراهيم بن السيد سعودى اسكندر أحد فقهاء الحنفية ، وقد أباحة للجمهور وجعله متنزهاً عاماً [٦] .

---

(١) هو الأمير على بك الكبير المشهور أيضاً بعلى بك بلوط قبان الكبير ، واشتهر ايضاً بجن على ، وهو الذى لعب أكبر دور المماليك أثناء الحكم العثمانى لمصر ، فقد استطاع أن يستقل بحكم مصر والشام والحجاز ، ووطد حكمه وقضى على الفتن والقلاقل ، واستتب الأمن فى عهده واستقر استقراراً لم يعرف قبله ، وكاد ينجح فى مسعاه للعودة بمصر كسلطة مستقلة ومركز الخلافة الاسلامية كما كانت أيام دولة سلاطين المماليك لولا خيانة قائد جيوشه وزوج ابنته محمد بك أبو الذهب الذى اتفق مع العثمانيين فانقلب عليه وتغلب عليه ، وجرح على بك فى معركة معه فتوفى متأثراً بجراحه بعد اسبوع.من اصابته فى منتصف صفر ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣م ، ودفن بتربة استاذه ابراهيم كتخدا بالقرافة الصغرى بالامام الشافعى (أثر رقم ٣٨٥) . وقد تمتع على بك بشخصية فذة ، وكان له العديد من العمائر بمصر واصلاحه وتجديده لبعض العمائر الهامة مثل قبة الأمام الشافعى وعمارته لجامع السيد البدوى بطنطا وانشائه سبيلاً وقيصرية وخان هناك ، وكان له قيصرية وخان ببولاق . انظر بالتفصيل الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص٤٣٠ ـ ٤٣٧ .

(٢) هى نفيسة خاتون إحدى المعمرات الخيرات ، كانت تتمتع بالعز والسيادة والكلمة النافذة ، وقد تزوجت مراد بك بعد موت على بك الكبير ، وظلت مكانتها مرموقة حتى وفاتها يوم الخميس ٢٠ جمادى الأولى ١٢٣١هـ / ١٨١٦، وقد دفنت بقرافة الامام الشافعى ، واليها ينسب السبيل بباب زويلة (أثر ٣٥٨) ، والوكالة بجواره (اثر ٣٩٥) .انظر : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص٥٣٨ - ٥٣٩ .

(٣) هما البيتان الموقعان برقمى ٢٩٨ فى المربع K-13 ، ورقم ٢٤٧ فى المربع K-12 فى خريطة الحملة الفرنسية .

(٤) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص٤٢٦ ، ٤٣٧ .

اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص١٩٤ ـ ١٩٥ .

Abouseif ,Op . cit,. P. 61

(٥) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص٣٨٨

حسن عبدالوهاب ، الأزبكية ، ص ٨٥ .

(٦) ذكر الجبرتى فى هذا الأمر "انه جعل فى أسفل القصر قناطر وبوائك ناحية البركة وجعلها برسم الفرجة لعامة الناس فكان يجتمع بها عالم من أجناس الناس أولاد البلد شىء كثير وبها قهاوى وبياعون وفكهانية ومغانى وغير ذلك ، ويقف عندها مراكب وقوارب بها من تلك الأجناس فكان يقع بها وبالجسر المقابل لها من عصر النهار إلى آخر الليل من الحظ والنزاهة ما لا يوصف انظر :

عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ٥٦٧ .

ثم انتقل القصر إلى ملكية الأمير أحمد اغـا شويكار فباعة إلى الأمير محمد بك الألفى [1] فـى سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٦م فهدمه وأضاف إلى مساحته دارين آخرين كانتا بجواره [2] ، وأنشأ مكانهم جميعاً قصراً كبيراً وضع تصميمه بنفسه [3] لأنه كان مغرماً بالهندسة ، وألحق به حديقة كبيرة .

وقد أنجز العـمل بالقصر فـى آخر شهر شعبـان ١٢١٢هـ / ١٧٩٨م ولم يمكث به الألـفى سوى عشرين يومـاً حـتـى أتت الحملـة الفرنسية فسكنه بونابرت وجعله مقراً لقيادتـه ، ثم اتخذه كليبر ومن بعــده ميـنو أيضاً مقرا لهما بعد أن قاموا بعمارته بما يتفق مع مساكنهم فى فرنسا .

وقد تعرض القصر للاحتراق والدمار فى ثـورة الجند الأرناؤوط ضد خسرو باشا سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م بالرغم من أنه لم يصبه شيء من قبل فى المعارك أثناء ثورة القاهرة سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م والتى استـمرت ٣٦ يوماً متواصـلاً حوله ، كما قام مـحمد على بإصـلاح القصر وسكنـه ثم أعطاه لكريمته زينب هانم وعرف بها . [4]

وكـان هــذا القصر يقع على بـركة الأزبكية فى المنطـقة التى يمثلها الآن أول شـارع الألفى الذى تسمى باسمه .

ومن البيوت الـتى ورد ذكرها بالوثائق والمـصادر بخريطة الحملة الـفرنسية والتى كانـت تطل على البركة مباشرة بيت الشيخ الجوهرى ١٨٣° مربع H-11) شرق البركة ويجاوره سبيل الشيخ الجوهرى

---

(١) الألفي هو الأمير محمد بك الألفى المرادى ، كان من كبار الأمراء فى نهاية الدولة العثمانية ، وقد لعب دوراً كبيراً فى الدولة ، وكـان شجاعاً فارساً ومماليكة أكفاء مدربين ، وكان لـه أملاك عديدة وعدة بلاد تجرى فـى اقطاعه ، وكان له اهتمـامات علمية وأدبية ، وكان يمـلك عدة قصور ودور بالقاهـرة منها دار وحمام بخط نور الـظلام ببركة الفيل ودار بخط قوصون ودار بدرب سعادة ، وكان له قصر كبير بمـصر القديمة بشاطىء النيل تجاه المقياس ، وأنشأ ايضاً قصراً بالقرب من الدمرداش وجـعل غالب اقامته فيهما ، وكان كثير التنقل بأقـاليم مصر ، وكان له دور كبير فى مقاومة الحملة الفـرنـسية وقد توفى سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م وبموته اضمحلت دولة المـماليك وصفا الجو لمحمد على باشا ليرسخ قواعد دولته انظر:
الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص١٤٧ ـ ١٧٣ .

(٢) هذان الداران كان يملكهما رضوان بلغيا ، والسـيد أحمد عبدالسـلام . انظر :
الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٤٨٦ ، جـ ٢ ، ص ١٢٢.

(٣) يتضح لنـا من وصف الجبرتى للقصـر أنه بنى على نسق القصـور الأوربية فلم يجعل له خـارجات حرمدانات ولا رواشن بارزة عن أصل البناء حرصاً على المتانة وطول البقاء كما جعل به الكثير من الشبابيك ذات الزجاج ، وجعل به قاعات واسعة بها عدة نافورات جميلة وجعل به حمامين ، وقـد فرشه جميعاً بالفرش الفاخر ، وعلق به الستائر الجميلة ، وكان يتكون من طابقين ، وقد جعل بدائر حوشه عدة كبيرة من الطباق لـسكنى المماليك انظر :
الجبرتى ، عجائب الاثار ، جـ ٢ ، ص ٥٦٨ .

(٤) نفسه ، جـ ٢ ، ص٥٦٨ ، ٥٦٩.

١٨٤ المربع H-11) وكذلك بجواره جامع الشيخ الجوهرى (١٠٨ المربع H-11) [١] ، وكذلك الدار الكبيرة والقصر والحديقة المثمرة لأسرة غراب المغربية بخط الساكت على البركة [٢] ، وكذلك كان للست صالحة خاتون بنت عبد الله قصر يطل على البركة من الجهة الغربية ، وهذا القصر كان قد أوقفه عليها زوجها الخواجا محمد بن حسن الشهير بالكريمى [٣] ، وكذلك ورد بالخريطة بيت على بيه سليم (١٠٦ المربع I-11) جنوب شرق البركة ، وبيت يحيى كاشف (١١٢ المربع H-11) شرق البركة ، وبيت الشيخ المهدى (١٦٠ الربع G-12) شمال البركة [٤] ، وبيت مرزوق بك ابن ابراهيم بك (٦٦ المربع K-11) جنوب شرق البركة ، وبيت ابيه ابراهيم بك (١٦٧ المربع K) بجواره ، وبيت بشير اغا (١٧٨ المربع I-11) جنوب شرق البركة أيضاً وبجوارة بيت ايوب بك الكبير (١٨٠ المربع I-11) بجوارهما ، وكذلك بيتى اسماعيل بك (١٨٧ المربع H-11 ، ١٨٨ المربع H -11) شرق البركة [٥] ، وبيت عثمان بك الأشقر (٢٤٩ المربع K-12) جنوب البركة بجوار قصر الالفى ، وبيت الشيخ البكرى (٢٥٣ المربع K-12) جنوب البركة وبيت مراد بك (٢٩٨ المربع K - 13) جنوب البركة، وبيت محمد أغا (٢٩٩ المربع K- 13) جنوب البركة، وبيت عثمان أغا الخازندار (٣٠٧ المربع I-13) غرب البركة ، وبيت قائد اغا الذى جعله الفرنسيون الديوان قرب الرويعى (١٩٠ المربع G-11) [٦] شمال شرق البركة ، وبيت الأمير أحمد اغا الخازندار المعروف ببونابرته جهة الرويعى [٧] ، وكذلك بيت سليمان أغا كبير الأرناؤوط [٨] ، وبيت سليم بك المجاور لبيت الدادة أبى القاسم الشرايبى [٩] ، وبيت الشيخ محمد علاء الدين البابلى [١٠] ، وبيت مصطفى أغا المزين فى سوق الرحلة فى العتبة الزرقاء [١١] .

---

(١) انظر الوثيقة رقم ٢١٨٨ أوقاف ، الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ٢٤١ .

(٢) Zouri, (Ali) , Le Waqfiyya de abd al Aziz Gurab al Maqribi al Safaqusi Ann Isl XVII (1980) PP 311-332

(٣) الوثيقة رقم ٢٧٨ أوقاف بتاريخ ١١٨٠ هـ .

(٤) انظر ترجمة الشيخ المهدى فى : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٤ ، ٤٩٧ ـ ٤٩٨ .

(٥) الجبرتى ، عجائب الآثار جـ ١ ، ص ٤٨٦ ، جـ٢ ، ص ٧٦ ، ٩٤ ، ١٢٣، ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٦) نفسه ، جـ ٢ ، ص١٩٥.

(٧) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٥٣٨ .

(٨) نفسه ، جـ ٣ ، ص١٤ .

(٩) نفسه ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .

(١٠) نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ .

(١١) الدمرداش ، الدرة المصانة ، ص ١١٢.

بركة الرطلى بأرض الطبالة

كانت بركة الرطلى من أحسن متنزهات مصر فى العصرين المملوكى والعثمانى ، وكانت تشغل الجزء الشمالى الشرقى من أرض الطبالة (١) التى كانت متنزهاً منذ زمن الدولة الفاطمية .

موقع البركة ومساحتها :

وقعت هذه البركة هى خريطة ورمز لها بحروف I ، كما وقعت على خريطة الحملة الفرنسية تحت رقم ٤٣٤ فى المربعين B-9,B-10 وكان طولها نحو ٣٥٠ متراً وعرضها المتوسط حوالى ١٠٠ متر، ومساحتها تقرب من تسعة أفدنة (٢) .

ويتضح من الخريطة أيضاً أن العمارة كانت تتمثل فى الجهة الجنوبية الشرقية فقط وباقى وما حول البركة بساتين وحقول وبعض الكيمانات ، وقد زالت البركة وردمت من أتربة تلك

---

(١) يتضح لنا مما ذكره المقريزى عن أرض الطبالة فى الخطط (جـ ٢ ،ص ١٢٥) ، وكذلك ما ذكره عنها ضمن كلامه عن جزيرة الفيل جـ ٢ ، ص١٨٥) أن أرض الطبالة كانت من أحسن متنزهات القاهرة ، وكان النيل يحدها غرباً (قبل انحساره فيما بعد) وبركة بطن البقرة (الأزبكية) والبساتين بجوارها تحدها جنوباً ، والخليج المصرى شرقاً، ومن شمالها أرض البعل التى تتمثل الآن فى جزء من الشرابية ومهمشا .

* وتتمثل أرض الطبالة الآن فى المنطقة السكنية التى تحد من الشرق بشارع الخليج المصرى ومن الشمال بشارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى وما فى امتداده حتى يتقابل مع شارع مهمشا ومن المغرب بشارع غمرة إلى ميدان رمسيس الآن حيث كان النيل يجرى قديماً ، ومن الجنوب بشارع الفجالة وبسكة الفجالة ، ويدخل ضمن نطاق أرض الطبالة الآن حى الفجالة وجزء من حى الظاهر وجزء من حى الشرابية .

* وحتى أواخر القرن الماضى كان النصف الغربى من هذه المنطقة وما جاورها من المغرب أرض زراعية يزرع فيها الخضروات وعلى الأخص الفجل فاشتهرت الأرض بأسم غيط الفجالة نسبة للذين يزرعونه ، ولما عمرت تلك الجهة سمى الطريق الذى كان يجاور هذا الغيط من الجهة القبلية (الجنوبية) باسم شارع الفجالة .

* أما عن سبب تسميتها بأرض الطبالة فيرجع إلى أن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله وهبها لمغنيته المسماه نسب الطبالة عندما غنت له بمناسبة الدعاء له على منابر بغداد عاصمة الخلافة العباسية السنية مدة ٤٠ اسبوعاً فى الحركة التى قام بها القائد التركى البساسيرى ، وقد طرب المستنصر من غناءنسب الطبالة فقال لها تمنى على فطلبت منه تلك الأرض فوهبه إياها .

* وكانت أرض الطبالة تتوالى عليها الأزمنة ما بين التعمير حيناً والتخريب حيناً آخر ، وظلت طوال تاريخها عامرة بالبساتين والحقول حتى تم بنائها فى نهاية القرن الماضى وقد تميزت أرض الطبالة فى العصر المملوكى بزراعة الحشيش بها الذى كان له تأثير سلبى كبير فى حياة المصريين آنذاك . انظر :

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٦٥ .

محمد رمزى ، تعليقة على النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٢ ، جـ ٧ ، ص ٣٨٩ .

(٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٦٤ .

الكيمانـات فى مدة حكـم الخديـوى اسماعيل أيام نظارة عـلى باشا مبارك لديوان الأشـغال وتحولت أراضيها حينئذ للبناء [١] .

والبركة كانت تشغـل المنطقة المحصورة الآن بين شارع الظاهر شمالاً وغـرباً وشارع غالى وما فى امتداده جنوباً ، وشارع موازى لشارع البكرية شرقاً [٢] .

أسماء البركة:

كانت هذه البركة أول أمرها تعرف ببركة الطـوابين من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب [٣] ، ثـم عرفت ببركة الحاجب بعد سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م نـسبة إلى الأمير بكتمر الحاجب [٤] لأنها كـانت بيـده وضمن اقطـاعه [٥] ، اما تسميتها بـبركة الرطلى والتى شاعت بعد ذلك وظلت الـغالبة عليها فترجع إلى أنه كان شرق هذه البركة زاوية بها نخل كـثير وفيها شخص يسمى خليل الرطلى [٦] كـان يصنع صنـج الأرطال التى يزن بها البـاعة فسماها الناس بركـة الرطلى نسبة إليـه وكان ذلك من زمن الناصر محـمد أيضاً [٧] . وذكر "المقريزى" أن نخيل هذه الزاوية بقيت قـائمة بالبركة إلى مابعد سنة تسعين وسبعمائة [٨] .

---

(١) نفسه .

(٢) ذكر المرحوم "محمد رمزى" أن الحد الغـربي للبركة كان يتمثل فى شارع يوسف سليمـان والحد الجنوبى يتمثل فى شارع حبيب شلبى والحد الشرقى يتمثل فى شارع البكرية . انظر :
تعليقة على النجوم الزاهرة ، جـ ١١ ، ص١٧١ .
* ولكن بمطابـقة خريطة القاهرة للآثـار الاسلامية وخريطة الحملـة الفرنسية وجدت أن الحدود التـى ذكرتها أعلاه تتطابق مع الحدود التى كانت عليها البركة .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .
* يبدو أن عمـل الطوب بالبركة اسـتمر قائما فى العـصر العثمانى ايـضاً إذ أن الخليج الناصـرى فى الجزء الموازى للبركة عرف فى العصر العـثمانى باسم خليج الطوابة ووقع بهذا الاسم فى خريطة الحـملة الفرنسية برقم ٤٣٦ فى المربع A-9 ، وكان الطوب يصنع من تلال الطمى التى كان يستخرج منها ومن الخليج الناصرى عند تنظيفه .

(٤) كان بكتمر الحاجب من كبار أمراء الناصر محمد ، وقـد توفى سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧م انظر بالتفصيل : ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ ٣ ، ص ٣٨٦ ـ ٣٩٠ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .

(٦) توفى الشيخ خليل الرطلى سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م ودفن فى زاويتـه التى حولت لجامع بركة الرطلى وعملت له قبة فيه . انظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٢٦ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق١ ، ص ٤٥٦ .

(٧) المقريزى ، الخطط ، جـ ٣٢٦٠ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق١ ، ص ٤٥٦ .

(٨) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .

ايقاف البركة :

كانت هذه البركة أولاً مقاطع لطيانة وأنعم السلطان الناصر بأرضها وأرض الطبالة على الأمير بكتمر الحاجب فصارت فى اقطاعه [1] فأوقفها وظلت جارية فى وقفة حتى نهاية العصر المملوكى [2] ، وفى العصر العثمانى انتقل وقفها للسادة البكرية [3] .

العمران حول البركة فى العصر المملوكى :

كانت البركة مجرد أرض زراعية منخفضة من جملة أراضى الطبالة ، وكانت تزرع قرطاً (برسيماً) وغيره ، فلما شرع الملك الناصر محمد بن قلاوون فى حفر الخليج الناصرى طلب الأمير بكتمر الحاجب من المهندسين أن يجعلوا حفر الخليج يمر موازياً للجانب الشمالى للبركة ويصب ماؤه فى الخليج الكبير ، ففعلوا ذلك [4] ، وصارت البركة تملأ كل عام من الخليج الناصرى فى موسم الفيضان من عند طرفها الغربى كما يتضح لنا من خريطة الحملة الفرنسية .

وفى نفس السنة التى حفر فيها الخليج الناصرى أى سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥م عمل بكتمر الحاجب جسراً بين الخليج والبركة (وهو المبين بخريطة الحملة الفرنسية) وأذن للناس بالبناء فيه فحكر وبنيت فوقه الدور وصارت تشرف من ناحية على البركة ومن الناحية الأخرى على الخليج ، وكثر بناء المناظر على الجسر وصار من أنزه فرج القاهرة ، وتتابع الناس فى البناء حول البركة حتى لم يبق حولها مكان خال [5] .

واستمرت البركة عامرة حتى تعرضت كغيرها من أنحاء القاهرة وظواهرها للمحن والأحداث التى بدأت فى سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م حين قصر النيل وشرقت البلاد ووقع غلاء عظيم فخرجت بقاع القاهرة وخصوصاً ظواهرها ، إلا أن هذه الأزمات لم تدم طويلاً ، وعاد التعمير للبركة كما كان واستمر بناء الدور والقصور والمناظر ذات المقاعد والطاقات المشرفة على البركة .

وعن العمائر الدينية التى تخدم سكان البركة نجد أنه كان لبركة الرطلى جامع وموقعة شرقى البركة فى موضع زاوية الرطلى [6] ، وقد أنشىء لما عمرت البركة ، وكان أول أمره ضيقاً قصير السقف وعمل فيه قبة تحتها قبر الشيخ خليل بن عبد ربه المتوفى سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م [7] ، وكان عامراً

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .
(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٥٦ .
(٣) أوقاف السادة البكرية ، (أوقاف خاصة) .
(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .
(٥) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ، ص ١٦٢ ، ١٦٦.
(٦) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٢٦ .
(٧) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ .

بالزيارة ، ولما سكن الوزراء فى العصر المملوكى بجواره فقد حظى باهتمامهم فتمت به عدة تجديدات وعمارات منها عمارة الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم بن بركة البشيرى [١] ، الذى كان يسكن بجوار الجامع فهدمه ووسعه وبناه سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م وجعل به خطبة وأوقف عليه أوقافاً إلا أن ولده استولى على رقفه [٢] ، وظل الجامع يحظى بعناية من يسكن بجواره من أرباب الوظائف فداوموا على رعايته وفرشه وإصلاحه ومنهم القاضى علم الدين شاكر بن الجيعان المتوفى فى ربيع الآخر سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م [٣] .

ولما مات الشيخ يوسف الحريشى أحد اتباع العنانية فى سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م ودفن بالجامع فعرف الجامع يومئذ بجامع الحريشى [٤] .

وفى سنة ٩٢٥هـ / ١٥١٩ عمره المقر شهاب أحمد الجيعان نائب كاتب السر فى هذه السنة وجعل للجامع دروساً للفقه وتدريس الحديث [٥]

وقد وقع الجامع فى خريطة الحملة الفرنسية باسم جامع الخربوطلى برقم ٤١٧ فى المربع C-8 بالركن الجنوبى الشرقى للبركة نسبة لتجديد الأمير على كتخدا مستحفظان الخربوطلى [٦] ، والجامع لا يزال عامراً للآن وموقع بخريطة القاهرة للآثار الاسلامية لوحة (١) فى شمال المربع ٢ وباسم جامع الجريشى [٧] فى شارع الحريشى المتفرع من شارع حبيب شلبى .

وكان يوجد بالقرب من البركة جامع يسمى جامع صاروجا على الخليج الناصرى شمال البركة وقد أنشأه ناصر الدين محمد أخو الأمير صاروجا نقيب الجيش بعد سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م أيام الناصر

---

(١) ولد البشيرى فى ذى القعدة سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٥م ، وتنقل فى الخدم الديوانية حتى ولى نظر الدولة ثم رقى إلى وزير سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق وباشر الوزارة بضبط إلا أنه تأثر بعصره وتعسف فى أخذ الأموال حتى صرف من الوزارة أيام السلطان المؤيد شيخ ٨١٦ هـ / ١٤١٣ ، وقد توفى فى صفر ٨١٨هـ/ ١٤١٥م ودفن بالقرافة انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٣٢٧ العينى ، عقد الجمان (بدون ناشر، ص ٢٥٢ ، ابن الصيرفى نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٣٦١ ، ابن حجر العسقلانى ، انباء الغمر ، جـ ٣، ص ٧٦ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ٣٣ . ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

(٢) ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٣٦١ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ١٣٣,

(٤) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٦٤ .

(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ ــ ٣٠٠ .

(٦) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٣٩٦ .

(٧) ينطق الناس كلمة الحريشى بالتاء بدل الشين فيقولون جامع الحريتى .

محمد [١] ، وكانت الخطة عامرة حوله إلا أنها تعرضت للاندثار بعد ذلك وصارت كيماناً ، ولكن المقريزى يذكر أن الجامع ظل تقام به صلاة الجمعة فى أيام النيل [٢] ، ويذكر على مبارك أنه لم يبقى لهذا الجامع أى أثر وخطته صارت مزارع وأدراك هناك أشجار من الجميز كانت متنزهاً وكان محلها يعرف بدهليز الملك . [٣]

أما عن الدور والقصور حول البركة فبعد الاطلاع على المصادر والوثائق يتضح لنا أنها تنتمى لطبقة متميزة فى المجتمع المصرى زمن المماليك والعثمانيين أيضاً ، فمنذ عمارتها فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وحتى نهاية العصر العثمانى كان يسكن حول البركة أصحاب سلطة ونفوذ فى المجتمع خلا تقريباً من العامة، فعلى البركة بيت الوزراء يسكنه من يلى الوزارة فى العصر المملوكى وكان يقع بجوار الجامع [٤] .

كذلك بنى أصحاب الوظائف الهامة بيوتاً وقصوراً حول البركة من مباشرى الدولة من الوزراء والاستادارات والأمراء والكتاب والقضاة والمحتسبون [٥].

وكانت توجد عائلات بعينها تتوارث الوظائف الهامة اتخذت من بركة الرطلى مقراً لهم مثل عائلة ابن الجيعان الذين استمروا اكثر من مائة وعشرين سنة فى خدمة الدولتين المملوكية والعثمانية ، وكانوا يتوارثون وظيفتى ديوان الجيش والخزانة ، وكانت دورهم بجوار جامع البركة وقاموا بإصلاحه عدة مرات [٦] .

كذلك سكن بالبركة أيضاً عائلة ابن مزهر وقد توارثوا وظيفة كاتب السر وكان لهم مكانة رفيعة فى المجتمع المملوكى [٧].

---

(١) ذكر المقريزى أن أخا الامير صاروجا هو الذى بنى الجامع بينما ذكر ابن اياس أن صاروجا هو صاحب الجامع .
انظر الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣١٥ ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق١ ، ٤٦٣ .

(٢) الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ٣١٥ .

(٣) الخطط التوفيقية ، جـ ٥ ، ص ٩٢ .

(٤) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ٤١٦ .

* وقد سبق أن رأينا هذا التخصص من قبل فى كون بيت من يلى وظيفة أمير اخور على بركة الفيل ومن يلى منصب أمير مجلس على بركة الفيل أيضا ، وعلى بركة الازبكية خصص بيت لمن يلى منصب الاتابكية .

(٥) ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٣٦١ .

(٦) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١١ ، ص ٣ــ ٤ . ،
ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٣٣ ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ ـــ ٣٠٠ ، ٢٥٦ ، ٤٨٧

(٧) ابن اياس ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، جـ ٤ ، ص ٦٧ .

وكانت البيوت حول البركة حافلة البنيان مليئة بالزخارف والأثاث والمفروشات الأنيقة حتى أن أحد البردارية [١] انشأ بيتاً على بركة الرطلى غرم عليه نحو خمسين ألف دينار . [٢]

كان السلاطين أحياناً ينزلون ضيوفاً على الوزراء والقضاة فى بركة الرطلى ويحتفل بهم احتفالات كبيرة ، منهم السلطان المؤيد شيخ الذى كان ينـزل فى بيت صلاح الدين خليل بن الكويز ناظر ديوان المفرد فى سلطنته [٣] ، وكذلك السلطان الملك الأشراف قانصوة الغورى كان ينزل فى ضيافة المحتسب الزينى بركات بن موسى [٤] .

ومما يدل على نفوذ وثراء من كان يسكن حول البركة فى العصر المملوكى أنه فى جمادى الأولى ٩١٧هـ / ١٥١١م ، أمر السلطان الغورى بمنع جماعة من مباشريه من السكن بالبركة بحجة تضييع الأموال هناك ، فلم يسكن بها أحد من المباشرين ولا القضاة فى هذه السنة ، وأهملت البركة فى هذه السنة وقلت فيها البهجة ولم يسكن بيوت الجسر إلا القليل [٥] .

وممن كان له دور وأبنية على بركة الرطلى ، الأمير عبدالغنى الفخرى الاستادار المتوفى ٨٢١هـ / ١٤١٨م ، وهو صاحب المدرسة المعروفة بأسم جامع البنات بشارع الخليج المصرى (بورسعيد) (أثر رقم ١٨٤) ، فقد كان له بناءان متقابلان يشرفان من ناحية على بركة الرطلى ومن الناحية الأخرى على الجسر ، كما كان له بناءان آخران على البركة بدرب الحاج سعد [٦] وهو الذى صادره الملك المؤيد شيخ .

---

(١) البردارية مفردها بردار وهو الذى يكون فى خدمة مباشرى الديوان فى الجملة ، يتحدث عن أعوانه والمتصرفين فيه انظر : القلقشندى، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩ .

(٢) اسم هذا البردار هو الحاج سعد ، وقد صادره السلطان المؤيد شيخ فى خمسين ألف دينارفى شوال سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤م، وقد اطلق على الدرب الذى فيه هذا البيت أسم درب الحاج سعد حيثما ورد فى وثيقة عبد الغنى الفخرى رقم ٧٢ بدار الوثائق . انظر أيضاً :

العينى ، عقد الجمان ، (بدون ناشر) ، ص ٢٠٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٧ .

(٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٥٢٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٤ ، ص ٩٤ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ص ٢٧٤ .

(٥) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٣٤ .

(٦) ورد فى وثيقة الأمير عبدالغنى الفخرى رقم ٧٢ المحفوظة بدار الوثائق القومية والمؤرخة فى ١٦ رمضان ٨٢٠هـ ، انه من ضمن أوقافه "جميع البنائين المتقابلين القائمين على الأرض المحتكرة بظاهر القاهرة المحروسة خارج باب الشعرية بالجسر بالأرسط المطل أحدهما على بركة الحاجب والآخر على الخليج الناصرى ، الاول يشتمل على قاعة معلقة مرخمة ورواق مطل على البركة المذكورة ورواق مطل على الجسر ، ولهذا البناء الأول حدود أربعة : الحد القبلى ينتهى إلى ملك اللحام ، والحد البحرى ينتهى إلى ملك الجباس ، والحد الشرقى ينتهى إلى الجسر وفيه بابان وطبقتان من حقوقه والحد الغربى ينتهى إلى البركة المذكورة ، والبناء الثانى يشتمل على واجهة مبنية من الحجر النحيت (....) وزربية وله حدود أربعة الحد القبلى ينتهى إلى زربية هناك بنى الآن مسجد والحد البحرى ينتهى إلى ملك البجاسى والحد الشرقى إلى الجسر والحد الغربى ينتهى إلى الخليج الناصرى وورد إيضاً انه ضمن =

وكان القاضى عبدالباسط ناظر الجيش صاحب المدرسة بالخرنفش (أثر رقم ٦٠) ، يملك داراً على البركة وكان ينزل عنده القضاة ويقضون أمسيات بها خاصة أيام النيل (١) .

وكان شيخ الاسلام الحافظ بن حجر العسقلانى يملك داراً على بركة الرطلى أقام فيها زمنا (٢) .

كذلك كان القاضى موفق الدين ناظر الجيش بالشام المتوفى سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧١م ، بيت بدرب الطباخ ببركة الرطلى كان ملتقى لاجتماع القضاة (٣) .

وقد ذكر ابن اياس "فى ترجمة للسلطان خوشقدم أن من " عيوبه كثرة المصادره إذ أنه قد صادر الصاحب علاء الدين بن الاهناسى حتى أنه فك رخام بيته ببركة الرطلى إلى تربته بالصحراء" (٤) . كما ذكر ابن الصيرفى أنه كان لعلى بن قمتى رأس نوبة الدوادار الكبير بيت ببركة الرطلى (٥) وكذلك ذكر "ابن اياس" أنه فى أيام السلطان قايتباى كان ينزل ضيوفه مثل أمير مكة فى بيت أم الناظر الخاص يوسف ببركة الرطلى وخصوصاً أيام امتلاء البركة بالماء (٦) .

وكذلك كان للمحتسب الزينى بركات بن موسى بيت على البركة (٧) وكانت البركة محاطة فى

= أوقافه "جميع البنائين الكائنين بظاهر القاهرة المحروسة خارج باب الشعرية بخط بركة الحاجب بدرب يعرف بالحاج سعد المشتمل على اصطبل ومقعد وبه ساقية كاملة العدة وله حدود أربعة الحد القبلى ينتهى إلى الزقاق وفيه بابه والحد البحرى ينتهى إلى اصطبل الحاج سعد والحد الشرقى ينتهى إلى دار زوجة جقمق والحد الغربى ينتهى إلى اصطبل خطاب .

والبناء الثانى يشتمل على قاعتين ومنافع وعلى رواق وطبقة ومنافع ومرافق وحقوق ولذلك حدود أربعة : الحد القبلى ينتهى إلى وقف الحاج سعد المذكور والحد البحرى ينتهى إلى (....) والحد الشرقى ينتهى إلى البركة وفيه زريبة وطاقاته والحد الغربى ينتهى إلى الزقاق وفيه باب وطبقة من حقوقه" . انظر :

محمد الكحلاوى ، مدرسة الأمير عبدالغنى الفخرى ، ماجستير " غير منشورة" ، (كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ١٩٨١م) ص ١٦٥ ــ ١٦٨ ، سطور الوثيقة ارقام من ١٦٨ حتى ١٧٤ ، ومن ١٨٦ ــ ١٩١ .

(١) العينى ، عقد الجمان ، (نشر الزهراء) ، ص ٣٠٣ .

(٢) السخاوى ، الضوء اللامع ، ص ٢١١ ، ابن ابى السرور البكرى ، النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة (مخطوط بدار الكتب) ، ص٧٥ .

(٣) ابن الصيرفى ، انباء الهصر ، ص١٥٩ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٥ ، ص ٧ .

(٤) بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص٤٥٧ .

(٥) انباء الهصر ، ص ٤٣٨ .

(٦) بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٩٣ .

(٧) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٧٤ .

يعض جهاتها بالبساتين المثمرة مثل بستان السلطان الملك الأشرف قانصوة الغورى [١] .

العمران حول البركة فى العصر العثمانى :

لما استولى العثمانيون على مصر فى محرم ٩٢٣هـ / ١٥١٧م استولوا على بيوت الأكابر التى على الجسر المطل على البركة ومنعوا مراكب البياعين من دخول البركة وكذلك منعوا المتفرجين من الدخول إلى الجسر [٢] . وبعد ذلك قل الاهتمام بالسكنى هناك ، وفى أواخر القرن ١١هـ / ١٧م تخربت بيوت الجسر وصارت أرضه غيطاً لعم المؤرخ ابن ابى السرور البكرى وهو الشيخ الملقب بتاج العارفين الصديقى، وقد أنشأ فيه أنواع الاشجار والزهور وصار فيه بقية بهجة للنظار وبعض صبابة زمن النيل للمتفرجين [٣] .

وأصبحت البركة فى العصر العثمانى بمثابة متنزهاً ومصيفاً أكثر منه للإقامة الدائمة حولها إذ كان الأمراء يتخذون من السكن على البركة فترات موسمية أيام فيضان النيل وامتلاء البركة إذ كان لمعظم الأمراء بيوت داخل القاهرة وكانت البركة مصيفاً لهم فقط [٤] .

وكان للسادة البكرية بيت كبير يسمى الشاذروان يطل على البركة وبجواره جامع البكرية المسمى الجامع الأبيض [٥] (رقم ٤١٨ فى المربع B-8 فى خريطة الحملة الفرنسية) ، وكان بجوارهما أيضاً

(١) ورد بكتاب وقف السلطان الغورى أن من أوقافه "جميع الأبنية والأنشاب القائمة بظاهر القاهرة المحروسة خارج بابى القوس والشعرية بظاهر بركة الرطلى بخط الفواخير ، وكان هذا البستان محاطاً بسياج ، وبه بئران مركب على أحدهما ساقية ، وبه دار دواب ومخزن وشونة للتبن وبه أشجار نخل وزيتون ورمان وكرم وليمون ونارنج ومشمش وموز ولوز وتمر حنة وياسمين وأصول بنفسج وسدر .
أما حدوده : فكان حدة القبلى ينتهى إلى مفترق الطرق المتوصل منها إلى باب درب الطباخ والفواخير وحدرة الفول، والحد البحرى ينتهى للطريق المسلوك الفاصل بين ذلك وبين غيط على بن خاص بك ، والحد الشرقى ينتهى إلى مجاز درب سعد وفيه باب الجنينة والحد الغربى ينتهى إلى الكوم المستطرق فيه إلى الفواخير وإلى درب الطباخ".
انظر : كتاب وقف الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف ، ص ١٤٠ ـ ١٤٢ ،
عوض الامام ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ـ ٢٢٢ .
ـ ويتمثل موقع البستان الآن الجزء الأوسط من المربع ٧ فى خريطة القاهرة لآثار الاسلامية .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ١٩٦ . ،
الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ٣٤٢ .

(٣) ابن ابى سرور البكرى ، النزهة الزهية ، ورقة ٧٣ .

(٤) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص ١٩٩ .

(٥) أنشأ هذا الجامع الذى كان من أصله زاوية صغيرة الشيخ أبو البقاء جلال الدين الصديقى وذلك سنة ٩٠٨هـ / ١٥٠٢ م وكان به قديماً مدفن سيدى مدين بن العارف بالله سيدى شعيب التلمسانى ، فأنشأ عليه قبة وجعل لنفسه مدفناً بالقبة ملاصقاً لمدفن سيدى مدين ، وقد أوقف على الجامع أوقافاً عديدة ، وقد دفن فى قبته سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م وهذا الجامع اندثر الآن ولم يبق سوى القبة التى دفن بها جلال الدين البكرى بشارع البكرية المتفرع من شارع الظاهر . انظر :
أبى السرور البكرى ، النزهة الزهية ، ورقة ٣٢ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٤ ، ص ١٣٨

جنينة كبيرة تسمى جنينة الشيخ البكرى (٤١٣ المربع C-8) وقد وقع تجمع البكرية (برقم ٤١٤ فى المربع C-8) ، وكانت تلك المنشآت محصورة بين بركة الرطلى وبركة القرع .

وممن كان لهم أملاك على البركة ابراهيم افندى بن زين الدين جبريل كاتب قلم البهار فقد آل إليه بطريق الشراء عدة أماكن بخط بركة الرطلى ، كما إنشأ أيضاً على البركة قاعات وقصراً ومقعداً ومنظرة على الشاطىء الشرقى للبركة داخل درب مياله بحارة البكرية وألحق بعمارته جنينة كبيرة تضم الكثير من الأشجار المثمرة (١) .

وكان للأمير عثمان كتخدا مستحفظان القازدوغلى عمائر على الشاطىء الشرقى للبركة تضم قاعات سكنية ومرافق وجنينة (٢) .

وكان لعلى كتخدا مستحفظان الخربوطلى المتوفى ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م دور كبير فى الاعتناء ببركة الرطلى إذ أنه جدد جامعها فنسب إليه فى خريطة الحملة الفرنسية (رقم ٤١٧ المربع C-8) ، وكان الخربوطلى يقضى الصيف هناك فى موسم الفيضان ويقيم الاحتفالات الكبيرة (٣) .

ويذكر "الجبرتى" بركة الرطلى ويثنى عليها ويذكر بعض البيوت العظيمة التى كانت هناك أيامه منها دار الأمير حسن كتخدا الشعراوى وتابعه عمر جاويش وداره على سمته أيضاً ، ودار على كتخدا السابق ذكرها وكذلك دار قاضى البهار وداز سليمان أغا ودار الحموى ودور كانت جارية فى وقف عثمان كتخدا القازدوغلى وغيرها ، ويذكر "الجبرتى" أيضاً أنه سكن بها عدة سنين (٤) .

وقد تعرضت دور وبساتين بركة الرطلى للتخريب على أيدى الحملة الفرنسية فقد أزالوا الأبنية والغيطان والأشجار والتلول وقطعوا جانباً كبيراً من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب وردموا فى طريقهم قطعة من خليج بركة الرطلى وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار المقابل لجسر بركة الرطلى وأشجار الجسر أيضاً (٥) ، وكانوا قد حولوا جامع الظاهر إلى حصن سموه حصن سولكوفسكى ، فسموا الطريق الموازى للبركة من شمالها باسم طريق حصن سولكوفسكى (٦) .

ولكن بعد جلاء الفرنسيين عاد العمران مرة أخرى إلى البركة ففى سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م أنشأ السيد محمد المحروقى داراً وبستاناً كبيراً محل الأماكن التى تخربت ، وكذلك فعل كتابه عمر الحسينى ، كما أنه قام بتجديد جامع البركة (الحريشى) وتتابع التعمير هناك بعد ذلك (٧) .

(١) كتاب الوقف رقم ٩٢٨ أوقاف المؤرخ بسنة ١١٣٩هـ ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٤ .
(٢) كتاب الوقف رقم ٢٢١٥ أوقاف ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .
(٣) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٣٩٦ .
(٤) نفسه ، جـ ٣ ، ص ٥٨٦ .
(٥) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ .
(٦) وقع هذا الطريق برقم ٤٣٥ فى المربع A-9 فى خريطة الحملة .
(٧) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨ .

وقد تم ردم البركة فى أيام نظارة على باشا مبارك للأشغال فى فترة حكم الخديوى اسماعيل [١]. وأصبح موضعها جزءاً من حى الظاهر .

بركـــة القـــرع

لم يذكر المقـريزى هذه البركة ، وهى بركـة صغيرة قد لا تزيد مسـاحتها عن ثلاثة أفدنـة حفرها الأمير بكتمر الحاجب بعد اعتنائه ببركة الرطلى [٢] ، وهى غير مسجلة بخريطة الحملة الفرنسية إذ أن أرضها قد تحولت إلى مبان .

وكانت البركـــة تقـع جنوب شرق بركة الـرطلى محصورة بين جامع الدشـــطوطى (أثر رقم ١٢) بباب الشعريـة جنوباً وبين جامع البكرية (جامـع الأبيض) شمالاً ، وكانت تستمد مـاؤها من الخليج الحاكمى [٣] .

وقد أورد "ابن اياس" ذكرها فى كلامه عن افتتاح جامـع عبدالقادر الدشطوطى فى حوادث شهر ربيع الأول سنة ٩١٢هـ / ١٥٠٦م وقد دخلتها المراكب للنـزهة بهذه المناسبة وصارت المراكب تدخلها كل سنة من يومئذ [٤] ، واستمرت مكاناً للتنزه والاحتفالات والاستعراضات بها بعد ذلك [٥] .

وصارت البركة متنزهاً هاماً فى العصر العثمانى لمجاورتها للسادة البكرية [٦] .

بركة جناق

قال " المقريزى" عن هذه البركة" هذه البركة خارج بـاب الفتوح ، كانت بالقرب من منظرة باب الفـتوح [٧] ، وكان ما حولها بساتين ، ولم يكن خارج بـاب الفتوح شىء من هذه الأبنية وإنما كان هناك بسـاتين فكانت هذه البركـة فيما بين الخليج الـكبير وبستان ابـن صيرم ، فلما حكر بـستان ابن

---

(١) الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٦٤ .
Clerget M., Le Caire, I, P. 191.

(٢) ابن ابى سرور البكرى النزهة الزهية ، ورقة ٨٠ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٩٧ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

(٦) ابن ابى السرور البكرى ، قطف الازهار ، ورقة ١٥٦ ، النزهة الزهية ، ورقة ٢٥ ، ورقة ٨٠

(٧) كانت هذه المنظرة مـعدة لجلوس الخلفاء الفاطميين فـيها عند عرض العساكر ووداعها إذا سـارت فى البر إلى الشام خارجة من باب الـفتوح حيث كانت تمر بهـذا الطريق ، وكانت المنظـرة تشرف على بساتين حل مـحلها الآن حى العباسية وحى الظاهر بالقاهرة . انظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٨١ . ولمزيد من التفاصيل عن المناظر انظر ما يلى ص ٣٨٣ .

صيرم [1] وعمر مكانه الآدر وغيرها وعمر الناس خارج باب الفتوح عمر ما حول هذه البركة بالدور وسكنها الناس وهى إلى الآن عامرة وتعرف ببركة جناق" [2]

وأقول أن هذه البركة ظل جزء منها باقياً إلى نهاية القرن الماضى ، وقد وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية تحت رقم ٣٨٧ فى المربع D-7 ، وهى صغيرة الحجم ومساحتها حوالى فدانين وكانت تحيط بها المبانى من جميع الجهات .

وقد ذكر " على مبارك" أن هذه البركة كان جزء منها لا يزال موجوداً أيامه وأن الماء كان يصل إليها من سرداب بينها وبين الخليج الكبير ، وقد عرفت ببركة درب عجور [3] . أما أسمها فى الوثائق العثمانية فكانت بركة جمق . [4]

وموقع البركة الآن جزء من حى الحسينية شمال القاهرة فى منطقة يخترقها شارع الجيش فيما بينه وبين شارع الزعفرانى" ((أى الجزء الغربى للمربع ٢ ح من خريطة القاهرة للآثار الاسلامية لوحة ١) ، ولا يزال درب عجور الذى كان على البركة معروفاً بهذا الاسم للآن ، وكذلك درب آخر يعرف بدرب البركة متفرعين من يمين شارع البنهاوى بالحسينية .

العمارة حول البركة فى العصرين المملوكى والعثمانى :

فى العصر المملوكي كانت هذه البركة عامرة بالدور والبيوت وكانت ملكاً للأمراء و الأعيان

---

(١) كان ما خارج باب الفتوح براحاً وأرض فضاء فانشأ زمام القصر الفاطمى المختار الصقلبى بستاناً وبنى فيه منظرة عظيمة ، فلما زالت الدولة الفاطمية استولى عليه الأمير جمال الدين سويح بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل الأيوبى فعرف به ، ثم اختط وصار من أجل الأخطاط عمارة فسكنه الأمراء والأعيان من الجند ، وكان فى زمن المقريزى ايل إلى الادثار إلا أنه عمر بعد ذلك .

* ومحله الآن بحى الحسينية المنطقة التى يخترقها شارع الحسينية من أمام باب الفتوح والمحدود من الجنوب بشارع البنهاوى ومن الشرق بشارع درب السماكين . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٠٣٦ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ١١٨ .

* وقد اطلقت مصلحة التنظيم اسم شارع بستان صيرم على أحد الشوارع بالمنطقة فى مقابل مدرسة خليل أغا غربى شارع الجيش .

(٢) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ .

(٣) الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ١١٨ .

(٤) ورد بوثيقة الأمير عبدالرحمن كتخدا رقم ٩٤٣ ، ٩٤٤ اوقاف أنه كان له رباع سكنية بدرب ابن موسى المعروف بدرب ابن عجور كانت مطلة على بركة جمق . انظر أيضاً :

أمل المصرى ، حى الحسينية فى العصرين المملوكى والعثمانى ، ماجستير "غير منشورة" ، (كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٠) ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، سطور من ١٠٠ ـ ١٠٥ من الوثيقة .

والعلماء ، وقد وصف المؤرخ السخاوى أحد البيوت بالبركة بأنه "بيت هائل" [١] كما أن المؤرخ السخاوى نفسه كان يسكن ببركة جناق [٢] .

وفى العصر العثمانى استمر سكن شيوخ العلم ببركة جناق ومن هؤلاء العالم الفقيه حسن الكفراوى المتوفى سنة ١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م الذى التف حوله أهل الحسينية وكان زعيماً لهم [٣] ، وكذلك الشيخ محمد الدواخلى المتوفى سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م [٤] .

وفى زمن الحملة الفرنسية أثناء ثورة القاهرة ضدها سنة ١٢١٤هـ تخربت أجزاء كثيرة من القاهرة، فقد عم "الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبى فهدموا تلك الأخطاط والجهات والحارات والدروب والحمامات والمساجد والمزارات والزوايا والتكايا وبركة جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة" [٥] .

ولكن أعقب تلك الأزمة التعمير مرة أخرى فى عهد محمد على واستمر حى الحسينية عامراً وردمت البركة وبنى موضعها فى مطلع هذا القرن .

بركة قراجا

قال المقريزى عنها "هذه البركة خارج الحسينية قريباً من الخندق [٦] ، عرفت بالأمير زين الدين قراجا التركمانى أحد أمراء مصر أنعم عليه السلطان الملك ناصر محمد بن قلاوون بالأمره فى سنة سبع عشر وسبعمائة " [٧] .

---

(١) ذكر السخاوى أن العالم على بن الطنباوى الذى توفى عاشر ربيع الأول سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م : "اشترى له بيتاً هائلاً ببركة جناق" ، انظر : الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ٢٨٧ .

(٢) قال "السخاوى" فى ترجمته لخديجة بنت الشرقى المتوفاة فى أواخر المحرم سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م" إنها جارتنا فى بركة جناق" نفس المصدر ، جـ ١٢ ، ص ٣٣ .

(٣) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ٦١ .

(٤) نفسه ، جـ ٣ ، ص ٥٩٠ .

(٥) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٣٢ .

(٦) الخندق : قرية قديمة كانت تعرف أولاً بمنية الأصبغ نسبة للاصبغ بن عبدالعزيز بن مروان وعندما حفر جوهر الصقلى خندقاً شمال القاهرة لمنع القرامطة من غزو القاهرة كان هذا الخندق يمر بجوار هذه القرية فسميت القرية بأسم الخندق .

* ومكان الخندق الآن المنطقة حول دير الملاك البحرى وما جاورها من منطقة حدائق القبة أى فى المنطقة الدمرداش حالياً . انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ ـ ١٣٨ .

محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، القسم الأول ، ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٧) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .

يتبين لنا مما ذكره المقريزى أن هذه البركة كانت بين الحسينية والخندق (الدمرداش حالياً) ، وهى التى قصدها المؤرخ ابن اياس بقوله "أن الأمير خاير بك من حديد أنشأ بجامع قيدان الذى بقناطر الأوز جوسقا (كوشكاً) مطلاً على البركة التى هناك" . [١]

وجامع قيدان هذا ذكره المقريزى فقال عنه (هذا الجامع خارج القاهرة [٢] على جانب الخليج الشرقى ظاهر باب الفتوح مما يلى قناطر الأوز تجاه أرض البعل" [٣]

وقناطر الأوز هذه موقعة على خريطة الحملة الفرنسية برقم ٣٩٤ فى المربع A-7 وموقعها الآن بشارع الخليج المصرى تجاه الحارة التى أسمتها مصلحة التنظيم خطأ حارة قنطرة الظاهر ، وجامع قيدان هذا قد اندثر وكان واقعاً بشارع قنطرة غمرة عند تلاقيه بشارع سعيد بخط السكاكينى بالقاهرة [٤]

وبناءاً على ما سبق فإن بركة قراجا هذه كانت تقع شرقى الخليج المصرى شمال حى الحسينية وشمال جامع الظاهر بيبرس فى المنطقة التى يشغلها الآن قصر السكاكينى وما حوله وهى على ذلك تمثل نفس البركة التى عرفت زمن الحملة الفرنسية بأسم بركة الشيخ قمر التى تقع شمال جامع الظاهر بيبرس وكانت البركة محاطة بالبساتين والحقول على خريطة الحملة الفرنسية [٥] . وقد عرفت البركة فى العصر العثمانى أيضاً باسم بركة المجاورين [٦] كما عرفت فى الوثائق العثمانية أيضاً باسم البركة الصغرى وأيضاً بركة بغل الكروش [٧] .

---

(١) بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٧٦ ، محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٢٠٣ .

(٢) المقصود بخارج القاهرة أى خارج مدينة القاهرة المعزية المحاطة بأسوار ، أى فى ضواحيها .

(٣) الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣١٢ .

(٤) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٢٠٣ .

(٥) بالنظر إلى خريطة الحملة الفرنسية للقاهرة وظواهرها نجد بركتين إحداهما تقع فى البر الشرقى للخليج شمال جامع الظاهر ، والأخرى تقع غربى الخليج مواجهة للبركة الأولى وهى تحمل رقم ٤٢٦ فى المربع A8 . وقد عرفت كلتا البركتان فى خريطتى الحملة باسم بركة الشيخ قمر ، ولكن التى نتحدث عنها أعلاه التى قصدها المقريزى هى البركة الواقعة شرق الخليج بالسكاكينى .
وقد وردت كلتا البركتان أيضاً فى خريطة بوكوك التى رسمها خلال زيارته لمصر سنة ١١٥٨ / ١٧٤٣م وقد سمى البركة التى نتحدث عنها باسم بركة على كايا شلبى Birk Ali Caia Gelphe وسمى الأخرى بركة القمر Birk el Omer ، ونلاحظ أن خريطة بوكوك هذه فيها خلط فعلى نفس الخريطة ايضاً جعل بركة الفيل مكان بركة الناصرية والعكس . (انظر خريطة بوكوك فى نهاية الرسالة)

(٦) ذكر أحمد شلبى أنه فى يوم العاشر من ذى الحجة سنة ١١٤٧هـ الذى هو يوم الأضحى هبت رياح عاصفة كان من تأثيرها "خلع الجميز الذى عند الشيخ قمر ببركة المجاورين" . اوضح الاشارات ، ص ٥٩٦ .

(٧) ورد بالوثيقة المحفوظة بأرشيف الشهر العقارى محكمة الباب العالى سجل ٨٥ ص ٣٧ ، ١٧٤ مايلى " وقف البركة الصغرى أو بركة بغل الكروش أو الشيخ قمر على ضريح قمر وسكان البركة والضريح بالقرب من غيط الطويل" .

بركة الحاج

تمتعت بـركة الحاج [1] بأهمية كبيرة فى تاريخ مصر الاسلاميـة بحكم موقعها الأستراتيجي الهام بصفتها أول وآخر محطـة للذاهبين والعائدين بطريق الحج والتجارة للـحجاز والشام ، وكذلك كانت متنزها كـبيراً ومضمارا للريـاضة والصيد حتى نهايـة العصر العثمانـى ، وقد كانت متنزهاً لـلخلفاء والملوك والسلاطين والولاة طول التاريخ الاسلامى .

الموقـــع :

ذكر المقريزى أنها تقع فى الجهة البـحرية من القاهرة على نحو بريد [2] منها أى أنهـا تقع شمال القاهرة على مـسافة ٢٢كم . وكانت هذه البركة زمـن المماليك عبارة عن أرض منخـفضة تملأ وقت الفيضان بماء النيل عن طريق الخليج الكبير ، وكانت مسـاحتها ٥٠٠ فدان وعبرتها ٣٠٠٠ دينار [3] . وهى تتبع اليوم قسـم المطرية من القاهرة [4] ، وكانت من قبل قرية من قرى شـبين القناطر محافظة القليوبية [5] .

التسميـــة :

عرفت هذه البركة بـعدة أسماء منها جب عميرة أو أرض الجب أو بـركة الجب أو البركة ، وكان العامة يطلقون عليـها فى العصر المملوكى جب يوسف نسبة إلى سيـدنا يوسف عليه السلام [6] ، إلا أن الأسم الذى صار علماً عليها هو بركة الحاج لأنها كانت المحطة التى يتجمع فيها الحجاج المسافرون بطريق البر من القاهرة وعند عودتهم منها .

---

(١) للأستاذ الدكتورة آمال العمرى بحث بعنوان بركة الحاج خلال العـصرين المملوكى والعثمانى * ، نشر بالقاهرة سنة ١٩٨٧م ، وقد رأيت أن أوجز فى الكلام عن هذه البركة لاستكمال موضوع الرسالة .

(٢) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ .

* والبريد يساوى أربع فـراسخ والفرسخ ٣ أميال والميل ٤٠٠٠ ذراع ، وبما أن الفرسخ يسـاوى ٥٤٤٤ متر فالبريد يساوى ٥٤٤٤ X ٤ = ٢٢١٧٦ متراً أى ٢٢,١٧٦ كم ! انظر : محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية (ط ٥ ، ١٩٨٥) ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٣) ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص ٦ .

(٤) آمال العمرى ، نفس المرجع ، ص ٨

(٥) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٨ ، القاموس الجغرافى ، ق ٢ جـ ١ ، ص ٣١ .

(٦) عن هذه الاسماء انظر : ابن ميسر ، اخبار مصر ، جـ ٢ ، ص١٣ .
ابن مماتى ، قوانين الدواوين ص ١١٠ ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٤٥ .
المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٨٩ ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ ، السلوك ، جـ ١ ، ص٤٥ .
ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، (ليدن ، ١٣٠٩ هـ) ، ص١٤٩ .

أهمية بركة الحاج والعمارة بها فى العصر المملوكى :

ازدهر شأن بركة الحاج فى العصر المملوكى ازدهاراً كبيراً ويمكن القول أنه قد ساعد على ذلك ازدياد أهمية الطريق البرى إلى سيناء فى العصر المملوكى بعد إخراج الصيلبيين من بلاد الشام وعودة استخدامه من جديد كطريق لقوافل الحج والتجارة ومن ثم ظهر اسم جديد له هو درب الحج أو الدرب السلطانى (١) .

وقد كانت بركة الحاج محطة الحاج وذويهم الذين كانوا يصحبونهم فى رحلة الذهاب والوصول إليها حيث كانوا يعسكرون ويستريحون ويتهيأون للسفر ويمكثون بها عدة ايام ، وكانت تقام بها الأسواق فى مواسم الحج (٢) لذلك فقد اهتمت به وبالطريق فى العصر المملوكى شجر الدر وذلك حين سلكت الطريق للحج سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م فأمرت باصلاح الطريق وحفر الآبار وبناء البرك على طريق الحج المصرى وبذلك أحيت شجر الدر هذا الطريق بعد أن فسد مرة من الزمن (٣) .

وكان لازدهار الطريق البرى للحج أثره الكبير فى زيادة أهمية طريق الصحراء الواقعة خارج باب النصر لأنه يسلك منها إلى بركة الحاج ومن ثم فقد حرص سلاطين وأمراء المماليك على بناء المنشآت المتنوعة سواء بالبركة أو على جانبى الطريق المؤدى إليها . (٤)

وقد أمر الناصر محمد بن قلاوون بعمل أحواش للخيل والجمال وميدان لنتاج الخيل ببركة الحاج وكانت بركة الحاج تربى وتنتج بها الخيول والاغنام حيث كانت مرتعا خصباً ونموها حتى ضرب بها المثل فقد قيل للكبش كبش بركاوى نسبة إلى هذه البركة . (٥)

ومما كان له الاهتمام بالبركة فى العصر المملوكى القاضى عبدالباسط (٦) ناظر الكسوة الشريفة فقد قام فى شوال سنة ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م بعمل بستان وساقية وفسقية ماء فى بركة الحاج برسم الحجاج

---

(١) آمال العمرى ، المرجع السابق ، ص ٩ .

وعن درب الحج انظر : احمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠٨ .

(٢) رحلة الفاسى ، ص ٩٨ .

(٣) أحمد رمضان ، نفسه ، ص ٢٠٦ .

(٤) محمد حمزة ، قرافة القاهرة فى عصر السلاطين المماليك ، ماجستير "مخطوطة" ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٧) ، ص ١٠٦ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ .

(٦) هو القاضى عبدالباسط بن خليل ناظر الكسوة الشريفة وقد تولى عدة وظائف فى عهد المؤيد شيخ وبرسباى وقد توفى فى سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م ودفن بتربة بالصحراء وكانت فى الجهة الشمالية الغربية من منشآت كل من اينال وقرقاس بقرافة صحراء المماليك انظر :

السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٢٥ ، محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، حاشية ٣

وقد عــم بـها النفـع هناك بالاضافة إلى تـخصيص مبلغ ٨٠٠٠ درهـم فى كل سنة لصـالح تلك المنشآت . (١)

وكذلك أنشأ الامير علان من ططخ الاشرفى سبيلاً حسناً وحوضاً بطريق بركة الحاج (٢) وقد كان موضع هذا السبيل أمام قبة يشبك مباشرة على الجانب الشرقى من الطريق تجاه الصحراء وقد وقع هذا السبيل فى خريطة الحملة الفرنسية (٣) .

وكذلك أنشأ العارف بالله المتـبولى المتوفى فى ذى الحجة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م (٤) حوضاً وسـبيلاً وبستاناً بالبـركة فى أثناء سلطنة قايتبـاى ، وقد دفن بقبة بزاويته هناك ، ولا تزال هـذه القبة موجودة ملحقة بالركن الجنوبى من المسجد (الزاوية) وقد جددت فى سنة ١٠٢٨هـ / ١٦١٩م . (٥)

وقد اقيمت إلى جانب تـلك المنشآت الخانات (٦) والفنادق بسـبب القواقل حيث يستـريح التجار ودوابهم ، وكان يوجد بـها خان بركة الحاج (٧) هذا ولم يتبق من تلك المنـشآت أى اثر يعود للعصر المملوكى . (٨)

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٠١ .
سامى نوار ، الاعمال المعماريـة للقاضى عبدالباسط ، ماجستير ، غيـر منشورة "جامعة اسيوط ، ١٩٨٠) ، ص ٤٩ ، ٨٨ .

(٢) هو الامير علان الأشقر بن ططخ أمير عشيرة وأحد رؤوس النوب، توفى فى جمادى الاولى سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م .
السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ١٥٠ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ .

(٣) محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص ٢٧٥ ، حاشية ٢ .

(٤) هو العارف بالله سيدى ابراهيم بن على بن عمر المتولـى ، وكان ديناً خيراً وكانت شفاعته عند السـلطان والامراء لا ترد ، وكان يأوى إليه الفقراء والمنقطعين وكان نادرة عصره وصوفى وقته . انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٨٨ .
الشعرانى ، لواقح الانوار فى طبقات الاخيار ، المعروف بالطبقات الكبرى ، جـ ٢ ، ص ٩٢ ، ٩٦
* وقد ذكر الشعرانى أن تاريخ وفاة المتولى نيف وثمانين وثمانمائة ولكن الصحيح ما ذكره ابن اياس من انه توفى سنة ٨٧٧هـ .

(٥) عن مسجد المتولى ، انظر :
سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٢ ، ص٤٩ ـ ٥٤ .
آمال العمرى ، المرجع السابق ، ص ٢٠ ـ ٢٦ .

(٦) الخان كلمة فارسية معناها نزل أو سوق ، وقد استخدمت مـنذ اقدم العصور لايواء المسافرين ودوابهم وبضائعهم ، وكانت الخانات تبنى داخل المـدن وخارجها بل نجد أن اغلب الخانات كانت تبنى خارج المـدن على الطرق التجارية وكذلك فقد اقتضى الامر أن تدعم تلك الخانات بابراج للمراقبة منعاً للاعتداء عليها . انظر:
آمال العمرى ، المـنشآت التجارية فى القـاهرة فى العصر المملوكـى ، دكتوراه " غير منشورة" (جامـعة القاهرة ، ١٩٧٤) ص ١٤٦ .
اضواء على المنشـآت التجارية فى مصر المملوكيـة: الكتاب الذهبى ، جـ ٢ ، عدد خاص من مجـلة كلية الآثار ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨م ، ص ٦٨ .

(٧) نعيم زكى ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٩٤ .

(٨) آمال العمرى ، بركة الحاج ، ص ١١ .

العمارة ببركة الحاج فى العصر العثمانى :

ظلت بركة الحاج وضع اهتمام من قبل أمراء مصر خلال العصر العثمانى لما تتمتع به من أهمية استراتيجية ، ومن هؤلاء دواد باشا (٩٤٥- ٩٥٦هـ) (١) الذى أنشأ بها بابا وخانا وبستانا وسبيلا وفسقية وحوضاً كبيراً يشتمل على محراب للصلاة ودواوين لجلوس المسافرين للاستراحة فى ضمن عمارة مشرفة يراها المسافر ، وقد تمت هذه الأعمال فى سنة نيف وخمسين وتسعمائة . (٢)

كذلك قام الامير ذو الفقار بك بانشاء قصر وحوض وبستان وغيط زرع فيه خمسة آلاف نخلة وكان بناء الحوض فيما بين ١١٣٩ إلى سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٦- ١٧٢٨م (٣)

وكذلك كان الولاة العثمانيون القادمون إلى القاهرة فى النصف الثانى من القرن ١٢هـ / ١٨م يتوقفون عند بركة الحاج ، لذلك كان لكل منهم قصر أو حديقة هناك . (٤)

---

(١) هو دواود باشا الخادم قدم إلى مصر فى ١٧ محرم ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م وظل والياً عليها لمدة طويلة استمرت ١١ سنة وهذه المدة قلما حدثت فى العصر العثمانى واستمر والياً إلى أن مات فى ربيع الاول سنة ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م . انظر : احمد شلبى ، اوضح الاشارات ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ ، آمال العمرى ، دراسات فى وثائق داود باشا والى مصر ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

(٢) بن عبدالقادر ، دور الفرائد المنتظمة فى اخبار الحاج وطريق مكة المكرمة ، ص ٤٧٩ ، عن د . آمال ، ص ١٢ .

(٣) احمد شلبى ، المصدر نفسه ، ص ٥٥٩ ، على مبارك ، جـ ٩ ، ص ١٧ . عن هذه الاعمال بالتفصيل ، انظر : آمال العمرى ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ ـ ١٠٧ .

(٤) عبدالوهاب بكر ، الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن ١٨م ، دار المعارف ١٩٨٢م ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

الفصل الرابع
خلجان القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى

كانت خلجان [1] القاهرة والقناطر عليها من أهم متنزهات مصر فى العصرين المملوكى والعثمانى، وكان بالقاهرة عدد كبير من الخلجان والتى استخدمت منها كمتنزهات وأماكن احتفالات وأعياد هى الخليج الكبير والخليج الناصرى وخليج فم الخور وخليج الذكر وخليج قنطرة الفخر وخليج الزعفران وخليج الزربية .

وكانت هذه الخلجان تستمد ماءها من النيل وتمتلىء وقت الفيضان ، وهى محفورة بالأيدى البشرية وليست طبيعية كنهر النيل وفروعه . [2]

وكانت الدولة تتحمل مسئولية الخلجان والقناطر عليها من حيث الاعتناء بحفرها وتطهيرها وإقامة القناطر عليها وإصلاح التالف منها .

الخليج الكبير «الخليج المصرى»
التسميات التى اطلقت عليه :

تعددت أسماء هذا الخليج على مر الزمن ، ففى صدر الإسلام عرف باسم خليج مصر [3] أو خليج الفسطاط [4] نسبة لمدينة مصر التى عرفت أيضاً باسم خليج أمير المؤمنين [5] نسبة إلى أمير

---

(١) الخلجان مفردها خليج والجمع خلجان وخلج ، والخليج فى اللغة هو نهر صغير يختلج أى ينتزع من نهر كبيراً أو من بحر . انظر مادة خليج فى مختار الصالح للرازى ، والقاموس المحيط للفيروزابادى ، ولسان العرب لابن منظور ، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٣٩ .

(٢) حفر الخليج الكبير بغرض التجاوة فى المقام الأول عن طريق ربط النيل بالبحر الأحمر ، بالاضافة لمساهمته فى رى الأراض الزراعية ، وحفر الخليج الناصرى لمساعدته فى تلك المهمتين ، وبعض الخلجان حفرت لزيادة ماء الخليج الكبير مثل خليج الذكر وخليج فم الخور ، وبعض الخلجان حفرت لتكون مساعدة لنهر النيل فى حالة جفافه لارتفاع الرمال بطول القاهرة مثل خليج موردة الحلفا وخليج الزربية .
عن هذه الخلجان بالتفصيل أنظر ما يلى تباعاً .

(٣) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٤) نفس المصدر والجزء ص ١٤٠ ، ابن عبدالحكم ، فتوح مصر ص ٢١٨ .

(٥) المقدسى ، احسن التقاسيم ص ٢٠٦ ، ابن مماتى ، قوانين الدواوين ص ٢٠٤ ، المقريزى الخطط جـ ٢ ص ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لأنه هـو الذى أمر عمرو بن العاص فاتح مصر وواليها من قبله بحفره عقب عام الرمادة الذى حدث سنة ٢١ هـ / ٦٤٢م ليصل النيل بالبحر الأحمر لحمل المؤن والزاد إلى الحجاز بصفة دائمة .

وقد سماه «المسعودى» (ت ٣٤٦ هـ / ٩٧٥ م) ترعة ذنب التمساح [(١)] نسبة إلى مصبه فى ذلك الوقت عند بحيرة التمساح .

وقد أطلق علـيه فى العصر الفاطمى إسم خـليج القاهرة [(٢)] لأنه يسـير بمحاذاة سور الـقاهرة الغربى ، كمـا عرف أيضاً باسم خليـج اللؤلؤة [(٣)] نسبـة إلى منظرة الـلؤلؤة [(٤)] التـى كانت عـلى الشاطىء الشرقى للخليج ، وقد ظل اسم خليج القاهرة مستعملاً فى العصر الأيوبى . [(٥)]

وفى العصر المملوكى عـرف باسم الخليج الحاكمى [(٦)] وقد ذكر «المقريزى» أن هذه التسمية تسمية خاطئة من العامة الـذين اعتقدوا أن الخليفة الحاكم بأمر الله الذى أمـر بحفره ، ومن الملاحظ أن هذه التسمية هى الواردة فى معظم الوثائق المملوكية . [(٧)]

كما عرف أيـضاً باسم الخليج الـكبير [(٨)] على وجه العـموم نظراً لوجود عدة خلجـان أصغر منه حفرت بعده فى القاهرة مـثل خليج الخور وخليج الذكر والخليج الناصـرى ، كما انه هو المقصود من بين الخلجان فى المصادر والوثائق إذا قيل الخليج فقط .

وفى العصر العثمانى تعددت تسميات الخليـج لأن الناس قد اطلقت عدة مسميات على أجزائه ما بين بعض قناطره بأسم تلك القناطر أو نسبة للشوارع الموازية له أو نسبة لشخصيات هامة كانت بيوتها

---

(١) مروج الذهب جـ ١ ص ٢٥٧ .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ، ص ١٤٠ .

(٣) نفسه .

(٤) هذه المنظرة ما هى إلا قصر فخم انشأه الخليفة العزيز بالـله بن المعز لدين الله ، وكان يقع على الخليج بالقرب من باب القنطرة ، وكان قصراً من أحـسن القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد متنزهات الدنـيا المذكورة فإنه كان يشرف من شرقيه على البستان الكافورى ويطل من غربيه عـلى الخليج وكان غربى الخليج إذ ذاك ليس فيه من المبانى شىء وانما كان فيه بساتين عظيمة وبركة بطن البقرة (الاوبكية فيما بعد) .
المقريزى ، الخطط جـ ١ ص ٤٦٧ .
* ويمثل موقع المنظرة الآن الأرض المقام عليها مدوسة الفرير بالخرنفش .

(٥) ابن سعيد ، المغرب ص ١٧٢ .

(٦) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٤٠ .

(٧) نـلاحظ أن اسـم خـليج اللؤلؤة ظل مستعملاً أيضاً فـى بعض وثائق العصر المملوكى مثل وثـيقة المؤيد شيخ رقم ٩٣٨ أوقاف .

(٨) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ٤٣٠ .

أو مساجدها وأضرحتها على شاطئيه ، فعلى خريطة الحملة الفرنسية نجد أن اسمه خليج الموارد [١] (رقم ٢٨٠ فى المربع V14) فى المسافة بين قنطرة السد (الجير) حتى قناطر السباع ، وعرف بخليج قناطر السباع (رقم ١٦١ فى المربعين u 12, 13) فى المسافة بين قناطر السباع وقنطرة عمر شاه ، وعرف باسم خليج عمر شاه (رقم ٢٩٣ المربع 11 5) فى المسافة بين قنطرة عمر شاه وقنطرة طقزدمر (قنطرة درب الجماميز) وعرف بخليج حارة النصارى [٢] (رقم ٦٣ المربع 10 - Q) فى المسافة بين قنطرة طقزدمر وقنطرة آق سنقر ، وعرف بأسم خليج الخلوتى [٣] (رقم ٦ المربع 10 - P) فى المسافة بين قنطرة آق سنقر حتر القنطرة الجديدة (قنطرة الذى كفر) ، وعرف بأسم خليج مصطفى بيه [٤] (رقم ٣ المربعين 09 - N) فى المسافة بين القنطرة الجديدة (قنطرة الذى كفر) وقنطرة باب الخرق ، وسمى باسم الخليج المرخم [٥] (رقم ٣٢ فى المربع 9 - M) فى المسافة بين قنطرة باب الخرق حتى قنطرة الأمير حسين ، وعرف بأسم خليج الأمير حسين (رقم ١٣ المربع 9 - K) فى المسافة بين قنطرة الأمير حسين وقنطرة الموسكى ، وعرف باسم خليج الموسكى أو الأفرنج [٦] (رقم ٦٨ المربع H-8) فى المسافة بين قنطرة الموسكى وقنطرة الشعرانى ، وعرف باسم خليج الشعرانى (رقم ١٩٧ فى المربع F - 6 والمربع 7 - G) فى المسافة بين قنطرة الشعرانى والقنطرة الجديدة ، وعرف الخليج باسم الخليج

(١) عرف الخليج بذلك الاسم نسبة لضريح ومسجد سيدى محمد الموارد الموجودين حتى الآن بأول شارع الخليج المصرى (بور سعيد حالياً) بمنطقة أبو الريش بالسيدة زينب .

(٢) كان يسكن فى هذه المنطقة فى العصر العثمانى عدد كبير من النصارى فى البيوت المطلة على الخليج ، وكانوا من قبل فى العصر المملوكى يسكنون فى المنطقة المواجهة فى البر الشرقى للخليج بينه وبين بركة الفيل وانتقلوا إلى البر الغربى للخليج عندما بنى بشتاك جامعة وخانقاته هناك ، انظر المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ٣٠٩ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية جـ ٣ ص ٩٤ .

* وقد وقعت حارة النصارى فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٥٨ فى (المربع 10 - Q) وهى لا تزال تحتفظ بأسمها للآن .

(٣) وقع جامع الخلوتى فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٧٩ فى المربع 10 - P ، ووكالة الخلوتى برقم ٧٧ فى المربع 10 - P ، وسبيل الخلوتى برقم ٧٨ فى المربع 10 - P .

* وجامع الخلوتى يحمل رقم ٤١٤ فى فهرس وخريطة القاهرة للآثار الإسلامية ، ولكن المعالم الأثرية للجامع قد ضاعت الآن بعد تجديد الجامع كلية وهو يقع فى تقاطع شارع الخليج بشارع البرمونى .

(٤) وقع بيت مصطفى بيه فى الخريطة برقم ٧ فى المربع 9 - N ، وسكة خليج مصطفى بيه برقم ٤ فى المربع 9 - N والمربع 9 - 0 .

(٥) ترجع تسمية الخليج بالخليج المرخم نسبة لتركز صناعة الرخام فى منطقة باب الخرق (الخلق) فى العصر العثمانى ، ولا يزال للآن شارع تحت الربع محتفظاً بالعديد من ورش صناعة الرخام .

(٦) كان للفرنج (الاجانب الأوربيون) حى خاص بهم على الخليج بالموسكى ، وكانت لهم كنيسة خاصة بهم لا تزال موجودة للآن بشارع الخليج .

السلطانى [1] (رقم ٤١٩ المربع B-8) فيما بعد القنطرة الجديدة ، وهذه النسبة ترجع إلى أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى حفر الخليج الناصرى وأوصله بهذا الخليج الكبير عند القنطرة الجديدة وقام فى ذلك الوقت أيضاً بتطهير الخليج الكبير .

حفر الخليج فى صدر الإسلام :

يعتبر الخليج المصرى أقدم مجرى مائى تم حفره بواسطة الإنسان وظل مستعملاً حتى تم ردمه فى نهاية القرن الماضى فى سنة ١٨٩٨ م .

وترجع أصول هذا الخليج إلى أيام الفراعنة [2] حيث تم اتصال النيل بالبحر الأحمر فى عهد سنوسرت الثالث ، وهو ما يعرف بأسم قناة سيزوستريس ، وفى العصر الرومانى أعاد حفر القناة الامبراطور تراجان فعرفت به . [3]

أما فى العصر الإسلامى فيرجع حفره إلى أيام ولاية عمرو بن العاص على مصر أثناء خلافة عمر بن الخطاب بعد فتح مصر ببضع سنوات ، فقد حدث فى سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م قحط وجدب شديدان بالحجاز وسمى ذلك العام «بعام الرمادة» لأن الأرض والشجر صارت مثل لون الرماد ، فاستنجد عمر بن الخطاب بواليه على مصر عمرو بن العاص ليمده بالطعام لإغاثة أهل الحجاز نفعل، وعقب تلك الشدة أمر عمر بن الخطاب عمراً بحفر ذلك الخليج بناءاً على اقتراح عمرو الذى أراد بعد ذلك أن يتراجع عنه لمشقته [4] ليساعد فى نقل المدد والخراج للحجاز بسهولة فى أسرع وقت ، فتم حفر الخليج سنة ٢٣ هـ / ٦٤٤ م [5] . كما يوجد سبب آخر سارع بالعمل فى حفر الخليج وهو

---

(١) جرى العرف فى العصر المملوكى أن يطلق على الطرق والجسور العامة التى تربط أنحاء البلاد اسم الطريق السلطانى والجسر السلطانى على أساس مسئولية الدولة ممثلة فى شخص السلطان عنها .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٣٩ - ١٤١ .

(٣) تتسم الكتابات عن توصيل النيل بالبحر الأحمر فى العصر الفرعونى بالتشويش وعدم الدقة ولا توجد دراسة وافية صحيحة يعتمد عليها فى هذا الشأن .

(٤) انظر بالتفصيل :

ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، المقريزى ، الخطط جـ٢ ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٥) ذكر كثير من المؤرخين أن حفر الخليج فى عام الرمادة أى سنة ٢١ هـ ، ولكن ذلك الرأى غير منطقى ، فلا يعقل أن يحفر الخليج فى وقت قصير وتسير فيه السفن بالطعام من مصر إلى البحر الأحمر ثم الحجاز لأن تلك الملاحة لا تكون إلا فى أيام الفيضان ، كما أن حفر الخليج يحتاج مدة كبيرة قد تستغرق سنتين ، ولكن الذى حدث هو حفر الخليج بعد انتهاء عام الرمادة ولنجدة مصر للحجاز عن طريق قوافل البر .

وعن قصة حفر الخليج بالتفصيل أنظر :

البلاذرى ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٦ ، جـ ١ ص ٢٥٣ .

ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ص ٢١٨ - ٢٢٢ ، المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٤٣ ، القلقشندى، =

حرص عمر على اتصال مصر بمركز الخلافة بالحجاز عن طريق البحر الأحمر لأنه كان حريصاً على الاتصال بالاقاليم والبلاد المفتوحة فى أقرب وقت وأيسر طريق دون عوائق حتى يكون جاهزاً بالمدد والعون إذا احتاجته جيوش المسلمين فى تلك البلاد المفتوحة .

مسار الخليج وحدوده :

بالرجوع إلى خرائط القاهرة وإلى ما ذكره المقريزى عن الخليج نستطيع أن نكتب بكثير من الإطمئنان أن فم الخليج عندما حفره عمرو أولاً كان يقع فى نقطة تلاقى أول شارع نوبار بشارع الخليج المصرى (بور سعيد) بالسيدة زينب حيث كان النيل يجرى فى ذلك الوقت فى مسار شارع الخليج حالياً أو قريباً منه عدة أمتار [1] ، ثم انحسر النيل بعد ذلك وعمل فم الخليج فى زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب فى مكانه الذى يمثله الآن ميدان فم الخليج [2] .

وكان الخليج يخرج من فمه ليسير باتجاه الشرق حتى ميدان السيدة زينب حالياً ثم يسير باتجاه الشمال مخترقاً ميدان باب الخلق فميدان باب الشعرية والظاهر والوايلى والمطرية وعين شمس . هذا

= صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٠٢ ، السيوطى ، حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٥٦ - ١٥٨ بتلر ، فتح العرب لمصر، تعريب مصر فريد أبو حديد (ط ٢ القاهرة ١٩٤٦ م) ص ٢٥٤ .

Weil, Geschichte Der Chalifen Mannhein, 1846, I, P. 130 - 145.

(١) بالنظر إلى خريطة القاهرة للآثار الاسلامية نتبين أن مسار الخليج الذى يمثله الآن شارع الخليج المصرى (بور سعيد) به انثناءه عند التقاءه الآن بأول شارع نوبار ، وتمثل تلك الانثناءة مرحلة مد الخليج إلى فمه الحالى بميدان فم الخليج فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب .

* وقد قال المقريزى فى هذا الشأن (الخطط جـ٢ ص ١٠٩) «أن أول الخليج الكبير عند وضع القاهرة (أى سنة ٣٥٨هـ) بجانب خط السبع سقايات وكان ما بين هذا الخط وبين المعاريج بمدينة مصر غامراً بماء النيل» .

وقال المقريزى أيضاً (الخطط جـ ٢ ص ١٤٦) «أن قنطرة عبدالعزيز بن مروان كانت فى طرف الفسطاط بالحمراء القصوى بناها سنة ٦٩ هـ وموضعها خلف السبع سقايات على فم الخليج الكبير» .

وقال المقريزى أيضاً (الخطط جـ ٢ ص ١١٦) «أن خط السبع سقايات عرف فى العصر المملوكى بحكر اقبغا وفى هذا الحكر كانت تقع قنطرة عبدالعزيز بن مروان» .

* وذكر المرحوم محمد رمزى بناءاً على ما قاله المقريزى «أن خط السبع سقايات الذى عرف بحكر أقبغا مكانه اليوم المنطقة التى فيها حارة السيدة زينب وفروعها وجنينه لاظ وشوارعها ، وأن النيل كان يجرى وقت الفتح الاسلامى فى الجهة الغربية من جنينة لاظ حيث الطريق المسماه بشارع بنى الأزرق وما فى امتداده جنوباً وشمالاً ، وشارع بنى الأزرق يقع الآن بين شارع الوافدية وشارع الخليج المصرى (بور سعيد حالياً) وأن فم الخليج المصرى كان فى ذلك الوقت واقعاً حذاء مدخل الشارع المذكور من جهة شارع الخليج أى نقطة التقاء شارع نوبار بشارع الخليج بالتحديد كما ذكرت أعلاه . انظر : تعليق محمد رمزى على النجوم الزاهرة ، جـ ١١ ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٤٦ .

فى حدود مدينة القاهرة - ثم وادى الطميلات حيث الخصوص وسرياقوس والخانكة بمحافظة القليوبية ثم إلى أبى زعبل والعباسة بمحافظة الشرقية ثم إلى الاسماعيلية حيث ينكسر جنوباً إلى بحيرة التمساح ويخترق البحيرات المرة حتى ينتهى جنوباً لخليج السويس عند مدينة السويس . (١)

ولما أنحسر النيل أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب جعل فم الخليج فى موضعه الحالى بميدان فم الخليج شمال مصر القديمة بجوار سواقى مجرى العيون ، وتم حفر الخليج من هنا حتى موضع فمه القديم عند التقاء أول شارع نوبار بشارع الخليج المصرى (بور سعيد حالياً) .

ثم لم الخليج بعد ذلك فيما بين مصبه بالسويس حتى صار ينتهى إلى العباسة بالشرقية حتى وقت الحملة الفرنسية على مصر ، وبعد حفر ترعة الاسماعيلية فى عهد الخديوى اسماعيل صار ينتهى عند أبو زعبل .

ويبلغ طول الخليج بحدود مدينة القاهرة الكبرى ٤٦٫٢٠ كم من نقطة منبعه بميدان فم الخليج حتى أبو زعبل ، ويبلغ عرضه من خمسة إلى خمسة عشر متراً وعرضه المتوسط بالقاهرة نحو عشرة أمتار، وأقل من ذلك بعدها ، وكان ارتفاع الماء به فى أيام الفيضان ستة أمتار وعشرين سنتميتر (٢) ، ولم يكن للخليج رصيف إذ أن المنازل المطلة عليه تكون غاطسة فى الماء . (٣)

تاريخ الخليج حتى ردمه سنة ١٨٩٨ م :

استعمل الخليج كخط ملاحى هام يربط مصر بالبحر الأحمر زمن الدولة الأموية وقد استعمل فى نقل الحجاج . (٤)

ولما كان له من أهمية استراتيجية كبيرة فقد أمر الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور واليه على مصر فى سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م بردم الخليج قبيل اتصاله بالبحر الأحمر لمنع وصول المؤن من مصر إلى الحجاز لأن المدينة المنورة كانت تموج بثورة يتزعمها الثائر

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقية جـ ١٨ ص ١٢٣ .
Quatremére, Mémoires Geofraphiques et Historiques Sur L'Egypte Paris 1811 I, P. 176.

(٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية جـ ١٨ ص ١٢٣ - ١٢٤ .
Tossour (o), Memoire Sur L'histoire du Nil, L'institut D'Egypte, Le Caire 1925 Tome 2, P. 230 - 232.

(٣) جومار ، وصف مدينة القاهرة ص ١٥٧ .

(٤) السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٥٨ .

العلوى الملقب بـالنفس الذكية [١] ثم أهمل الخليج بعد ذلك وغلب عليـه الرمل وانقطع وصار منتهاه إلى بحيرة التمساح . [٢]

وفى العصر الفـاطمى أصبح للخليج أهميـة عظمى لأنه كان المورد الرئيسى لإمـداد القاهرة بالماء وقت الفيضان ، لذا خصص الخلـفاء الفاطميين للخليج والى بمفرده يتولى شـئون حفره ونظافته على الـــدوام [٣] ، وكانت الدولـة تتحمل النفقـة ، إلا أنه فى مدة خلافة الآمر بأحـكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤هـ/ ١١٠٢ - ١١٣٠م) جعل وزيره المأمون البطائحى (تولى الوزارة من ٥١٥ هـ - حتى /٥٥٩ ١١٢١ - ١١٢٥م) مصاريف حفر الخلـيج على الناس أصحاب البيوت والبسـاتين على الخليج [٤] ، وقد كان منتشراً عـلى طول الخليج فى العصر الفاطمى عـدد كبير من القرى [٥] ، واستـمر الأهـالى يتحملون النفقة فى حفر ورعاية الخليج فى زمن الدولة الايوبية . [٦]

وفى العصر المملوكى بالرغم من كون الخليج متنزهاً كبيراً إلا أنه كان يـسوده الإهمال احياناً ، فقد قل فى ذلك العصر الاهتمام بـحفر الخلجان وإقامة الجسور عليها لتحمى الـقاهرة من الغرق فى حالة حدوث فيضـان كبير [٧] ، إلا أن بعض السلاطين المعمرين كانوا يهـتمون بحفر الخليج وعمل الجسور عليه وإنشاء وإصلاح القناطر بطوله ، ومن أهمهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذى قاد نهضة عمرانية كبيرة للقاهرة وأعاد حفر الخليج وأنشأ عدة قناطر عليه أثناء حفره للخليج الناصرى . [٨]

ومن السلاطين الـذين اهتموا بحفر الخـليج السلطان الملـك الاشرف برسباى ففى أيامـه تم تطهير

---

(١) هو عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن ابى طالب .

(٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٠٢ . القـلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ١٣٩ .، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٥٨ ، جـ ٢ ، ص ٣٨٧ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٤ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٤ . القلقشـندى ، صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٠٣ . السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٣٨٨ .

(٥) ذكر ناصر خسرو الذى أقام بمصر فـيما بين سنتـى ٤٣٧ هـ و ٤٤٤ هـ / ١٠٤٥ - ١٠٥٢ م أنه يمتد عـلى طول الخليج ٣٠٠ قرية ، وبالرغم من مبالغـات ناصر خسرو إلا أن ذلك يدل علـى امتداد العمران على طـول الخليج لمسافة كبيرة وازدياد أهمية الخليج حينئذ . انظر : ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ٥٠ .

(٦) ابن المقفع ، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، جـ ٤ ، ص ٥٦ .

(٧) نظراً لعدم الاهتمام بعمل جسور للخليج أن غـرقت دور وبساتين الحسينية سنة ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م ونتج عن ذلك تكون بعض البرك على جانبى الخليج هناك مثل بركة الشيخ قمر وبركة قراجا وغيرها . انظر :
ابن تغـرى بردى ، النجوم الـزاهرة ، جـ ١ ، ص ٦٩ . السيـوطى ، حسن المحاضـرة ، جـ ٢ ، ص ٣٨٧ ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٨) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ - ١٥٠ .

الخليج وقطع أرضه سنة ٨٣٨ هـ / ١٤٣٣ م [١] ، وأيضاً اهتم المعمر الملك الأشرف قايتباى بحفر الخليج فتم ذلك فى محرم سنة ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م على يد الدوادار الكبير الأمير يشبك واشترك فى ذلك العمل خلق كثير . [٢]

كذلك كان السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى أكثر السلاطين اهتماماً بالتنزه والمتنزهات ، ومنها الخلجان فقد أمر عدة مرات بقطع الخلجان ففى شهر ذى القعدة سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٤ أمر بقطع الخلجان قدر ثلاثة أزرع ونصف، وكان ذلك يتم على نفقة أصحاب الأملاك عليها [٣] ، وكان يتم مصادرة من يعجز منهم ، وفعل نفس الشيء فى محرم سنة ٩١٧ هـ / ١٥١٢ م [٤] ، وفى ربيع الأخر سنة ٩١٧ هـ وكان المشرف على ذلك حاجب الحجاب . [٥]

وفى العصر العثمانى حدث ما كان يحدث فى العصر المملوكى ما بين الاهتمام بالخليج فترة أو اهماله فترات ، ومن الولاة الذين اهتموا بحفره مقصود باشا الوزير (١٠٥٢ - ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٢ م - ١٦٤٣ م) الذى أمر بقطع الطين منه فقطع من أرضه ستة أذرع وكذلك من الخليج الناصرى . [٦]

ويبدو أن الخليج فى أواخر العصر العثمانى كان يتم تنظيفه عاماً بعد عام حسبما ذكر الرحالة «نيبور» الذى زار مصر فى سنتى ١١٧٥ هـ - ١١٧٦ هـ / ١٧٦١ - ١٧٦٢م [٧] ، وكان يوكل بأمر حفر الخليج إلى مقاول ولكن نظراً للفساد الإدارى الذى كان يسود نظام الحكم فى ذلك الوقت كان العمل على تنظيف الخليج يتم بصورة غير مرضية حيث يتم رشوة المسئولين بالقاهرة . [٨]

وقد كان الخليج يسد فى الشتاء ويتم تطهيره قبل الاحتفال بكسره أى قبل شهر أغسطس ، وكان تراكم الطمى يمنع جريان الماء فى الخليج مما يعوق الملاحة به فإذا اشتد بادر الولاة بحفر الخليج وكان الأهالى هم الذين يتحملون النفقة . [٩]

وكانت تنتشر على طول الخليج تلال مرتفعة كبيرة تكونت من الطين الذى يستخرجونه عاماً بعد عام عند تطهيره [١٠] .

(١) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .
(٢) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، جـ ٣ ، ص ٦٧٣ .
(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٦٣ .
(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٢١١ .
(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
(٦) البكرى ، الروضة المأنوسة فى اخبار مصر المحروسة (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢٦١ تاريخ) ، ص ٤٣ ، أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص ١٥٠ . ، ابن الوكيل ، تحفة الاحباب (مخطوط) ، ص ١٥٩ .
(٧) رحلة إلى مصر ، ص ٢٣٨ .
(٨) نفسه ، ص ٢٢٤ .
(٩) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص ٤٧ .
(١٠) نيبور ، رحلة إلى مصر ، ص ٢١٤ .

ونظراً لتلوث الخليج وعدم المحافظة على نظافته ، وقيام شركات توصل المياه إلى المنازل فقد تم ردم الخليج فيما بين سنتى ١٨٩٦ ، ١٨٩٨ م . بعد تاريخ طويل حافل .

العمارة على الخليج :

كانت العمارة على الخليج مرتبطة بإنشاء مدينة القاهرة ، واتصفت بالتأنق والثراء ، وخصصت لأغراض التنزه والتفرج أولاً حيث بنى الخلفاء والوزراء والأمراء والاعيان عدة قصور ومناظر على الخليج وكانوا يقيمون فيها أيام الفيضان النيل وامتلاء الخليج بالماء ، ثم اختطت بعض الحارات على الخليج بعد ذلك إلا أنها كانت تتخرب أحياناً بفعل الأزمات والمحن التى كانت تعم مصر فى ذلك الوقت . (١)

وفى العصر الأيوبى اتصلت المبانى الجميلة ذات الطبقات والمقاعد والمناظر المطلة مباشرة على الخليج بطول مدينة القاهرة . (٢)

وفى العصر المملوكى بنى السلاطين والأمراء والأثرياء المنشآت الدنية والاجتماعية والمدنية على الخليج والذى بقى منها للآن يدل على عظمتها وأهميتها ، كما امتد التعمير للضفة الغربية للخليج وكانت من قبل مجرد بساتين وأراضى زراعية فحكرت وتكونت الخطط غربى الخليج وأصبح الخليج نفسه ينتصف القاهرة بعد أن كان يمثل حدها الغربى . (٣)

وفى العصر العثمانى اكتظ شاطئا الخليج بالمنشآت المدنية والدينية ذات المناظر والمقاعد الحافلة بالمشربيات وشغل الخرط الرائع ، وكانت تطل مباشرة على الخليج بل كانت أساساتها بمثابة أرصفة للخليج ، وقد صور لنا الرحالة تلك المنشآت والبيوت على الخليج أبدع تصوير .

القناطر على الخليج :

نظراً للنمو العمرانى الكبير للقاهرة فى العصر المملوكى حين حكرت الأحكار على الضفة الغربية للخليج أن كثر إنشاء القناطر عليه لتوصل إلى غرب القاهرة ، وكان لتلك القناطر والتى يعود أغلبها للسلطان الناصر محمد بن قلاوون أثرها الكبير فى تعجيل ونمو وازدياد التعمير بسرعة على الضفة الغربية للخليج التى كانت معظم أراضيها بساتين وحقول ، وقد كانت هذه القناطر موضع تنزه القاهريين فى العصرين المملوكى والعثمانى .

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٤٣ .

(٢) ابن سعيد ، المغرب ص ٣١ -٣٢ ، المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٤٤ .

(٣) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١١٣ - ١٢١ .

وقد بلغ عدد القناطر على الخليج فى العصر المملوكى حتى منتصف القرن ٩ هـ / ١٥ م ، ١٤ قنطرة حسب حصر المقريزى [(١)] ، واستجدت ٤ أخر فى العصر العثمانى ، كما استجدت ٦ قناطر فى عصر أسرة محمد على وبذلك يكون مجموع القناطر على الخليج حتى ردم ٢٤ قنطرة .

ومن هذه القناطر الأربعة عشرة التى ذكرها المقريزى واحد فقط أنشئت فى عهد الفاطميين وأربع أنشئت فى عهد الأيوبيين ، وتسع قناطر فى عهد المماليك ، واحد منها ترجع لـلظاهر بيبرس وسبع للناصر محمد بن قلاوون وواحد ترجع لولده الصالح صلاح الدين .

وأحياناً كانت تقام القناطر وتندثر ولا يقام مكانها أخرى ، وكان للسلطان الغورى فضل كبير فى تعمير معظم هذه القناطر ، كذلك أعيد ترميم كثير من هذه القناطر على يد الحملة الفرنسية . [(٢)]

وكانت مادة بناء هذه القناطر الأحجار المهذبة ، وكانت أغلبها تتكون من عقد واحد وبعضها من اثنين أو ثلاثة ، وهذه العقود كانت ذات قطاع مدبب . [(٣)] .

وقبل أن نستعرض تلك القناطر لابد من الاشارة إلى أول قنطرة أنشئت على الخليج وهى قنطرة عبدالعزيز بن مروان ، والتى لم يكن لها وجود فى العصر المملوكى .

قنطرة عبدالعزيز بن مروان :

ذكر المقريزى نقلاً عن القضاعى أنها كانت تقع فى طرف الفسطاط بالحمراء القصوى ، بناها عبدالعزيز بن مروان والى مصر فى سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م ، وموضعها خلف السبع سقايات على فم الخليج الكبير ، وكان المرور على هذه القنطرة بين الحمراء القصوى وجنان الزهرى . [(٤)]

ويمثل موضع هذه القنطرة الآن نقطة كانت على الخليج مواجهة لـشارع بنى الأزرق ، المتفرع من شارع الخليج المصرى (شارع بور سعيد حالياً) .

---

(١) الخطط ، جـ ٢ ص ١٤٦ .

(٢) الجبرتى ، عجائب الآثار جـ ٢ ، ص ٤٣٤ .

(٣) جومار ، وصف مدينة القاهرة ص ١٦٦ .

(٤) الخطط ، جـ ٢ ص ١٤٦ .

* وخطط السبع سقايات هو الذى عرف بحكر أقبغا فى العصر المملوكى ومكانه اليوم المنطقة التى فيها حارة السيدة زينب وفروعها وما يقع بجنوبها من أرض جنينة ناميش بالسيدة .

* أما جنان الزهرى فيمثل موضعها اليوم منطقة المبتديان والناصرية بالسيدة زينب .

وقد كان بناء هذه القنطرة أمر هام استحق تسجيل المؤرخين لنص انشائها فسجلوه . [1]

وقد حدثت عدة عمارات لهذه القنطرة ففى سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م زاد فيها تكين أمير مصر حينئذ ، ثم زاد فى بنائها الأخشيد فى سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م . [2]

ثم عمرت كذلك فى أيام الخليفة الفاطمى العزيز بالله سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م ، وهذه القنطرة هى التى كانت تفتح عند السد ويجرى الاحتفال عندها عند وفاء النيل زمن الخلفاء الفاطميين [3] ، فلما انحسر النيل عن ساحل مصر فى العصر الأيوبى اهملت هذه القنطرة وضاعت معالمها بعد ذلك . [4]

أما القناطر الموجودة زمن المماليك فهى كالتالى مرتبة من الجنوب للشمال :

قنطرة السد :

كانت هذه القنطرة تصل بين البر الشرقى للخليج حيث كان خط الحمراء قديماً بالبر الغربى الذى يقع به بستان الخشاب حيث منشأة المهرانى التى تؤدى القنطرة إليها . [5]

ومكان هذه القنطرة الآن على شارع الخليج المصرى فى النقطة التى يتلاقى فيها مع شارع على باشا ابراهيم (شارع مدرسة الطب سابقاً) .

وقد أنشأ هذه القنطرة الملك الصالح نجم الدين ايوب فى سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م [6] ، وكان

---

(١) كتب على هذه القنطرة «هذه القنطرة أمر بها عبدالعزيز بن مروان . اللهم بارك له فى أمره كله وثبت سلطانه على ما ترضى وأقر عينه فى نفسه وحشمه آمين وقام ببنائها سعد أبو عثمان وكتبه عبدالرحمن فى صفر سنة تسع وستين» . المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٤٦ .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٤٦ .

(٣) ابن ايبك الدواداری ، كنز الدرر جـ ٦ ص ١٧٥ ، القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٠٣ ، المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٤٦ ، السيوطى ، حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣٨٨ .

(٤) محمد رمزى ، تعليقة على النجوم الظاهرة جـ ٧ ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٥) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٤٦ .

* وعن بستان الخشاب انظر ما سبق ص ٥١ ، وعن منشأة المهرانى انظر ما سبق ص ٤٦ .

(٦) ذكر المقريزى فى الخطط ، جـ ٢ ص ١٤٦ «أن الملك الصالح انشأ قنطرة السد فى اعوام بضع واربعين وستمائة» .
ويبدو أن المقريزى لم يكن قد توصل إلى التاريخ الصحيح لانشائها أما فى كتابه السلوك ، جـ ١ ص ٣٠٥ ، فقد عدل المقريزى تاريخ انشاء القنطرة بعد أن توصل إليه بالضبط فقال : «أنه فى رابع عشر محرم ٦٣٨ هـ شرع السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب فى بناء القنطرة التى على الخليج الكبير المجاور لبستان الخشاب والتى تعرف اليوم بقنطرة السد خارج مدينة مصر» .
وهذا التاريخ هو ما ذكره ابن المقفع فى كتابه تاريخ بطاركه الكنيسة المصرية جـ ٤ ص ١٠٨ .

لهذه القنطرة عـقدان وقد انشائها [١] ، وقد عرفت بأسم قنطرة السد بـسبب وجود السد الترابى الذى بعمل سنوياً فى هذا المكان حتى تنتهى زيادة النيل إلى ١٦ ذراعاً فيفتح حينئذ . [٢]

قنطرة السد فى العصر العثمانى :

حدث تعديل معمارى على الـقنطرة فى العصر العثمانى نتيجة للإصـلاحات التى كانت تتم دائماً للقناطر فأصبحـت ذات عقـد واحـد ، كمـا صـوره لنا الرحالة نوردون فـى رسمه للاحتفال بكسر سد الخليج . [٣]

كذلك ذكر فى محاضر لجنة حفظ الآثار العربية أن هـذه القنطرة تتكون من عقد واحد سيتنى من الحجر يرجع لـلعصر العثمانـى إذ وجد على جسم القنطـرة أسدان منحوتان برداءة تشـبه الأسود التى كانت على سور مجرى العيون ، وتم نقلها لمتحف الفن الإسلامى . [٤]

وقد وقع نيبور هذه القنطرة فى خريطته باسم قنطرة الجنينة [٥] ورمز لها بالحرف b كما وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية بـاسم قنطرة الجير برقم ٢٧٨ فى المربع Y14 ، كما عرفـت فى القرن ١٩ م باسم قنطرة الماوردى نسبة لضريح سيدى محمد المواردى المجاور لها . [٦]

قناطر السباع :

تلى هذه القنـاطر قنطرة السد ، وكانت تصل بـين خط السبع سقايات من جهـة الحمراء القصوى وجانبها الآخر من جهة جنـــان الزهـرى [٧] . ومكانهـا الآن بميدان السيـدة زينب وقد وقعها نيبور فى خريطته ورمـز لها بالحرف c ، كما وقعت فى خريطة الحملة الفـرنسية وكانت عبارة عن قنطرتين الأولى برقم ١٦٢ فى المربعين U 12, 13 وتصل بين شارع السد وشارع الكومى ، والقنطرة الثانية برقم ١٦٠ فى المربع U 12 وتصل بين شارع مراسينا (الجسر الأعظم) وشارع الكومى، وبقيت هذه

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٤٦ .

(٢) نفسـه .

(٣) Nordon, Voyage D'Egypte et De Nubia PLXVLL

(٤) محاضر لجنة حفظ الآثار العربية المجموعة ٤ لسنة ١٨٩٧ م ص ١٥٠ .

(٥) ذكر سامى نوار فـى رسالته «المنشآت المائـية» ص ١٢٥ «ان نيبور سماها قـنطرة فم الخليج» ولكن الـصحيح هو أن نيبور وقعها باسم قنطرة الجـنينة ، وكذلك ذكر الباحث أنها وقعت فى خريطة الحملة الفـرنسية باسم قنطرة فقط ، ولكن الصحيح أنها وقعت باسم قنطرة الجير .

(٦) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم ، جـ ٦ ص ٣٨١ .

(٧) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ١٤٦ .

القناطر موجودة ومعروفة بأسم قنطرة السيدة زينب الذى دخل فيه جزء من شارع الكومى وجزء من شارع مراسينا .[1]

وأول من أنشأ قناطر السباع السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ونصب عليها سباعاً حجرية لأنه كان متخذاً الفهد (السبع) رنكاً (شعاراً) له ، ولهذا قيل لهذه القناطر قناطر السباع [2] ، وكانت منذ إنشائها لأول مرة تتكون من أكثر من عقد حيث قيل لها قناطر وليس قنطرة، وقد عرف الحى الذى به حينئذ خط قناطر السباع وظلت هذه التسمية مستخدمة فى العصرين المملوكى والعثمانى ، ثم عرف بعد ذلك بحى السيدة زينب نسبة لجامع وضريح السيدة زينب .

ثم حدثت عمارة جديدة لقناطر السباع فى زمن الناصر محمد بن قلاوون على يد والى القاهرة شاد الجهات الأمير علاء الدين على بن حسين المروانى فهدمها وأعاد بنائها من جديد نقصر ارتفاعها ووسعها قدر عشرة أذرع [3] ، وكان الفراغ منها فى شهر جمادى الأول ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م .[4]

وقد حدث ترميم معمارى لقناطر السباع فى زمن السلطان قانصوه الغورى حيث أمر فى شهر صفر ٩١٧ هـ / ١٥١١ م بعمارتها لما تشعثت وآل أمرها إلى السقوط [5] ، وقد تعرضت قناطر السباع للتخريب على يد المماليك فى المعارك بينهم وبين العثمانيين فى محرم ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م [6] ثم عمرت بعد ذلك .

---

(١) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ص ١٩١ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ١٤٦ ، السلوك ، جـ ١ ص ٦٣٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ص ١٩١ .

(٣) ذكر المؤرخون أن السلطان الناصر محمد أمر بهدم تلك القناطر واعادة بنائها ليزيل السباع الحجرية التى هى رنك الظاهر بيبرس وحينئذ تنسب القناطر إليه مثلما كان يفعل دائماً فى محو آثار من تقدمه من الملوك حتى يخلد ذكره هو وتعرف الآثار به ، لذلك افتعل الملك الناصر سبباً لعمل ذلك وهو شكواه من تألم ظهره من ارتفاع القناطر حين يعبر إليها فى طريقه للميدان الناصرى الذى عمله على النيل فى موضع بستان الخشاب حيث موردة البلاط ، ولما هدمت القناطر وأعيد بناؤها من جديد لم توضع عليها السباع الحجرية ، لذلك تحرك الحس السياسى للعامة للتكلم فى ذلك الموضوع وكثر اللغط بينهم ، لذلك أخبر الأمير الطنبغا الماردانى الناصر محمد بما يقوله العامة من تعمده إزالة آثار الملك الظاهر لذلك تضايق الناصر محمد فأمر بإعادة السباع على القنطرة مرة أخرى وظلت كذلك حتى شوه صورها الشيخ محمد صائم الدهر مثلما فعل بوجه أبو الهول . أنظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧ . ، السلوك ، جـ ٢ ص ٣٨٥ . ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ص ٣٠١ .

(٤) المقريزى ، نفسه .

* بينما ذكر الشجاعى فى كتابه تاريخ الملك الناصر ص ١٨ «انه انتهى من بناء القناطر فى سنة ٧٣٨ هـ .

(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ص ٢١٥ .

(٦) نفسه ، جـ ٥ ص ١٥٤ .

وقد ذكر «النابلسى» فى رحلته التى زار فيها مصر سنة ١١٠٥ هـ / ١٦٩٤ م قناطر السباع وكانت السباع لا تزال موجودة عليها فقال . . فمررنا على المكان المسمى بقناطر السباع فوجدنا هناك صورة سبعين اثنين من الحجارة على قناطر لها بالخليج استدارة (١) . وقد ظلت قناطر السباع قائمة حتى ردمت مع الخليج سنة ١٨٩٨ م .

قنطرة عمر شاه :

تلى هذه القنطرة قناطر السباع وكانت تقع أمام حارة عمر شاه (٢) التى بالجانب الغربى للخليج المواجهة لجامع تمراز (أثر رقم ٢١٦) الذى يقع بالجانب الشرقى للخليج شمال ميدان السيدة زينب .

وقد أنشأها الأمير عمر شاه (٣) حوالى سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م (٤) ، وقد وقعت هذه القنطرة فى خريطة نيبور ورمز لها بالحرف d ، كما وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ١٠٥ فى المربع T 11 ، وظلت موجودة حتى ردمت مع الخليج سنة ١٨٩٨ م ، وكانت تسمى قنطرة عمارشة تحريفاً لكلمة عمر شاه .

قنطرة طقزدمر «قنطرة درب الجماميز» :

تلى هذه القنطرة قنطرة عمر شاه وكانت تقع على الخليج تجاه مدخل شارع قنطرة درب الجماميز الموصل إلى حارتى السلطان الحنفى والهياتم (٥) جنوب شارع مجلس الشعب بحوالى ٢٠ متراً .

---

(١) الحقيقة والمجاز ، ص ٢١٥ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ١٤٧ ، محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٨٥ .

(٣) تولى الأمير عمر شاه عدة وظائف هامة فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون وأولاده الذين حكموا بعده ، منها وظيفة سلاح دار ووظيفة الحاجب وآخر مناصبه نائب حماه التى عزل عنها فى شهر ذى القعدة سنة ٧٦٩ هـ / ١٣٦٨ م ولم تذكر أخبار عنه بعد تلك السنة انظر :

* المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ص ١٤٥ ، ١٦٠ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ص ٣٨٤ - ٣٨٥ ، جـ ١ ق ٢ ص ٤٣ ، ٦٠ ، ٧٦ . ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ .

(٤) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم ، جـ ١٠ ص ٢٨٥ .

* لم يذكر المقريزى تاريخ انشاء هذه القنطرة .

(٥) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ص ١٩٥ .

وقد أنشأها الأمير طقزدمر [١] على الخليج حوالى سنة ٧٣٠هـ ليعبر منها إلى حكره بالبر الغربى للخليج [٢] .

وقد اشتهرت هذه القنطرة أيضاً باسم قنطرة درب الجماميز نسبة لوجود أشجار عظيمة من الجميز معروفة بجماميز السعدية كانت موجودة منذ العصر المملوكى [٣] ، وقد وقعت فى خريطة نيبور ورمز لها بحرف e كما وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٤٧ فى المربع R-10، وظل هذه القنطرة موجودة على الخليج حتى ردمت معه سنة ١٨٩٨م .

قنطرة آق سنقر :

تلى هذه لاقنطرة قنطرة عمر شاه ، وقد ذكر المقريزى عنها أنها " يتوصل إليها من خط قبو الكرمانى ومن حارة البديعيين التى تعرف اليوم بالحبانية ويمر من فوقها إلى بر الخليج الغربى" . [٤] ومكانها اليوم على شارع الخليج تجاه مدخل شارع اسماعيل باشا أبو جبل (شارع درب الحجر سابقاً) [٥] .

---

(١) الأمير طقز دمر الحموى الكرمانى نائب السلطنة بديار مصر ودمشق فى سلطنة الناصر محمد قلاوون ، وكان له بجانب حكره دار كبيرة على بركة الفيل محلها الان المدرسة الخديوية وقد مات طقز دمر فى ليلة الخميس مستهل جماد الآخرة سنة ٧٤٦هـ .

المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ١١٦ ، ١٤٧ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٤٣ .

(٢) حكر الأمير طقز دمر ذكره المقريزى فقال "هذا الحكر كان بستاناً مساحته نحو الثلاثين فداناً فاشتراه الأمير طقز دمر الحموى نائب السلطنة بديار مصر والشام ، وأذن للناس فى البناء عليه فحكروه وأنشأوا به الدور الجليلة واتصلت عمارة الناس فيه بسائر العمائر من جهاته وأنشأ الأمير طقز دمر فيه أيضاً على الخليج قنطرة ليمر عليها من خط المسجد المعلق إلى هذا الحكر ، وصار هذا الحكر مسكن الأمراء والأجناد وبه السوق والحمامات والمساجد وغيرها ، وهو مما عمر فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون" .

الخطط ، جـ ٢ ص ١١٦ .

* وهذا الحكر يساوى ٤٠ فداناً بفدان هذه الأيام ويشغل مكانه الآن المنطقة التى تحد شمالاً بسكة سوق مسكة ومن الغرب بشارع الناصرية ومن الجنوب بحارة قوارير وعطفة مرزوق ، وهذا هو الحد الفاصل قديماً بين هذا الحكر وبين حكر قوصون ومن الشرق بشارع الخليج المصرى بالقاهرة انظر :

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ص ٩٣ ، محمد رمزى ، تعليقه على النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٩٥ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ١١٥ .

(٤) الخطط ، جـ ٢ ص ١٤٧ .

* يمثل خط قبو الكرمانى الآن شارع درب الجماميز .

(٥) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ص ٢٠٩ .

وقد عمرها الأمير آق سنقر [١] حوالى سنة ٧٢٥هـ ، عندما أنشأ جامعة على البركة الناصرية بسويق السباعين [٢] .

وقد وقعت بخريطة نيبور ورمز لها بحرف f ، كما وقعت بخريطة الحملة الفرنسية برقم ٦٩ فى المربع P 10 وقد اختصر اسمها إلى قنطرة سنقر فقط .

قنطرة باب الخرق :

تلى هذه القنطرة قنطرة آق سنقر ، وكانت تقع فى نقطة تلاقى محور شارع تحت الربع بشارع الخليج بميدان باب الخلق [٣] .

وكان موضع هذه القنطرة ساحلاً وموردة للسقائين فى أيام الخلفاء الفاطميين ، وقد أنشأ هذه القنطرة الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م [٤] ليمر عليها إلى الميدان السلطانى الذى أنشأه بأرض اللوق وعمر به المناظر ، وكانت تعرف بقنطرة باب الخرق [٥]

---

(١) هو الأمير آق سنقر احد امراء الناصر محمد ، تقلد عدة مناصب منها شاد العمائر السلطانية أى المباشر لعمارات السلطان فاقام بها مدة فاثرى ثراءاً كبيراً ثم عزل وصودر وأخرج إلى حلب ، ثم نقل منها إلى دمشق فمات بها سنة ٧٤٠هـ ، وهو صاحب جامع آق سنقر بالناصرية الذى كان قد أوقف عليه عدة أوقاف وكان قد أنشا أيضاً داراً جليلة وحمامين بخط البركة الناصرية اندثرت الآن وكان حمام منهما عامراً فى القرن الماضى كما ذكر على مبارك.
انظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٣٠٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ١ ص ٣٩٣ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ص ٩٤ .

(٢) جامع آق سنقر كان يعرف بالجامع الأخضر ويعرف الآن بجامع سيدى محمد أبو طبل بمنطقة حارة السقايين . عنه ، انظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٣٠٩ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(٣) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ١١ ص ٧٦ ـ ٧٧ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ١٤٧ .
* يذكر ابن المقفع فى كتابه " تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية " جـ ٤ ، ص ١٤٤ ، أنها انشئت سنة ٦٤٠هـ .

(٥) قيل لهذه القنطرة باب الخرق لأنها كانت تجاه أرض زراعية واقعة على الجانب الغربى للخليج وكانت هذه الأرض تخترقها الرياح لاستوائها فعرفت القنطرة باب الخرق .
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ١٤٧ .
* وكان الميدان الذى فيه القنطرة يعرف بميدان باب الخرق ، ونظراً لاستهجان كلمة الخرق استبدلت هذه الكلمة فى أيام الخديوى اسماعيل واطلق على الميدان اسم ميدان باب الخلق لكثرة ازدحام الناس المارين فيه كما اطلق على القنطرة قنطرة باب الخلق .
أنظر : محمد رمزى ، تعليقه على النجوم ، جـ ١١ ص ٧٦ .

وقد وقعت هذه القنطرة فى خريطة نيبور ورمز لها بحرف h ، كما وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ١٥ فى المربع M 9 ، كما وقع باب الخلق نفسه برقم ١٦ فى المربع M 9

وقد بقيت هذه القنطرة فى مكانها على حالها إلى أن فتح شارع محمد على (القلعة حالياً) سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م . وكان على باشا مبارك ناظراً على ديوان الأشغال فى ذلك الوقت فهدمت القنطرة وعملت بدلها قنطرة جديدة فى عرض شارع محمد على [١] ثم ما لبث أن ردمت مع ردم الخليج بعد ذلك .

قنطرة الأمير حسين :

تلى هذه القنطرة قنطرة باب الخرق ، وهى تقع بباب الخلق تجاه مدخل حارة الأمير حسين [٢] التى تقع بالجانب الغربى لشارع الخليج فى مواجهة شارع الاستئناف الذى يقع شمال محكمة جنوب القاهرة الابتدائية حالياً .

وقد أنشأها الأمير حسين [٣] فى أواخر سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩ ليتوصل منها إلى جامعة [٤] الذى كان قد أنشأه قبلها بشهور بحكر جوهر النوبى [٥] غربى الخليج ، ثم عقب بناء الجامع والقنطرة فتح

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ص ٧٩ .
أمين سامى ، تقويم النيل ، جـ ٣ ص ١٠١٩ ، ١١٧٩ .

(٢) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ص ٦٣ .

(٣) هو الأمير حسين بن اسماعيل بن جندر بك الرومى ، كان من كبار الامراء أيام الناصر محمد بن قلاوون ، وقد توفى سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٩ م ودفن بجامعة . انظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٤٧ ، ١٤٧ ، ٣٠٧ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ص ٥٠ ـ ٥١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ص ٢٧٦ .

(٤) جامع الأمير حسين انشىء سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م ، وهو يقع بحارة الأمير حسين المتفرعة من شارع الخليج (بورسعيد) بالمناصرة ، وهو مسجل أثر رقم ٢٣٣ ، وكان متهدماً فى القرن الماضى فجددته لجنة حفظ الآثار العربية، وهو مبنى على نظام الجوامع ذات الاروقة والصحن فمسقطه يتكون من صحن أوسط وبايوان القبلة ثلاثة أروقة ورواق حول كل ضلع من الاضلاع الثلاثة الأخرى للصحن ، وللجامع مئذنة وقبة دفن بها الامير حسين . انظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٤ ص ٢٠٣ .
كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ، الكراسة الثانية ، التقرير التاسع ، سنة ١٨٨٤م ، ص ٢٩ ـ ٣٠
Creswell Brief Chronology , BIFAO XVI (Le Caire 1919) P.95

(٥) حكر جوهر النوبى ذكر عنه المقريزى أنه كان يقع تجاه حارة الوزيرية من بر الخليج الغربى شرقى بستان العدة المعروف اليوم بغيط العدة بباب الخرق ومازال بستاناً إلى سنة ٦٦٠هـ / ١٢٥٩م فحكر وبنى أيام الظاهر بيبرس وعرف بجوهر النوبى أحد أمراء الملك الكامل الأيوبى ، وقد كان هناك طريقاً يصل الحكر من عند جامع الامير حسين إلى حارة الوزيرية عند قنطرة الامير حسين . الخطط ، جـ ٢ ص١١٩ .
* ويمثل هذا الحكر الآن منطقة الناصرة فى المسافة المحصورة بين شارع الأزهر شمالاً وشارع سامى البارودى جنوباً .

الأمير حسين خوخة [1] فى سور القاهرة الغربى على رأس حارة الوزيرية ليسهل لـه المرور من بيته بحارة الوزيرية فيعدى على قنطرته ليصل إلى جامعه ، وقد أعقب فتح تلك الخوخة أحداث جسام جرت على الأمير حسين . [2]

وقد وقعت هذه القنطرة بخريطة نيبور ورمزلها بحرف i ، كما وقعت بخريطة الحملة الفرنسية تحت رقم ١٠ فى المربع L 9 ، وقد ردمت مع ردم الخليج عندما ردم الجزء الأول منه من جهة قنطرة غمره إلى ميدان باب الخرق سنة ١٨٩٧م . [3]

قنطرة الموسكى :

تلى هذه القنطرة قنطرة الأمير حسين وكانت تقع عند نقطة التقاء شارع الخليج بشارع الموسكى .

وقد أنشأها الأمير عز الدين موسك قريب السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وقد توفى هذا الأمير بدمشق يوم الأربعاء ١٨ شعبان سنة ٥٨٤هـ ، وكان من أهل العلم والخير . [4]

---

(١) الخوخة فى العصر المملوكى كانت تطلق على باب من الابواب الصغيرة فى سور المدينة أو على رأس الدروب والأزقة داخل المدينة ، كما كانت تطلق على باب صغير يتوسط بوابة كبيرة من أبواب المدينة يستخدم للاستعمال اليومى فيستغنى عن استعمال الباب الكبير ، وكانت مثل هذه الخوخ نجدها فى بوابات الحصون والأسوار والخانات والوكائل والقصور وغيرها من المبانى .

* وكانت خوخة الأمير حسين هذه فى سور القاهرة الغربى على رأس حارة الوزيرية ومكانها اليوم على رأس شارع الاستئناف فى الزاوية الشمالية الغربية لمبنى محكمة جنوب القاهرة الابتدائية (محكمة الاستئناف سابقاً) بباب الخلق ، وكان شارع الاستئناف هو مدخل حارة الوزيرية التى تقع بدرب سعادة . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٠٤٧ ، السلوك جـ ٢ ص ٠٢١٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ص ٦٣ ٠ ، عبد اللطيف ابراهيم ، الوثائق فى خدمة الاثار ، ص ٣٩٧ ـ ٠٣٩٨

(٢) بعد أن أنشأ الأمير حسين جامعة وقنطرته استأذن الملك الناصر محمد بن قلاوون أن يفتح فى سور القاهرة الغربى المشرف على الخليج خوخة على رأس حارة الوزيرية حيث كان يسكن حتى يسهل الوصول وتقرب المسافة بين بيته بالوزيرية إلى جامعة بالبر الغربى للخليج عبر قنطرته فاذن له الناصر فى فتح الخوخة فى السور باباً كبيراً وعمل عليه رتكه ، وفى احدى جلساته أغاظ والى القاهرة الامير علم الدين سنجر الخازن بأنه قد فتح خوخة بعد أن منعه آنفاً قبل أن يستأذن الناصر محمد ، فاغتاظ والى القاهرة وسعى بالوشاية لدى الملك الناصر محمد فاوغر صدره حيث ذكر أن الأمير حسين فتح باباً كباب زويلة تشبهاً منه بالسلاطين ، فغضب الناصر غضباً شديداً ، ورسم بنفى الأمير حسين وأن لا يبيت بالقاهرة منذ ذلك اليوم فنفى من يومه فى محرم سنة ٧٢١هـ إلى دمشق . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٦ ـ ٤٧ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٢١٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٦٣ .

(٣) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم ، جـ ٩ ، ص ٦٣ .

(٤) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٤٧ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ص ٨٣ .

وقد وقعت هذه القنطرة بخريطة نيبور ورمز لها بحرف l كما وقعت كذلك فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٢٣٥ فى المربع I-9

قنطرة باب القنطرة :

تلى هذه القنطرة الموسكى وكانت تقع على الخليج أمام مدخل شارع أمير الجيوش الجوانى (شارع مرجوش) .

وقد تسمت بهذا الاسم لأنها تقع أمام باب القنطرة (١) وعلى الرغم أن الباب سابق فى إنشائه لإنشائها إلا أنه تسمى باسمها فيما بعد ولا ندرى اسمه القديم .

وهذه القنطرة هى ثانى قنطرة عملت على الخليج بعد قنطرة عبدالعزيز بن مروان ، وقد أنشأها جوهر الصقلى سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م ليعبر البر الغربى ليصل إلى المقس وأرض الطبالة أثناء استعداداته لرد غزو القرامطة خارج القاهرة .

وقد ذكر "المقريزى" أن هذه القنطرة كانت عالية بحيث تمر المراكب من تحتها أما فى أيامه فصارت قريبة من أرض الخليج لا يمكن للمراكب العبور من تحتها وتسد بأبواب خوفاً من دخول الزعار إلى القاهرة (٢) ، وهذا يدل على أن الاعتماد فى النقل والتنزه فى ذلك الوقت صار للخليج الناصرى .

وفى اهتمام الغورى بالمتنزهات اهتم بهذه القنطرة فرممها وعلاها سنة ٩١٧هـ / ١٥١١ بحيث تسير المراكب من تحتها كما كانت أول عهدها . (٣)

وقد وقعت هذه القنطرة على خريطة نيبور ورمز لها بحرف m تحت اسم القنطرة الجديدة مما يدل على حدوث ترميم أو اعادة بناء لها فى منتصف القرن ١٢هـ / ١٨م تقريباً ، ووقعت كذلك بنفس الأسم (القنطرة الجديدة) فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٢٦٠ فى المربع G-8 وقد وقعت بحذائها سكة القنطرة الجديدة برقم ٥٦ فى المربع G - 8

ومما يجدر الاشارة إليه هنا هو أن المؤرخ " ابن عبدالظاهر" ذكر أن السلطان قلاوون بنى قنطرة

---

(١) باب القنطرة كان أحد ابواب القاهرة فى سورها الغربى الذى أقامه جوهر الصقلى سنة ٣٦٠هـ ، ثم لما اقام صلاح الدين اسوار جديدة للقاهرة سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٥م عمل السور الغربى للقاهرة غرب السور الاول لمسافة ٢٥ متراً وأقام به باباً جديداً باسم باب القنطرة أيضاً فى مواجهة الباب القديم على بعد ٢٥ متراً منه .

وكان هذا الباب على رأس شارع أمير الجيوش الجوانى بجوار سبيل سليمان جاويش (أثر رقم ١٦٨) ، وقد هدم الباب قاسم باشا الذى كان محافظاً للقاهرة أيام على باشا مبارك . انظر :

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ص ٦٥ .

(٢) المقريزى الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ القلقشندى صبح الأعشى جـ٣، ص ٣٠٣ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ .

على الخليج بمباشرة الأمير علم الدين المنصورى ، وانجزت عمارتها فى جمادى الآخر سنة ٦٨٤ هـ ، وعن مكانها قال أنها بين باب الخوخة وبين القنطرة . (١)

ونقول أن باب الخوخة هذا هو أحد أبواب القاهرة فى سورها الغربى وأصله فاطمى وكان واقعاً على رأس قبو الزينة من جهة شارع بين النهدين تجاه جامع القاضى يحيى زين الدين (٢)، (أثر رقم ١٨٢)

أما القنطرة المذكورة فالمقصود بها قنطرة باب القنطرة التى كانت تقع أمام شارع أمير الجيوش .

فبناءاً على ذلك فإن قنطرة قلاوون هذه أغلب الظن المقصود بها قنطرة الموسكى لأنها كانت تقع بين باب الخوخة وبين القنطرة إذ ربما تكون قد هدمت وضاعت معالمها فبنى قلاوون هذه القنطرة مكانها .

أما الاحتمال الثانى فإن المقصود ربما يكون قنطرة أخرى فى منتصف المسافة أى شمال قنطرة الموسكى بقليل ، وأن هذه القنطرة قد اندثرت أيام المقريزى فلم يذكرها .

قنطرة باب الشعرية (الخروبى) :

تلقى هذه القنطرة قنطرة باب القنطرة ، وكانت تقع على الخليج بجوار جامع العدوى (٣) الذى كان على رأس شارع سكة الفجالة وكانت هذه القنطرة خارج أسوار القاهرة ويسلك إليها

---

(١) ابن عبدالظاهر (محيى الدين أبو الفضل عبد الله) ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م - تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ط ١ ، القاهرة ١٩٦١م ، ص ١١٦ .

(٢) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الظاهرة ، جـ ١١ ، ص ١٤٢ .

(٣) كان جامع العدوى موجوداً إلى وقت قريب بشارع الخليج المصرى وهو موقع على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية على الضفة الغربية للخليج مباشرة ، وقد أزيل أثناء توسيع شارع الخليج على يد " ابراهيم بعدادى " عندما كان محافظاً للقاهرة .

* ومما يجدر ذكره هنا هو أن " على باشا مبارك" قد تخبط فى نسبة هذا الجامع ، ففى الخطط التوفيقية جـ ٣ ص ٢٥٦ ذكر الجامع على أنه هو زاوية الشيخ خضر بن أبى بكر بن موسى المهرانى العدوى شيخ السلطان الملك الظاهر بيبرس .

* وفى جـ ٥ ص ١١٥ عدل نسبته فنسبه إلى الشيخ عيسى العدوى المدفون به والمدفون معه الشيخ الخروبى .

* وفى جـ ٦ ص١٠٨ ذكر موضعاً آخر لزاوية الشيخ خضر دون أن يشير إلى خطأه السابق فى الجزء الثالث فقال أن الشيخ خضر مدفون فى زاوية العصياتى التى بشارع البغالة من الحسينية تجاه الدور المطلة على بركة جناق على يسره المار على باب حارة درب عجور إلى الخليج .

* أما زاوية الشيخ خضر فقد قال عنها المقريزى فى خططه (جـ ٢ ص ٤٣) "أن هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل تشرف على الخليج الكبير ، عرفت بالشيخ خضر بن أبى موسى المهرانى العدوى شيخ الملك الظاهر بيبرس ، بناها له الظاهر فى سنة ٦٦٠ هـ ودفن الشيخ خضر بها فى سنة ٦٧٦هـ .

* وقد حقق المرحوم " محمد رمزى" مكان زاوية الشيخ خضر أيضاً فقال " يتضح مما ذكر بالمصادر الخاصة بهذه=

من باب الفتوح وكانت تصل إلى البر الغربى للخليج حيث أرض الطبالة وكانت تعرف أيام المقريزى بقنطرة الخروبى . [١]

ولم يذكر المقريزى منشىء هذه القنطرة ولكن المرجح أنها من أعمال صلاح الدين على يد وزيره بهاء الدين قراقوش حين مد سور القاهرة الشمالى فى سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م إلى المقس حيث بنى برجاً على النيل بجوار جامع المقسى (جامع أولاد عنان المعروف الآن بجامع الفتح بميدان رمسيس حالياً) .

وقد فتح بهذا السور الشمالى بابين أولهما هو باب الشعرية [٢] الذى كان يقع غرب جامع العدوى قاطعاً شارع سوق الجراية ، والباب الآخر هو باب البحر [٣] الذى كان يقع على رأس شارع فم باب البحر .

وقد قام السلطان الغورى بعمارة هذه القنطرة فرممها سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م وعلاها مقدار ثلاثة أذرع وجعلها ثلاثة عقود . [٤]

أما فى بداية العصر العثمانى فقد ذكر "ابن اياس" فى حوادث شهر ذى الحجة سنة ٩٢٤هـ /

= الزاوية انها كانت واقعة بزقاق الكحل خارج باب الفتوح وعلى الجانب الشرقى من الخليج المصرى تجاه أرض الطبالة، وأنها كانت بالقرب من جامع الظاهر بخط الحسينية وانها كانت موجودة لغاية القرن العاشر الهجرى بدليل أن الشيخ عبدالوهاب الشعرانى الذى توفى سنة ٩٧٣هـ قال : أن قبر الشيخ خضر ظاهر يزار . وبالبحث عن موقع زقاق الكحل يتبين لى من المصادر الصريحة أن مكان هذا الزقاق اليوم الطرق الذى يسمى فى مصلحة التنظيم سكة الظاهر ، وعلى السنة العامة شارع المنسى فيما بين ميدان الظاهر وضريح المنسى . وبالبحث فى سكة الظاهر عن مكان زاوية الشيخ خضر تبين لى أنها اندثرت ودخلت فى المساكن ومكانها اليوم المربع القائم عليه المنزلان رقما ٢٩، ٣١ الواقعان فى نهاية شارع الامبابى من الجهة الشرقية على يسار الداخل من سكة الظاهر فيما بين هذه السكة وشارع الخليج المصرى "..

* ويبدو مما سبق ان تحقيق " محمد رمزى " أكثر دقة من تحقيق على مبارك ، وعلى أية حال فإن زاوية الشيخ خضر كانت على الضفة الشرقية للخليج فى نقطة على شارع سكة الظاهر .

وللشيخ خضر هذا مواقف هامة وطريفة مع السلطان الظاهر بيبرس ، وعن ذلك بالتفصيل انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ .

(١) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(٢) عرف باب الشعرية بباب العدوى وقد وقع فى خريطة الحملة الفرنسية بباب العدوى برقم ٣٩٨ فى المربع D-8 بجوار زاوية العدوى رقم ٣٩٦ ، وكان هذا الباب موجوداً وموقعاً على خريطة القاهرة التى رسمها جران بك مدير التنظيم سنة ١٨٧٤م ، وقد هدم سنة ١٨٨٤م بمعرفة الضبطية لخلل فى مبناه ، انظر : محمد رمزى ، تعليقه على النجوم ، جـ ١١ ، ص ٢٣٠ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٧٩ .

(٤) بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٢١٥ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

١٥١٨م أن ملك الأمراء خاير بيك رسم لوالى القاهرة بسد قناطر الخروبى الثلاثة بالحجر الفص النحيت على حساب السكان الذى بيوتهم فوق السور فسدت . [١]

وقد وقعها نيبور بخريطته ورمز لها بحرف O وسماها قنطرة الخروبى كما وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٣٩٦ فى المربع D - 8 ، وَيبدو أنها جددت فى العصر العثمانى بحيث صارت ذات عقد واحد بعد أن كانت ثلاثة ، وقد عرفت فى القرن ١٩م باسم قنطرة العدوى . [٢]

القنطرة الجديدة :

تلى هذه القنطرة قنطرة باب الشعرية ، وكان يتوصل من هذه القنطرة من زقاق الكحل وخط جامع الظاهر إلى أرض الطبالة وإلى منية السيرج وغير ذلك [٣] ، ويمثل موقعها الآن نقطة تقاطع شارع الظاهر مع شارع الخليج المصرى .

وقد أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م عندما انتهى من حفر الخليج الناصرى الذى كان يصب فى الخليج المصرى عندها . [٤]

وقد عرفت هذه القنطرة فى العصر العثمانى باسم قنطرة الظاهر ووردت بهذا الاسم فى خريطة نيبور ورمز لها بحرف P ، وقد وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية باسم القنطرة الجديدة Pont Nouvelle برقم ٣٩٣ فى المربع A - 7 ، كما عرفت باسم قنطرة الامبابى لوقوعها عند دار الشيخ الامبابى أحد مشايخ الأزهر السابقين ، وقد شاهدها محمد رمزى حتى

---

(١) نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢٨٥ .

(٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٥٦ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

* ذكر المقريزى أيضاً انه " كان ما على جانبى الخليج من القنطرة الجديدة هذه إلى قناطر الأوز التى تليها عامراً بالأملاك ثم خربت شيئاً بعد شىء بعد سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٩ وفحش الخراب هناك منذ كانت الشراقى فى زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين فى سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م ، فلما غرقت الحسينية بعد سنة الشراقى خربت المساكن التى كانت شرقى الخليج فيما بين القنطرة الجديدة وقناطر الأوز وأخذت أنقاضها وصارت هذه البرك الموجودة الآن " .

* إلا أننا نجد أن العمارة عادت إلى تلك المنطقة بكثافة فيما بعد زمن المقريزى ، وعمرت بالكامل فى العصر العثمانى وصارت أعمر أخطاط القاهرة .

ولمزيد من التفاصيل انظر :

أمل المصرى ، حى الحسينية فى العصرين المملوكى والعثمانى ، ماجستير مخطوطة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، سنة ١٩٩٠م .

ردمت مع الخليج سنة ١٨٩٧م . [١]

قناطر الأوز :

تلى هذه القنطرة القنطرة الجديدة ، وكانت تصل بين الحسينية شرقاً إلى أرض البعل التى يمثلها الآن حى الشرابية ومهمشا غرباً [٢] ، ويمثل موقعها الآن نقطة على شارع الخليج المصرى تجاه حارة قنطرة الظاهر [٣] .

وقد أنشأ هذه القناطر الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م على يد الأمير قدادار والى القاهرة فى ذلك الوقت إلى جانب عدة قناطر أخر مثل قنطرة الأميرية وقنطرة الأمير قدادار وذلك بمناسبة حفر الخليج الناصرى واتصاله بالخليج الكبير [٤] ، وقد كانت هذه القنطرة من أحسن متنزهات مصر فى العصر المملوكى [٥] .

وقد وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٣٩٤ فى المربع A - 7 ، وذكرها 'على مبارك' وقال أنها كانت تتكون من عقدين ـ لهذا قيل قناطر ـ وكانت تتبع محافظة القليوبية آنذاك [٦] ، وقد ردمت مع الخليج فى الجزء الأول منه من غمره إلى باب الخلق سنة ١٨٩٧م .

قناطر بنى وائل :

تلى هذه القناطر قناطر الأوز ، وكانت تقع على الخليج فى الزاوية الحمراء [٧] فى النقطة التى يمثلها الآن مدخل حى الزاوية الحمراء من شارع بورسعيد (الخليج المصرى سابقاً) .

وقد أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م ، وقد عرفت بقناطر بنى وائل نسبة إلى بنى وائل وهم إحدى قبائل العربان التى كانت بمصر

---

(١) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٨٣ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

(٣) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٨٣ .

* وقد ذكر الاستاذ رمزى هنا أن هذه القناطر كانت تسمى أيامه قنطرة الوزة وقد تسمت الحارة المواجهة لها بحارة قنطرة الظاهر من قبل مصلحة التنظيم وهى تسمية خاطئة لأن قنطرة الظاهر كانت تطلق على القنطرة الجديدة التى تقع جنوبها بحوالى ١٨٠م وكانت تقع أمام جامع الظاهر بيبرس .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

(٥) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(٦) الخطط التوفيقية ، جـ ١٩ ، ص ٤٣ .

(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٢٨٠ .

بحـدود مدينة القاهرة فى العصر المملوكى ، وكانت منازلهم شرق الخليج [١] ولهذا تسمى الحى الذى كانوا به حى الوايلية (الوايلى) نسبة لهم . [٢]

وكانت هذه القناطر من أحسن متنزهات مصر فى العصر المملوكى حسبما أشاد بذلك "المقريزى" . [٣]

وذكر "على مبارك أن هذه القناطر تعرضت للهدم عند حفر ترعة الاسماعيلية وبنيت قناطر أخرى بالقرب منها [٤] ، ولكنها ردمت الآن .

قنطرة الأميرية :

تلى هذه القنطرة قناطر بنى وائل ، وهى آخر القناطر على الخليج الكبير من ضواحى القاهرة وكانت تقع على الخليج فى ضاحية الأميرية فيما بينها وبين المطرية [٥] عند التقاء شارع السواح بشارع الخليج المصرى (بورسعيد) . .

وقد أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥ م بمشارفة الامير قدادار والى القاهرة ، وكان يتم عندها سد الخليج وقد كان يفتح فى يوم النوروز ـ وهو أول السنة القبطية ـ ويقوم بفتحه والى القاهرة ليروى الأراضى على جانبيه . [٦]

هذه هى الأربعة عشر قنطرة التى كانت القاهرة وضواحيها فى العصر المملوكى ، وكان هناك قنطرة أخرى بناحية سرياقوس أنشأها الناصر محمد أيضاً سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م ، وقد رممت معظم هذه القناطر على يد السلطان الغورى كما رممت بعضها على يد الحملة الفرنسية .

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

(٢) الوايلى هذا الذى على الخليج بجوار القصيرين والزاوية الحمراء غير حى الوايلى الذى بجوار العباسية .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

(٤) الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ٦٦ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

* وقد ذكر المرحوم " محمد رمزى " فى تعليقه على النجوم ، جـ ٩ ، ص ٨٣ " أن هذه القنطرة قد تجددت فى مكانها ولا تزال قائمة على الخليج تجاه قرية الأميرية إحدى قرى ضواحى القاهرة ، وفى شمالها على بعد ستة كيلو مترات . هذا مع العلم أن الخليج المصرى قد ردم من فمه داخل مدينة القاهرة ومابقى منها لايزال موجوداً فى محاذاة ترعة الاسماعيلية من الجهة الشرقية ومستعملاً لرى الأراضى الواقعة عليه " .

* والآن زال هذا الجزء الباقى من الخليج وبنيت هذه الأراضى الزراعية عن آخرها .

(٦) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٨٣ .

القناطر التى أنشئت فى العصر العثمانى :

استجدت فى العصر العثمانى ٤ قناطر ، هى قنطرة فم الخليج ، والقنطرة الجديدة (قنطرة الذى كفر) ، وقنطرة الحفنى ، وقنطرة الشعرانى .

قنطرة فم الخليج :

كانت هذه القنطرة تقع على بعد عدة أمتار من فم الخليج وأغلب الظن أن الذى أنشأها هو الأمير عبدالرحمن كتخدا فى الوقت الذى أنشأ فيه القنطرة الجديدة (قنطرة الذى كفر) وقد وقعت بهذا الأسم فى خريطة نيبور الذى زار مصر بين سنتى ١١٧٥ و ١١٧٦ هـ / ١٧٦١و ١٧٦٢م (١) ورمز لها بالحرف a .

ومنذ بناء هذه القنطرة صار الاحتفال بكسر سد الخليج يتم عندها إلى جانب الاحتفال عند قنطرة السد .

القنطرة الجديدة " قنطرة الذى كفر" :

كانت هذه القنطرة تقع بين قنطرة سنقر وقنطرة باب الخرق ، وموضعها كان أمام شارع رحبة عابدين (شارع مصطفى عبدالرازق حالياً) غربى شارع الخليج .

وقد ذكرها على مبارك "ولكنه لم يتوصل إلى منشئها (٢) ، وقد أنشأها الأمير "عبدالرحمن كتخدا" سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦٢م ، وهى السنة التى بنى فيها مسجد الشيخ رمضان بشارع رحبة عابدين ، كما أنه قد أنشأ أيضاً قصراً ورباطاً (أثر رقم ٤٣٦) بحارة عابدين لذلك بنى تلك القنطرة لتوصله إلى هناك . (٣)

وقد وقعت هذه القنطرة بخريطة نيبور ورمز لها بحرف 9 وسماها قنطرة عبدالرحمن كتخدا ، كما وقعت باسم القنطرة الجديدة على خريطة الحملة الفرنسية برقم ٢٨ فى المربع 9- O (٤) ، وقد

---

(١) اعتقد الأستاذ " محمد كمال السيد " خطأ أن هذه القنطرة من انشاء أسرة محمد على وعدها من القناطر التى أنشئت فى عهدهم ، وربما يرجع سبب ذلك إلى عدم رجوعه إلى كتاب وخريطة نيبور .

انظر : أسماء ومسميات ، ص ٨٨ ـ ٩٠ .

(٢) الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٨٤ .

(٣) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٤٩٣ .

(٤) وقعت هذه القنطرة على خريطة الحملة الفرنسية بالاسم العربى El Guedideh بينما وقعت القنطرة الجديدة التى بالظاهر بالترجمة الفرنسية Pont Nouvelle بالاضافة الى ذلك فقد اطلقوا اسم " القنطرة الجديدة " أيضاً على القنطرة التى أنشأها عبدالرحمن كتخدا وعرفت بعد ذلك بقنطرة الشعرانى .

عرفت هذه القنطرة فى عصر أسرة محمد على بقنطرة الذى كفر وقد دارت بسبب تلك التسمية محاورات طريفة .[1]

قنطرة الحفنى :

كانت هذه القنطرة تقع على الخليج بين قنطرة الأمير حسين وقنطرة الموسكى على بعد أمتار قليلة إلى الجنوب من تقاطع شارع الأزهر بشارع الخليج (بورسعيد) .

وقد أنشأها الأمير عبدالرحمن كتخدا للشيخ الحفنى[2] بجانب الجامع الذى أنشأه له ، وكذلك الدار المجاورة له[3] ، وكان الجامع مسجلاً برقم ٤٥١ فى فهرس وخريطة القاهرة للآثار الإسلامية إلا أنه قد أزيل أثناء توسيع شارع الخليج .

قنطرة الشعرانى :

كانت هذه القنطرة تقع على الخليج بين قنطرة الموسكى وقنطرة باب القنطرة أمام شارع الخرنفش . وقد توصلت إلى منشىء هذه القنطرة وهو على كتخدا باش اختيار عزبان ، من نص أورده المؤرخ "أحمد شلبى" يذكر فيه أن على كتخدا أتم فى شعبان سنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م ، مسجده الذى بدرب اتمار ؟ وصلوا فيه وكذلك الصهريج والمكتب الذى علوه تجاه القنطرة الجديدة التى أحدثها تجاه منزله الذى بحارة الأفرنج .[4] وحارة الافرنج تقع غربى الخليج مواجهة شارع الخرنفش .

القناطر التى أنشئت فى عصر أسرة "محمد على" حتى ردمت سنة ١٨٩٨م :

(١) قنطرة القصر العينى بين قنطرة السد وقناطر السباع .

(٢) قنطرة شاهين بك (باشا بعد ذلك) بين قنطرة عمر شاه وقنطرة طقزدمر .

---

(١) انظر تلك المحاورات فى حاشية الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٨٤ ـ ٨٧ . وحاشية النجوم جـ ١١ ، ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(٢) هو شمس الدين محمد بن سالم الحفناوى أو الحفنى نسبة إلى حفنا التابعة لمركز بلبيس بمحافظة الشرقية حيث ولد بها سنة ١١٠٠هـ ، وقد تولى مشيخة الأزهر الشريف سنة ١١٧١هـ / ١٧٥٧ ، وهو الشيخ الثامن له ، وقد توفى ليلة السبت ١٧ ربيع الأول سنة ١١٨١هـ . وكان جليل القدر وقد ترجم له الجبرتى ترجمة وافية انظرها بالتفصيل فى : عجائب الآثار ، جـ ١ ص ٣٣٩ ـ ٣٥٤ .

(٣) نفسه ، ص ٤٩٢ ، ٤٩٣ .

(٤) أوضح الاشارات ، ص ٥٩٢ .

(٣) قنطرة ثابت باشا بين قنطرة باب الخرق وقنطرة الأمير حسين .

(٤) قنطرة المفتى بين قنطرة الأمير حسين وقنطرة الحفنى .

(٥) قنطرة بين السورين بين قنطرة الموسكى وقنطرة الشعرانى .

(٦) قنطرة سكة حديد السويس بين قناطر الأوز وقناطر بنى وائل .

الخليج الناصرى

سبب حفره :

لما عمر الناصر محمد بن قلاوون عمائره العظيمة بسرياقوس سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م ، التى تشتمل على خانقاة بها مائة خلوة لماة صوفى ويجانبها جامع تقام فيه الجمعة ومكان برسم ضيافة الواردين وحمام ومطبخ وقصور للأمراء ، وجعل هناك ميداناً يسرح إليه ويتربص فيه بديلاً عن ميدان القبق ، وكذلك كان الناصر قد ترك النزول إلى المسطبة التى بناها لمطعم الطيور والجوارح بقرب بركة الحبش ، فصارت سرياقوس حينئذ متنزهاً كبيراً جديداً له ، لذا تراءى للناصر محمد حفر خليج من النيل لتمر فيه المراكب إلى سرياقوس محملة بالغلال وغيرها لذا أمر بحفر الخليج الناصرى . [١]

خطة عمل الخليج الناصرى:

كان لابد من عمل خطة عمل لحفر الخليج الناصرى ، لذا فقد كلف الناصر الأمير سيف الدين أرغون نائب السلطنة بالإشراف على حفر الخليج ، فجمع أرغون المهندسين وأرباب الخبرة ودرسوا وعاينوا وخططوا مسار الخليج واستقر رأيهم أن يكون فم الخليج فى موضيع غائر على النيل فى موردة البلاط ، وأن يمر الخليج بموضع الميدان الظاهرى الذى كان الناصر محمد قد حوله الى بستان ، ثم يمر بعد ذلك إلى خط بركة قرموط ثم ظاهر باب البحر ويمر من هناك على أرض الطبالة فيصب فى الخليج الكبير . [٢]

عرض الأمير أرغون تلك الخطة على الناصر محمد فوافق عليها وأمر سار أمراء الدولة بإحضار الفلاحين من البلاد الجارية فى إقطاعاتهم وكذلك كتب إلى ولاة الأعمال بجمع

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٢٦١ .

الرجال لحفر الخليج ، فباشر الأمير أرغون نائب السلطنة العمل بالمشروع ومعه الحجاب وتم قياس مسافة الخليج كلها وألزم كل أمير بحفر جزء منه .[1]

ويدأ العمل فى أول شهر جمادى الأولى سنة ٧٢٥هـ ، واضطروا إلى هدم الدور والأملاك القائمة فى مساره من جهة باب اللوق إلى بركة قرموط ، وكذلك حفر فى البساتين التى تعترض مساره ومنها بستان نائب السلطنة نفسه ، وتم تعويض أصحاب الأملاك عما تضرروا منه[2] ، وتم إنجاز الحفر فى آخر جمادى الآخرة سنة ٧٢٥هـ أى أن العمل أنجز فى مدة شهرين فقط ، وجرى الماء عند زيادة النيل ، وسر السلطان لذلك سروراً كبيراً فأقام احتفالاً كبيراً بهذه المناسبة فى سرياقوس وأنعم على المشايخ والأمراء والموالى بإنعامات عظيمة وأموال كثيرة .[3]

الأثر العمرانى لحفر الخليج :

نتج عن حفر الخليج تغيير كبير فى عمران القاهرة ، فقد اشترى الناس الأراضى حوله من بيت المال مما ساهم فى إنماء موارد الدولة ، وكذلك غرست الأشجار فيها وصارت بساتين جليلة ، وأخذ الناس فى العمارة على جانبى الخليج فعمرت مناطق كثيرة فعمر مابين المقس وساحل النيل ببولاق ، واتصلت العمائر على الخليج من أوله موردة البلاط الى مصبة بأرض الطبالة وزرعت البساتين وراء تلك العمائر وتنافس الناس فى السكنى هناك ، وأنشئت المساجد والأسواق والحمامات حتى ازدهر العمران ازدهاراً عظيماً .[4]

وكانت النتيجة غير المباشرة لحفر الخليج أن صار متنزها كبيراً للقاهرة والقاهريين فصار كما يقول " المقريزى" ... موطن أفراح ومنازل لهو ومغنى صبابات وملعب أتراب ومحل تيه وقصف بما يمر فيه من المراكب وفيما عليه من الدور" .[5]

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ . ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ٨١ . ابن ايبك الدوادار ، كنز الدرر ، جـ ٩ ، ص ٣١٥ .

(٤) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ :

(٥) نفسه .

مسار الخليج الناصرى :

حدد المقريزى مسار هذا الخليج ايامه بأنه يبدأ من موردة البلاط ويسير إلى الميدان الظاهرى الذى جعله الملك الناصر بستاناً ويمر من البستان الى بركة قرموط حيث ينتهى الى ظاهر باب البحر و يمر من هناك على أرض الطبالة فيصب فى الخليج الكبير .(١)

وهذا المسار يمثله الآن نقطة التقاء شارع كورنيش النيل بشارع عائشة التيمورية (شارع الوالدة باشا سابقاً) حيث كان فمه ، ثم يسير فى شارع عائشة التيمورية الى أن يتقابل مع شارع القصر العينى فيسير بجانبه أو فى مساره إلى أن يتقابل مع شارع الشيخ ريحان وينعطف إلى الشرق ويسير قاطعاً شارع يوسف الجندى (التوفيقة سابقاً) فشارع عرابى ثم شارع رمسيس مخترقاً ميدان رمسيس حتى يصل إلى المستشفى القبطى ثم ينعطف من هناك شرقاً حتى يصل إلى شارع خليج السطوابة فشارع الظاهر حتى ينتهى إلى شارع الخليج المصرى (بورسعيد الآن) حيث كان يصب هناك .(٢)

وبدراسة خريطة الحملة الفرنسية ن جد أن جزءاً من الخليج من فمه حتى منطقة الوزارات بباب اللوق حالياً غير موقع بالخريطة . إذ ينتهى الخليج دون أن يصل إلى فمه ، ويؤكد ذلك جومار أيضاً حيث ذكر أن الخليج الناصرى يتفرع من الخليج الكبير(٣) ، ويؤكد هذا وذاك أن الخليج موقع كذلك مقطوعاً فى خريطة بوكوك الذى زار مصر سنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٣م ، وكذلك فى خريطة نيبور التى سبق الحملة ايضاً لأنه زار مصر بين سنتى ١١٧٦ - ١٧٦١ - ١٧٦٢م .(٤) .

وقد ردم هذا الجزءمن الخليج فيما بين سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩ وسنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٣م لأنه موقع كاملاً الى منبعه بمورده البلاط بخريطة الرحالة باجاتو المرسومة سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م .

وكان يتفرع من الخليج الناصرى ترع صغيرة لرى الحقول والبساتين على جانبيه كما كان يخرج منه ترع صغيرة أو خلجان تغذى عدد كبير من البرك منها بركة الناصرية وبركة الازبكية وبركة الفوالة وبركة قرموط وبركة الرطلى .

وقد ردم هذا الخليج كله فى عهد الخديوى اسماعيل .

---

(١) الخطط ، جـ٢ ص١٤٥ .

(٢) محمد رمزى ، تعليقة على النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص٨٠ .

(٣) وصف مدينة القاهرة ، ص٨٦ .

(٤) اعتقد كثير من الباحثين مثل المرحوم "محمد رمزى" ، و"سامى نوار" ، و"د. ايمن فؤاد" أن الخليج كان يصب فى النيل وقت الحملة الفرنسية على مصر ، وهذا الاعتقاد خاطئ كما ذكرت أعلاه إذ أنه كان مقطوع الاتصال بالنيل قبل الحملة بأكثر من خمسين عاماً .

الأسماء التى اطلقت على الخليج الناصرى :

عرف هذا الخليج فى العصر المملوكى باسم الخليج الناصرى نسبة الى منشئة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وفى العصر العثمانى أطلقت على أجزاء الخليج عدة تسميات شأنه فى ذلك شأن التسميات التى أطلقت على الخليج الكبير ، فأطلق عليه خليج المغربى [١] حتى بركة الرطلى وقد وقع بهذا الاسم فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ١٢٨ فى المربعين M,N-16 وأطلق عليه خليج الطوابة [٢] من أول بركة الرطلى حتى مصبه وقد وقع بهذا الاسم فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٤٣٦ فى المربع A - 9

القناطر التى أنشئت على الخليج الناصرى :

أنشئت على الخليج الناصرى ٥ قناطر وهى مرتبة من الجنوب للشمال كالتالى :

(١) قنطرة الفخر .

(٢) قنطرة قدادار .

(٣) قنطرة الكتبة .

(٤) قنطر باب البحر .

(٥) قنطرة الحاجب .

قنطرة الفخر :

كانت هذه القنطرة تقع بجوار فم الخليج بجوار مورده البلاط من أراضى بستان الخشاب برأس

(١) سمى الخليج باسم المغربى نسبة إلى صلاح الدين يوسف بن المغربى الذى كان رئيساً للأطباء ، وكان قد عمر جامعاً على الخليج الناصرى وبنى بجواره قبة ، وقد توفى ابن المغربى عن عمر كبير يوم الاربعاء ١٨ جمادى الآخر سنة ٧٧٦هـ . انظر :

المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٣٢٨ ، السلوك ، جـ٣ ص٢٤٩ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ، ق٢ ، ص١٤٠

* ومن الجدير بالذكر أن ضريح ابن المغربى لا يزال موجوداً حتى الآن فى مدخل العمارة رقم ٣٠ بشارع عدلى (المغربى سابقاً) والجامع مندثر الآن وكان المقريزى قد ذكر انه كان فى طريقة للاندثار أيامه حيث أنه قد تخرب بخراب خط بركة قرموط فى مطلع القرن ٩ هـ.

* وقد ذكر الاستاذ محمد كمال السيد فى كتابه اسماء ومسميات ص٢٧٩ ـ ٢٨٠ أن وفاة ابن المغربى كانت سنة ٧٥٦هـ ، ولكن الصحيح سنة ٧٧٦ هـ.

(٢) كان يمتد على الخليج عدة تلال تنتج من الطين الناتج من تنظيف الخليج ومنها تل الطوابة هذا الذى كان يعمل منه الطوب ، و قد وقع فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٤٢٥ ، فى المربع A - 8

الميدان الـناصرى [١] ، ويمثل موقعها اليوم تقاطع شارع دار الشفـاء بشارع عائشة التيموريقة (الوالدة باشا سابقاً) ، وهـى أول قنطرة عمرت على الخليـج ، وقد أمر الناصر محمد بانـشائها تحت اشراف ناظر الجيش القاضى فخر الدين محـمد فضل الله بن خروف القبطى [٢] فى سنة ٧٢٥ هـ عند انتهاء حفر الخليج الناصرى . [٣]

قنطرة قدادار:

كانت هذه الـقنطرة على الخليـج الناصرى بأرض اللوق ، وكـانت تقع تجاه ميدان الملـك الظاهر بيبرس الذى جعلـه الملك الناصر محمد بن قلاوون بسـتاناً فى سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م[٤] ، ويمـثـل موقعها اليوم بشارع يوسف الجندى (الحوياتى سابـقاً) قرب تلاقية بشارع صبرى أبو علم (شارع جامع شركس سابقاً) حيث كان الخـليج يمر فى تلك الجهة [٥] ، وقد أمر النـاصر محمد ببناءهـا مع حفر الخليج بإشراف الأمير قدادار [٦] والى القاهرة .

وكانت هـذه القنطرة مبـنية من عقد واحـد وقد تعرضت لـلتخريب من المـماليك لتمـنع وصول العثمانيين لـهم فى المعارك بينهم بالقاهـرة فى محرم سنة ٩٢٣ هـ[٧] ، وقد رممـت بعد ذلـك عدة

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٤٨ ، ابن ايبك ، كنز الدرر جـ٩ ص٣٢١ .

(٢) ذكر المقريـزى أن الفخر هذا قد توفـى فى شهر رجب سنة ٧٣٢ هــ عن عمر يناهـز السبعين عاماً وقـد تمكن من الرياسة تمكناً كبيراً . انظر :
الخطط جـ٢ ، ص١٤٨ .

(٣) نفسه ، محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص٨٢ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٤٨ .

(٥) محمد رمزى ، تعليقة على النجوم الزاهرة ، جـ٩ ص٨٢ .

(٦) قدادار هذا هو الأمير سـيف الدين قدادار الذى توقى فى الخدمة زمـن الناصر محمد بن قلاوون ومن مـناصبة التى تولاها توليته لولاية الغربية ثم صار والياً على البحـيرة ثم على القاهرة سنة ٧٢٤هـ ، وقد كان متشدداً فى احكامه رتصريفة لأمور الولاية حتى هابـته العامة فى القاهرة، ومن أعماله محاربة الخمر والحشيـش بالقاهرة وقمعه لجشع التجار ، إلا أنه كان سفاكـا للدماء ، وقد عزل عن ولاية القاهرة سنة ٧٢٩ هـ، رقد تـوفى فى يوم ١٦ صفر سنة ٧٣٠ هـ . انظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٤٨ ـ ١٥٠ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٣ ، ص٢٤٤ .
* وقد خلدت مصلحة التنظيم اسم قدادار بإطلاقة على شارع متفرع من شارع محمد محمود خلف ميدان التحرير .

(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص١٥٣ .

ترميمات آخرها ترميم الحملة الفرنسية لها [١] ، وقد وقعت بخريطة الحملة الفرنسية باسم قنطرة المدابغ برقم ٣٥٨ فى المربع M - 16 [٢]

قنطرة الكتبة :

كانت هذه القنطرة على الخليج الناصرى بخط بركة قرموط ، وعرفت بذلك الاسم لكثرة من كان يسكن هناك من الكتاب [٣] . ويمثل موقعها اليوم نقطة تقاطع شارع طلعت حرب مع شارع ٢٦ يوليو [٤] .

وقد أنشأها القاضى شمس الدين عبدالله بن ابى سعيد الشهير بغبريال ناظر الدولة فى سنة ٧٢٥ هـ . [٥]

وقد كانت تعرف فى أواخر العصر المملوكى وأوائل العصر العثمانى باسم قنطرة العسرا [٦] ، وقد وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية بأسم قنطرة المغربى برقم ٣٦٠ فى المربع I - 15 فى تقاطع الخليج الناصرى الذى يمثله فى هذه المنطقة شارع طلعت حرب مع الشارع الذى شقه "لوبير" مهندس الحملة الفرنسية ليصل الأزبكية ببولاق ويمثله الآن شارع ٢٦ يوليو .

---

(١) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٤٣٤ .

(٢) تمركزت المدابغ وصناعة الجلود فى منطقة باب اللوق ابتداءاً من مطلع القرن الحادى عشر الهجرى ، السابع عشر الميلادى بعد انتقالها من حى الداودية جنوبى غرب باب زويلة ، ويرجع اندريه ريمون السبب فى ذلك لبناء عدة آثار هامة بموضعها القديم مثل مسجد الملكة صفية (أثر رقم ٢٠٠) الذى بنى سنة ١٠١٩ / ١٦١٠م ، وكذلك مسجد البردينى (اثر رقم ٢٠١) الذى بنى سنة ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦م ، ومسجد الغمرى (أثر رقم ٤٢٦) انظر : Raymond, A., La Population du Caire, PP.210 - 211 .

ايمن فؤاد سيد ، مقدمه كتاب جومار (وصف مدينة القاهرة ، ص٤٣ ـ ٤٤) .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٠ .

*وقد أورد المقريزى أيضاً " .. وقد أدركنا الأملاك منتظمة بجانبى هذا الخليج من أوله بموردة البلاط إلى هذه القنطرة ، ومن هذه القنطرة ، ومن هذه القنطرة إلى حيث يصب فى الخليج الكبير ، فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة شرع الناس فى هدم ما على هذا الخليج من المناظر البهجة والمساكن الجليلة وبيع أنقاضها حتى ذهب ما كان على هذا الخليج من المنازل مابين قنطرة الفخر وآخر بركة قرموط وأصبحت موحشة بعدما كانت مواطن أفراح ومغنى صبابات" .

*ولكننا نجد أن القاهرة بعد المقريزى مرت بها أوقات عمرت فيها مرة أخرى أيام قايتباى والغورى وكذلك بعض فترات العصر العثمانى .

(٤) محمد رمزى ، تعليقة على النجوم ، جـ٩ ، ص١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٥) تولى هذا القاضى منصب ناظر الدولة سنتين من سنة ٧٢٤ هـ حتى سنة ٧٢٦ هـ، وقد مات بدمشق سنة ٧٣٢ هـ . انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٠ .

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٥٩ .

قنطرة باب البحر :

كانت هذه القنطرة يتوصل إليها من باب البحر [1] ويمر الناس من فوقها إلى بولاق وغيرها ، وهى مما أنشأه الناصر محمد بن قلاوون عند انتهاء حفر الخليج الناصرى فى سنة ٧٢٥هـ [2] ، وبدراسة خريطة الحملة الفرنسية ومطابقتها بخرائط القاهرة الحالية وجدت أنه يمثل موقعها الآن نقطة بميدان رمسيس فى مواجهة شارع كلوت بك [3] .

وقد عمرت هذه القنطرة عدة مرات فقد حدث أثناء سلطنة الملك الظاهر جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ ـ ١٤٥٣م) أن سطقت هذه القنطرة وهلكت طائفة ممن كان عليها وذلك يوم ٢٣ جمادى الأول سنة ٨٤٤هـ [4] ، وبعد بنائها مرة أخرى يبدو أنها تصدعت بعد ذلك فجدد عمارتها السلطان الملك الأشرف قايتباى . [5]

وقد وقعت هذه القنطرة فى خريطة الحملة القرنسية باسم قنطرة الليمون [6] برقم ٣٥٥ فى المربع D - 15 ، وكانت بجوار الشيخ المدبولى الموقع عليها برقم ٣٥٤ . وقد دخل الآن فى توسعات الميدان بعد ذلك .

---

(١) باب البحر هو أحد أبواب القاهرة التى بناها صلاح الدين عندما مد سور القاهرة الشمالى عند المقس (عند جامع الفتح واولاد عنان الآن) وذلك سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤م وهو الذى كان يعرف بأسم باب الحديد وكان يقع بمدخل شارع فم باب البحر فى امتداد شارع بين الحارات .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥١ .

(٣) ذكر المرحوم "محمد رمزى" أن قنطرة باب البحر كان موقعها ايامه "بأول شارع المدبولى تجاه عطفة المقس من جهة ميدان محطة مصر حيث كان الخليج يمر من هناك حينئذ . انظر :
تعليقه على النجوم ، جـ٩ ، ص١٨٣ .

* واقول هذه الأماكن التى ذكرها المرحوم "محمد رمزى" قد أزيلت ودخلت الآن فى نطاق ميدان رمسيس حالياً .

(٤) المقريزى ، السلوك ، جـ٤ ، ص١٢١٠ .

(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص٣٣٠ .

(٦) لما انشئت الترعة الاسماعيلية كان فمها يأخذ من النيل من ميدان عبدالمنعم رياض وكانت تسير بمحاذاة شارع رمسيس وبعد أن تخترق ميدان رمسيس تسير شمالاً إلى الأميرية ، وقد أقيم على هذه الترعة كوبرى للمرور بين ميدان باب الحديد وميدان محطة مصر عرف بكوبرى الليمون لقربة من قنطرة الليمون المذكورة ، وقد اندثر هذا الكوبرى بردم ترعة الاسماعيلية داخل القاهرة ونقل فمها إلى شبرا الخيمة ، وإلى هذا الكوبرى تنسب محطة كوبرى الليمون التى بميدان محطة مصر بالقاهرة . انظر :
محمد رمزى ، تعليقة على النجوم ، جـ٩ ، ص١٨٣ .
وأقول : عن قريب ربما ينسى اسم محطة كوبرى الليمون وذلك بعد الاستغناء عنها بعد أن ربط خط سكة حديد المرج بخط سكة حديد حلوان خلال مشروع مترو الأنفاق ، كما غلب اسم ميدان رمسيس على ميدان باب الحديد ومحطة مصر ، وسبحان الباقى الذى لا يتغير .

قنطرة الحاجب :

كانت هذه القنطرة تصل بين أرض الطبالـة إلى أرض البعل ومنية السيرج وغيرها [١] ، وبدراسة خريطة الحملة الفرنسية يتبين أن موقعها الآن عند تقاطع شارع الظاهر مع شارع البكرية .

وقد أنشأها الأمـير سيف الدين بكتـمر الحاجب [٢] سنة ٧٢٥ ، فـقد كان من المـفروض أن يمر الخليج الناصرى من الجرف الذى يمـثل موقعه الآن المنطقة التى بها المستشفى القـبطى ليسير شمالاً إلى أن يصب فى الخـليج الكبيـر عند طرف أرض البعـل حيث يمثل موقـعها الآن عند كوبـرى غمرة ، فالتمس الأمير بكتمـر من المهندسين المشرفين على حفر الخليج الناصرى أن يـسيروا بالخليج باتجاه فى محاذاة بركـة الرطلى التى كـانت تجرى فى إقطاعـه من ضمن أرض الطبـالة فتم ذلك وعمـل الأمير بكتمر جسراً بين البـركة والخليج وسمح بالبناء فيه وكان ذلك الجسر من أنـزه بقع القاهرة لأنه يشرف من ناحية على الخليج ، ومن الـناحية الأخرى على البركة [٣] . وقد كان لإنشاء قنـطرة الحاجب أثر كبير فى اتصال العمارة من بركة الرطلى إلى كوم الريش [٤] (الدمرداش حالياً) .

وقـد عرفـت قنطرة الحاجب فى الـعصر العثمانى بـاسم قنطرة البكـرية نسبة إلى بيوت وجـنينة وجامع السـادة البـكرية بجوارها ، وقد وردت بذلك الاسم فى خريطة الحملـة الفرنسية برقم ٤٢٤ فى المربع A - 8 .

خليج الذكر

يستفاد مما ذكره المقـريزى عن هذا الخليج [٥] ومما ذكره عنه ضمن كلامـه عن ميدان القمح [٦] أن هذا الخليج كـان فى أصله ترعة حفرت لأول مرة أيام كـافور الأخشيدى لرى بستان المقـس والبساتين الواقعة غربى الخليج .

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥١ .

* المقريزى ، أرض الطبالة الآن حى الفجالة وجزء من الظاهر أما أرض البعل فيمثلها الآن غمرة والشرابية ومهمشا أما منية السـيرج فما زالت تعرف بهذا الأسم وهى جزء من حى شبرا .

(٢) بكتمر الحـاجب هو الأمير سيـف الدين بـكتمر حاجب الحجاب وكـان من كبار الامراء فى دولة الناصـر محمد بن قلاوون وقد توفى سنة ٧٣٨هـ . انظر ترجمته كاملة فى :

المقـريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٦٤ ، ٦٥ ، ١٥١ ، ابن تغـرى بردى ، المنـهل الصافـى ، جـ٣ ، ص٣٨٦ ـ ٣٩٠، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٢ ، ص١١٧ .

* وقد خلط بن تغرى بـرد ى فى نسـبة قنطرة الحاجب حيث نـسبها للأمير بيبرس الحاجب بدلاً مـن الأمير بكتمر الحاجب . انظر :

المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص٤٧٥ .

(٣) المقريزى ، الخطط جـ٢ ، ص١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٤) نفسه .

(٥) الخطط ، جـ٢ ، ص١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٦) نفسه ، ص١٢٤ .

وكان فم هذا الخليج أول ما حفر على النيل مباشرة عند النقطة التى يمثلها الآن تلاقى شارع قنطرة الدكة الذى كان مسار الخليج بشارع عماد الدين الذى كان يمثل مسار مجرى النيل ، وكان الخليج يمتد بطول شارع قنطرة الدكة وما فى امتداده حتى مصبه آنذاك فى الخليج الكبير أمام منطقة الخرنفش حالياً .

وفى أيام الخليفة الفاطمى الظاهر بن الحاكم صار الخليج يصب فى بركة بطن البقرة (الازبكية فيما بعد) التى أمر الخليفة الظاهر بحفرها مكان بستان المقس وكانت البركة تقع أمام منظرة اللؤلؤة مباشرة . (١)

وقد وسع خليج الذكر فى أيام الملك الكامل الايوبى (٦١٥ ـ ٦٣٥ هـ/ ١٢١٨ ـ ١٢٣٨م) ثم وسع مرة أخرى فى أيام الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م) على يد الأمير شمس الدين الذكر الركراكى فعرف به (٢) .

وفى سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤م أمر الملك الناصر محمد بحفر خليج فم الخور وإيصاله بخليج الذكر لأن النيل كان فى ذلك الوقت منحسراً إلى الغرب فبعد عن فم خليج الذكر ، كما أمر الناصر محمد كذلك بتوسيع خليج الذكر ومده إلى الخليج الكبير فلما حفر آخر جمادى الآخرة سنة ٧٢٤هـ وجرى فيه الماء ، كادت القاهرة أن تغرق فاضطر الملك الناصر الى تركه فأمر بحفر الخليج الناصرى بدلاً منه . وقد أدرك "المقريزى" آثار هذا الخليج وقد نبت فيه القصب الفارسى وكذلك أخبره الشيخ المعمر حسام الدين حسين بن عمر الشهزورى بأنه كان يسبح فى خليج الذكر وأراه آثاره . (٣)

وقد اهتم بهذا الخليج مرة أخرى الأمير أزبك من ططخ عندما أعاد حفر بركة بطن البقرة فسميت باسمه ، لذلك حفر أزبك خليج الذكر مرة أخرى بعد أ ن تقلص حجمه وأصبح يخرج من الخليج الناصرى من عند تقابله بشارع قنطرة الدكة وتصب فى بركة بطن البقرة (الازبكية) وعرف حينئذ باسم خليج الازبكية ، كما جدد أزبك قنطرة الدكة التى كانت عليه . (٤)

قنطرة الدكة على خليج الذكر:

كان على خليج الذكر قنطرة عرفت بقنطرة الدكة نسبة للدكة التى كانت عند القنطرة ويجلس عليها المتفرجون أيام النيل ، وكانت أصولها ترجع الى العصر الفاطمى ، وقد عمرت هذه القنطرة

(١) نفسه ، ص١٤٥ .

(٢) نفسه .

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص١٤٥ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص١١٦ ـ ١١٧ .

مرة اخرى فى زمن الناصر محمد على يد الأمير بدر الدين التركمانى [١] فعرفت باسمه ، ثم أصبحت القنطرة معقودة على التراب بعد أن طم خليج الذكر بسبب الاستغناء عنه بحفر الخليج الناصرى . [٢]

ثم أعاد تعمير القنطرة الأمير أزبك عندما أعاد حفر الخليج وجعله يخرج من الخليج الناصرى ويصب فى البركة وعرف باسم خليج الأزبكية ، وقد وقعت هذه القنطرة فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٣٥٠ فى المربع F - 14 ثم إختفت القنطرة مع الخليج فى تطوير الأزبكية أيام الخديوى اسماعيل ، وكانت تقع عند التقاء شارع قنطرة الدكة مع شارع الجمهورية (ابراهيم باشا سابقاً) .

خليج فم الخور

أمر بحفر خليج فم الخور [٣] الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٤ هـ ليمد خليج الذكر بالماء لأن النيل كان قد انحسر عن خليج الذكر فأصبح لا يدخله الماء ، وكان فم هذا الخليج فى المكان الذى يمثله الآن ميدان عبدالمنعم رياض ، أما مجراه فيمثله الآن شارع رمسيس حتى يتقابل مع شارع قنطرة الدكة الذى كان مسار خليج الذكر .

---

(١) التركمانى هو الأمير بدرالدين محمد بن الأمير عيسى التركمانى ، كان من أجل أمراء الناصر محمد بن قلاوون وقد توفى بالمقس سنة ٧٣٨ هـ .

*وقد بنى الأمير التركمانى جامعاً كبيراً فى المقس لا يزال قائماً فى منطقة باب البحر بحارة التركمان (الترجمان) المتفرعة من شارع كلوب بك فيما بينه وبين شارع باب البحر ولذلك كان تعميره لتلك القنطرة القريبة من جامعة . المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣١٣ . على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص١٤٦ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ص١٥١ .

*وكانت هذه القنطرة من أحسن متنزهات القاهرة ، وقد قال فيها الشعراء كثيرا من الأشعار منها قول ابراهيم بن المعمار :

ياصالب الدكة نلت المنى	وفزت منها ببلوغ الطر
قنطرة من لوفها دكة	من تحتها تلقى خليج الذكر

(٣) الخور فى اللغة هو مصب الماء فى البحر ، وقيل هو خليج فى البحر ، والخور هو المطمئن الأرض، والخور هو المنخفض من الأرض بين مرتفعين .

انظر مادة "خور" فى القاموس المحيط للفيروز ابادى ، ولسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدى ، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية .

* وأرض الخور كانت هى الأرض المحصورة بين الخليج الناصرى وخليج فم الخور وجميع هذه الأرض كانت ضمن بستان ابن ثعلب ، وعرفت بالخور الصعبى لأنه كانت هناك مناظر تعرف بمناظر الصعبى تشرف على النيل ، وقد توفى الصعبى فى رمضان سنة ٦٠٣ هـ . انظر المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١١٩ ، ١٤٤ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٣٠ ، ٣٦٧ .

ولما فتح هـذا الخليج كادت القاهرة أن تـغرق لذا أمر الناصر محـمد بقطع خليج الـذكر حتى لا تغرق القاهرة ، وأمر حينئذ بحفر الخليج الناصرى فـلما حفر أصبح خليج فم الخور يصب فيه ليقوى جرى الماء فيه ويغزره . (١)

وكانت النقطة التى تمثل نقطة تلاقى كل مـن شارع عرابى وشارع قنطرة الدكة بشارع رمسيس هى نقطة التقاء الخلجان الثلاثة (٢) (فم الخور والذكر والناصرى) .

وقد أشاد المقريزى بما كان على جانبى هذا الخليج من العمائر والمساكن التى خرب أكثرها منذ سنة ٨٠٦ هـ ، كما ذكر أن هذا الخليج كان متنزهاً كبيراً . (٣) .

قنطرة المقس على خليج فم الخور:

أنشأ هذه القـنطرة الوزير الصاحب شمـس الدين أبو الفرج عبدالـله المقسى (٤) فى أيـام الملـك الأشرف شـبعان بن حـسين (٥) ، وكانت تقـع فى نقطة تقابـل شارع رمسيس مع شـارع ٢٦ يوليو مواجهة لقنطرة الكتبة . (٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ)

خليج قنطرة الفخر

ذكر المقريزى هذا الخليـج فقال : "هذا الخليج يبتدئ من الموضع الذى كـان ساحل النيل ببولاق وينتهى إلى حيث يصب فى الخليج الناصرى ويصب أيـضاً فى خليج لطيف تسقى منه عدة بساتين ، وكل من هذين الخليجين مـعمور الجانبين بالأملاك المطلة عليه والبسـاتـين ، وجميع المواضع التى تمر

---

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ .

(٢) محمد رمزى ، تعليقة على النجوم ، جـ٩ ، ص١٢٥ ، جـ١١ ، ص١٧٠ .

(٣) انظر ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٠ .

(٤) المقسى هو الوزير الصاحب شمس الدين أبو الفرج عبدالـله المقسى المتوفى فى اربع من شعبان سنة ٧٩٥ هـ ، وقد اخذ لقبة من المـقس أو المقسم لأنه هو الذى جدد جامع المـقس الذى كان من إنشاء الحاكم بأمـر الله ، فقد جدده حوالى سنة ٧٧٠هـ فنسب إليه ، كما هدم البرج الذى كان قراقـوش قد جعله بجوار الجامع وعمل مكانه جنينة ، وهذا الجامع كان قديماً يـطل على النيل فلما انحسر أصبـح يطل على الخليج الناصرى فى عهد الـدولة المملوكية ، وهذا الجامع نسـب بعـد ذلك إلى الشيخ محمد بن عنان صاحـب الطريقة العنانية المتوفى فـى شهر ربيع الأول سنة ٩٢٢هـ ، وقد أقيـم مكان الجامع الآن جامـع كبير يعرف بـأسم جامع الفتـح وأولاد عنان بميدان رمسـيس ، وقد اخذت أحجار الجامع القديم وبنى بها جامع السيدة عائشة . انظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٢٨٣ ، السلوك ، جـ٣ ، ص٧٩٣ ، علـى مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٦٩ ، جـ٤ ، ص١٢٧ ـ ١٢٩ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٠ .

بها الخليج الناصرى وأرض هذين الخليجين كانت غامرة بالماء ثم انحسر عنها الماء شيئاً بعد شئ ، وهذا الخليج حفر بعد الخليج الناصرى " (١)

وقد ذكر هذا الخليج المؤرخ "ابن ابى السرور البكرى" المتوفى سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م ، فقال " وهذا الخليج بالقرب من قنطرة الليمون وقد طم ودثر الآن " . (٢)

وبناءاً على ما ذكر وما حققه الأستاذ "محمد رمزى" (٣) نرى أن هذا الخليج كان فمه من النيل الحالى تجاه مدخل شارع اصطبلات الطرق ببولاق ثم تسير بالشارع المذكور إلى أن يتلاقى بشارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقاً) ومن هناك يسير إلى الشرق حتى يتلاقى بشارع رمسيس ربما عند تقابله بأول شارع عماد الدين حيث ذكر البكرى أنه كان بالقرب من قنطرة الليمون التى كانت بميدان رمسيس حالياً .

أما القنطرة التى كانت على هذا الخليج والذى تسمى بأسمها فقد بناها الفخر ناظر الجيش أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون . (٤)

وقد كان هذا الخليج هو وخليج فم الخور وخلجان أخرى صغيرة تساعد على تغذية الخليج الناصرى بالماء بالإضافة لدورها فى رى البساتين والأراضى الزراعية عليها .

خليج الزعفران المتفرع من الخليج الكبير

مما يجدر ذكره هنا أن نقول أنه كان يتفرع من الخليج الكبير خليج هام هو خليج الزعفران الذى ورد ذكره بالمصادر كمتنزه هام لسلاطين المماليك ، كما ورد ذكره بالوثائق مرتبطاً بجهة المطرية بوجه خاص . (٥)

ونستدل من كلام المؤرخين والوثائق (٦) أن هذا الخليج كان يتفرع من الخليج الكبير من منطقة القاهرة ويسير باتجاه الريدانية (العباسية) ويمثل مسار الخليج شارع العباسية الآن ، ويستمر فى مساره شمالاً فى شارع الخليفة المأمون الذى يعتبر

---

(١) الخطط ، جـ٢ ، ١٤٦ .

(٢) قطف الأزهار (مخطوط) ، ورقة ١٤٩ .

(٣) تعليقة على النجوم ، جـ٩ ، ص١٢٥ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣١١ .

(٥) انظر وثيقتى الغورى رقم /٥٠٥ ٥١٣ أوقاف .

(٦) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ١٠٢٧ . السخاوى ، تحفة الاحباب ، ص ١٤ ـ ١٦ . العينى ، عقد الجمان ، (بدون ناشر) ، ص٢٤١ .

امتداداً لشارع العباسية مخترقاً الأرض المقام عليها جامعة عين شمس [(١)] ، ويظل سائراً شمالاً مخترقاً أحياء منشية البكرى وسراى القبة والزيتون فالمطرية حيث كان يروى أرضها ، ربما كان منتهياً هناك ، أو كان متصلاً بخليج آخر ينتهى إلى الخليج الكبير أو إلى بركة الحاج .

وكان السلاطين يخرجون من باب النصر فيمرون بالحسينية فالريدانية فالمطرية حيث يجرى خليج الزعفران بتلك الجهات [(٢)] ، فيعسكرون هناك وأحياناً يقضون عدة أيام للترويح عن النفس على شاطىء الخليج لأن تلك الجهات كانت عبارة عن بساتين وأرض زراعية متصلة [(٣)] ، وكانوا يصبحون معهم كبار الأمراء والضيوف ، ويخرج لرؤية مواكبهم السلطانية العظيمة عامة أهل القاهرة .

ومن أكثر هؤلاء السلاطين تردداً هناك المؤيد شيخ [(٤)] والأشرف برسباى [(٥)] ، و الظاهر جقمق [(٦)] والظاهر خشقدم [(٧)] والأشرف قايتباى [(٨)] والأشف قانصوه الغورى [(٩)] .

---

(١) يمثل مبنى إدارة جامعة عين شمس قصر الزعفران الذى بناه الخديو اسماعيل وعرف بذلك الاسم نسبة لخليج الزعفران الذى كان يقع عليه .

(٢) ذكر الباحث "سامى نوار" فى رسالته المنشآت المائية ص١٥٣ أن خليج الزعفان هو نفسه الخليج الناصرى .

* وهذا الاعتقاد خاطئ حيث أن الخليج الناصرى كان يصب فى الخليج الكبير عند الظاهر بينما خليج الزعفران كان يجرى فى أرض الريدانية والمطرية .

(٣) كان لبعض السلاطين وكبار الأمراء بساتين مثمرة بالمطرية منهم المؤيد شيخ والأشرف برسباى والأشرف قانصوه الغورى ، نظر :

وثيقة المؤيد رقم ٩٣٨ أوقاف سطرى ٣٤٣ ـ ٣٤٤ نشر فهمى عبدالعليم ، المقريزى ، السلوك جـ٤ ، ص٧٦٦ .

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ١٤ ، ص٣١٢ . وثيقتى الغورى ٥٠٥ و٥١٣ أوقاف .

(٤) المقريزى ، السلوك ، جـ٤ ، ص٧٦٦ ، ٩١٠ ، ١٠٢٧ ، ١٠٣٧ . الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ٣ ص٤٠١ ، ٤٠٨ . ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٤ ، ص٣١٢ ، جـ١٥ ، ص٩٦ ، العينى ، عقد الجمان (نشر الزهراء) ، ص٤٠٣ . ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص١١٨ ، ١٥٤ ، ١٨٠ ، ١٨٤ .

(٥) المقريزى ، السلوك جـ٤ ، ص١٢٢١ ، العينى ، عقد الجمان (نشر الزهراء) ص٥٦٣ ، السخاوى ، التبر المسبوك، ص١٢٢ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٢ ، ص٢٢٧ ، ٢٥١ .

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص٤٤٢ .

(٧) الصيرفى ، ابناء الهصر ، ص٥٠ ، ١٥٧ .

ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص٢٧ ، ٤١ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٩٩ ، ١٢١ .

(٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٤ ، ص١٧١ ، ٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣١١ .

(٩) بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص٣١٨ ، ٣٢١ .

وذكر ابن اياس الذى أرخ لبداية الحكم العثمانى لمصر أن خاير بك كان يخرج لخليج الزعفران للتنزه [١] ، ولكن المصادر العثمانية لم تذكر شيئاً عن خليج الزعفران ، ولا ندرى متى ردم . [٢]

الخلجان الأخرى

حفرت فى العصر المملوكى عدة خلجان لتساهم فى ضبط النيل تجاه القاهرة منها الخليج الذى حفره الناصر محمد بالجزيرة الوسطى سنة ٧٣٨هـ . [٣]

أما أهم خليجين حفرا واستخدما للتنزه بشكل كبير فى العصر المملوكى فهما خليج موردة الحلفاء وخليج الزربية .

وكان خليج موردة الحلفاء هذا يبدأ من رأس موردة الحلفا ويسير فى الجانب الشرقى لمجرى النيل لمسافة ، ثم يسير باتجاه الشمال الشرقى تحت الدور التى كانت بالخطط على النيل ثم يصب النيل ببولاق ، وقد حفره الوزير منجك سنة ٧٤٩هـ وذلك فى مشروعة لرد النيل ناحية القاهرة [٤] .

أما خليج الزربية فقد حفره الأمير جركس الخليلى فى مشروعه سنة ٧٨٤هـ عندما عمل جسراً بين رأس جزيرة الروضة وبين الجزيرة الوسطى وكان هذا الجسر بوسط النيل ، وكان فم خليج الزربية هذا من نقطة على الجسر بوسط النيل ويسير فى عرض النيل ويسير غرب الخليج الناصرى الذى كان فمه بالقرب من فم خليج الزربية ، وكان خليج الزربية يصب فى النيل عند زربية قوصون [٥] . وكان لهذا الخليج قنطرة ذكر "ابن اياس" بأنها بموردة الجبس ، وقد سد خليج الزربية فترة فى سلطنة الغورى عن طريق عمل سد عند القنطرة التى عليه وذلك حتى يرتد الماء ويدخل إلى الخليج الناصرى ، ولما تضرر سكان الزربية وسكان الجزيرة الوسطى من تأثير غلق الزربية ولما خاف السلطان عليه من الانسداد أمر بفتحه مرة ثانية وكان خليج الزربية هذا من متنزهات القاهرة الهامة أواخر العصر العصر المملوكى [٦] .

ولم أقابل أى ذكر عن هذا الخليج فى مصادر ووثائق العصر العثمانى .

---

(١) مما يجدر ذكره هنا أن نقول أن محمد على باشا حفر خليجاً سنة ١٨٢٧م سمى أيضاً خليج الزعفران ان كان فمه بحرى قصر النيل (أى من ميدان عبدالمنعم رياض الآن) ويسير بإتجاه الشمال لغاية شبين القناطر بالقليوبية أى لمسافة ٣٠ كم ، وكان عمقه أمتار وكان عليه سبع قناطر اقيمت بين سنتى ١٢٤٣ ، ١٢٤٥هـ (١٨٢٧ ، ١٨٢٩م) وهى بالترتيب من الجنوب للشمال :

(١) قنطرة فم الخليج ببولاق (٢) قنطرة الازبكية (٣) قنطرة الليمون

(٤) قنطرة الزاوية الحمراء (٥) قنطر الوايلى (٦) قنطرة مسطرد

(٢) قنطرة سرياقوس . انظر :

(٢) الوقائع المصرية ، العدد ١٢٢ بتاريخ ١٩ رمضان ١٢٤٥ هـ .

امين سامى ، تقويم النيل ، جـ٢ ص٣٦٢ ، ٤٣٨ .

على شافعى ، أعمال المنافع العامة ، ص٣٢ ، ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) انظر ماسبق ، ص

(٤) انظر ما سبق ، ص

(٥) انظر ما سبق ، ص

(٦) عن ذلك الخليج انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ص٤٣١ ، ٤٣٢ . جـ٤ ، ص٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ، جـ ٥ ، ص٥٦ ، ٧ د .

الفصل الخامس
المناظر ومطعم الطير والمطرية والبساتين والضواحى ورباط الآثار

أولا : المناظـــــــر

كانت المناظر من المتنـزهات الجميلة فى العصر المملوكى ، ومن هذه المناظـر ما استخدم استخداماً عاماً مثل مناظر الكبش ومنظرة التاج والخمس وجوه ، بالاضافة للكثير جداً من المناظر الخاصة الملحقة بالقصور والدور والبساتين الخاصة .

وإذا تكلمنا عن أصل فكرة المناظر نرى أنهـا قد استخدمت أولا فى الأغراض الحربية ، وقد اطلق عليها أيضـاً المراقب والطلائع ، وهذه المناظر كانـت عبارة عن أبراج حراسة حربية مبـنية فى الأماكن العالية المشرفـة على البحر ابتغاء رؤية المراكب المـعادية قبل اقترابها من الساحـل ، والمناظر فى نفس الوقت وســيلة اتصـــال عـن طريـق إيقاد النيران بأعـلاها شأنها فى ذلـك شأن الفنارات بالـنسبة للملاحة البحرية . [(١)]

كما شاع لفظ المناظـر أيضا فى مصر والشام والعراق فى الاصطلاح المدنى مثـل المناظر التى كانت تعلو أبواب بغداد فى منتصف القرن الثانى الهـجرى والمناظر الفاطمية فى القرن الرابع الهجرى ، ولا يزال اللفظ مـستعملا فى ريفنـا المصرى فالمناظر (بالضـاد) هى الحجرات التى تتصـل بالخارج وتشرف على الشارع من الدور الأرضى . [(٢)]

كما ذكر "ياقوت الحموى" ان المنظرة عبارة عن موضع مشرف ينظر منه . [(٣)]

وقد أقام الفاطميون بمصر العديد من المناظر كانـت بمثابة متنزهات لهـم وأماكن لإقامة الاحتفالات والمناسبات العديدة ، وقـد أندثرت تلـك المناظر بانـتهاء دولتهـم ولكن الأماكـن التى كانت تحـويها استمرت مواضع هامة للتنزه فى العصرين المملوكـى والعثمانى ، وقد أعيد بناء واحدة منها فى العصر المملوكى هى منظرة الخمس وجوه .

وتلك المناظر ماهى الا قصور بعضها صغير الحجم والمـساحة وبعضها الآخر كبير استخدمت للتنزه والاحتفالات ، وكانت تقع فى مواقع هامة مميزة مثل الأماكن الخلوية بضواحى القاهرة وسط البساتين

---

(١) محمد عبدالهادى شعيرة ، "من تاريخ التـحصينات العربية فـى القرنين الأول والثانى الهجرى" بـحث فى كتاب دراسات فى الآثار الاسلامية ص١٢ .

(٢) نفسه ص١١ .

(٣) معجم البلدان جـ٥ ص٢١٢ .

والمزدرعات مثل مناظر البعل والتاج والخمس وجوه وقبة الهواء ، كما كانت المناظر تقام على ضفاف النيل والخلجان والبرك مثل مناظر اللؤلؤة والغزالة ودار الذهب على الخليج ومناظر الدكة والمقس والصناعة ودار الملك ومنازل العز والهودج على النيل ومنظرة بركة الحبش ، وأيضا كانت المناظر تقام على هضاب استراتيجية عالية مثل الرصد والكبش حيث أقام الفاطميون العديد منها ، كما أقاموا المناظر بجوار أماكن دفاعية هامة مثل منظرة باب الفتوح حيث كان الخلفاء الفاطميون يستعرضون الجيوش الخارجة للغزو ، كما أقيمت المناظر فى أماكن دينية هامة مثل منظرة الجامع الأزهر حيث كان يجرى الاحتفال بليالى الوقود . (١)

وقد استعمل فى بناء المناظر الأحجار والآجر والأخشاب الجيدة وشبابيك النحاس والحديد ، كما تميزت بأنها كانت لها واجهات عديدة خالية ، وكانت حسنة وعالية البنيان ، كما كانت هناك مناظر عبارة عن أكشاك وجواسق خشبية مدهونه فيها طاقات تشرف على الخضرة والماء مثل منظرة بركة الحبش .

وقد جهزت المناظر بأفخر المفروشات والأثاثات والمتاع حتى تستعمل على مدار العام ، كما كانت على أكمل وجه من الزخرفة والزينة والبهاء .

هذا ويرجع للوزير الفاطمى " الأفضل بن أمير الجيوش" بناء العديد من تلك المناظر .

وقد شهدت المناظر والنواحى التى حولها أيام نزهات واحتفالات كبيرة لخاصة وعامة أهل القاهرة والضواحى ، واستطاع الخلفاء الفاطميون أن يستميلوا الناس لهم ولمذهبهم من خلال تلك المهرجانات والأعياد والمناسبات التى شهدت تلك المناظر العديد منها . (٢)

أما عن المناظر الكبيرة التى كانت موجودة زمن سلاطين المماليك فهى مناظر الكبش ومنظرة الخمس وجوه .

مناظر الكبش على جبل يشكر

تقع مناظر الكبش على جبل يشكر ، وجبل يشكر ـ فى الواقع ـ هضبة وليس جبلا ، وهذه الهضبة هى التى بنيت عليها مدينة القطائع على يد أحمد بن طولون والتى بقى منها جامعه كبير (٣) ، وتلك الهضبة تتوسط المسافة بين القاهرة ومصر الفسطاط ، وقد سميت بهضبة يشكر نسبة الى أول

---

(١) عن هذه المناظر والاحتفالات بها انظر بالتفصيل : ـ
المقريزى ، الخطط ج١ ص٤٦٥ ـ ٤٩٠ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط ٤ سنة ١٩٨١م ، ص٦٣٤ .

(٣) عن مدينة القطائع بالتفصيل انظر : ـ محمود الحسينى ، التطور العمرانى لعواصم مصر الاسلامية (دكتوراه) .

قبيلة عربية اختطت بها مساكنها عند الفتح الاسلامى لمصر وهى قبيلة يشكر بن جديله بن لخم [(١)] .

وكانت هذه الهضبة تشرف من جهتها الشمالية على بركة الفيل ، ومن جهتها الغربية على بركة قارون ، ويتضح لنا مما ذكره "المقريزى" أن الجزء الشمالى الغربى للهضبة عليه الكبش وأن الجزء الجنوبى يسمى الشرف ، وكان هذا الشرف مشرف من غربية على جهة الخليج الكبير وهو يقع بين كوم الجارح وخط الجامع الطولونى [(٢)] ، وهو أحد هضاب ثلاثة تسمى كل منها باسم الشرف أحدهما الذى بنيت عليه قلعة الجبل والآخر الذى يطلق عليه الرصد وهو يمثل الجانب الغربى للقرافة الكبرى جنوبى مدينة الفسطاط .[(٣)]

موقع مناظر الكبش وتاريخ انشائها

قال "المقريزى" عن موقعها وتاريخ انشائها : ـ " هذه المناظر آثارها الآن على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى مشرفة على البركة التى تعرف اليوم ببركة قارون عند الجسر الأعظم الفاصل بين بركة الفيل وبركة قارون ، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى أعوام بضع وأربعين وستمائة" [(٤)] .

وقد حدد الأستاذ "محمد رمزى" مكانها بقوله " إنها فى المنطقة التى تعرف بقلعة الكبش وتشرف من بحريها على شارع مراسينا ومنتزه الحوض المرصود ومن غربيها على حوش أيوب بك والبغالة وتنتهى من قبلى إلى درب الساقية وسكة المناظر ومن الشرق الى حارة الشتايقة بقسم السيدة زينب بالقاهرة " [(٥)] .

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ١ ص ١٢٥ .

(٢) نفس المصدر والصفحة ، جـ٢ ص١٣٣ .

(٣) الخطط جـ١ ص ١٢٥ .

(٤) الخطط جـ٢ ص ١٣٣ .

* وقد ذكر المقريزى موقعها فى عدة مواضع اخرى ، فقال عندما تكلم عن ساحل النيل بمدينة مصر : ـ " وبآخر الحمراء القصوى الكبش وجبل يشكر وكان الكبش يشرف على النيل من غربيه " . الخطط جـ١ ص٣٤٤ .

كما ذكر موقعها فى كلامه عن الأمير سلار فقال "كان سلار صديقا للجاولى شديد المحبة له من قديم حتى ان كل منهما عمر مدرسته على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش مجاورة لمدرسة الآخر وعمل لنفسه مدفنا بحذاء مدفن الآخر " السلوك جـ٢ ص٢٤ .

كما ذكر موضعها عند كلامه عن المدرسة الجاولية فقال " هذه المدرسة بجوار الكبش فيما بين القاهرة ومصر " الخطط جـ٢ ص٣٩٨ .

وفى كلامه عن الكبش قال " هو جبل بجوار يشكر كان قديما يشرف على النيل من غربيه ثم لما اختط المسلمون مدينة الفسطاط بعد فتح أرض مصر صار الكبش من جملة الحمراء القصوى وسمى الكبش " الخطط جـ١ ص١٢٥ .

(٥) محمد رمزى ، تعليقة على النجوم جـ٩ ص١٨٩ .

وقد ذكر "المقريزى" أن هذه المناظر وقت أنشائها كانت تشرف مباشرة على بركة الفيل من ناحية ومن ناحية أخرى على بركة قارون "وكان حيئنذ ليس على بركة الفيل بناء ولا فى المواضع التى فى بر الخليج الغربى من قنطرة السباع إلى المقس سوى البساتين وكانت الأرض التى من صلبية جامع ابن طولون إلى باب زويلة بساتين وكذلك الأرض التى من قناطر السباع الى باب مصر بجوار الكبارة ليس فيها إلا البساتين وهذه المناظر تشرف على ذلك كله من أعلى جبل يشكر وترى باب زويلة والقاهرة وترى باب مصر ومدينة مصر وترى قلعة الروضة وجزيرة الروضة وترى بحر النيل الأعظم وبر الجيزة فكانت من أجل متنزهات مصر " .(١)

وفى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون أمر بهدمها فى سنة ٧٢٣هـ وأعاد بناءها بناء آخر وأجرى الماء إليها وجدد بها عدة مواضع وزاد فى سعتها وأنشأ بها اصطبلا تربط فيه الخيول ، وهذه المناظر التى بناها الناصر محمد عبارة عن سبع قاعات بناها لأجل بناته ينزلون فيها للفرجة على ركوب السلطان للميدان الناصرى الكبير على النيل بأرض الخشاب (٢).

واستمرت مناظر الكبش قائمة حتى هدمها الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٧٧ ـ ٧٧٨هـ) لما غضب على الأمير استدمر الذى كان ساكنا بها وقبض عليه ، وفى سنة ٧٩٥ هـ حكر الناس أرض الكبش وبنوا عليها بيوتهم واصطبلاتهم .(٣)

سكان وضيوف مناظر الكبش

اتخذت مناظر الكبش متنزها ملكيا ، وقد اتخذت فترة دار سكن للخلفاء العباسيين وفترة أخرى لسكن كبار الأمراء فى دولة المماليك ، وكانت كذلك دار ضيافة ينزل بها ضيوف السلطنة والرسل والقصاد وترتب لهم أمور ضيافتهم من مأكل ومشرب وملبس ونفقات .

وكان أول من سكن بها من الخلفاء العباسيين الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد الثانى أول خليفة عباسى بمصر حينما أحيا الظاهر بيبرس الخلافة فى سنة ٦٦١هـ بعد سقوطها ببغداد سنة

---

(١) الخطط جـ٢ ص ١٣٣ .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص ١٣٤ ، السلوك جـ٢ ص٥٤٠ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٨٩ .

(٣) تاريخ ابن قاضى شهبة ص٤٧٣ ، المقريزى ، السلوك جـ٣ ص٧٨٧ ، القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٣٦٣ .

٦٥٦هـ[١] ، وبالرغم من عودة الخلافة اسمية فقط إلا انها كانت ميزة لدولة المماليك لما للخلافة من تأثير روحى على المسلمين فى كل مكان ، ولما توفى الخليفة الحاكم فى سنة ٧٠١هـ بعد ان استمر فى الخلافة مدة اربعين سنة خلفة ابنه المستكفى بالله وأقام أيضا بمناظر الكبش [٢] .

أما كبار الأمراء فى دولة المماليك الذين حلوا محل الخلفاء فى سكن مناظر الكبش بعد انتقالهم للقلعة فأهمهم الأمير صرغتمش فى أيام السلطان الملك الناصر حسن ، وقد عمر صر غتمش الباب ذا البدنتين الحجر الذى يوصل إلى المناظر بجانب الكبش بالحدرة [٣] وكان هذا الباب موجوداً أيام المقريزى [٤] ، ثم سكن مناظر الكبش بعد ذلك الأمير يلبغا المعروف بالخاصكى وظل بها إلى أن قتل فى سنة ٧٦٨هـ فسكنها من بعده الأمير استدمر إلى أن قبض عليه الملك الاشرف شعبان وأمر بهدم الكبش فهدم ثم حكره الناس بعد ذلك وبنوا فيه مساكنهم واصطبلاتهم .[٥]

وكانت مناظر الكبش هى المكان الذى يستضاف فيه ملوك حماة الأيوبيين بالشام[٦] ، وأول من نزل منهم الملك المنصور وكان ذلك يوم ٦ محرم سنة ٦٧٣ هـ وصحبته أخوه الملك الأفضل نور الدين على بن الملك المظفر وولد الملك المنصور الملك المظفر تقى الدين محمود ، وقد احتفل السلطان الظاهر بيبرس بهم احتفالا كبيرا وأباح لهم ما لم يبحه لأحد من الأمراء والخواص من شرب للخمر وسماع ملاهى كما رتب لهم متنزهات فى ا لنيل والروضة [٧] .

---

(١) بيبرس الدوادار ، التحفة الملوكية ص١٤٩ ، ١٦٢ ، ابن حبيب ، تذكرة النبيه جـ١ ص١٩٥ ، المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٣ ، السلوك جـ١ ص٨٢٨ ، ابن ايبك ، كنز الدر جـ٩ ص ٧٩ ، ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ص١٩٥ ـ ١٩٦ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ص٣٢٠ ، السيوطى ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٦٢ .

* وقد ذكر بعض هؤلاء المؤرخين أن السلطان الظاهر بيبرس هو الذى أنزل الخليفة بالكبش بينما ذكر البعض الآخر أن السلطان لاجين هو الذى انزله .

(٢) توفى المستكفى سنة ٧٤٢هـ ، وقد سبق أن أبعده الناصر محمد مدة خمسة أشهر من الكبش وجعله بالقلعة سنة ٧٣٦هـ وذلك لغضبه عليه .

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص١١٥ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص ٤٧٢ .

(٣) نلاحظ ان هذه الحدرة التى كان عندها باب يؤدئ إلى مناظر الكبش هى الدحديرة الموجودة إلى اليوم غرب جامع صر غتمش وجامع ابن طولون وتسمى الآن شارع الدحديرة .

(٤) الخطط جـ٢ ص ١٣٤ .

(٥) نفسه . ، تاريخ ابن قاضى شهبة ص ٤٧٣ .

(٦) أقطع صلاح الدين حماه لابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر وبقيت بيد أولاده حتى قيام الدولة المملوكية ، كانوا يخضعون أحيانا لسطوة التتار وأحيانا للمماليك حتى انتصر المماليك فخضعوا لهم وحكموا باسمهم وظلت بأيديهم حتى استولى المماليك عليها .

انظر ابن عبدالظاهر ، تشريف الايام والعصور ص٢٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ٧ ص١٦٦ ، هامش السلوك جـ١ ص٦١٤ .

(٧) ابن أيبك ، كنز الدرر جـ٨ ص١٧٦ ، المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٤ .

كما حضر الملك المنصور إلى مصر مرة ثانية ونزل بمناظر الكبش يوم ٨ جمادى الاولى سنة ٦٧٥هـ مهنئاً بزواج الملك السعيد بن السلطان بيبرس وقدم هدايا ثمينة .[١] وكذلك حضر يوم ٢٥شوال سنة ٦٧٨هـ أيام السلطان قلاوون[٢] كما حضر في مستهل المحرم سنة ٦٨٢هـ فركب السلطان برقوق لتلقيه وأنزله بمناظر الكبش على عادته وأكرم وفادته وكل من معه[٣] .

وظل ملوك حلب الأيوبيين يأتون الى مصر ويقيمون اثناء ذلك بالكبش حتى استولى المماليك على حلب وأصبحت تحكم بواسطة ولاة من أمراء المماليك ، ومن الملوك الأيوبيين الذين نزلوا بمناظر الكبش الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل وكان قد نزل سنة ٧١٦هـ[٤] .

وكانت مناظر الكبش من أهم الأماكن التى يستضاف فيها الرسل والضيوف . ومن الرسل الذين نزلوا بها الصاحب المؤرخ كمال الدين عمر بن العديم (ت ٦٦٠هـ) رسول الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب يطلب النجدة من السلطان قطز لقتال التتار ، وكان ذلك فى ذى القعدة سنة ٦٥٧هـ[٥] .

ونزل بمناظر الكبش أيضا رسل الملك طقطاى ملك القبجاق الذين وصلوا الى مصر أول ربيع الاول سنة ٧٠٤هـ ، وقد أكرمهم السلطان الناصر محمد وأجرى لهم الرواتب وقدموا للسلطان هداياهم ، وقد جاءوا بكتاب يعرضون تحالفهم مع سلطان مصرضد أعدائهم ورد عليهم السلطان بهدية[٦] .

وفى سنة ٧١٣هـ جهز طقطاى سفارة كبيرة إلى مصر على رأسها رسول اسمه بكلمش بن قنجويغا وكان قريبا للملك طقطاى وكان جليل القدر ، وقد أحسن السلطان الناصر محمد استقباله ، وكان بصحبته ثلاثمائة نفر منهم مماليك وجوارى قدموا هدية للسلطان ، وقد أنزلوا بمناظر الكبش ، وكان لهذه السفارات تأثير كبير فى تقوية أواصر الصداقة بين الملكين .[٧]

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص١٦٦ .

(٢) ابن عبدالظاهر ، تشريف الايام ص٥٨ (عن ابن الفرات) ، المقريزى ، السلوك جـ١ ص٦٦٨ .

(٣) بيبرس المنصورى ، وبدة الفكره ص ٢١٥ ، ابن عبدالظاهر ، تشريف الايام ص٢٤ ، المقريزى ، السلوك جـ١ ص٧١٢ .

(٤) ابن حجر ، الدرر الكامنة جـ١ ص٣٧١ .

(٥) ابن تغرى ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٧٢ .

(٦) المقريزى ، السلوك جـ١ ص٨٠٢ ، جـ٢ ص٧ .

(٧) ابن ايبك ، كنز الدرر جـ٩ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

وفى يوم ٢٦ ذى الحجة من نفس السنة (٧١٣هـ) وصلت سفارة من الملك يوزبك خان الذى جلس موضع الملك طقطاى وكانوا نحو مائة وأربعة وسبعين نفرا فأنزلوهم بمناظر الكبش ونزل صحبتهم رسل الملك الأشكرى (١) والمقصود به الملك البيزنطى .

كذلك كانت مناظر الكبش هى المكان المعد والمهيأ لاستقبال وإسكان أى عدد من الناس دون حدوث أى ارتباك ، ومن أمثلة ذلك انه فى سنة ٦٩٣هـ أنزل بمناظر الكبش نحو ثلاثمائة من مماليك الأشرف خليل بن قلاوون عندما قبض عليهم بعد قتل الملك الأشرف (٢) .

زواج ابنة الملك الناصر محمد بالكبش

شهدت مناظر الكبش حفل زفاف ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون على ولد الأمير ارغون نائب السلطنة بمصر بعدما جهزها جهازاً عظيماً ندر أن يكون له مثال (٣) .

منظرة الخمس وجوه

فى العصر الفاطمى كانت الأراضى شمال القاهرة عبارة عن بساتين وحقول متصلة ، وأقام الخلفاء الوزراء الفاطميون فى تلك البساتين والحقول أربع مناظر متجاورة متتابعة ترتيبها من الجنوب للشمال كالآتى: ١ـ منظرة البعل ٢ـ منظرة الخمس وجوه ٣ـ قبة الهواء ٤ـ منظرة التاج (٤) .

---

(١) المفضل بن أبى الفضائل ، النهج السديد جـ٢٠ ص٢٣٨ .

(٢) ابن عبدالظاهر ، تشريف الايام ص ٢٨١ ، بيبرس المنصورى ، التحفة الملوكية ص١٤١ .

(٣) قال المقريزى " . . جهزها جهازاً عظيماً منه بشخاناه وداير بيت وستارات طرز ذلك بثمانين ألف مثقال ذهب مصرى سوى ما فيه من الحرير وأجره الصناع وعمل سائر الأوانى من ذهب وفضة فبلغت زنة الأوانى المذكورة ما ينيف على عشرة الآف مثقال من الذهب وتناهى فى هذا الجهاز وبالغ فى الانفاق عليه حتى خرج عن الحد فى الكثرة فإنها كانت أول بناته ولما نصب جهازها بالكبش نزل من قلعة الجبل وصعد الى الكبش وعاينه ورتبه بنفسه ، واهتم فى عمل العرس اهتماما ملوكيا وألزم الامراء بحضوره فلم يتأخر أحد منهم عن الحضور ونقط الأمراء الأغانى على مراتبهم من أربعمائة دينار كل أمير إلى مائتى دينار سوى الشقق الحرير ، واستمر الفرح ثلاثة أيام بلياليها فذكر الناس حيئنذ أنه لم يعمل فيما سلف عرس أعظم منه حتى حصل لكل جوقة من جوق الاغانى اللاتى كن فيه خمسمائة دينار مصرية ومائة وخمسون شقة حرير وكان عدة جوق الأغانى التى قسم عليهن ثمان جوق من أغانى القاهرة سوى جوق الأغانى السلطانية وأغانى الأمراء وعدتهن عشرون جوقة لم يعرف ما حصل لهذه العشرين جوقة من كثرة ما حصل ولما انقضت أيام العرس أنعم السلطان لكل امرأة من نساء الأمراء بتعبية قماش على مقدارها وخلع على سائر أرباب الوظائف من الأمراء والكتاب وغيرهم فكان مهما عظيما تجاوز المصروف فيه حد الكثرة " الخطط جـ٢ ص١٣٤ .

(٤) استطعت ترتيب مواقع تلك البساتين وما تضمه من مناظر من خلال ما ذكره المقريزى عنها ، فقد ذكر عن "منظرة البعل" أنها " كانت فى بستان أنيق يعرف بالبعل أنشأه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وموضع هذا البستان =

وتلك البساتين والحقول وما تضم من مناظر يمثل موضعها الآن أجزاء متتالية مرتبة من الجنوب للشمال من أحياء غمره فالشرابية فمهمشا.

ويرجع انشاء منظرة الخمس وجوه للأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش (١) وبقى من آثارها الفاطمية بناء رآه المقريزى* (٢) .

وقد سميت المنظرة بهذا الاسم لأنها أقيمت على بئر متسعة كان بها خمس أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف البديع الزى البهيج الهيئة المحيط بها ، وقد أطلق عليها العامة فى العصر المملوكى السبع وجوه (٣) ربما تيمنا بالرقم سبعة الذى له اعتبار كبير فى التراث الشعبى .

ويذكر "ابن تغرى بردى" أن بعض كتاب الخطط اعتقد خطأ أن منظرة التاج هى منظرة الخمس

= إلى اليوم يعرف بالبعل وصارت أرضه مزرعة فى جانب الخليج الغربى بحرى أرض الطبالة فى كوم الريش مقابل قناطر الأوز وقد خرجت المنظرة وبقى منها آثار أدركتها يعطن بها الكتان تدل على عظمتها وجلالتها فى حال عمارتها . . "الخطط جـ١ ص٤٨٠ ـ ٤٨١ .

وقال أيضا فى "ذكر أرض البعل والتاج" . . . وأرض البعل هذه بجانب الخليج تتصل بأرض الطبالة كانت بستانا يعرف بالبعل وفيه منظرة انشاء الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وجعل على هذا البستان سورا وإلى جانب بستان البعل هذا بستان التاج وبستان الخمس وجوه . . وأرض البعل فى هذا الوقت مزرعة تجاه قنطرة الأوز التى على الخليج يخرج الناس لتنتزه هناك أيام النيل وأيام الربيع وكذلك أرض التاج فإنها اليوم قد زالت منها الأشجار واستقرت فى أراضى المنية الخراجية . . " الخطط جـ٢ ص١٢٩ .

وقال عن "منظرة التاج" " هى من جملة المناظر التى كانت الخلفاء تنزلها للنزهة بناها الأفضل بن أمير الجيوش وكان لها فرش معد لها للشتاء والصيف وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم توجد تحته الحجارة الكبار وما حول هذا الكوم صار مزارع من جملة أراضى منية السيرج . قال ابن عبدالظاهر " وأما التاج فكان حوله البساتين عدة وأعظم ما كان حوله قبه الهواء وبعدها الخمس وجوه التى هى باقية " الخطط جـ١ ٤٨١ .

وقال عن " قبة الهواء" " وكان من أحسن متنزهات الخلفاء الفاطميين قبة الهواء وهى مستشرف بهيج بديع فيما بين التاج والخمس وجوه يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم ولهذه القبة فرش معدة فى الشتاء والصيف ويركب إليها الخليفة فى أيام الركوبات التى هى يوم السبت والثلاثاء " الخطط جـ١ ص ٤٨٧ .

* وقد ذكر المرحوم على باشا مبارك تلك المناظر وإن لم يكن قد راعى الترتيب الجغرافى لها ، وذكر أن تلال أحجارها ظلت موجودة حتى أيامه ، انظر : ـ الخطط التوفيقية جـ١ ص٥٥ ، جـ٢ ص٦٥ ـ ٦٦ .

* وكذلك ذكرها المرحوم محمد رمزى باعتبار أنها كانت معظم الأوقات تحسب من ضمن نواحى وضواحى القاهرة الواجب عليها الخراج . انظر : ـ القاموس الجغرافى ق١ ص١٥ ، ١٦ ، ٥٥ ، ٥٦ ، تعليقة على النجوم الزاهرة جـ١ ص١٢٤ . ، مذكرة بيان الأغلاط التى وقعت من مصلحة التنظيم فى تسمية الشوارع والطرق بمدينة القاهرة وضواحيها .

(١) الخطط جـ٢ ص٤٨١ . ، اتعاظ الحنفا جـ٣ ص٧٤ .

(٢) الخطط جـ٢ ص٤٨١ .

(٣) نفسه . ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى جـ٥ ص١٩٢ .

وجوه ولكنه يصحح ذلك الخطأ ويذكر أن التاج كان بـالقرب من الخمس وجوه على بعد مقدار رميتى نشاب وكان كوما فى أيامه إلا ان اسم التاج والخمس وجوه صار علما على تلك المنطقة (١) .

وموقع منظرة الخمس وجوه الآن فى حى الشرابيـة فى المنطقة المحصورة بين شارع الألايلى وشارع الشرابية .

عمارة المنظرة فى العصر المملوكى

أعاد بناء منظرة الخمس وجوه السلطان الملك المؤيد شـيخ الذى كان محبا للمتنزهات والمفترجات مقضيا أغلب أوقاته بها ، وكان دائم الذهاب الى تلك المنـطقة لذا أمر بتجديدها وتعميرها وترك التاج خرابا ، وكان الابتداء فيها فى يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ٨٢٣هـ (٢) ، وظل المؤيد يـتابع بنائها فذهب عدة مرات حتى اكتملت فى شعبان سنة ٨٢٣هـ برواية ابن تغرى بردى (٣) أو فى شـهر شوال براوية المقريزى (٤) ، وكانت قد تكلفت أكثر من عشرين ألف دينار .

وقد أراد المؤيد ان يعمر المنـطقة حولها وأن يقيم بستانا كبيرا ، وطـلب من أمراء وأعيان دولته أن يبنوا حولـها بيوتا ينزلون بهـا إذا توجهوا فى ركابة السلـطانى فشرع بعضهم فـعلا فى رمى الأساس واختط بعضهم الأرض ولكن القدر لم يمهل المؤيد وقتا ليتم ويرى ما كان يرجوه ، وكان غرض المؤيد لإنشاء المنظرة والبستـان أن يجعل ذلك عوضا عن قصور سرياقوس ليسرح إليهـا مثلما كان السلاطين السـابقون يسرحون لسرياقوس . (٥)

وفى ربيع الأخر سنـة ٨٢٥هـ أيام السلطان الملك الأشرف برسـباى (٨٢٥ ـ٨٤١هـ) وقع الشروع فى هدم المنظرة ولكن ذلك الأمر لم يتـم فبقى بناؤها مشعسا (٦) إلا أنها رممت عقب ذلـك فأسكنها

---

(١) المنهل الصافى جـ٥ ص١٩٢ .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ١ ص٤٨١ ، السلوك جـ٤ ص٥٢٦ ، ابن حـجر ، انباء الغمر جـ٣ ص٢١٧ ، ابن تغرى بردى ، النـجوم جـ١٤ ص٩٤ ، العـينى ، عقـد الجمان (نشـر الزهراء) ص١٠٨ ، نفـس المصدر (بدون نـاشر) ص٣٨١ ، الصيرفى ، نزهة النفوس جـ٢ ص٤٧٣ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٢ ص٤٣ .

(٣) النجوم الزهرة جـ١٤ ص١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٤) السلوك جـ٤ ص٥٣٨ .

(٥) السخاوى ، تحفة الاحباب ص٢٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٦) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص٦١٠ .

برسباى لـلشيخ حيدر الـرفاعى [1] وأخوته ، وأنعم علـيه برزقه عشرين فدانا بأراضى تـلك الناحية وجعلت زاوية للصوفية ، وعرف الشيخ حيدر منذ أن سكنها بشيخ التاج والسبع وجوه [2] .

واستمرت المـنظرة قائمة متنـزها كبيرا يفد عـليها الناس للـفرجة ولزيارة الشيخ الـرفاعى ، وكان المؤرخ "ابن تغرى بردى" دائـم النزول بها والمبيت بها أيامـا عديدة وقضى بها أوقاتا طيـبة فى ضيافة الشيخ حيدر . [3]

ولكن فى سلـطنة الظاهر جقمق (٨٤٢ـ ٨٥٧هـ) تم هـدم المنظرة حيث أمر جقمق بـهدمها حين أوحى إليه شخـص يسمى محمد بن عـلى بن اينال بأن هذا المكان يـقع فيه الكثير مـن الفواحش من المتنزهين والمتفرجين ، وباشر ذلك الرجل هدم المنظرة فى شوال سنة ٨٤٨هـ وأخذ جميع ما كان هناك من الأخشاب والشبابيك النحاس والحجر والآجر ودام أشهر فى هدمها وباع من أنقاضها الكثير . [4]

وصعب ذلـك الهدم علـى الناس قاطـبة ، وذكر المؤرخ "ابـن تغرى بردى" أنـه لاصحة لتـلك الادعاءات الباطلة لأن هذا المكان من أحسن أبنية مصر وأنزهها ، وأنه قد صار متنزها ذات صفة دينية صوفية منذ إقامة الشـيخ حيدر به ، وقد ندم السلطان جقمق على هدم المـنظرة بعد أن تبين له كذب ادعاءات ابن ايـنال هذا ، فأمر بالـقبض عليه ، وعـوض الشيخ حيدر بـأن أسكنه بالقـرب من زاوية الشيخ أحمد الرفاعى ثم أنعم عليه بمشيخة قبة النصر . [5]

التنزة بالتاج والخمس وجوه

كانت منطقة البعل والتاج كما ذكرت ضواحى تقـع شمال القاهرة وكانت تمثل بما تضم من مناظر واحدة من محاسن مصر ومفترجاتها ، وكانت تحـوى الكثير من البساتين والحقول ذات المناظر الأخاذة بما تزرع بـها من زراعات تسـر الناظرين مـن رؤية هذه الخضرة الـكبيرة المـمتدة بزراعة نبـات القرط

---

(١) هو الشيخ حيدر بن أحمـد بن ابراهيم أبو الحسن الرفاعى الرومى الأصل ، العجمـى المولد والمنشأ ، المصرى الدار والوفاة الحنـفى القدوة والمسلك ، ولد حـوالى سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م ومات سنـة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م ، وكان من أعلام الصوفـية ومن أهل العلم والأدب ، والأخـلاق الحميدة . أنظر : ـ ابـن تغرى بردى ، المنهل الـصافى جـ٥ ص١٨٩ ـ ١٩٥ .

(٢) نفسه ص١٩٢ .

(٣) المنهل الصافى جـ٥ ص١٩١ .

(٤) كان محمد بن على بن اينـال هذا يعتريه جنون وخفة عقل وعمل مساوىء كثيرة ، وكان يـشغل منصب أمير شكار (امير صيد) فى عهد الـظاهر جقمق ، ولما هدم المنظرة شكته خـوند ابنه المؤيد شيخ فأمر جقمق بتـرسيمه والقبض عليه فهـرب فترة ثم ظهر بعد ذلـك بمدة ولزم داره . انظر :ـ ابن تغرى بـردى ، حوادث الدهور جـ٢ ص٢١٦ ـ ٢١٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق ١ ص٦١ .

(٥) المنهل الصافى جـ٥ ص١٩٤ .

(البرسيم) والكتان والبشنين وما يحيط بها من الأشجار والنخيل . وفى زمن الربيع وفى أيام النيل يتنزه بها خاصة وعامة أهل القاهرة منذ العصر الفاطمى [(١)] .

ولما أقام "المؤيد شيخ" بناء المنظرة كان كثير التنزه إليها هو وامرائه بل إنه سمح لعامة أهل مصر والقاهرة بمصاحبة موكبه فى تنزهاته ، وكان الناس يقيمون الخيام للإقامة هناك ، وكان المؤيد يبيت عدة ليالى فى منظرة الخمس وجوه وكانت الناس تتردد إليه لقضاء حوائجهم وللفرجة أيضا [(٢)] ، وفى ذلك الوقت أقام الأمير جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص عمائر هائلة وسبيلا ومكتبا وبستانا وغير ذلك فى التاج [(٣)] فكثر تردد الناس الى هناك .

واستمر التاج والخمس وجوه متنزها للسلاطين والناس حتى أن الملك الأشرف برسباى لما ذهب إليه يوم ١١ صفر ٨٢٨هـ أعجبه المكان جدا ولم يكن قد رآه من قبل [(٤)] وكثر تردد الزوار للمنطقة وخصوصا بعد إقامة الشيخ حيدر الرفاعى بالمنظرة .

هذا وقد شهدت منظرة الخمس وجوه احتفالا كبيرا فى شعبان سنة ٨٤٢هـ وذلك بمناسبة انتهاء قاضى القضاة " بن حجر العسقلانى" من تأليف كتابة فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ففضل الاحتفال بذلك المؤلف الجليل بأعلى منظرة الخمس وجوه ، فأقام وليمة حافلة حضرها المقر الناصرى محمد بن السلطان برسباى وأعيان الدولة وأمرائها وقضاها وعلمائها وطلابها وكثير جدا من الناس ، ومدت هناك وليمة حافلة تحوى أطعمة فاخرة ومد سماط فاكهة وحلوى وسكر ، وكان الوقت شتاءا والأرض مخضرة بأنواع الزراعات ، وقد اجتمع يومها بالمنظرة وحولها عالم كبير جدا من الرجال ونصب هناك سوق وضربت خيام عديدة فكانت من الأيام المذكورة المشهودة وأنفقت فيها أموال وأنشد الكثير من الشعراء بهذه ا لمناسبة . [(٥)]

وقد استمرت المنظرة على حالها حتى تم هدمها فى عهد الظاهر جقمق ولكن المنطقة ظلت متنزها هاما طوال العصرين المملوكى والعثمانى .

ماقيل فى التاج والخمس وجوه :

أفاض الكثير من الشعراء والزجالين فى وصف التاج والخمس وجوه ومايحيط بها من مناظر خلابة. فقال فيها حجة :-

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ١ ص٤٨١ .

(٢) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص٥٢٨ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ - ٥٤١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص١٠٣ .

(٤) المقريزى ، السلوك جـ١ ص٦٧٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص٢٧١ ، العينى ، عقد الجمان (نشر الزهراء) ص ٢٥٤ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٢ ص٩٥ .

(٥) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص١١٠٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٢ ص ٢٠٧ .

سبع وجوه لتاج مصر — تقول ما فى الوجود شبهى
وعندنا ذو الوجوه يهجى — وأنت تاج بفرد وجه

وفيه يقول الصاحب فخر الدين بن مكانس من موشح :ـ

والتاج يعلو فوق هام الزهر — والسبعة الأوجة ذات البشر
وكل وجهة حولها كقصرى — مثل بروج حل فيها بدر

وقد أتى فى كل برج سعد

ولبعضهم :ـ

محاسن مصر تبدو حين تجلى — بتاج زانه درر وقرط
وقد كتب الربيع بها سطورا — وأتقن خطها شكل ونقط

وللعقيلى : ـ

الروض من أنهاره وبهاره — فى المصمت الفضى والديباج
تعلو رعيته ملوك غصونه — هذا بإكليل وذاك بتاج [١]

ثانيا : مطعم الطير بالريدانية

ذكر المقريزى أن الريدانية اسم لأرض اطلقت على بستان كبير انشأه ريدان الصقلى أحد خدام الخليفة الفاطمى العزيز بالله الذى كان يحمل المظلة على رأس الخليفة واختص بالخليفة الحاكم بأمر الله أن قتله الحاكم فى يوم الثلاثاء ٢٠ ذى الحجة سنة ٣٩٣هـ [٢]

والريدانية كانت تقع فى حدود الصحراء الواقعة فى شمال القاهرة وكان العمران ينتهى إليها لذا نقد أطلق اسم الريدانية على البستان وعلى ما جاوره من الأراضى الرملية الفضاء التى كانت تمتد فى ذلك الوقت من حد باب الحسينية حيث ميدان عبده باشا الآن وبين الصحراء التى فيها الآن ميدان

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٦١ ـ ٦٢ .
(٢) الخطط جـ٢ ص١٣٩ .

روكسى بمصر الجديدة ويؤيد ذلك ما ورد فى كتب المؤرخين وما حدث فى هذه المنطقة من وقائع ومعارك بين المماليك والعثمانيين ، ويدخل فى حدود الريدانية الآن الوايلى الصغير والعباسية وثكنات الجيش الواقعة على جانبى شارع الخليفة المأمون ومنشية البكرى ومصر الجديدة ، وحتى منتصف هذا القرن كانت أرض الوايلى الصغير أرضا زراعية فى المنطقة الواقعة الآن على جانبى شارع بين الجناين وشارع أحمد سعيد بالعباسية بالقاهرة . (١)

مطعم الطير :

كان مطعم الطير متنزها سلطانيا ، وكان موقعة فريدا حيث يتوسط مكانا بين أرض صحراوية وأرض زراعية وقد بنى الناصر محمد هناك مسطبة ، ويمثل موقع مطعم الطير المنطقة التى يتوسطها الآن قبة العادل طومان باى (٢) (اثر رقم ٢) الواقعة فى ثكنات الجيش شمال العباسية حيث كانت المسطبة بجوار القبة .

التنزه والصيد واستقبال الرسل والضيوف عند مطعم الطير :

لما كان موضع مطعم الطير فريدا حيث يتوسط حدود الصحراء والزراعات كانت تلك البيئة تكثر بها الحيوانات والطيور البرية الشاردة ، لذلك حرص سلاطين المماليك على الذهاب لتلك المنطقة للاستمتاع بجوها النقى وخصوصا وأنهم كانوا يذهبون إليها فى بداية موسم الشتاء غالبا للصيد والرياضة والاستجمام فى ربوعها ، وكانوا يخرجون فى مواكب الى هناك مجهزة باللازم ، ويصحبون معهم أرباب الوظائف المتعلقة بالصيد على رأسهم أمير شكار والبازدارية والحيوانات المدربة للصيد مثل الصقور والحيوانات والطيور التى يراد اصطيادها مثل الكراكى حيث يطلقها أمير شكار ويطلق وراءها الطيور الجارحة لاصطيادها (٣) حتى يتسلى السلطان برؤية هذا المنظر (٤) .

وكانت تلك الأيام بمثابة مهرجانات وأعياد شعبية إذ تزين القاهرة فى طريق الذهاب والعودة ويمتلأ طريق الموكب من القلعة حتى الريدانية بالمتفرجين .

ولما كان موضع مطعم الطير يمثل البوابة الشمالية للقاهرة أيضا لذا حرص السلاطين على استقبال

---

(١) محمد رمزى ، تعليقاته على النجوم الزاهرة جـ٩ ص٩ ، جـ١٠ ص ١٧١ .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، جـ٥ ص٤٣٢ .

(٣) عن مواكب السرحات والصيد والاسفار انظر :ـ عبدالمنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك جـ٢ ص١٣٣ ـ ١٣٧ .

(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم جـ٩ ص٢٩ ، حوادث الدهور جـ٣ ص٤١٦ ، ٤٨٤ .

ضيوفهم هناك بأنفسهم أو بواسطة مندوبين عنهم .

ومن السلاطين الذين داوموا على التنزه بمطعم الطير الناصر محمد بن قلاون [1] وابنه الصالح اسماعيل (٧٤٣ ـ ٧٤٦هـ) [2] ، وكذلك كان الظاهر برقوق كثير الذهاب لمطعم الطير منذ كان أمير حتى تسلطن [3] ، وعند مطعم الطير استقبل الظاهر برقوق ضيفه الكبير السلطان أحمد بن أويس [4] سلطان العراق وفارس طالبا النجدة من سلطان مصر للوقوف فى وجه تيمور لنك ، وقد وصل إلى مطعم الطير فى يوم الثلاثاء ٢٧ ربيع الأول سنة ٧٩٦هـ وأجرى له مراسم استقبال رسمية كالتى تجرى فى هذه الأيام حيث قام حاجب الحجاب بتقديم أمراء الدولة وأعيانها للسلطان أحمد وسلموا عليه ، ثم استقبله السلطان برقوق وعانقة وطيب خاطره ووعده بمساعدته فى استرداد كرسى مملكته من تيمور لنك ، واستراح برقوق وضيفه فترة على المسطبة وخلع برقوق عليه قباء حرير بنفسجى بطراز عريض زركش وقدم له فرسا من أفراسه بسرج ذهب وكنبوش زركش وسلسلة ذهب ، وركبا وسارا وحولهما الأمراء والمماليك مرتبين حسب منازلهم ووظائفهم فى وسط مهرجان شعبى كبير إذ خرج الناس كلهم إلى الريداتية والصحراء التي امتلأت بهم مما أدهش وتعجب له السلطان أحمد من كثرة المتفرجين وواصل الموكب الى القلعة . [5]

ومن السلاطين الذين كانوا ينزلون لمطعم الطير للصيد والنزهة السلطان المؤيد شيخ الذى اهتم بذلك اهتماما كبيرا [6] .

وكان السلطان الأشرف برسباى (٨٢٥ ــ ٨٤١هـ) يداوم على النزول لمطعم الطير وغالبا فى بداية فصل الشتاء حيث يرتدى السلطان والأمراء الملابس الصوفية المعدة لذلك [7] .

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهره جـ٩ ص٢٩ . (٢) المقريزى ، السلوك جـ٢ ص٦٧٩ .

(٣) نفسه جـ٣ ص٣٦٥ ، ٧٢٦ ، ٧٨٩ ، تاريخ ابن الفرات مجلد ٩ جـ١ ص٢٣٥ .

(٤) هو السلطان غياث الدين احمد بن أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن ايلكان صاحب بغداد وتبريز وغيرها من بلاد العراق ، ملك بعد أخيه فى سنة ٧٨٤هـ واستمر ملكا على العراق حتى سنة ٧٩٥هـ حيث خرج فارا من تيمور لنك لما استولى على بغداد ، وقصد مصر ومعه ٤٠٠ فارس من أصحابه ولما وصل إلى حلب أرسل واليها إلى السلطان بذلك فأمر السلطان برقوق بإكرامه ودعاه للقاهرة ، وظل فى صراع على الحكم بالعراق وفارس حتى قتل سنة ٨١٣هـ وقد وصفه المؤرخون بأنه كان سفاكا للدماء وظالما ، وله بعض الاهتمام بالعلم والأدب .
أنظر :ـ ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى جـ١ ص٢٤٨ـ ٢٥٩ .

(٥) عن هذا الموضوع بالتفصيل أنظر :ـ
تاريخ ابن قاضى شهبة ص٥٠٤ ـ ٥٠٥ ، تاريخ ابن الفرات مجلد ٩ جـ٢ ص٣٦٦ ، المقريزى السلوك جـ٣ ص٨٠٠ ، ابن حجر ، انباء العمر جـ١ ص٧٩٦ ، ابن الصيرفى ، نزهة النفوس والابدان جـ١ ص٣٧٥ ـ ٣٧٧ .

(٦) العينى ، عقد الجمان (بدون ناشر) ص١٧٤ .

(٧) المقريزى، السلوك جـ٤، ص ٦٢٢ .

وكان السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧هـ) يستقبل أمراء الشام عند مطعم الطير ويحتفل بهم احتفالا كبيرا وكذلك كان يستقبل أمراء مكة والحجاز وعلى رأسهم الأمير الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة الذى كان يبالغ فى إكرامه . (١)

وكان السلطان الأشرف اينال (٨٥٧ ـ ٨٦٥هـ) ينزل للتنزه والصيد عند مطعم الطير ويمد هناك الاسمطة الحافلة وكانت مواكبة من المواكب الهائلة ويخرج معظم الناس للفرجة . (٢)

ومثل تلك المهرجانات الشعبية تكررت فى أيام السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥ ـ ٨٧٢هـ) . (٣)

وكان السلطان الغورى كثير التردد على مطعم الطير للتنزه والصيد بالإضافة لاستخدام المكان هناك لعمل التجارب على المدافع التى صنعت أيامه وكان أهل القاهرة وظواهرها يخرجون جميعا تلك الأيام للفرجة . (٤)

وفى العصر العثمانى ظل الولاة يذهبون إلى مطعم الطير وخصوصا لمجاورته للمنشآت المعمارية العديدة التى أنشأها السلطان العادل طومان باى سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م التى أهمها القبة التى كانوا يبيتون بها أوقاتا عديدة . (٥) وقد عرفت المنطقة منذ ذلك الوقت بالعادلية وتمتعت بمكانة مرموقة فى العصر العثمانى حيث كان الولاة العثمانيين ينزلون بها وكانت محطة واستراحة لهم فى ذهابهم وإيابهم ، كما كانت محطة استقبال للمسافرين والعائدين بطريق البر وكانت مركزا تجاريا هاما حيث كان هناك خان يسمى خان العادل يجتمع به المسافرون من قوافل التجارة والحج ، وظلت المنطقة متنزها حيث كانت الفرق العثمانية تلعب هناك القبق . (٦)

---

(١) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص١٢٢٦ ، السخاوى ، التر المسبوك ص١٥ ، ٧٥ ، ١٨٤ ، العينى ، عقد الجمان (نش الزهراء) ص٦٠١ .

(٢) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور جـ٢ ص٢٨٠ .

(٣) نفسه جـ٣ ص٤١٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٨٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٩ ، ٥٣٠ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٨٤ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٥ ص٤٣٢ .

* بنى السلطان الملك العادل طومان باى التى تولى السلطنة عدة شهور سنة ٩٠٦هـ تربة بجوار مطعم الطير وهذه التربة كانت تتكون من عدة وحدات معمارية هى القبة التى دفن بها ومسجد الذى استخدم أيضا كخانقاه وسبيل وساقية ومطبخ بالاضافة لوجود خان وعدة منشآت أخرى لم يتبق منها سوى هذه القبة الجليلة (اثر رقم ٢) .

انظر التفصيل : ـ محمد حمزه ، قراقة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، ماجستير غير منشورة ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة . ص١٥٠ ـ ١٥٢ .

(٦) البكرى ، قطف الازهار (مخطوط) ورقة ١٣٩ .

ثالثا: المطرية ونواحيها

كانت المطرية ونواحيها من أنزه الأماكن بمصر فى العصرين المملوكى والعثمانى ، وكان التنزه والذهاب إليها وإلى نواحيها من شعائر السلطنة المملوكية كما كان من شعائر الفاطميين .

وقد كانت المنطقة جديرة بمكانتها المرموقة لأن مساحتها الكبيرة الممتدة من حدائق القبة جنوبا حتى عين شمس شمالا كانت عبارة عن بساتين وحقول زراعية ويجرى بأرضها البرك والترع والخلجان وأهمها خليج الزعفران . [١] الذى كان متنزها سلطانيا ، إلى جانب شهرتها العالمية بما حوته من مقدسات ورموز مسيحية مثل شجرة مريم [٢] وبئر وبستان البلسان وكنيسة العذراء بالإضافة لذلك فإنها محطة واستراحة الذاهبين والعائدين من وإلى الشام وسيناء ، ومكان استقبال للرسل والضيوف .

وقد ذكر الرحالة أن الطريق من القاهرة إلى المطرية كان مليئا بالقصور الفخمة والاستراحات الجميلة على الجانبين التى تمثل دور ضيافة خاصة بكبار الأمراء . [٣]

---

(١) عن خليج الزعفران انظر ما سبق ص٣١٣ .

(٢) نسبت هذه الشجرة الى مريم العذراء حيث تروى القصص أن العائلة المقدسة لما هربت من حاكم فلسطين الرومانى هيرود ووصلت أون "عين شمس" استراحت تحت ظل هذه الشجرة القديمة المورقة ومن ذلك الوقت عرفت بشجرة مريم ، وتضيف الأسطورة ان الطفل يسوع الناصرى "عيسى عليه السلام" جلس تحت هذه الشجرة وضرب الأرض بقدمه فانفجرت عين من المياه العذبه المنعشة فشربت مريم وطفلها ويوسف النجار وحمارهم حتى ارتووا ، ثم غسلت العذراء ملابس طفلها بمياه هذه العين ثم ألقت بالمياه المتخلفه على عصا يوسف التى كان قد غرسها فى الأرض فتحولت إلى شجرة البلسم المعروفة ايضا باسم البلسان ، ثم أينعت هذه الشجرة وفاحت منها رائحة ذكية ، ولما نمت زراعة البلسان وغدا عصيره ناجعا لجميع الجروح وللأمراض الجلدية المستعصية أصبح البلسان موضع رعاية وعناية الحكومة والناس . انظر :- سعاد ماهر ، مساجد مصر جـ٥ ص٤٠ . Savary, Lettres Sur L'Egypte Paris 1786, I P. 127.

الهام ذهنى ، مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة تاريخ المصريين (١٩٢٢م) ص٢١٦ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص٢٠٧ . Breydenbac, Les Saintes Peregrinations (1483) ed F. Larrivaz Cairo 1904. P.45.

Von Harff, The Pilgrimage of Arnold Von Harff, Trans, Malcolm Letts, London, 1964. P. 109.

Abouseif (D), The North eastern Extension of Cairo Under the Mamluks" Ann Isl T.XVII (1981) P. 153.

Fabri, Le Voyage en Egypte, IFAO 1975 PP.526 F.,906.

وقد حرص الرحالة العرب والأجانب على زيارة المطرية خلال رحلاتهم إلى مصر وذلك لشهرة شجر البلسان بها الذى يستخرج منه دهن البلسم الذى لا مثيل لجودته فى جميع أنحاء العالم .[(١)]

وترجع أهمية البلسان للأستخدام الكهنوتى والطبى له فى الاقطار المسيحية فقد قال "المقريزى" وللملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم يتهادونه من صاحب مصر ويرون أنهم لا يصح عندهم لأحد أن يتنصر إلا أن ينغمس فى ماء المعمودية ويعتقدون أنه لا بد أن يكون فى ماء المعمودية شىء من دهن البلسان ويسمونه الميرون [(٢)] وقال "ابن اياس" "أيضا" إن ملوك الافرنج تتغالى فى دهن هذا البلسم ويشترون بثقله ذهبا ولا يتم عندهم التنصير حتى يضعون من دهنه شيئا فى ماء المعمودية وينغمسون فيه" [(٣)] لذلك كان يحتكر التجارة فيه سلاطين المماليك فقط .[(٤)]

وقد انقطعت زراعته فى مصر فى أوائل القرن العاشر الهجرى (فى سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م بالتحديد) ، ويرجع ذلك إلى إتلاف أشجاره بسبب الحرب بين طوائف المماليك عقب وفاة السلطان قايتباى كما ذكر ذلك الرحالة الألمانى فون هارف الذى زار مصر فى أيام الناصر محمد بن قايتباى .[(٥)]

ولما انقطعت زريعته من أرض المطرية تنكد السلطان الغورى بسبب ذلك لأن مصر كان تفخر بزراعتة على سائر البلاد ويعتبر أحد خصائصها ومفترجاتها .[(٦)]

"ولا يزال الغورى يتفحص أمره حتى أحضر إليه بلسان برى من بعض الأماكن بالحجاز وهو فى طينه فزرعة بالمطرية فى مكانه المشهور به فنتج و طلع لما سقى من ماء تلك البئر التى هناك فنتج فى هذه السنة وطلع ما كان قد بطل أمره فعد ذلك من محاسن الملك الأشرف قانصور الغورى " .[(٧)]

---

(١) عن الكلام عن البلسم وكيفية استخراجة وخصائصة أنظر :ـ
ابن حوقل ، صورة الأرض (ط ليدن ١٩٣٨م) ص ١٦٠ـ ١٦١ ، ناصر خسرو ، سفرنامه ص٥٥ـ ٦٠ ، الأدريسى، نزهة المشتاق ص٣٢٦ ، عبداللطيف البغدادى ، الإفادة والاعتبار ص٢٢ ، ٤١ ، الهروى ، الاشارات إلى معرفة الزيارات (ط دمشق ١٩٥٣م) ص٣٤ ، المقريزى ، الخطط جـ١ ص٢٣٠ـ ٢٣١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٥٧ ، جـ٤ ص١٤٩، القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٢٨٧

(٢) الخطط جـ١ ص٢٣٠ .

(٣) بدائع الزهور جـ٤ ص١٤٩ .

(٤) Abouseif, Op. Cit., P. 160.

(٥) IBID.

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص١٤٩ ، ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ص١٣٣ ، القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٢٨٧ .

(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ص١٤٩ .

وكانت المطرية تتنقل فى تبعيتها من ولاية لأخرى من وقت لآخر فكانت أولا تعد من ضواحى مصر ثم تبعت الشرقية وأحيانا القليوبية [1] إلا أنها فى العصر المملوكى وردت فى الوثائق والمصادر أنها من ضواحى القاهرة . [2]

وكانت تدخل فى العصر المملوكى فى إقطاع الأمراء الكبار وأحيانا يستخلصها السلاطين لأنفسهم وأحيانا تكون أرضها أملاك وأوقاف . [3]

ولما كانت المطرية عامرة بالبساتين المثمرة لذا حرص بعض السلاطين أن يكون لهم بساتين بها فعلى سبيل المثال ورد بوثيقة المؤيد شيخ أنه كان له بستان يشتمل على سياج مبنى بالبلسان وغير ذلك وماهو من حقوقه من أبنية ومنظرة وآبار وسواقى وأنشاب مختلفة" . [4]

وكان للأشرف قانصور الغورى ثلاث قطع أرض متجاورات بالمطرية وقفها على بعض عمائره . [5]

ولا تزال بقايا شجرة مريم موجودة للآن وبجوارها البئر والكنيسة المجاورة لها ، وحتى منتصف هذا القرن كان حول الكنيسة بستان كبير فى محل بستان البلسان إلا إنه ضاع فى ظل التعديات المستمرة على الآثار .

ويمثل موقع المطرية وجهاتها الآن احياء القبة والزيتون والمطرية وعين شمس وشرقها العباسية ومصر الجديدة وغربها الزاوية الحمراء والأميرية .

التنزه والصيد والاحتفالات بالمطرية :

كان الخروج للمطرية ونواحيها من شعائر السلطنة المملوكية كما كان أيام الفاطميين [6] ، فقد كان سلاطين المماليك يخرجون اليها فى مواكب عظيمة ويصحبون معهم كبار الأمراء ورجال الدولة

---

(١) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق٢ جـ١ ص١١ .

(٢) وثيقة المؤسد رقم ٩٣٨ اوقاف سطر ٣٤٤ ، كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف .

(٣) على سبيل المثال ذكر ابن تغرى بردى "ان المطرية كانت من ضمن اقطاع الأمير بشتك ولما فرق السلطان المنصور ابوبكر بن محمد بن قلاوون اقطاعة على الامراء ضم المطرية لنفسه "النجوم جـ١٠ ص٨ ـ ٩ .

وذكر "ابن الجيعان" ان المطرية كانت عبرتها ١٥٠٠٠ دينار والبلسم ٣٠٠٠ دينار . التحفة السنية ص٦ .

(٤) الوثيقة رقم ٩٣٨ أوقاف سطرى ٣٤٣ ـ ٣٤٤ نشر : ـ فهمى عبدالعليم ، العمارة العربية بمصر فى عصر السلطان المؤيد شيخ .

(٥) كتاب الوقف رقم ٨٨٢ أوقاف ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٦) كان الخلفاء الفاطميون يتوجهون كثيرا الى مسجد تبر بناحية المطرية .

* ومسجد تبر قال عنه "المقريزى" هذا المسجد خارج القاهرة مما يلى الخندق عرف قديما بالبئر والجميزة وعرف بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ وموضعه خارج القاهرة قريبا من المطرية " . كما ذكر "المقريزى"=

والجنود ، وينصبون هناك الخيام ومعهم كل ما يلزمهم من مأكل ومشرب ووسائل صيد وغير ذلك لأنهم أحيانا كثيرة كانوا يبيتون هناك .

وكانت المنطقة من مناطق الصيد الشهيرة فامتدادها كبير من القبة جنوبا لعين شمس شمالا ويجاورها من الشرق الصحراء الريدانية التى حلت محلها مصر الجديدة ويحدها غربا الأميرية والزاوية الحمراء ، ويجرى بأرضها الخلجان والترع والملق .

وكان السلاطين يزورون بئر وبستان البلسان وشجرة مريم والكنيسة المجاورة لها ويقيمون احتفالات كبيرة يحييها مغنيو العصر وأصحاب الآلات وتمد هناك الأسمطة والموائد الحافلة التى يقيمها السلاطين لأمرائهم أو العكس وتكلفتها شيء كثير .

ويوم خروج السلطان لتلك الجهات يكون أشبه بأيام الأعياد حيث يصطف الآلاف من سكان القاهرة فى طريق الموكب فى الذهاب والإياب وتزين القاهرة أحسن زينة وتضاء بألوف الشموع والقناديل .

ويكون الاحتفال أكثر روعة فى أيام أعياد النصارى التى قد يتصادف وجود السلطان هناك [1] ، فعند شجرة مريم وبئر وبستان البلسان يجرى الاحتفال بعيد الزيتونة الذى يسمى أيضا عيد الشنمة ، ويذكر "ابن الحاج" ان المسلمين كانوا يشاركون الأقباط فى هذا العيد فيصحبونهم إلى هناك إلى بئر البلسان بالمطرية حيث يغتسلون حيث يعتقد أن العذراء مريم غسلت فيه ثياب المسيح عليه السلام . [2]

= نقلا عن القضاعى والكندى وابن عبد الظاهر ان مسجد تبر هذا بنى على رأس إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن الحسين ابن على بن ابى طالب الذى قتل سنة ١٤٥هـ وأتوا برأسه إلى مصر فى شهر ذى الحجة ، أما تبر هذا فهو أحد الأمراء الأكابر فى أيام الاستاذ كافور الإخشيدى وكان له دور فى مقاومة جوهر الصقلى قائد جيوش الفاطميين وقد قبض عليه وحبس حتى توفى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م ، وقيل انه انتحر فسلخ بعد موته وصلب وحشى جلده تبنا ولعل ذلك سببا فى أن العامة كانت تسمى هذا المسجد مسجد التبن . الخطط جـ٢ ص٤١٣ .

* ومسجد تبر هذا يقع بحديقة قصر القبة من الجهة الشرقية ، وقد أزالت السيدة شفق نور والدة الخديوى توفيق بقاياه الاثرية وانشائه من جديد فى سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م طبقا لحساب الجمل على اللوحة الرخامية التى فوق باب المسجد المنقوش بها :

زها طالع الأنوار فى مسجد التبر	به البطل التبرى فى قبه السر
لقد انشأته شفق نور وحبذا	بها حرم المولى الخديوى ذى القدر
بوالدة التوفيق أنعم مؤرخا	أمد أساس النور فى مسجد التبرى

٤٥ +١٢٢+ ٢٨٧ + ٩٠ + ١٠٧+ ٤٦٣ = ١٢٩٤هـ

أنظر : ـ محمد كمال السيد ، أسماء ومسميات ص٤١٩ ـ ٤٢٠ .

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص ٢٩٧ .

(٢) المدخل جـ٢ ص٥٩ ـ ٦٠ .

وصارت المنطقة أكثر قصودا عندما بنى الأمير يشبك من مهدى الدوادار قبة عظيمة برسم التنزه وأنشأ الى جانبها مدرسة وأماكن كثيرة ، وقد بنيت هذه القبة فيما بين سنتى ٨١١ ، ٨٨٢هـ / ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ م، وقد افتتحها السلطان الملك الاشرف قايتباى فى جمادى الأولى ٨٨٢هـ/ اغسطس ١٤٧٧م وأعجب بها فأقام هناك يوما وليلة وأثنى على منشئها [١] .

ومن السلاطين الذين واظبوا على الخروج للمطرية ونواحيها الناصر حسن بن قلاوون [٢] والظاهر بوقوق [٣] والناصر فرج [٤] .

وكان الأشرف قايتباى أكثر الملوك خروجا الى المطرية ونواحيها وخليج الزعفران وبصفة خاصة بعد بناء قبة يشبك الذى بات بها مرارا وتكرارا ، وكان يقيم بها الأسمطة الحافلة لأمرائه وضيوفه الذين

---

(١) الأمير يشبك من مهدى من خيرة أمراء المماليك الجراكسة ، و له مآثر عظيمة ، وكان له فضل فى تجميل القاهرة فقد اهتم بإصلاح الطرق وتوسيعها وإصلاح واجهات الربوع التى تطل على الشوارع وهدم الكثير مما كان يعوق سعتها ، ومهد الشارع الرئيسى بالقاهرة وترتب على ذلك اكتشاف سلم باب مسجد الصالح طلائع وإصلاح مسجدى المؤيد والفاكهانى وغيرهما .

وكان شغوفا بالعمارة فأنشأ كثيرا من الآثار التى لم يتبق منها سوى زيادته فى قصر الأمير قوصون ومنارة مسجد الإمام الليث وقبة الفداوية وهذه القبة ، وقد قتل يشبك فى إحدى حملاته فى الرها فى رمضان سنة ٨٨٥هـ/ نوفمبر ١٤٨٠م .

* وهذه القبة من القبات الكبيرة امتازت بطراز خاص لم يكن شائعا بقباب مصر يومئذ ، وتسود خارجها البساطة بخلاف قباب عصرها ، وهى مكونة من قاعدة حجرية فوقها قبة بالطوب مقامة على منطقة انتقال عبارة عن أربع حنايا ركنية معقودة بعقد مدبب بكل حنية عقد ثلاثى الفصوص وقد اوجد المعمار على جانبى كل حنية أى فى كوشتيها مثلثين قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى ليشاركا منطقة الانتقال فى إكمال استدارة القبة ، وقد كسيت من الداخل بالرخام المختلف الألوان وحوت كتبات قرآنية وانشائية غاية فى الروعة ذات تذهيب وألوان جميلة .

وقد ألحق مصطفى باشا فاضل فى سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م جنوب القبة جامعا ذات منارة اسطوانية وقد جدد السلطان الغورى هذه القبة فنسبت له فترة من الزمن كما جددت عدة مرات فى العصر العثمانى وعلى يد لجنة حفظ الآثار العربية .

وكان يشبك ببنائه قبته هذه مقتديا بالفاطميين الذين أنشأوا العديد من القباب والمناظر والاستراحات فى ضواحى القاهرة لأجل التنزه والتفرج مثل قبة الهواء ومنظرة التاج ومنظرة الخمس وجوه وغيرهم . انظر بالتفصيل : ـ

ابن اجا ، تاريخ الامير يشبك الظاهرى (تحقيق عبدالقادر طليمات) القاهرة ١٩٧٣م ، السخاوى ، الضوء اللامع جـ١ ص٢٧٢ ـ ٢٧٤ . حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الاثرية ص٢٥٨ ـ ٢٦٠ ، سامى عبدالحليم ، الامير يشبك من مهدى واعماله المعمارية بالقاهرة ، ماجستير ـ جامعة القاهرة سنة ١٩٧٠م .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٥٦٨ .

(٣) المقريزى ، السلوك جـ٣ ص٤٨٢ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس جـ١ ص٣٧٣ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص٨١٤ .

اصطحبهم وأضافهم هناك ، مثل جم بن عثمان ، وأحيانا كان كبار الأمراء والوزراء هم الذين يستضيفون السلطان هناك منهم الأمير ابن مزهر كاتب السر والأتابكى أزبك . [1]

كذلك اعتاد السلطان الناصر محمد بن قايتباى على الذهاب إلى هناك [2] وكذلك الظاهر قانصوه أبو سعيد . [3]

وكان السلطان الأشرف قانصوه الغورى مغرما بالتنزه بالمطرية ونواحيها فكان غالبا مايقضى عدة أيام بلياليها متنقلا مابين قبة العادل طومان باى إلى مطعم الطير والمسطبة السلطانية هناك حيث يستعرض ويجرب المدافع ، ويذهب من هناك إلى قبة يشبك فيقيم حفلات كبيرة يحييها كبار المغنيين والموسيقيين ، وأحيانا كانت نزهاته أعياد النصارى . [4]

وكانت مواكبة من أعظم المواكب ، وقد حدث ذات يوم أنه اراد أن يغير من طابع الموكب بأن يحمل على رأسه القبة والطير (المظلة) وهما من شعائر السلطنة التى تجرى فى بعض الاحتفالات والمناسبات وأهمها موكب العيدين ، فنهاه الأمراء عن ذلك وقالوا له أن العادة لم تجر بمثل ذلك من قبل . [5]

وقد ذكر "ابن اياس" أن السلطان الأشرف قانصوه الغورى أمر بحفر بئر عند قبة يشبك لإرواء المسافرين وأمر بعمل فساقى ، وأنه شرع فى عمارة قصر كبير وعمل بحيرة طولها نحو مائة ذراع ، وقد شرع فى تلك الأعمال فى ذى القعدة سنة ٩١٨هـ وظل يذهب إلى هناك ويكشف عن تلك الأعمال حتى افتتح الفساقى فى يوم السبت ثامن جمادى الأولى سنة ٩٢٠ هـ وأطلق فيها الماء وبات هناك وانشرح للغاية ، ولكن "ابن اياس" لم يذكر القصر وباقى العمارة . [6]

(١) ابن الصيرفى ، انباء الهصر ص٤٧ ، ١٦٦ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٣٢٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٣ ص٥٣ ، ٦٣ ، ١٤٧ ، ١٦٢ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٢٢٥ ، السخاوى ، الضوء اللامع جـ٦ ص٢٠٥ ، جـ١٠ ص٢٧٤ .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص٣٤ ، ٣٤١ ، ٤٠٠ .

(٣) نفسه جـ٣ ص٤٢٨ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص١٧١ ، ٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٤٠٩ ، ٤٣١ ، ٤٤٦ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ .

(٥) نفسه ص٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

* ويبدو ان العادة فى ركوب السلطان للصيد وفى مواكب السرحات والمتنزهات أن يكون بغير القبة والطير دلالة خاصة على التحرر والانطلاق .

(٦) بدائع الزهور جـ٤ ص٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣١١ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

* من الملاحظ هنا أن وثائق السلطان الغورى لم تذكر شيئا عن القصر الذى بناه بجوار قبة يشبك وأغلب الظن ان الغورى قد عدل عن عمله لأن الظروف وقتها لم تكن تسمح بذلك كما يقول ابن اياس .

وقد ذكر ابن اياس فى كتابه طبعة بولاق جـ٣ ص٦٢ أن الغورى أنشأ عند القبة مساطب عليها دعامات .

وقد ذكر "ابن اياس" أنه كان يوجد بجوار قبة يشبك ملقة كبيرة تملأ بالماء عند الفيضان ويكون منظرها أخاذا . (١)

وفى العصر العثمانى استمرت المطرية موضع تنزه كبير فكان الأمراء والمماليك والفرق العثمانية يفضلون الذهاب لتلك الأماكن الخلوية للترويح عن النفس وللتصالح بين طوائفهم أحيانا .

ولما كانت المطرية فى طريق الجيش العثمانى الفاتح لمصر كانت المعركة الفاصلة قد دارت فى الريدانية بجوارها وكذلك بعض عمليات المقاومة المملوكية بعدها ، لذا أراد السلطان سليم الأول الاستمتاع بتلك الأماكن الجميلة التى رآها فى طريقة فذكر "ابن اياس" أنه "توجه إلى بئر البلسان التى بالمطرية وأضافة هناك محمد بن الريس شمس الدين القوصونى فمد له مدة حفلة وكذلك الشيخ دمرداش وانشرح ابن عثمان فى ذلك اليوم إلى الغاية وجلس على بئر البلسان وغسل وجهه من مائها وأقام هناك الى بعد العصر" (٢)

وكذلك كان ملك الامراء خاير بك يذهب إلى قبة الأمير يشبك وتمد هناك الموائد الحافلة . (٣)

رابعا : الحقول (الغيطان) والبساتين والضواحى

تمثل غيطان مصر وبساتينها متنزهات بديعة فى العصرين المملوكى والعثمانى وكانت تحيط بالقاهرة من الشمال والغرب والجنوب ، وقد وصفها المؤرخ "ابن ظهيرة" بأنها " عظيمة وكثيرة ومناظرها عالية ومياهها جارية ، فيها كثير من الأشجار النضرة والأزهار العطرة والرياحين ، والفواكة الكثيرة من غالب الثمار لكن الحوامض فيها أكثر" (٤)

وثمة مشهد خلاب لانزال نرى مثيله إلى اليوم بريفنا المصرى ، كان يغلب على حقول مصر والقاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى وعد واحد من محاسن القاهرة ألا وهو منظر القرط (البرسيم) بأراضى مصر فى أيام الربيع ، فإنها تصيتر تربة خضراء بمنظر بهيج إذا وقف الناظر فيها يرى مد بصره يمينا وشمالا بساطا أخضر ، جلت عظمة خالقة ، ويشم فيه روائح طيبة ونسيما طيبا ، ويشاهد غيما كثيفا وظلا رقيقا وطيورا مختلفة الألوان والأشكال والأصوات ولهذا قال بعض الحكماء : من أراد أن ينظر إلى شبة الجنة فلينظر إلى ديار مصر فى زمن الربيع قبل طلوع الشمس . (٥)

---

(١) نفسه جـ٥ ص٢٢٠ .
(٢) بدائع الزهور جـ٥ ص١٨٨ .
(٣) نفسه ص٢٢٠ ، ٣٧٨ .
(٤) الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ص٢٠١ .
(٥) نفسه .

وبالنظر إلى خرائط الحملة الفرنسية للقاهرة نرى إحاطة الحقول (الغيطان) والبساتين بحدودها الشمالية والغربية والجنوبية ، وكانت مسماة بأسماء الامراء والشيوخ ومن أكبرها غيط (بستان) قاسم بك الذى كان يجتمع فيه أعضاء المعهد المصرى ومجلس العلوم والفنون خلال الحملة ، وكان يوجد داخل المدينة نفسها عدد كبير من البساتين البهيجة أهمها اثنان وعشرون بستانا يسمى الواحد منها تبعا لحجمة غيط أو جنينة . (١)

وقد قارن "جومار" بين بساتين القاهرة وبساتين فرنسا ذكر أن بها اختلافا كبيرا لأن بساتين القاهرة كانت تتألف من مشاجر كثيفة ومجاميع من أشجار البرتقال والليمون وتكعيبات العنب وفيها أشجار السنط والتين والجميز أضخم أشجار مصر ـ متداخلة مع النخيل ذى الجذع المتطاول وأشجار التوت والرمال والنبق والآس والسنط المصرى وأشجار الموز ذى الأوراق العريضة والفاكهة اللذيذة ، وكانت بساتين فرنسا على النمط المعمول به بساتين وحدائق اليوم من تقسيمها بممرات وتغطية أرضها بالنجيل الأخضر وإقامة المقاعد بها وغير ذلك . (٢)

ولكن جومار يبدى إعجابة بلمسة جمال وجدها فى حدائق القاهرة بقوله "وإذا كنا لانشعر فى هذه البساتين بمتعة الرحلة ففى المقابل يمكننا أن نأخذ بها قسطا من الراحة داخل أكشاك مغطاة بالأعراش حيث يدخن فيه مرتادوها دخانا طيب الرائحة وحيث نستنشق بها طوال العام هواءا تفوح منه أذكى أنواع العطور" . (٣).

وكانت ضواحى القاهرة من متنزهاتها فى العصرين المملوكى والعثمانى وكانت تحيط بها الحقول والبساتين من كل جانب ، ومن أهم تلك الضواحى أرض البعل والتاج والخندق ، وكوم الريش ، ومنية السيرج .

١ـ أرض البعل والتاج :

أرض البعل (٤) كانت فى العصر الفاطمى بستانا يعرف بالبعل وفيه منظرة البعل وقد أنشأهما الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وقد جعل على هذا البستان سورا . (٥)

---

(١) جومار ، وصف مدينة القاهرة ص٨١ .

(٢) جومار ، وصف مدينة القاهرة ص٨١ .

(٣) نفسه ص٨١ ـ ٨٢ .

(٤) البعل فى اللغة هو الزرع يشرب بعروقه فيستغنى عن السقى ، والبعل الأرض المرتفعة التى لا يصيبها المطر إلا مرة واحدة فى السنة ، وقيل البعل كل شجر أو زرع لا يسقى ، وقيل البعل ما سقته السماء وقد استبعل الموضوع ، والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء ، وقيل هو ما اكتفى بماء السماء ، والبعل ما أعطى من الاتاوة على سقى النخل . انظر : ـ مادة بعل فى المعجم الوسيط ، المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٢٩ .

(٥) المقريزى ، الخطط جـ١ ص٤٨٠ ـ ٤٨١ ، جـ٢ ص١٢٩ .

وأرض التاج كانت فى العصر الفاطمى بستانا وفيه منظرة التاج بناها الأفضل ايضا ، وكان بستان التاج مجاورا لبستان البعل ويجاورهما بستان الخمس وجوه ، وكانت تلك البساتين والمناظر من أجل متنزهات الخلفاء والوزراء الفاطميين .[١]

وأرض البعل تقع فى جانب الخليج الغربى بحرى أرض الطبالة مقابل قناطر الاوز ، وقد ذكر "المقريزى" أنها فى أيامه كانت مزرعة ويخرج الناس للتنزه هناك أيام النيل والربيع ، وقد خربت المناظر آنذاك وبقى منها آثار ادركها المقريزى يعطن بها الكتان تدل على عظمتها وجلالتها فى حال عمارتها .[٢]

أما ارض التاج أيام المقريزى فقد زالت عنها الاشجار واستقرت فى أراضى منية السيرج الخراجية وفى أيام التيل ينبت فيها نبات يعرف بالبشنين له ساق طويل وزهره يشبه اللينوفر وإذا أشرقت الشمس انفتح فصار منظرا انيقا وإذا غربت الشمس انضم[٣] ، وربما هو الذى نعرفه اليوم باسم عباد الشمس .

ويمثل ارض البعل الآن المنطقة السكنية فى غمرة والشرابية المحدودة من الشرق بشارع الخليج المصرى (بورسعيد) ومن الشمال بشارع الآلايلى وما فى امتدادة ومن الغرب بخط السكة الحديد الموصل الى محطة مصر ومن الجنوب بشارع الظاهر وما فى امتداده .[٤]

وارض التاج تقع شمال المنطقة السابقة ويمثلها الآن المنطقة السكنية المعروفة بمهمشه وحدها الشرقى شارع الخليج المصرى أيضا والحد الشمالى شارع معمل الصابون ومن الغرب السكة الحديد ومن الجنوب شارع الآلايلى وما فى امتداده .

٢ـ الخندق :

الخندق[٥] قرية خارج باب الفتوح شمال القاهرة كانت تعرف أولا بمنية الاصبغ نسبة الى الاصبغ

---

(١) نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٢٩ .

(٤) انظر ايضا : ـ محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، القسم الاول ، ص١٥ ـ ١٦ .

(٥) الخندق هذا الذى تسمت القرية به ترجع قصته إلى أول سنوات الدولة الفاطمية بمصر ، فبعد أن اختط القائد جوهر القاهرة فى سنة ٣٥٨هـ أمر المغاربة ان يحفروا خندقا من الجبل إلى الإبليز (وهو الطين الذى يخلفه نهر النيل على وجه الأرض بعد ذهابه) شمال القاهرة فى طريق القادم من الشام عشره عشرة أذرع فى عمق مثلها ، فبدىء فى حفرة يوم السبت حادى عشر شعبان سنة ٣٦٠هـ وفرغ الحفر فى أيام يسيرة ثم حفر خندقا آخر قدامه وعمقه=

بن عبـدالعزيز بـن مروان [(١)] ، ثم صار بستانا جلـيلا من جملة البساتين السلطانـية فى أيام الخلفاء الفاطميين ، وقال المقريزى عن الخندق فى العصر المملوكى "وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة إلـيها ليتنزهوا بـها فى أيام النيل والربـيع ، ويسكنها طائـفة كبيرة ، وفيها بـساتين عامرة بالنخيل الفاخر والثمار وبها سوق وجامع تقـام به الجمعة وعليه قطعة أرض من أرض الخندق يتولاها خطيبه ، فلـما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمـانمائة خربت قرية الخندق ورحل أهـلها منها ونقلت الخطبة من جامعـة إلى جامع بالحسينية وبقى معطلا من ذكر اللـه تعالى وإقامة الصلاة مدة ثم فى شعبـان سنة خمس عشـرة وثمانمائة هدمـه الأمير طوغان الدوادار وأخـذ عمده فلم يبـق إلا بقية أطلاله وكانـت قرية الخندق كأنهـا من حسنها ضرة لـكوم الريش وكانت تجاهـها من شرقيها فـخربتا جميعا" [(٢)]

ولكننا نجد أن العمارة عادت بعض الشئ عقب تلك المحن وظلت الخندق متنزها بعد ذلك . [(٣)]

وكان قريـة الخـندق الآن المنطقة الواقعة حول ديـر الملاك البحرى وما جاورها من منـطقة حدائق القبة بالقاهرة . [(٤)]

= ونصب عليه باب يدخل منه وهو الباب الذى كان على ميـدان بستان الإخشيد ، ويقصد بذلك ان يقاتل القرامطة من وراء هذا الخندق فقيل له من حينئذ الخندق وخندق العبيد والحفرة .

المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٦ .

* ولمصادفة مـرور الخندق الخارجى المحفور مـن الجبل الاحمر إلى النـيل بجوار منية الإصـبغ من جهتها الـبحرية اشتهرت هذه القرية من ذلك الوقت باسم الخندق .

* وقد حقق المرحوم الاستاذ محمد رمزى مسار الخندق فقـال " وبالبحث عن المكان الذى يمر فيه الخندق الخارجى المذكور تبين لـى انه كان يبدأ من قاعدة الجبل الاحـمر ثم يسير الى الشمـال الغربى مارا بشارع السكة الـبيضاء إلى نهايته الغـربية ومن هناك يعتدل إلى الشمـال ثم يسير فى طريقه إلى الزاويـة القبلية العربية من حوش كـلية العلوم بسراى الزعفران (مبنى جـامعة عين شمس الآن) ، ومن هناك ينعطف الخندق إلى الغـرب ويسير فى طريقه إلى أن يتلاقى بشارع الملك (شارع مصر والسودان حاليا) تجاه مدخل شارع اسرائيل ومن هناك يسير الخندق إلى الغرب مارا فى شمال قرية منية الاصبـغ وقرية الزاوية الحمراء ثم يسير فى طريقه الى الغرب الى أن ينـتهى بالنيل وكان شاطىء النيل الشـرقى فى تجاه الزاوية الحمراء فـى ذلك الوقت أى فى سنة حفـر الخندق يقع فى المكان الـذى يمتد فيه الآن جسر الـسكة الحديدية الموصلة مـن محطة مصر إلى الاسـكندرية وبعد ذلـك طرح البحر حتى وصل شـاطئة الى مجراه الحالى" .

محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق٢ جـ١ ص٥٦ ـ ٥٧ .

(١) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٨ .

(٢) الخطط جـ٢ ص١٣٨ .

(٣) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص٦٧٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص٢٧١ .

(٤) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ق٢ جـ١ ص٥٦ .

٣. كوم الريش (الزاوية الحمراء) :

كوم الريش اسم لبلد فيما بين أرض البعل ومنية السيرج ، وكان النيل يمر بغربيها بعد مرورة بغربى أرض البعل [١] وكان كوم الريش من أجمل متنزهات القاهرة ورغب أعيان الناس فى سكناها للتنزه بها [٢] ، وقبل المحن التى تعرضت لها القاهرة ابتداءا من سنة ٨٠٦هـ كان يسكن بكوم الريش أمراء دائما ، وكان من جملة من سكن فيها دائما نحو الثمانمائة من الجند السلطانى [٣] .

وعن عمارتها قال المقريزى "وأنا أدركت بها سوقا عامرا بالمعايش بأنواعها من المآكل ولا أعرف اليوم بالقاهرة مثله فى كثرة المآكل وأدركت بها حماما وجامعين تقام بهما الجمعة وموقف مكارية ومنارة لايقدر ا لواصف أن يعبر عن حسنها لما اشتملت عليه من كل معنى رائق بهيج" [٤]

وعما آلت اليه فى زمنه من خراب قال " ومابرحت على ذلك الى أن حدثت المحن من سنة ست وثمانمائة فطرقها أنواع الرزايا حتى صارت بلاقع وجهلت طرقها وتغيرت معاهدها ونزل بها من الوحشة ما أبكانى وأنشدت فى رؤيتها عند مشاهدتها خرابا :

قفرا كأنك لم تكن تلهو بها فى نعمة وأوانس أتراب

"وكذلك أخذ ربك إذا اخذ القرى وهى ظالمة أن أخذه اليم شديد" [٥] (سورة هود الآية ١٠٢) .

ولكن الأزمات التى بدأت سنة ٨٠٦ هـ لم تدم ، ففى أيام المؤيد شيخ بدأ التعمير يعود للقاهرة ، وعادت كوم الريش إلى ماكانت عليه سابقا أثناء سلطنة الملك الأشرف قايتباى ، فقد أنشأ بها زاوية تجاه جامع قيدان دهنت حيطانها باللون الأحمر فعرفت بالزاوية الحمراء وكان ذلك سنة ٨٩٠هـ ، وقد عرفت كوم الريش منذ ذلك الوقت باسم الزاوية الحمراء وكان ذلك على يد أبو البقاء ابن الجيعان . [٦]

وقد ذكر "ابن اياس" أنه فى جمادى الأولى سنة ٨٩٦هـ " انتهت عمارة ابو البقاء بن الجيعان من

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٠ .

* وقال المقريزى عن النيل وأثره على كوم الريش "وأدركت آثار الجروف باقية من غربى البعل وغربى كوم الريش إلى اطراف المنية (منية السيرج) حتى تغيرت الأحوال من بعد سنة ست وثمانمائه ففاض ماء النيل فى أيام الزيادة ونزل فى الدرب الذى كان يسلك فيه من أرض الطبالة إلى المنية فانقطع هذا الدرب وترك الناس سلوكه" .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٠ .

(٣) نفسه . (٤) نفسه .

(٥) نفسه .

(٦) السخاوى ، الضوء اللامع جـ٦ ص٢٠٩ . محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ق٢ ج١ ص١١ . ، تعليقه على النجوم الزاهرة جـ٩ ص٢٠٣ .

تجديد ما عمره فى الزاوية الحمراء التى عند قناطر الأوز وصارت من جملة مفترجات القاهرة ، وفى ذلك يقول بعض الشعراء : ـ

عجبت لجامع قد زاد حسنا	وأبدع فى التزخرف والبناء
به أنهار تجرى فى جنان	وقصر شاهق لأبى البقاء

وصنع هناك جامعا بخطبة وجاء فى أحسن المبانى " (١)

ونفهم من كلام ابن اياس ان ابن الجيعان قد حول الزاوية إلى جامع بخطبه ، ويرسم لنا ابن اياس صورة للمنطقة أنذاك بقوله فى ترجمته لابن الجيعان (٢) انه هو الذى "أنشأ عمارة الزاوية الحمراء وجعل بها خطبة والحوض والسبيل ، وأنشأ هناك القصور والمناظر والغيط الحافل وصار ذلك المكان من جملة مفترجات القاهرة وتسعى إليه الناس فى زمن النيل بسبب الفرجة هناك وصار عوضا عن التاج والسبعة الوجوه التى كانت من المفترجات القديمة " (٣)

وقد ظلت أعمال ابن الجيعان قائمة فى العصر العثمانى وكانت الزاوية معروفة باسمه وقد آل القصر الذى انشأه والجنينه الملحقة به و كذلك الاراضى والغيط الذى كان جاريا فى أوقافه إلى الأمير عثمان كتخدا القازد وغلى فى محرم سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م (٤)

٤ـ منية السيرج :

منية الشيرج لا تزال موجودة للآن بشبرا بالقاهرة ، و هى بلده قديمة لها أهميتها لوقوعها فى طريق الاسكندرية ، وسميت بهذا الاسم لأنه كان بها معاصر كثيرة للسمسم الذى يستخرج منه زيت الشيرج المعروف بالسيرج وهى تعرف أيضا بمنية الأمير ومنية الامراء لكثرة من سكن بها منهم فى العصر المملوكى ، وكانت آنذاك عامرة بدور السكنى والقصور وجامع وزوايا وحمامات وبساتين ومتنزهات وكان سوقها الذى يقام الأحد من أسواق مصر المشهورة وكان يباع فيه البقر والغنم

---

(١) بدائع الزهور جـ٣ ص٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٢) ابن الجيعان هو ابو البقاء محمد بن يحيى بن شاكر ، كان رئيسا حشما فاضلا عارفا بأحوال المملكة وكان مقربا عند الأشرف قايتباى ورقى فى أيامه وانتهت إليه الرياسه وفاق على من نقدمه من أقاربه وكان أدويا حلو اللسان سيوسا وله اشتغال بالعلم وكان من نوابغ بنى الجيعان ، وكان له بر معروف ، وقد قتله بعض المماليك فى ذى القعدة سنة ٩٠٢ هـ عن عمر يناهز الستين عاما ، وولى السلطان مكانه أخاه صلاح الدين وقرره فى استيفاء الجيش مضافا لما بيده من كتابة السر .

ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٣ ص٣٦٣ .

(٣) نفسه .

(٤) كتاب وقف عثمان كتخدا رقم ٢٢١٥ أوقاف ص١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ .

والغلال، وكانت عبرتها فى العصر المملوكى تفوق العشرة آلاف دينار وكانت تشتهر بعصر الخمر وبيعه ، وكان أكثر من كان يسكن بها النصارى [1] ولا يزالون .

وهى من محاسن متنزهات القاهرة فقد اتخذها الناس منزل قصف ودار لعب ولهو ومغنى صبابات ، وبها كان يعمل عيد الشهيد لقربها من ناحية شبرا ، وذكر "المقريزى" أنه أدركها عامرة بكثرة المساكن والأسواق والمناظر وتقصد للنزهة بها أيام النيل والربيع لاسيما يومى الجمعة والأحد فإنه كان للناس فى هذين اليومين مجتمع ينفق فيه مال كثير" . [2]

وكانت منية السيرج واقعة على شاطىء النيل لغاية سنة ٦٨٠ هـ وفى تلك السنة طمى الخور الذى كان فاصلا بينها وبين جزيرة الفيل التى تشمل اليوم قسمى شبرا وروض الفرج من أقسام القاهرة فاتصلت أرض الجزيرة المذكورة بالشاطئ الأصلى للنيل وبذلك أصبحت مساكن هذه القرية فى وسط الأراضى الزراعية . [3]

خامسا : رباط الآثار

يعتبر رباط [4] أثر النبى من أهم متنزهات مصر ذات الصفة الدينية فى العصرين المملوكى والعثمانى وذلك لما تمتع به منذ انشائه من موقع إذا كان يقع جنوب مدينة مصر الفسطاط مطلا على النيل مباشرة ومحاطا ببساتين ومزروعات ومواجهاً لبرك الحبش والشعيبية وشطا ، وكان يتوصل إليه عن طريق جسر الأفرم . [5]

وكان الرباط مجاورا لبستان شهير عرف باسم المعشوق ، والمعشوق هذا بستان قديم كان بمظاهر مصر من جملة خطة راشدة كان قد عرف أولا بجنان كهمس بن معمر ثم عرف بجنان الأمير تهيم بن

---

(١) ابن دقماق ، الانتصار جـ٥ ص٤٧ ، المقريزى جـ٢ ص١٣٠ ، ابن الجيعان ، التحفة السنية ص٧ ، احمد دراج ، حجة وقف الاشرف برسباى ص٤٢ .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص١٣٠ .

(٣) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق٢ جـ١ ص١٤ ـ ١٥ .

(٤) الرباط نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الاسلام ، بحد السيف ، وكانت الأربطة منتشرة فى صدر الإسلام قبل أن ينتشر الدين ويستتب الأمن وتأمن الدولة الاسلامية على حدودها ، وقد كانت فى تصميمها تشبه التحصينات الحربية فمعظمها عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل فى أركانها أبراج للمراقبة ، ولما زالت عن تلك الاربطة صفتها الحربية أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية وأصبحت تدرس بها علوم الدين وصارت تبنى فى وسط المدن ، كما خصصت بعض الربط للنساء اللاتى أصبحن بلا عائل فاهتمت تلك الربط النسائية بكفالها المرأة المسلمة وحمايتها . انظر : المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٢٧ ، سعاد ماهر ، مساجد مصر جـ١ ص٤١٣ ، دولت عبدالله ، معاهد تذكية النفوس فى مصر فى العصر الايوبى والمملوكى ، القاهرة ١٩٨٠م ص٤٩ ـ ٥٠ .

(٥) عن جسر الأفرم انظر ما سبق ص ١٣٣ .

المعز لدين الله ثم جدده الأفضل بن أمير الجيوش فعرف به ثم صار من وقف ابن الصابونى فأخذه الصاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر وأوصى بعمارة رباط للآثار النبوية وأن توقف عليه .[1]

وظلت الأراضى حول رباط اثر النبى بساتين وحقولا [2] حتى حولت إلى أرض مبانى فى النصف الثانى من هذا القرن فاتصلت مبانيها بدار السلام (دير الطين سابقا) من ناحية الجنوب أما شمال الرباط فقد شغل ساحل اثر النبى جزءا كبيرا من هذه البساتين ، و كذلك شغل جزء من الأرض الآن جراج لهيئة النقل العام بالقاهرة .

ويشرف جامع اثر النبى (رباط سابقا) حاليا على ترعة أثر النبى وهى فرع من النيل يواصل لساحل الغلال .

الآثار المنسوبة للرسول "صلى الله عليه وسلم" :

اعتبر المؤرخون هذه الآثار من الفضائل التى اختصت بها مصر دون غيرها من البلاد [3] ، وقد اختلف المؤرخون والرحالة فى عدد وثمن وصفة وتأكيد نسبة هذه الآثار للرسول صلى الله عليه وسلم التى حواها الرباط وقت انشائه ، ويرجع سبب ذلك أن بعضهم لم يرها فذكر مانقل له عنها بالسماع ، ومنهم من تساهل فى استقصاء عددها واكتفى بذكر بعضها ، ولقد أحسن من احتاط منهم فأعقب عبارته بقوله (وغير ذلك) ، ونخلص من تلك الروايات أنها كانت قطعة من العنزة أى الحربة ، وقطعة من القصعة ، ومرود عبر عنه بعضهم بالميل وقال بعضهم من نحاس وبعضهم من نحاس اصفر ، وملقط قال عنه بعضهم من حديد وقيده بعضهم بكونه صغير لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها ، ومخصف وقيده بعضهم بكونه صغيرا وعبر عنهم بعضهم بالأشغى الذى كان

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٤٢٩ .

(٢) ذكر المرحوم "محمد رمزى" أن "أثر النبى أصلها عزبة قديمة من ضواحى مصر القديمة عرفت باسمها الحالى نسبة إلى مسجد الآثار النبوية الموجود بهذه القرية ، وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ضمت الأراضى الزراعية الواقعة فى منطقة البستان المعشوق وبركة شطا وبركة الشعيبية إلى بعضها وتكون منها زمام خاص باسم ناحية أثر النبى وبذلك أصبحت هذه القرية من ذلك التاريخ ناحية قائمة بذاتها من الوجهتين الإدارية والمالية وهى الآن تابعة لمحافظة مصر فيما يختص بأعمال الإدارة والضبط والصحة والقرعة ولمركز ومديرية الجيزة فيما عدا ذلك ويسميها العامة أتر النبى بالتاء بدل الثاء *

أنظر :ـ القاموس الجغرافى ق ٢ جـ٣ ص٣ ، تعليقة على النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٦١ ، جـ ١١ ص٢٧٢ .

* والآن اصبحت تلك الناحية تابعة من كافة أمورها لمحافظة القاهرة ."

(٣) ابن ابى السرور البكرى ، الكواكب السائرة فى اخبار مصر والقاهرة (مخطوط) ص٩٣ .

صلى الله عليه وسلم يخصف به نعله ، ومكحلة ومشط وانفرد بذكرهما "ابن كثير" وقطعة عصا وانفرد بذكرها "الجبرتى" وقطعة من القميص لم يذكرها الا "ابن اياس" و"الجبرتى" . (١)

ومن غير الآثار النبوية المصحف المنسوب لأمير المؤمنين علي بن ابى طالب كرم الله وجهه ثم أضاف إليها السلطان الغورى المصحف العثماني الذى كان بمدرسة القاضي الفاضل (٢) وهما باقيان إلى اليوم وفى نسبتهما إليهما نظر . (٣)

ولم يبق من الآثار النبوية اليوم إلا المكحله والمرود والقطعة من القميص والقطعة من القضيب وهى التى عبر عنها الجبرتى بقطعة عصا وضم إليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة محفوظتان فى زجاجه . وقد حفظت جميعها فى أربعة صناديق صغيرة من الفضة ملفوفة فى قطع من الديباج الأخضر المطرز : المكحلة والمرود فى صندوق والشعرتان فى صندوق والقميص فى صندوق والقضيب فى صندوق ، وفقدت بقيت الآثار التى كانت معها وهى القطعة من العنزة والقطعة من القصعة والمخصف والملقط والمشط ولا يعلم فى أى زمان فقدت . (٤)

نقل الآثار من الرباط :

ظلت الآثار برباط الآثار منذ إنشائه حتى نقلها السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى إلى قبته التى انشأها مواجهة لمدرسته بسوق الشرابشيين بأول الغورية حاليا (اثر رقم ١٨٩) بحجة تشعث بناء الرباط والخوف عليها من السراق نظرا لانعدام الأمن فى المنطقة التى بها الرباط آنذاك ، وكان ذلك فى جمادى الأولى سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م بعد أن أفتى العلماء بجواز نقلها فأجازوه بخلاف شروط الواقف ، وأضاف الغورى إلى هذه الآثار ربعة شريفة مكتوبة بالذهب كانت بالخانقاة البكتمرية التى بالقرافة . (٥)

---

(١) ابن بطوطة ، الرحله (ط دار الكتاب اللبنانى) ص٣٧ ، القلقشندى ، صبح الاعشى جـ٣ ص٣٤٧ ، المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٢٩ ، ابن ايبك ،كنز الدرر جـ٩ ص١٩٢ ، ابن دقماق ، الانتصار جـ١ ص١٠٢ - ١٠٣ ، السيوطى ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٢٧٣ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ص٦٨ - ٦٩ ، الجبرتى ، عجائب الآثار جـ٢ ص١٧٤ ، احمد تيمور ، الاثار النبوية (ط ٢ القاهرة ١٩٥٥م) ص ٢٧ - ٣٥ .

(٢) كانت مدرسة القاضى فى درب ملوخية المعروف الآن بدرب القزازين قرب المشهد الحسينى ، انظر : - احمد تيمور ، الآثار النبوية ص٣٦ .

(٣) نفسه ص٤٢ .

(٤) نفس الصفحة .

(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ٤ ٦٨ - ٦٩ .

* خانقاه بكتمر هذه ذكرها المؤرخون بأنها بطرف القرافة فى سفح الجبل مما يلى بركة الحبش وأقامها بكتمر فى =

وظلت هذه الآثار الشريفة محفوظة بقبة الغورى حتى سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م حيث نقلت إلى المسجد الزينبى ، ثم نقلت فى موكب حافل إلى خزانة الأمتعة بالقلعة ، ثم نقلت منها سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م الى ديوان الأوقاف ، وفى سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م نقلت الى قصر عابدين مقر الخديوى ومنه نقلت فى السنة المذكورة إلى المسجد الحسينى فى موكب مهيب ضم ثلاثين ألف نسمة واحتشد لرؤية نحو مائتى ألف ، ثم أقام لها الخديوى عباس حلمى سنة ١٣١١هـ / ١١٩٣م حجرة خاصة لها وراء الجدار الشرقى للمسجد الحسينى والجدار الجنوبى لقبة المسجد وجعل لها بابان واحد إلى المسجد وواحد الى القبة . (١)

المكانة الدينية التى تمتع بها الرباط :

تمتع الرباط بمكانة عظيمة فى قلوب الناس جميعا حكاما ومحكومين فى العصرين المملوكى والعثمانى نظرا لما ضم به من آثار شريفه نسبت للنبى صلى الله عليه وسلم كانوا يتباركون بها على وجه العموم .

ويكون للرباط أهمية عظمى فى حالة حدوث الأحداث الجسام كالطواعين والأوبئة ويكون له الأهمية القصوى بوجه خاص فى حالة حدوث توقف النيل عن الفيضان أو زيادته عن الحد إذ يهرع اليه الناس جميعا على رأسهم العلماء والقضاة حينئذ وكانوا يغسلون تلك الآثار فى ماء النيل فى الرباط أو فى مقياس النيل ويتضرعون الى الله سبحانه وتعالى أن يكشف عنهم البلاء (٢) ، وربما كان

---

* شهر رجب ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م وبنى بجانبها حماما وأنشأ هناك بستانا فعمرت تلك الخطة وصار بها سوق كبير وعدة سكان وتنافس الناس فى مشيختها ووضع بها الربعة الشريفة المكتوبة بماء الذهب ، وكانت هذه الخانقاه بالقرب من مقام ابن عطاء الله السكندرى وعبد الله بن أبى جمرة الباقيين للآن بقرافة على ابو الوفا الكائنة تحت سفح المقطم من الجهة الشرقية لقرافة الامام الليث ، كما كانت مجاورة لمقام سيدى محمد وفا ، وكانت بجوار حوش الملك الظاهر بيبرس . انظر : ـ المقريزى ، الخطط جـ١ ص٤٢٣ ـ ٤٢٤ ، السخاوى ، تحفة الاحباب ص٧٧ ـ ٧٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٤٦٧ .

* هذه الربعة الشريفة محفوظة الآن بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٢ مصاحف ميكروفيلم ٣١٧٧ ، و الوقفية الواردة عليها مؤرخة بتاريخ ٢٧ جمادى الأخرة سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ومقاسها ٤٫٥٥ X ١ر٤٠ سم . انظر : ـ عبداللطيف ابراهيم ، المكتبة المملوكية (القاهرة ١٩٦٢م) ص٧٤ لوحة ٢ ، محمد حمزة ، قرافة القاهرة ص٨٠ ـ ٨١ .

(١) انظر بالتفصيل : ـ احمد تيمور ، المرجع السابق ص٣٩ ـ ٤١ .

(٢) انظر : ـ المقريزى ، السلوك جـ٣ ص٢١٨ .

ابن حجر العسقلانى ، انباء الغمر جـ١ ص٥٩ ، جـ٢ ص٢٥٩ ، ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور جـ١ ص٨٧,

ذلك هـــو السبـــب الذى من أجـــله جعـــل الصـــاحب تاج الدين ابن حـــنا يبنى الرباط علـــى النيل مباشرة .

عمارة الرباط فى العصر المملوكى :

بالرغم من أن الرباط الأصلى قد زال كلية وبنى مكانــه مسجد إلا أننا نستطيع أن نستشف الوضع الإنشائى الذى كـــان عليه والذى كانت علـيه الأربطة فى العصر المـملوكى فتقول أنه فـى الغالب كان يتكون من صحـن مكشوف يحيط به مكان مغـلق للعبادة (إيوان أو اكثر) وكذلـك طبقات (حجرات) متجاورة لإقامة الصوفية وربما كان له أكثر من طابق . (١)

وقد أنشأ الرباط الوزير الـصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الديـن محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمـد بن سليم بن حنا ، وذلك ليضم به الآثار التى تنسـب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد مـات تاج الدين سنة ٧٠٧هـ ولم يكن قد أكمل الرباط فأكـمله ابنه الصاحب ناصر الدين . (٢)

ولما أكمل الصاحب ناصر الدين بناء الرباط بعـد وفاة والده رتب عليه الأوقاف الكثيرة وجعل فيه الطعام للـوارد والصادر والجراية لخدام تلك الاثـار الشريفة (٣) ، كما استـحدث وظيفة هامة تـعلقت بالآثار فى العصر المملوكى هى وظيفة شيخ رباط الآثار . (٤)

واستمر الاهـتمام بالرباط فى العـصر المملوكى فنرى أن الـسلطان الاشرف شعبان بـن حسين بن

---

(١) نستشف ذلك الوصف من الأربطة التى بقيت من العصر المملوكى مثل رباط أبو طالب .

* وكذلك مما ذكره الرحالة "ابن بطوطة" الذى زار مصر فى طريقة للحجاز أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون حيث وصف الرباط بأنه رباط عظيم وأنه قد بات به ليلة .

انظر الرحلة ص٣٧ .

* وكذلك ما ذكره البرهان الحلبى فى حاشيته المسماة نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس إذ قال : " فى آخر مصر مكان على النيل مبنى محكم البنيان وله طاقات مطـلة على النيل ومكان ينزل اليه وبركة من ماء النيل ومطهرة بماء النيل . . " .

انظر احمد تيمور ، المرجع السابق ص٣٢ .

(٢) أسرة ابن حـنا أسرة عريقـة تولى أفرادهـا منصب الوزاره وغـيره من الوظائـف الهامة فـى زمن الدولتين الأيـوبية والمملوكية البحرية ، وتميز أفرادها بالتدين وحب العلم والكثير من الصفات الحميدة . عنهم بالتفصيل انظر : ـ ابن ايبك ، كنز الدرر جـ٩ ص١٩٤ ، ابن دقماق ، الانتصار جـ٤ ص١٠٢ ـ ١٠٣ ، المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٢٢٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٤٢٩ ، ابن حجـر ، الدرر الكامنة جـ١ ص٢٤٨ ، جـ٤ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٣٨٥ ، ٤١١ ، ٥١٥ .

(٣) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٢٩ ، ابن بطوطة ، الرحلة ص٣٧ .

(٤) السخاوى ، التبر المسبوك ص٣٥ ، الضوء اللامع جـ١ ص١٣٨ .

محمد بن قلاوون قد قرر فيه دروسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعنده عدة من الطلبة ولهم جار فى كل شهر من وقف وقفه عليهم . [١] وفى ايام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط [٢] ، كذلك أمر السلطان المؤيد شيخ بتجديد الرباط فى رجب سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م . [٣]

ونظرا للترميمات العديدة للرباط ذكر السيوطى أن الرباط قد تغيرت معالمه فى نهاية العصر المملوكى . [٤]

عمارة الرباط فى العصر العثمانى :

هدم الرباط كلية فى العصر العثمانى وبنى مكانه جامع صغير هو الموجود حاليا ، وكان ذلك بإذن السلطان العثمانى محمد الرابع (١٠٥٨ ـ ١٠٩٩ هـ/ ١٦٤٨ ـ ١٦٨٨م) وتم إنجاز ذلك على يد الوالى ابراهيم باشا الدفتردار (١٠٧١ ـ ١٠٧٤هـ / ١٦٦١ ـ ١٦٦٤م) كما بنى ابراهيم باشا قصرا كبيرا مجاورا للجامع بالاضافة إلى رصيف لدفع ماء النيل عن بنائه كما أوقف عليه أموالا ، وكذلك أوقف عليه أرضا وعين وعين به قراء ووظائف وحراسا قاطنين به . [٥]

وكان بناء الجامع لأجل وضع آثار قدمين نسبوهما إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بديلا عن الآثار التى كانت قد نقلت الى قبة الغورى . [٦]

وفى فترة حكم الوالى عمر باشا السلحدار (١٠٧٤ ـ ١٠٧٧هـ / ١٦٦٤ ـ ١٦٦٧م) تم إحاطة الجامع بسور من الخارج فى الأربع جهات وتم وضع سواقى فى الأرض المحصورة بين الجامع والسور

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٢٩ .

(٢) نفسه .

(٣) المقريزى ، السلوك جـ٤ ص٥٣٤ ، العينى ، عقد الجمان (نشرالزهراء) ص١٠٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١٤ ص٩٩ .

(٤) حسن المحاضرة جـ٢ ص٢٧٣ .

(٥) تم تسجيل تلك العمارة التى قام بها ابراهيم باشا الدفتردار بأمر السلطان محمد الرابع على اللوحة الرخامية التى توجد أعلى مدخل القبة التى بها آثار القدمين وكذلك على اللوحة التى تعلو دخلة الآثار . وانظر ايضا :ـ ابن الوكيل ، تحفة الاحباب (مخطوط) ص٢٠٣ ، الصوالحى ، تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق ص٩٩

* وقد اثنى الرحالة النابلسى على هذا القصر . أنظر الحقيقة والمجاز ص٢٤٠ .

(٦) آثار الاقدام التى نسبوها للرسول صلى الله عليه وسلم والمنتشرة فى أماكن عديدة لا اساس لها من الصحة وقد فند تلك الادعاءات الكثير من العلماء

من الجهة الجنوبية الشرقية والجهة الشمالية الشرقية ، وتم إنجاز ذلك حسب ماهو مثبت باللوحة التى تعلو الباب فى السور بالجهة الجنوبية الشرقية سنة ١٠٧٧هـ .

وفى شهر رجب سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩ م قام الخواجا (التاجر) محمود حسن بزرجان بتجديد الجامع كما كان عليه . (١)

وفى سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م هدم محمد على القصر المجاور للجامع وأنشأ مكانه قصرا غيره على طراز القصور الاوربية وزخرفه بزخارف الباروك والروكوكو وفرشه أحسن فرش وكان كثير التنزه إليه والمبيت به (٢) ، وهذا القصر لا وجود له حاليا ولا يزال موضع أرضه فضاءا محاطا بسور ملاصق لسور الجامع .

الوصف الحالى للجامع (اثر رقم ٣٢٠) :

الجامع محاط من الخارج بسور كبير من الأربعة جهات ، وبالطرف الجنوبى من الجانب الجنوبى الشرقى للسور باب ذو عقد قوس (موتور) يعلوه نص انشائى باللغة التركية يحمل اسم السلطان محمد غازى (محمد الرابع) وتاريخ سنة ١٠٧٧هـ ويفيد النص وضع ساقية فى الجنينة المحيطة بالجامع، ولا يزال يوجد للآن عمودا ساقية فى الجهة الشمالية الشرقية للجامع ، العمود الأول يقع على امتداد جدار القبلة يتوسط المسافة بين كتف الزاوية الشرقية للجامع وبين السور وهو يربط بين عقدين قوسيين يرتكزان فى الوسط على طبلة العمود وفى الطرفين على كتف الزاوية الشرقية للجامع وعلى السور الشمالى الشرقى وهذا العمود مثمن الاضلاع وتاجه كورنثى (لوحة ٥٣) أما العمود الآخر فهو اسطوانى وتاجه كورنثى ويربط كذلك عقدين قوسين يرتكزان فى الوسط على طيلته وفى الطرفين على كتف الزاوية الشمالية للجامع وعلى السور الشمالى الشرقى ، وتربط هذا العقود بأزبطة خشبية .

ويتوسط السور الشمالى الشرقى فتحة باب متوجه بعتب مستقيم ، وقد سعت هذه الفتحة حاليا وكانت تؤدى إلى القصر الذى موضعه الآن أرض فضاء .

والجامع من الخارج مستطيل الشكل أبعاده ٦٠ر١٧X١٠ر١٦م وواجهاته الأربعة خالية وهو خال من الزخارف ، ويتوسط الجانب الشمالى الغربى باب الدخول إليه وهو باب خشبى بسيط من مصراعين وهذا الباب يتوسط دخلة متوجة بعقد قوسى (موتور) وعلى جانبيها جلستان صغيرتان ، وعلى جانبى المدخل أربعة شبابيك شباكان فى كل جانب وتلك الشبابيك مستطيلة الشكل يتوجها

(١) الجبرتى ، عجائب الاثار جـ٣ ص٢٧٢ .

(٢) نفسه، ص٥٧١ .

أعتاب من صنجات معشقة ويغشيها من الخارج مصبعات خشبية ، ويرتد الجدار قليلا للداخل فوق مستوى الشبابيك ، ويعلو الأربع شبابيك والباب خمس قمريات مطاولة عقودها مدببة ويغشيها من الخارج سلك ، وكذلك باقى الواجهات بسيطة وتشابه تلك الواجهة .

أما الجامع من الداخل فيتكون من مساحة مستطيلة ابعادها ٦٠ر١٥X١٠ر١٤م ، وهذا الجامع مقسم إلى ثلاثة أروقة متساوية بواسطة بائكتين ثلاثيتين عقودها نصف دائرية أوسعها الأوسط تسير موازية لجدار القبلة محمولة على أربعة اعمدة .

ويتوسط جدار القبلة محراب قطاعة مدبب يتقدمه دخله اتساعها متران على جانبيها عمودان مثمنان ذوا تيجان وقواعد ناقوسية أما اتساع فتحة المحراب فتبلغ ١٨ر١م ، وعمقها ٨٠ر٠م ، يعلوه طاقية على هيئة ربع كرة زخرفت بزخارف إشعاعية بالألوان الصفراء والزرقاء والحمراء ، وتلك الإشعاعات تنطلق من شمس مشرقة ، وقد حددت توشيحتى المحراب بجفت لاعب ذات ميمات مستديرة ومسدسة ، يلعو ذلك آية قرآنية نصها "كلما دخل عليها زكريا المحراب" ، وعلى كل جانب من جانبى المحراب شباكان وتلك الشبابيك الأربعة وكذلك بقية شبابيك الجامع ذات اتساع واحد يبلغ كل منها ٥٥ر١ م يغلق على كل منها مصراعان خشبيان من الداخل ومصبعات حديدية من الخارج ، وترتفع الشبابيك عن أرضية الجامع ٣٢ر٠م ويعلو كل شباك قمرية مطاولة من الجص والزجاج الملون من الداخل بشكل زخارف هندسية وأشكال لجمية ، ومن الخارج مغشاة بسلك ، ويعلو المحراب قمرية مستديرة من الزجاج المعشق بالجص .

ويقابل هذا الجانب الجانب الشمالى الغربى الذى يماثله فى فتحات شبابيكة وقمرياته ولكن القمرية التى تعلو الباب مطاولة وليست مستديرة كالتى تعلو المحراب الذى على نفس محور الباب .

والجانب الجنوبى الغربى يحتوى على ست فتحات أربع فيها شبابيك واثنتين بابين يؤدى أحدهما إلى الحجرة بها آثار الأقدام والباب الآخر يؤدى إلى دورة المياه ، ويعلو الشبابيك الاربعة أربع قمريات مطاولة ، ويقابل هذا الجانب الجانب الشمالى الشرقى الذى فتح به ٤ شبابيك وحوى كتبيتين وفى المستوى العلوى فتحت أربع قمريات من الزجاج المعشق بالجص تعلو الشبابيك .

وأرضية هذا المسجد حجرية والسقف خشبى حديث وكان السقف القديم مزخرف بالألوان والتجليد كما يتضح من بقايا قليلة تبقت منه أثناء ترميم هيئة الآثار الحالى للجامع وقد زخرفت جدران المسجد بالألوان ، وعلى جدار القبلة زخارف عبارة عن مربعات بداخلها أشكال ورود ، وأما الجدران الثلاثة الأخرى فزخارفها عبارة عن دالات وذلك باللونين الأحمر والأسود ، وقد زخرفت بواطن العقود بزخارف على هيئة صنج مزررة باللونين الأحمر والأسود .

ويوجد على يمين المحراب منبر خشبى حديث من حشوات هندسية مستطيلة ومربعة ويوجد فى

الركن الغربى للمسجد دكة مبلغ محمولة علـى الجدارين المتقابلين وعمود مستدير ذات تاج كورنثى ، ويصعد من خلاله الدكة إلى سطح والمئذنة .

ونلاحظ أن الاعمـدة الرخامية الأربعـة بالمسجد متـماثلة وهى مثـمنه البدن ونلاحـظ أن عمودى البائكة التى تلى جدار القبلة مباشرة شكل الجزء السفلى منها على هيئة قاعـدة مربعة يعلوه التثمين ، ويعلو هذين العمودين تاجان كورنثيان أما عمودى البائكة الأخرى فيعلوهما تاجان ناقوسيان وقد حفر على بدنهما كتابة بالخط الثلث المملوكى على أحدهما كتب "أمر بتجديد هذا المكان المبارك" والآخر عليه "مولانا السلطان الملك" [1].

القبـــــة :

أما الحجرة التى بها الآثار فـهى مربعة ٩٥ر٢ ـ ٨٥ر٢م ، يعلو تربيعها منطقـة انتقال على الطراز الحلبى على هيئة أربعة مثلثات بأركانها رأسها لأسفل تتكون من أربع حطات (١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤) ، يلى ذلك رقبة مستديرة فتح بـها ٨ قمريات يعلوها قبة مرتفعة قطاعهـا مدبب محلاة من الداخل بزخارف دالية ملونة ويتدلى من صنجتها المفتاحية سلـسلة تحمل مركبا . والقبة من الخارج مزينة بزخارف دالية تبدأ بميمات ، ومنطقة الانتقال من الخارج على هيئة مثلثات منزلقة (مائلة) .

ويوجد بجدار القبلـة بهذه الحجره محراب ذات قطاع مدبب على يسار الـداخل ، أما على اليمين فتوجد دخلة متوجه بـعقد مدبب يرتكز على عمودين مسدسين ، وترتـفع ارضية الدخلة ٨٠ سم عن أرضية الحجـرة وقد وضع بها قطـعة حجرية نحت بـها آثار قدمين ، ويتـصدر الدخلة لوحـة رخامية مزخرفة بزخارف نباتية من أوراق وزهرة اللالا والخرشوف وعـلى جانبى اللوحة شجرتى سرو ، وبها نص كتابى عبارة عن سطـرين باللغة التركية تفيد الدعاء لابراهيم بـاشا واضع الاثر ، ويتوسط أعلى جدار القبلـة قمرية مستديرة ، وبـالجانب المقابل يوجد بـاب الدخول عبر مدخل منـكسر ، وبالجدار الجنوبى الغربى شباك فى دخلة مائلة يعلوه قمرية مطاولة ايضا ، والجدار المقابل له به شباك مشترك مع المسجد يعلوه قمرية مطاولة أيضا ، و أرضية الحجرة من رخام ملون موزع بطريقة هندسية .

وكانت الحجرة كلها مزخـرفة بالبلاطات ا الخزفية المربعة المزخرفة تبعا لـلاسلوب المسمى بأسلوب أزنيق الذى أنـتشر فى القرن ١٧ م وهى تحـوى زخارف من زهور اللالا والأوراق المسـنة والخرشوف وغيرها ، وهى كلها باللون ا لازرق ، وقد فقدت بعض البلاطات الآن .

---

(١) هذه الاعمدة تجلعنا فى وضع محير إن كانت تنتمى للعـصر المملوكى فمعنى هذا أن الرباط قد تحول إلى مسجد فى ذلك الوقت وأسلوب الكتابة هنـا يذكرنا بالنقوش الكتابية الخاصة بالسلطان قـايتباى بالرغم من أن أى من المصادر المملوكية لم تذكر تحويل الرباط لمسجد حتى أن "ابن اياس" الذى عـاصر الدولتين المملوكية والعثمانية لم يذكر مثل ذلك وإنما ظل ينعت المكان برباط

المئذنـــــــة :

للجامـع مئذنة مقامة علـى الطراز العثمانى وهـى تقع على نفس مـحور القبة فى الزاوية الـغربية للمسجد، وهـى تتكون من قاعدة مربعة بارتفـاع مدماك حجرى واحد فوق سطح المسجـد ثم منطقة انتقال على هيئة مثلثات منزلقة ، ثم بدن مـضلع من الخارج يتكون من ١٢ ضلعا أما من الداخل فهو مستدير وقد فـتح بكل ضلع من أضلاع الاتجاهات الجغرافـية فتحة مستطيلة لـلاضاءة ، ويعلو ذلك البدن دورة محمولة علـى مقرنصات ذات دلايات ، وينطلق من وسط الدورة البـدن الثانى وهو على شكل اسطوانى يعلوه قمة مدببة من ١٢ ضلعا ينطلق منها هلال .

النصوص الكتابية :

يوجد بداخل الجامـع نصان انشائيان ، بالاضافة الـى نص ثالث بلوحة تعلو المـدخل الذى بسور الجامع الخارجى ، وهذه النصوص باللغة التركية .

أما النص الأول الـذى بداخل الجامع فـيـقع على يسار مـدخل القبة وهو مـنقوش بلوحة رخـامية أبعادها ٥ر١ X ٧ر٠م ، و هو يتكون من أربعة سطور كل سطر منها يتكون من ثلاثة بحور تفصل بينها زخارف على شكل جامات وأنصافها ، وهى كالتالى :

* السطر الاول : جناب حضرت سلطان محمد غازى . وجود يابنى خيراته مظهرا ايتدى خدا . درون ياكنه الهام ايدوب خداى جليل .

* السطر الثانى : كايـده بو جامعى رسم قدم اوزره بنا . سمى بانى بيـت اله ابراهيم . كه ملك مصر عد النده والى در حالا .

* السطـر الثالث : كميـنه بنده سمى اول بـادشاه دورانك . بوكو بـرا ثرى ايتدى نامنـه احيا . سوروب يوزين قدمى رسمنه او سلطاناه .

* السطر الرابـع : نوله شفا عتنه مظـهرا وله روز جزا . دعا ايدوب ديدى اتمامـنه ذكى تاريخ . يرنده جامع عالى اساس بى همتا .

ترجمـة النـــص :

١ ـ حضرة جناب السلطان محمد الغازى . لاعمال الخير وجهه الله . وجه الله الجليل قلبه الحساس .

٢ ـ بنى الجامع بنفس التخطيط القديم . بانى بيتا لله هو ابراهيم والى مصر حالا .

٣ ـ هو عبـــد باد شـاه الكـون . قدم لـلحـياه عمل فنـى لتمجيده . قدم ولائه للسـلطان حسب التقليد القديم .

٤ ـ لتكتب له الشفاعة يوم القيامة . قال ذكى عن تاريخ الانتهاء فى هذا المكان ألقينا أساس لمسجد فريد من نوعه . (١)

النص الثانى :

عبارة عن سطرين باللوحة الرخامية التى بأعلى صدر الدخلة التى فوق أثرى القدمين ونصهما كالتالى : ـ

١ ـ بو مقامى ايلدى رسم قدم او وزره جديد .

٢ ـ قيلسون ابراهيم باشا نيك خدا عمرن فريد .

ترجمة النص :

١ ـ فى هذا المكان يظهر على سطح هذا الحجر آثار قدمين من جديد .

٢ ـ اللهم اجز ابراهيم باشا خير الجزاء وأفيض عليه بالمزيد من النعم والجزاء الاوفى . (٢)

النص الثالث :

هذا النص بلوحة رخامية تعلو المدخل الخارجى بالسور الجنوبى الشرقى المحيط بالجامع ، وهو يتكون من سطرين باللغة التركية نصهما : ـ

١ ـ وضع اولندى ساقية سلطان محمد نامنه . بر سبيل داخى يايلدى ساقية نك يا ننه. نوش ايدوب آب صفا بخشندن تشنه لر .

٢ ـ ايسلونلر جوق دعا اول بادشاهك شاننه . جون تمامه ايريحك هاتف يدى تاريخنى . برثواب اولدى روا سلطان محمد ادنه سنة ١٠٧٧ هـ .

ترجمة النص :

١ ـ حفر ساقية وضعت باسم السلطان محمد . وقد أنشأ سبيل بجانب الساقية عندما يشرب الانسان الماء الصافى .

---

(١) هذه الترجمة منشورة فى رسالة الباحث "مصطفى بركات" وهى بعنوان دراسة للخط والألقاب والوظائف من خلال النصوص التأسيسية الباقية للعمائر العثمانية بمدينة القاهرة ، ماجستير مخطوط ، كلية الآثار جامعة القاهرة ، ص٤٨ .

(٢) هذه ترجمة الاستاذ سيد حنفى الباحث بمركز تسجيل الآثار الاسلامية .

٢ ـ يدعو بالمغفرة كثيرا للباشاه وقال الهاتف فى تاريخ الانتهاء هذا العمل المقدس رائع المجد للسلطان محمد سنة ١٠٧٧ هـ . (١)

ملحـــــــــوظات :

تعرض الجامع لترميم شامل تم بعد سنة ١٩١٦م وهى السنة التى تحمل تاريخ التخطيط القديم للجامع ، فهناك بعض الاختلافات بين ماهو قائم حاليا وما كان قديما منها : ـ

١ ـ يتضح فى الرسم القديم عدم انتظام وضع الأعمدة الأربعة وعقودها بما يتفق مع الوضع الطبيعى لها إذ أن بها بالرسم القديم انحراف .

٢ ـ دكة المبلغ بالرسم القديم تختلف عن الدكة الموجودة حاليا ، فالقديمة أكبر وغير موقع بالرسم القديم العمود القائمة عليه .

٣ ـ فتح ثلاثة شبابيك فقط فى جدار القبلة فى الرسم القديم وبالوضع الحالى أربعة .

٤ ـ الجانب الشمالى الغربى وقع فى الرسم القديم ثلاث دخلات بينما مفتوح به الآن باب وأربعة شبابيك .

٥ ـ الجانب الجنوبى الغربى لايوجد بالرسم القديم إلا شباك واحد بين القبة والجامع بينما فتح حاليا أربعة شبابيك .

٦ ـ الجانب الشمالى الشرقى فتح بالرسم القديم باب للدخول للجامع بينما هو يمثل شباكا حاليا .

٧ ـ اختلاف مكان دورات المياه بين القديم والجديد .

٨ ـ لا وجود الآن للملاحق القديمة للجامع ، وكذلك تم تغيير بعض فتحات الاسوار القديمة .

التنزه بالرباط فى العصرين المملوكى والعثمانى :

كان لموضع الرباط على شاطىء النيل ولقربة من مدينة الفسطاط وجوارة لساحلها وما حواه الرباط من آثار نسبوها للرسول صلى الله عليه وسلم تأثير كبير فى اتخاذه متنزها عظيما طوال العصرين المملوكي والعثمانى ، بالاضافة لكونه استراحة ومحطة نزول للمسافرين والقادمين للصعيد . (٢)

وقد جمع الرباط المتنزهين بكافة طوائفهم ومكانتهم الاجتماعية فارتاده السلاطين والخلفاء والعامة وأهل العلم والدين و الأدب ، وكان الرباط فى أيام زيادة النيل يمثل موقعاً فريداً وكانت أيام الفيضان

---

(١) ترجمة الاستاذ سيد حنفى .

(٢) ابن بطوطة ، الرحلة ص٣٧ .

بمثابة أيام الاعياد والمواسم الجليلة [1] . و قال "المقريزى" فى ذلك .. وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ، يتردد عليه أيام كان ماء النيل تحته دائما ، فلما انحسر الماء عن تجاهه وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد الناس اليه وفيه الى اليوم بقية .. " [2]

ولكن تلك المحن التى تعرضت لها القاهرة ايام المقريزى قد زال أثرها بعد ذلك وعاد الرباط ملتقى المتنزهين والمتفرجين بقية العصر المملوكى .

وفى العصر العثمانى استمر الرباط متنزها كبيرا نظرا لما تميز به هذا العصر من انتشار للدروشة وازدياد التبرك بالأولياء والمقدمات .

وقد زار المسجد الرحالة "النابلسى" بصحبة الشيخ ابن العابدين البكرى وأثنى على المسجد وذكر القصر المجاور له فانفعل البكرى بما رآه وانشد فيه أشعارا عديدة . [3]

ماقيل فى الرباط :

انفعل الشعراء والأدباء برباط الآثار وما حواه من آثار فذكروا ذلك فى أشعارهم ونثرهم ، من ذلك قول الأديب صلاح الدين الصفدى :

أكرم بآثار النبى محمد ... من زاره استوفى السرور مزاره

ياعين دونك فانظرى وتمتعى ... إن لم تريه فهذه اثاره [4]

واقتضى به جلال الدين بن خطيب داريا الدمشقى فقال : ـ

ياعين إن بعد الحبيب وداره ... ونأت مرابعة وشط مزاره

فلقد ظفرت من الزمان بطائل ... ان لم تريه فهذه اثاره [5]

---

(1) المقريزى ، السلوك جـ٣ ص٢٠٦ ، ٢٣٤ ، ابن حجر ، انباء الغمر جـ٣ ص٢٢١ ، ٢٢٤ ، العينى ، عقد الجمعان (بدون ناشر) ص٣٨٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم جـ١١ ص٢٣٢ ، جـ١٤ ص٩٩ ، ١٠١ ، حوادث الدهور جـ٣ ص٥٤١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق٢ ص١٣٦ ، ٨١٠ ـ ٨١١ ، جـ٥ ص١٩٢ ، النابلسى : الحقيقة والمجاز ص٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، الجبرتى : عجائب الآثار جـ٣ ص٤٩٢ ، ٥٧١ .

(2) الخطط جـ٢ ص٤٢٩ .

(3) الحقيقة والمجاز ص٢٣٩ ـ ٢٤١ .

(4) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٣٠ ، السيوطى ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٢٧٣ .

(5) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٢٩ ، السيوطى ، نفس المصدر والصفحة .

وقال آخر :

يانفس إن لم تذهبى لطيبه ... وترى أنوار الحبيب وداره

ها أنت فى مصر وفيها أثره ... فاسعى إليه وانظرى اثاره [1]

وقال ابو الحرم المدنى :

ياعين كم ستسفحين مدامعا ... شوقا لقرب المصطفى ودياره

إن كان صرف الدهر عاقك عنها ... فتمتعى ياعين فى اثاره [2]

وقال النابلسى :

طه الرسول به الفؤاد مولع ... أكرم بممشاه المؤثر فى الحجر

إن فات عينى أن تراه فإنها ... قنعت هناك بما تراه من الأثر [3]

وهناك اشعار عديدة فى هذا الخصوص .

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ١ ق١ ص٥٣ .

(٢) المقريزى ، الخطط جـ٢ ص٤٣٠ ، النابلسى ، الحقيقة والمجاز ص٢٤٠ .

(٣) الحقيقة والمجاز ص٢٤٠ .

* وقد زار النابلسى هذا المكان بصحبة الشيخ زين العابدين البكرى الذى أرتجل فى هذه المناسبة قوله :

قدم النبى المصطفى جئنا له ... فى يوم ريح فاكتسبنا راحه

فرد النابلسى على البديهة :

وامالنا عرف النسيم بطيبه ... فكأنما هو قد سقانا راحه

ثم قال فى وصف ذلك المكان :

قدم النبى بمصر جئنا نحوه ... متبركين بنوره الفياض

تعلو عليه من الجلالة قبة ... أنوارها كالبرق فى الايماض

وعليه أسرار المهابة والبها ... يهدى القلوب لذكر عهد ماض

حصلت به كل السعادة والمنى ... للزايرين وساير الأغراض

أثر شريف قد بدا فى صخرة ... من مسها يشفى من الأمراض


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس

مظاهر الحياة الاجتماعية المرتبطة بالمتنزهات

تمهيـــد:

كانت المتنزهات هى المكان المحبب لكل الناس للترويح عن أنفسهم وقضاء أعيادهم ومواسمهم إلا أنها ارتبطت بشكل خاص ببعض الأعياد والمواسم الهامة مثل موسم دوران المحمل وأعياد وفاء النيل.

وكانت مظاهر تنزه المصريين حافلة فقد عمد الناس أن يقضوا بعض أوقاتهم بالمتنزهات على أحسن ما يكون فتحرروا من كل القيود، وقضوا أوقاتهم فى لعب ومرح وسعادة.

على أن الحال لم يكن دائماً على هذا النحو من التحرر وإنما تعرض المتنزهات فى بعض الأوقات خصوصاً أيام الأزمات والأوبئة والمحن لرد فعل مضاد فكان الوالى ومن معه يكبسون المتنزهات ويهجمون على من فيها.

ومن خلال حصرنا السابق للعمائر على البرك وجدنا أنها تنتمى لطبقة متميزة فى المجتمع فمعظمها عمائر سلاطين وولاة وامراء وقضاة، ولكن المتنزهات كانت مرتعاً للخاصة والعامة حتى أن البعض فتح قصوره وحدائقه للعامة، واتخذ الأمراء القاطنين بالمتنزهات مثل البرك دعوة العامة للحضور إلى قصورهم هناك كنوع من الدعاية لهم حيث أنهم أرادوا أن يحيطوا شخصياتهم فى ثوب فضفاض براق يظهرهم أمام العامة فى وضع هام ومتميز، كما أنهم كانوا يتحينون الفرص لدعوة السلطان وكبراء البلد والضيوف لينالوا شرفاً عظيماً، فأقاموا المهرجانات الكبيرة بكل ما فيها من مظاهر بذخ وجو يملؤه الفرح والسرور ليرضوا غرور المدعوّين.

وقد عُرف عن المصريين روح المرح والدعابة فى كل زمان ومكان بالرغم من خضوعهم لأرستقراطية حاكمةَ فى العصرين المملوكى والعثمانى تفننت فى استغلال البلاد وأهلها[(١)]، وقد ذكر «ابن بطوطة» الذى زار مصر أثناء سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون أن أهل مصر "ذو طرب وسرور ولهو"[(٢)]، وذكر "بيلوتى الكريتى" أن ماء النيل من خصائصه أن يجعل

---

(١) سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) الرحلة، ص ٣٨.

الناس دائماً مرحين فرحين بعيدين عن الهموم والأحزان .[1]

ونلاحظ أن روح المرح لم تقتصر على فئة دون أخرى من فئات المجتمع المصرى، بل شملت جميع الفئات من طبقات المجتمع حتى المحافظين من الفقهاء وأهل العلم [2]، ويضرب لنا "ابن بطوطة" مثلاً بقوام الدين الكرمانى وهو من كبار علماء مصر أنه اعتاد أن يذهب إلى مواضع الفُرج والنزهات منفرداً عن أصحابه بعد صلاة العصر [3].

ومثال لتعلق الناس بالترويح عن النفس حتى فى أحلك الظروف ما ذكره "ابن تغرى بردى" أن فى سنة ٨٧٣ هـ/ ١٤٦٨م كانت الدولة تستعد للقيام بحملة ضد "سوار" حاكم إحدى الدويلات التركمانية المجاورة لحدود السلطنة المملوكية بالشام " . . . إلا أن جماعة ممن ليس لهم مروّة ولا عرض تتنزه وتدور فى المفترجات وأكثرهم من العوام والأطراف " [4]

ومثال آخر يبين تعلق الناس بالمتنزهات وانتهازهم الفرص للهو والمرح حتى فى ظل أحلك الظروف ما ذكره "الجبرتى" أنه فى أيام عثمان باشا الحلبى أشيع فى الناس فى يوم الاربعاء رابع عشرة ذى الحجة آخر سنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٥م أن يوم القيامة قائمة يوم الجمعة وفشا هذا الكلام فى الناس قاطبة حتى فى القرى والأرياف وودع الناس بعضهم بعضاً ويقول الإنسان لرفيقه بقى من عمرنا يومان وخرج الكثير من الناس والمخاليع إلى الغيطان والمتنزهات ويقول بعضهم لبعض دعونا نعمل حظا ونودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة[5]

وقد عالجت فى هذا الفصل أربع نقاط هى مظاهر التنزه والاحتفال فى الأيام العادية والأعياد والمواسم التى ارتبطت بالمتنزهات، وارتباط المتنزهات ببعض الأمراض الاجتماعية ورد الفعل المضاد لها، والمتنزهات والأدب .

أولا : مظاهر التنزه والاحتفال فى الايام العادية

التنزه بالنيل وجزره والخطط عليه :

كان الخروج للنيل للتنزه على صفحات مياهه وعلى جزره والخطط التى على شواطئه مثل منشأة المهرانى وغيرها يأتى فى مقدمة الأماكن للفرجة ،الترويح عن النفس خارج منازلهم

---

(١) Dopp, L'Egypte, p. 9.

(٢) ابن حجر، انباءالغمر، جـ١، ص ٥٩٣ ـ ٥٩٤ .

(٣) الرحلة، ٣٨ .

(٤) حوادث الدهور، جـ٣، ص ٦٨٤ .

(٥) عجائب الآثار، ج١، ص ٢١٩ .

وأماكن عملهم خلال العصرين المملوكى والعثمانى .

وكانت مظاهر تلك النزهات تكون على أبدع ما يكون فى حالة وفاء النيل ، ،كثيراً ما تعرضت تلك المتنزهات للخراب والهجر فى حالة عدم وفاء النيل .

وكان خاصة وعامة أهل القاهرة ينغمسون فى اللهو والقصف والفرجة وما يصاحب ذلك من مجالس وغناء وعزف وموسيقى وأطعمة وأشربة عديدة[١] ، وكانت أجمل أيام الخروج هى أيام خروج السلطان وكبار الأمراء حيث تقام مهرجانات أشبه بالأعياد ، وقد حرص معظم السلاطين المماليك على الخروج أحياناً للنيل ، وكذلك بعض ولاة مصر فى العصر العثمانى .

ومثال للسلاطين المغرمين بالتنزه على ساحل النيل وخططه مثل منشية المهرانى السلطان الملك المنصور أبو بكر بن محمد بن قلاوون (٧٤١ - ٧٤٢هـ) حيث ينزل هو والأمراء خفية إلى هناك حيث يقيمون أمسيات مع المغانى وينزلون فى الشخاتير [٢] ويتفرجون ويطلعون سراً إلى القلعة[٣] .

وكان الناس يتحينون أى فرصة للتفرج والاحتفال على النيل مثلما تجمعوا ببولاق وامبابة لاستقبال الأمير شيخو بعد عودته من سجنه بالاسكندرية يوم ٤ رجب سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م ، وقد خرج الناس للفرجة حتى بلغت المراكب التى أحاطت بالحراقة التى يركبها شيخو نحو الألف مركب ، فسار شيخو فى موكب عظيم إلى الغاية لم ير مثله لأمير إلى أن صعد القلعة . [٤]

ومن السلاطين الذين اعتادوا الذهاب للنيل والاحتفال هناك والمبيت أحياناً بقصور امبابة والجيزة السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح [٥] (٧٥٢-٧٥٥هـ/ ١٣٥١ - ١٣٥٤م) والملك المنصور حاجى [٦] (٧٦٢-٧٦٤هـ/ ١٣٦١ - ١٣٦٣م) والملك الظاهر برقوق [٧] .

وإذا تتبعنا سيرة السلطان الملك المؤيد شيخ نجدها تعطينا مثلاً جلياً لما كان يحدث فى العصر المملوكى من مظاهر التنزه إذ أنه كان أكثر السلاطين خروجاً وأنه قد أقام فى نزهاته أكثر مما أقام فى القلعة إذ أنه قد يبقى فى تنزهه خارج القلعة احياناً شهراً متواصلاً [٨] وبالرغم من الآلام

---

(١) ابن الحاج ، المدخل ، جـ١ ، ص ٢٤٦ . (٢) انظر تعريف الشخاتير فيما سبق ، ص ١٣٦ .

(٣) الشجاعى ، تاريخ الملك الناصر ، ص ١٣٥ ، ١٤٢ . ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ١ ، ص ٤٦٢ .

(٤) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٨٤٨ .

(٥) نفس المصدر والجزء ، ص ٩٢٩ .

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٥٨٧ .

(٧) المقريزى ، السلوك ، جـ٣ ، ص ٨٨٧ .

(٨) المقريزى ، السلوك ، جـ٤ ، ص ٥٠٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٤ ، ص ٨٧ .

التى عانى منها بسبب مرض رجليه إلا انه كان يداوم على الخروج محمولاً فى محفة أو على الاعناق[١].

وكان يقضى اغلب أوقاته بالنيل وجزره والخطط عليه، وأحياناً يأخذ حريمه وأولاده معه وحاشيته وكبار الأمراء[٢]، وأصبحت المراسم تتم هناك على النيل، فتدق طبلخانات السلطان وكبار الأمراء هناك وتعمل الخدمة على ما جرت به العادة فى القلعة ويذكر المقريزى "ولم نعهد بمصر نظير هذا"[٣].

وكان المؤيد ينتقل طوال فترة خروجه على النيل ما بين بيت البارزى ببولاق[٤]، إلى قصره بحرى امبابة، إلى الجزيرة الوسطى، إلى الميدان السلطانى ومنشية المهرانى أمامها، إلى بيت الخواجا ابن الخرنوبى بالجيزة المواجه للمقياس، إلى جزيرة الروضة إلى رباط الآثار النبوية، وأحياناً كان يبيت بالحراقة الذهبية[٥].

وينتقل المؤيد بين تلك الأماكن بالذهبية التى يكسر بها سد الخليج وحوله حراريق الأمراء المزينة أحسن زينة، ويجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم وطوائفهم للتفرج حيث يمتلأ البران بهم ما بين بولاق وامبابة شمالاً إلى مصر القديمة والجيزة جنوباً، "فلا ينكر على احد منهم"[٦].

وكانت تلك المهرجانات التى تقام على درجة كبيرة من الإبهار، فقد كان المؤيد يلزم الأمراء بإحضار الزيت والنفط ويلزم العامة بإشعال مسارج الفخار بالزيت والنفط وعمل مسارج أيضاً

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٤٩٩، ٥٣٤، ٥٤٢.

(٢) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ص ٩٥. ، المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٥٢٩.

(٣) السلوك، جـ٤و ص ٤٩٩. ، وابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص ٨٥.

(٤) بيت ابن البارزى كان فى الأصل لناصر الدين بن سلام فاستأجره منه ابن البارزى وأضاف إليه عدة بيوت مجاورة له واتقن بناءها ووضعها وضعاً غريباً على قاعدة عمائر بلده حماه وقد أعجب السلطان الملك المؤيد شيخ بها إعجاباً شديداً فقضى بها أغلب أوقاته. انظر: ابن حجر، انباء الغمر، جـ٣، ص ١٩٦.

* وابن البارزى هو تاجر الدين محمد بن محمد بن الفخر عثمان بن الكمال محمد بن عبدالرحيم بن عبيد الله بن المسلم البارزى (٧٦٩-٨٤٣هـ) برع فى الأدب وولى كتابة السر بالديار المصرية. السيوطى، حسن المحاضرة، جـ١، ص ٢٧٤.

(٥) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ص ٩٩. ، المقريزى، السلوك. جـ٤، ص ٥٠١، ٥٢٩. ، ابن الصيرفى، نزهة النفوس، ج٢، ص ٤٤٨. ، العينى، عقد الجمان، (بدون ناشر) ص ٣٥٦، ابن حجر، انباء الغمر، جـ٣، ص ١٩٦-١٩٧.

(٦) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٥٠١.

* ويعبر «المقريزى» عن نفسه كمحتسب ويستنكر تلك التصرفات التى حدثت أيام المؤيد بقوله ان الناس «مر لهم جميعاً من السخف ما لم نعهد بمثله لملك قط». السلوك، جـ٤، ص ٤٣٥.

من قشر البيض وقشر النارنج وقد انغمست فيها فتايل القطن بالزيت وتشعل بالنيران ثم ترسل بعد غروب الشمس بنحو ساعة، وتطلق النفوط وتشمل وقدات نفط هائلة ببرى امبابة وبولاق، ويزدحم النيل بمراكب المتفرجين الذين يخرجون فى التهتك عن الحد ولا سيما أن تلك المهرجانات كانت بأمر سلطانى.[١]

وكان المؤيد حريصاً على الاحتفالات بطريقة مبالغ فيها فكان يأمر المماليك للعب بالرمح على شاطىء التيل[٢]، كما أنه جعل موكب المحمل يدور ببولاق ولم يقع مثل ذلك فى سالف الأعصار[٣]، وكان المؤيد يمارس رياضة السباحة فى النيل لمسافات كبيرة حتى فى ظل ظروف مرضه مما أدهش الناس[٤].

وقد حظيت بولاق بمكانة مرموقة ايامه، وقال "المقريزى: الذى عاصر تلك الأيام" . . فمرت للناس ببولاق فى تلك الايام والليالى أوقات لم نسمع بمثلها[٥]، وأغلب إقامة المؤيد كانت ببيت كاتب السر ابن البارزى الذى بات به أغلب الاحيان، وكانت الأمراء تنزل فى عدة من دور الناس حول بيت ابن البارزى[٦]، وكان ابن البارزى يبالغ فى الاحتفالات حتى أنه كان يفرش شقق الحرير تحت حوافر الخيل السلطانى[٧].

وقد ظلت مكانة بولاق مرموقة طوال العصرين المملوكى والعثمانى، وكانت تعج بالقصور والمناظر والبيوت والمساكن الممتدة على شاطىء النيل، وكان السلاطين والأمراء والولاة ينزلون بتلك القصور الفخمة مثل قصر (بيت) ابن البارزى والقصر الباسطى[٨] والقصر المعروف بالبرابخية[٩] وقصر الحجازية[١٠] وقصر الانصارى[١١] وغيرها كثير، بالاضافة لجوامعها ومدارسها الحسنة وحماماتها وأسواقها ووكائلها الشهيرة.

(١) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٥٠١ و العينى، عقد الجمان، بدون ناشر، ص ٣٧٣.

(٢) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٥٣٧. (٣) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ص ٨٧.

(٤) المقريزي، السلوك، جـ٤، ص ٥٣٤. (٥) السلوك، جـ٤، ص ٥٠٢.

(٦) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٤٩٩. (٧) العينى، عقد الجمان (بدون ناشر)، ص ٣٢٣.

(٨) القصر الباسطى نسبة إلى القاضى زين الدين عبدالباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقى ناظر الجيوش ومنشىء الجامع الباسطى بخط الكافورى بالخرنفش سنة ٨٢٢هـ. المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٣١.

(٩) القصر المعروف بالبرابخية لن أقف على الشخصية التى نسبت إليه هذا القصر، وكان القصر يقابل القصر المعروف بالحجازية. ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ص ٩٥.

(١٠) القصر المعروف بالحجازية نسبة إلى مالكته خوند تتر الحجازية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوج الأمير بكتمر الحجازى وبه عرف. المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٧١، ٣٨٢.

(١١) قصر الأنصارى هو قصر المقر الأشرف القضائى شرف الدين الأنصارى نسبة إلى زكريا بن محمد الأنصارى (٨٢٣-٩٢٦هـ)، وكان قاضياً ومقسراً ومن حفاظ الحديث تولى منصب قاضى القضاة أيام السلطان قايتباى، الرزكلى، الاعلام، جـ٣، ص ٨٠.

وقد أرجع المؤرخ : ابن اياس : تعرض بولاق للخراب أحياناً إلى : كثر الفسق والفساد ببولاق جداً حتى خرج الناس فى ذلك عن الحد" ، وذلك عندما كتب عن الحريق الذى وقع بها فى جمادى الأخرة سنة ٨٦٢هـ والذى أتى على ثلاثمائة منشأة ما بين دور وربوع ودكاكين، وكان يوماً مهولاً . (١)

إلا أن التعمير سرعان ما يعود إلى بولاق بعد المحن التى ألمت بها فتعود أبهى مما كانت وتظل دائماً قبلة المتنزهين.

وكان السلطان اينال يخرج لبولاق هو وزوجته وحاشيته، ونزلت زوجته مرة فى القطينة ببولاق بمناسبة شفائها فى العشر الأخير من ربيع آخر ٨٥٩هـ وتزايد تردد الناس إلى بابها ولا سيما لما عملت لها مرامى النفط والصواريخ، وغير ذلك فى ليلة الاربعاء ثامن عشرينه وتسامع الناس بذلك فقصدوا التفرج من الأماكن البعيدة حتى ضاقت شوارع بولاق وسواحلها مع سعتها عنهم، وازدحم الناس فى الطرقات وصارت كأيام دوران المحمل أو بعض ليالى وفاء النيل بل أعظم حتى جاء جماعة من أعيان الأمراء وأرباب الدولة، وأما النسوة فكن اضعاف الرجال ودام ذلك من أول النهار إلى بعد العشاء الاخرة ووقعت فى تلك الليلة من القبائح والمفاسد والأمور الشنيعة مالا مزيد عليه" . (٢)

وقد أورد لنا "ابن اياس" حادثة تبين لنا ما كان يحدث فى بولاق، ففى رجب سنة ٨٦٥هـ فى أول سلطنة المؤيد احمد بن اينال" هجم المنسر على المتفرجين بجزيرة بولاق وكان فى الظلمة فى نصف الليل فنهبوا من الناس شيئاً كثيراً وكان الناس قد خرجوا عن الحد فى التهتك والقصف بسبب الفرجة ونصبوا هناك الخيام حتى سدوا رؤية البحر وصاروا يقيمون فى الرمل ليلاً ونهاراً من نساء ورجال وهم فى غاية التزخرف فهجم عليهم المنسر على حين غفلة ونهب ما قدر عليه ومضى ولم تنطح فى ذلك شاتان" . (٣)

وكان السلطان قايتباى يذهب كثيراً إلى بولاق حيث يستضيفه هناك القاضى شرف الدين الأنصارى، ويركب الغراب الذى عمره الأنصارى ويتوجه به إلى شبرا(٤)، وكذلك كان السلطان الناصر محمد بن قايتباى مغرماً بقضاء بعض وقته فى بولاق ويحرق إحراقات نفط حافلة وكان يبات هناك أحياناً(٥) .

---

(١) بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٤٧.
(٢) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٢، ص ٢٢٨ . ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٢٤.
(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤.
(٤) نفس المصدر، جـ٣، ص ١٠٨ .
(٥) نفس المصدر، جـ٣، ص ٣٨٩.

وكان السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى ينزل فى مواكب حافلة إلى بولاق حيث يضيفه القاضى كاتب السر محمود بن أجا بالبرابخية التى هناك حتى أنه تكلف على أسمطة وطوارى حافلة وتقدمة عظيمة قدمها للسلطان فى إحدى المرات فوق الألف دينار، وكان ابن السلطان معه وجماعة من الخاصكية، وانشرح السلطان هناك إلى الغاية، وأحضر بين يديه مغانى وأرباب الآلات " . (١)

وفى حوادث سنة ٩١٢هـ طلعت جزيرة بولاق تجاه ربع قاتم التاجر ذكرنا من قبل أنها غالباً اندمجت ببر بولاق فيما بعد، وقال عنها "ابن اياس" . . . فصارت هذه الجزيرة فى كل سنة تزرع امقتة ورياحين فتوجهت إليها الناس وخرجوا فى القصف والفرجة هناك عن الحد وضربوا الخيام واعمل هناك اخصاص للمتفرجين بها وصاروا يبيتون هناك ليلاً ونهاراً وصاروا الناس يخرجون فى البحر إلى نصف الليل وقد قال فى هذا المعنى :

فى جزيرة بولاق رأينا عجب .. أسد صاروا معهم ظبا شاردين

حين رأينا ذيك الوجوه الصباح .. أذهلونا خضنا مع الخايضين (٢)

وكانت تتم ببولاق احتفالات بعدة موالد مثل مولد الامبابى ومولد الشيخ سويدان المجذوب فى مدرسة ابن الزمن برصيف بولاق وكان له مولد حافل . (٣)

وفى العصر العثمانى فضل السلطان سليم شاه أن يقيم اثناء وجوده بمصر على شاطىء النيل فأقام ببولاق فترة وفى الجزيرة الوسطى وفى الروضة(٤) .

وكان مملك الامراء خاير بك يركب فى الذهبية ويتجول على النيل متنقلاً ما بين الروضة والقصر العينى وبركة الحبش والبريم(٥)، ويقيم له القاضى بركات بن موسى المحتسب الموائد العظيمة من خرفان شوى وحلوى وفاكهة وبطيخ صيفى وغير ذلك من مطابق ضمنها مأمونية وسنبوسك وسكر وغير ذلك أشياء فاخرة(٦) .

وقد ذكر "البكرى" أن بولاق أصبحت فى زمنه فى غاية العمارة وأنها من المتنزهات الهامة فى العصر العثمانى . (٧)

---

(١) نفس المصدر، جـ٤، ص ٤٧٣ـ٤٧٤ .
(٢) بدائع الزهور، جـ٤، ص ١١٠ـ١١١ .
(٣) نفسه، ص ١١٤ .
(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ١٤٩ـ١٥٠ .
(٥) البريم هو مكان على النيل يقع بمنطقة أثر النبى حالياً وكان مجاوراً لبركة الحبش .
(٦) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ٢١٦، ٣٣١، ٣٨٠ .
(٧) قطف الأزهار (مخطوط)، ص ١٤٦ـ١٤٧ .

واثنى الرحالة "النابلسى" على بولاق وذكر فى زيارته لقبر الشيخ يوسف بها وأنه رأى على الحائط من نظم الشيخ الفاضل أحمد الدلنجاوى المالكى بخطه قوله :

إذا رمت تأتى مجمع الأنس والصفا ... لتحظى بأنواع التنزه والفرج

ببولاق فأنزل فى رياض أريضه ... حوت كل أنس فى حدايقها فرج [1]

مظاهر التنزه بالجزر :

وقد حرص بعض السلاطين على التنزه فى الجزر وخاصة جزيرة الروضة، التى تعتبر عروس المتنزهات،

وقد اتخذتها أم السلطان شعبان فى سنة ٧٧٤هـ مكاناً للاستشفاء وكان ابنها يزورها هناك على شاطىء نيل الروضة بمنظرة الأمير طشتمر الدوادار . [2]

وكان المؤيد كثير الخروج للروضة والإقامة بالمقياس وقد أمر بتجديد جامع المقياس وحرص على الاحتفال بتخليق المقياس وكسر سد الخليج أغلب سنوات حكمه . [3]

وكان السلطان قايتباى مداوماً على التنزه بالروضة وقضى أوقاتاً عديدة بخرطوم الروضة[4] أى الطرف الشمالى لها .

وبمناسبة الانتهاء من عمل جامع قايتباى الذى جاء غاية فى الحسن، فقد صنع هناك ابن الطولونى معلم المعلمين ناعورة تدور بحمار وهو واقف ويحرك رجليه فقط، وكان الناس يتوجهون للفرجة عليها، وكان ابن الطولونى يصنع فى كل ليلة رابع عشر الشهر ليلة حافلة بالجامع ويسمونها البدرية وينصب على شاطىء البحر قدام الجامع من الخيام ما لا يحصى، وتجتمع المراكب هناك حتى تسد البحر ويجتمع الجم الغفير من العالم ويوقد بالجامع وقده حافلة ويحضر هناك قراء البلد قاطبة والوعاظ وتكون ليلة حافلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم، واستمر الحال على ذلك مدة ثم بطل[5] .

وكان السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى أكثر السلاطين تنزهاً بالروضة حيث يقيم مخيمات ويبيت هناك وبصحبته كبار الأمراء والقضاة والعلماء ورجال الدولة ويصحب معه الضيوف أحياناً[6]، وكان معظم إقامته بالمقياس حيث بنى القصر على بسطته، وأحياناً يقيم

---

(١) الحقيقة والمجاز، ص ٢٥٨ .

(٢) المقريزى، السلوك ، جـ٣، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١ ، ق٢، ص ١١٤ .

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤ ، ص٩٩ .

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٨٢ ، ٢٢٤ .

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٨٣ .

(٦) نفسه، جـ٤، ص ٣٨٤ .

بخرطوم الروضة (طرفها الشمالى) وتقام الاحتفالات الكبيرة وتمد الأسمطة والولائم الفاخرة وكان السلطان يستدعى المغانى وأرباب الآلات والمهرجين والمضحكين[(١)]، وتقام بين يديه الاستعراضات البحرية بالحراقات وخصوصاً بعد أن انشأ ذهبية جديدة [(٢)]، وتطلق المدافع والصواريخ وتعمل حراقات نفط وتقاد القناديل والأمشاط وكان سكان البرين (بر مصر وبر الروضة) يوقدون على طولهما آلاف القناديل ويطلقون آلاف الصواريخ وقد تفتكوا فى القصف والفرجة حتى خرجوا فى ذلك عن الحد. [(٣)]

واستمر الحال كذلك فى العصر العثمانى، فقد فضل السلطان سليم الإقامة بالمقياس وطرد جنوده سكان الجزيرة ومصر العتيقة وأقاموا مكانهم فى دورهم[(٤)]، وقد قال "ابن اياس" فى خصوص ذلك " وفى مدة اقامة ابن عثمان بمصر لم يجلس بقلعة الجبل على سرير الملك جلوساً عاماً ولارآه أنصف مظلوماً من ظالم بل كان مشغولاً بلذته وسكره وإقامته فى المقياس بين الصبيان المرد" . [(٥)]

ومن أمثلة احتفال سليم الأول فى المقياس أنه فى جمادى الآخرة سنة ٩٢٣هـ لما كان بالمقياس احضر فى بعض الليالى خيال الظل فلما جلس للفرجة قيل أن المخايل صنع صفة باب زويلة وصفة السلطان طومان باى لما شنق عليه ولما انقطع الحبل مرتين فانشرح ابن عثمان لذلك وانعم على المخايل فى تلك الليلة بمائتى دينار والبسه قفطان مخمل مذهبا[(٦)].

وظل الولاة بمصر على صلة وثيقة بجزيرة الروضة وذلك لرئاستهم للاحتفال بوفاء النيل سنوياً بالمقياس، وكان خاير بك كثير النزول للمقياس وإقامة الأسمطة الحافلة به[(٧)] مثال لذلك فى يوم الخميس ٦ من ذى القعدة ٩٢٦هـ حيث أقام فى خرطوم جزيرة الروضة مدة حافلة صرف عليها القاضى بركات المحتسب نحو خمسمائة دينار من جملة ذلك أربعون خروفاً مشوياً وأربعمائة مجمع حلوى وعدة مطابق ضمنها مأمونية سكب ومأمونية حموية بسكر وسنبوسك بسكر وأرز حلو مسكر وسمك على أنواع مختلفة وأجبان مقلى وأشياء غير ذلك مؤنقة وأحمال بطيخ صيفى وعبيدى وأطنان قصب وأحمال قشطة وبطط جلاب وأحمال موز وغير ذلك[(٨)].

---

(١) نفسه، ص ٣٣٧. (٢) نفسه، ص ٢٩٨.

(٣) نفسه، ص ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٨، ٣١١، ٣٢٨، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٦٢، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨٤، ٣٨٨، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٨٤، جـ٥، ص ١٩.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٥.

(٥) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٥و ص ٢٠٧. (٦) نفسه، ص ١٩٢.

(٧) نفسه، ص ٢١٦، ٢٥١، ٣٠٠. (٨) نفسه، ص ٣٥٦-٣٥٧.

وكانت جزيرة الذهب متنزهاً جليلاً فى العصر العثمانى وكان بعض الولاة والأمراء، يفضلون الخروج إليها مثل ملك الأمراء خاير بك[1]، وظلت كذلك حتى آخر العصر العثمانى حيث قضى بها الأمير مراد بك أوقاتاً عديدة فى قصره هناك.[2]

ونافست جزيرة اروى المعروفة بالجزيرة الوسطى جزيرة الروضة فى العصر المملوكى فى الاحتفالات والتفرج بها.

وكذلك جزيرة حليمة التى ظهرت سنة٧٤٧هـ شمال جزيرة اروى واندمجت بها فيما بعد، وقال عنها "المقريزى" "... تتظاهر الناس بكل قبيح بها وبلغ مصروف كل خص فيها من الفين إلى ثلاثة آلاف درهم، وعمل كل خص بالرخام والدهان البديع وزرع حوله المقاثى والرياحين وأقام بها معظم الناس من الباعة والتجار وغيرهم وكشفوا ستر الحياء وبالغوا فى التهتك بما تهوى أنفسهم فى حليمة وفى الطينة، وتنافسوا فى أرضها حتى كانت كل قبضة قياس تؤجر بعشرين درهماً فيبلغ الفدان الواحد بثمانية آلاف درهم ويعمل فيها ضامن يستأجر منها الأخصاص فأقاموا على ذلك ستة أشهر حتى زاد الماء وغرقت الجزيرة فاجتمع فيها من البغايا والأحداث وانواع المنكرات مالا يمكن حكايته وأنفق الناس بها أموالاً تخرج عن الحد فى الكثرة وكانت الأمراء والأعيان تسير إليها ليلاً إلى أن قام الأمير أرغون العلائى فى أمرها قياماً عظيماً وأحرق الاخصاص على حين غفلة وضرب جماعة وشهرهم فتلف بها مال عظيم جداً"[3].

وكان السلاطين يقيمون مهرجانات بحرية عند تلك الجزر مثل السلطان الأشرف شعبان[4]، والمؤيد شيخ الذى كان يعسكر بها اياما[5]. وكذلك الأشرف اينال ولكن فى بعض المرات لم يبتهج الناس بنزوله للجزيرة الوسطى " لعظم ما قاسوه من الظلم فى عمل المراكب التى كان قد أعّدها للغزو من قلة الإنصاف والجور فى حق العمال من ارباب الصنائع وغيرهم[6].

وكانت الخطط على النيل من أجمل مواضع التنزه فى العصرين المملوكى والعثمانى بما تتضمنه من حدائق وبساتين وحقول وقصور ومناظر تطل على النيل مباشرة.

---

(١) نفسه، ص ٤١٣. (٢) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٣٤٤.

(٣) المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٧٠٣، ـ ٧٠٤، وانظر أيضاً، الخطط، جـ٢، ص ١٨٦.، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٠، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٤) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ١٣٠.

(٥) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ص١٠٢.، المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٥٣٧.

(٦) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٦، ص١٥٠.

وكانت من أهم تلك الخطط منشأة المهرانى ، وكان الناس على اختلاف طبقاتهم يكثرون من الخروج إلى تلك المتنزهات الخلوية ويقيمون احتفالات كبيرة بها وخصوصاً أن منشأة المهرانى ضمت مكانين حازا القبول والزيارة طوال بقائهما هما قبتى جانى بك ببستانه الكبير وقصر ابن العينى .

وكان الأمير جانى بك الدودار نائب جده الذى لقب أيضاً بعظيم المملكة يقيم احتفالات كبيرة ببستانه وقبتيه على شاطىء النيل والذى انزل بهما الصوفية ، ويقيم ولائم عظيمة يحضرها أعيان الدولة ، ويحتشد العامة لينالوا بعض الخيرات مما ينعم عليهم تلك المناسبات[1] ، وكانت بعض الاحتفالات تتم ليلاً حيث تنصب الصوارى وتعلق القناديل ويأتى الناس زمراً فى البر والبحر بسبب الفرجة وتتزاحم المراكب هناك وتكون ليالى حافلة " قل ان يقع مثلها فى القصف والفرجة "[2] .

وكان السلاطين يذهبون كثيراً إلى منشأة المهرانى ويقضون أوقاتاً طيبة وخصوصاً فى قصر العينى وقبتى وبستان جانى بك : وتجتمع سائر الناس للفرجة " ومنهم السلطان خشقدم الذى أُعجب بقصر العينى إعجاباً زائداً وكان ابن العينى يقدم الأسمطة الحافلة والفواكه والحلوى وبعد تناول السلطان والأمراء الطعام ، يتخاطف العوام ما تبقى من طعام وحلوى وفاكهة .[3]

واستمر نزول ولاة مصر إلى نشأة المهرانى فى العصر العثمانى بدءاً من ملك الأمراء خاير بك الذى أقام عدة ولائم حافلة بقصر ابن العينى كان يشرف على إعدادها القاضى الزينى بركات المحتسب . (٤)

وظل الولاة بقية العصر العثمانى يفضلون الذهاب إلى جهة قصر العينى[5] ويلعب أمامهم الصناجق والأغوات بعض الألعاب مثل الجريد والرمى بالبندق وغير ذلك[6] .

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٦ ، ص ٢٧٧ . حوادث الدهور ، جـ٤ ، ص ٧٦٦-٧٦٧ .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص ٤٠٦ .

(٣) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، جـ٣ ، ص ٥٤١ . ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص ٤٢٨ ، ٤٤٩ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص ٣٩٧ ، ٤٥٧ ، ٤٦٣ .

(٥) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص ٥٠٢ .

(٦) الدمرداش ، الدرة المصانة ، ص ١١٤ .

* البندق كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها وترمى بها الطيور ، وكان لرمى البندق شأن كبير فى العصور الوسطى بمختلف البلاد ومنها مصر حتى أن خط البندقانيين بالقاهرة ينسب إلى صناعة أقراص البندق . المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ص ١٧٢ ، حاشية(٢) .

وكانت جهة قصر العينى مكاناً يبعث على رقة النفس والصفاء لهذا أقيمت به عزومات الصلح بين بعض الطوائف المتصارعة مثلما حدث يوم الخميس ١٢ شوال ١١٣٥هـ\١٦ يوليو ١٧٢٣م وكان يوماً عظيماً[١].

وقد اثنى الرحالة النابلسى "على جهة قصر العينى وأبدع فيها قصيدة شعر.[٢]

وكانت الخطط على النيل جنوب القاهرة متنزهات سلطانية أيضاً وكان السلطان قايتباى كثير الخروج إلى المعادى وطرا والمعصرة بقصد التنزه، وكان يبيت هناك أحياناً فعلى سبيل المثال أنه فى يوم الأحد الثانى من صفر ٨٢٣هـ ركب السلطان من القلعة بجمع أمرائه وخاصكيته بغير قماش الموكب وتوجه إلى جهة العدوية[٣] وقد نصب بها خام عظيم عند زاوية الرفاعى على البحر[٤] فلما قارب المكان المذكور خلع سلارية وعباءة فرسه ثم أطلق عنان فرسه غاره وكذا جميع أعيان العسكر إلى المعيصرة[٥] فى مشوار واحد ثم عاد إلى مخيمه بالعدوية وأكل السماط مع الأمراء وأقام هناك إلى بعد أذان الظهر فمد مدة أخرى غير أطعمة من أنواع البطيخ والأجبان والمخللات شيئاً كثيراً بحيث كفى العسكر ثم ركب وعاد من وقته إلى القلعة ووصل إليها قبيل العصر[٦].

واستمر قايتباى كثير التوجه إلى تلك الجهات على سبيل التنزه حيث يضيفه هناك شيخ هذه الجهات ويسمى ابن البلاح أو يضيفه الأمير أزبك الأتابكى[٧].

وكان السلطان الغورى يذهب إلى طرا كثيراً ويقيم الموائد الحافلة ويستعرض هناك المراكب الجديدة الكبيرة التى تنشأ فى بولاق وكان يرجع من هناك عن طريق البحر راكباً الحراقة التى يكسر فيها السد والعسكر حوله فى عدة مراكب[٨].

---

(١) أحمد شلبى، أوضح الاشارات، ص ٣٧٠.

(٢) الحقيقة والمجاز، ص ٢٠٤، ٢٥٦.

(٣) العدوية المقصود بها المعادى حالياً وتسمت بذلك الاسم نسبة إلى دير العدوية الذى لايزال بمكانه الآن كنيسة العذراء على كورنيش النيل بالمعادى.

(٤) زاوية الرفاعى هذه لاتزال موجودة حتى الآن وهى عبارة عن حجرة صغيرة مغطاة بسقف جمالونى، وله مولد كل عام، وتقع على الطريق الزراعى على بعد ١٠٠ من مدخل المعادى الأول عند المعهد القومى للتنمية الإدارية بكورنيش النيل.

(٥) المعيصرة، هى منطقة المعصرة البلد الآن على كورنيش النيل تمييزاً لها عن المعصرة المحطة.

(٦) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٣، ص ٦٧٥. ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٩.

(٧) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص١٩، ٣٣، ٥٣، ١٠٧، ١١١.

(٨) نفس المصدر، جـ٤، ص ٢١٥-٢١٦.

استعراضات الاسطول فى النيل :

هناك احتفالات فى العصر المملوكى صارت تقليداً وعادة اتبعت فى ثلاث مناسبات متعلقة بالأسطول، الأولى أيام الانتهاء من صنع المراكب الكبيرة والثانية يوم خروجها للغزو والثالثة يوم عودتها، وكان بعض السلاطين حريصين على متابعة عمارة المراكب المعدة للغزو أو لتأديب قراصنة البحر الأبيض المتوسط منهم الظاهر بيبرس(١)، والأشرف برسباى(٢)، والأشرف إينال(٣).

وكانت مراكب وسفن الاسطول تقوم بعمل استعراضات بحرية كبيرة ومناورات على القتال البحرى، فيحتشد خاصة وعامة المصريين من كل مكان للفرجة بأعداد غفيرة ويستأجر الناس المراكب فى هذه الأيام بأغلى كثيراً من قيمة تأجيرها فى الأيام العادية وتقوم السفن بدق الكوسات(٤) وإطلاق النفوط وكأنها فى اشتباك حقيقى مع سفن العدو(٥).

وأول من أحدث عادة الاستعراضات بالنيل فى العصر المملوكى هو السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى عقب الانتهاء من عمارة مراكب حربية جديدة، ومن أمثلة ذلك ما حدث يوم الاحد ١٩ رجب ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م بعد أن أتم الظاهر عمارة عدد كبير من الشوانى الحربية(٦) والطرايد(٧) وغيرها من المراكب وقد اصطحب بيبرس معه الخليفة العباسى الحاكم

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٩٤.

(٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص ٢٧١. ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٩٥.

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٦، ١٥٠.

(٤) الكوسات هى صنوجات من نحاس يدق بأحداها على الآخر. انظر:
عبدالمنعم ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ٨٢، نظم دولة سلاطين المماليك، جـ٢، ص ١٨٠.

(٥) قاسم عبده، النيل، ص ٩٠.

(٦) الشوانى جمع شينى أو شونه أو شينية، وهى من أهم قطع الأسطول فى عهد المماليك وهى سفن حربية كبيرة معدة للجهاد، وذكر «ابن مماتى» أن الواحده منها كانت تسير بمائة وأربعين مجدافاً وفيها المقاتلة والجدافون، وأشار «المقريزى» إلى أن بعضها كان يقل الفا من المحاربين، وهى مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم وتحتوى على اهراء (مخازن) لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء العذب. انظر:
ابن مماتى، قوانين الدواوين، ص ٣٤٠. ، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٩٤. ، جـ٢ ص ١٩٤ـ١٩٥.
سعاد ماهر، البحرية، ص ٣٥٢ـ٣٥٣. ، درويش النخيلى، السفن الإسلامية، مادة شينى.

(٧) الطرايد جمع طريدة وهى مركب تستخدم لحمل الخيل والفرسان وأكثر ما يحمل فيها أربعون فارساً، ويقول «دوزى»: الطراد نوع من المراكب الحربية لا يزيد طولها عن سبعة أذرع، وعرضها ذراعين ونصف ذراع، وهى أكثر شبهاً بالبراميل منها بالسفن الحربية وليس لها سقف وتكاد تكون خالية تماماً من المسامير ولذا كان ألواحها الخشبية رقيقة وصلبة وقد استعملها بكثرة صلاح الدين الأيوبى. انظر: سعاد ماهر، البحرية، ص ٣٥٤. ، Dozy, Supp, 2, p34.

بأمر الله إلى ساحل الفسطاط حيث تفرجا على لعب الشوانى فى النيل " على هيئة محاربتها للعدو فى البحر ذهاباً وإياباً والطبول والبوقات والنقوط عما له " وقد خرج الناس لمشاهدتها فكان يوماً مشهوداً(١).

وقد أمر بيبرس بعمارة عدة شوانى سنة ٦٧٠هـ بديلاً عن الشوانى التى تكسرت فى حملته الفاشلة على قبرص سنة٦٦٩هـ، ولازم الركوب إلى صناعة العمارة بمصر كل يوم فى مدة شهر المحرم سنة ٦٧٠هـ إلى أن أنجزت، وفى نصف المحرم سنة ٦٧١هـ لعبت الشوانى بين يديه فكان يوماً مشهوداً(٢).

واهتم السلطان الأشرف خليل بن قلاوون بإنشاء أسطول قوى فى صناعة مصر سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م وقد عهد بإعداده وتجهيزه إلى الوزير شمس الدين محمد السلعوس، فلما اكتمل عدد السفن ستين شينياً شحنها بالعدد والآت الحرب ورتب لها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح "فأقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة أيام وصنعوا لهم قصوراً من خشب وأخصاص القش على شاطىء النيل خارج مدينة مصر وبالروضة واكتروا الساحات التى قدام الدور والزرابى بالمائتى درهم كل زريبة فما دونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر إلا وخرج أهله أو بعضهم لرؤية ذلك فصار جمعاً عظيماً وركب السلطان من قلعة الجبل بكرة والناس قد ملأوا ما بين المقياس إلى بستان الخشاب إلى بولاق، ووقف السلطان ونائبه الأمير بيدار وبقية الأمراء قدام دار النحاس ومنع الحجاب من التعرض لطرد العامة فبرزت الشوانى واحدة بعد واحدة وقد عمل فى كل شونه (شينى) برج وقلعة تحاصر والقتال عليها ملح والنفط يرمى عليها وعدة من النقابين فى أعمال الحيلة فى النقب ومامنهم إلا وأظهر فى شونته عملاً معجباً يفوق بها على صاحبه، وتقدم ابن موسى الراعى وهو فى مركب نيلية فقرأ قوله تعالى "بسم الله مجريها ومرساها إن ربى لغفور رحيم"، ثم تلاها بقراءة قوله "قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء.." إلى آخر الآية، هذا والشوانى تتواصل بمحاربة بعضها بعضاً إلى أن اذن صلاة الظهر فمضى السلطان بعسكره عائداً إلى القلعة فأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ما هم عليه من اللهو فى اجتماعتهم وكان شيئاً يجل وصفه وانفق فيه مال لا يعد... وحصل لعدة من النواتية أجرة مراكبهم عن سنة فى هذا اليوم.. فبلغ خبر الشوانى إلى بلاد الفرنج فبعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح". (٣)

---

(١) النويرى، نهاية الارب جـ٣٠، ص ٢٥، المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٠٤٥١، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٣٢٠.

(٢) النويرى، نهاية الارب، جـ٣، ص ١٩٧، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٩٤.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٩٥.

ومن الاحتفالات الكبيرة بمناسبة انتهاء صنع السفن والإذن بتدشينها ما حدث يوم السبت ١٢ محرم سنة٧٠٢هـ حيث انجزت عمارة أربعة شوانى حربية كبيرة وجهزت بالمقاتلين والعدد والسلاح والعتاد والنفطية، والأزوده وزينت أحسن زينة فخرج معظم الناس لرؤيتها يومين بلياليهما على الساحل بالبرين وكان جمعاً عظيماً إلى الغاية، وكان يرأس الشوانى الأمير جمال الدين أقوش القارى، واجتمع الناس لمشاهدة لعبهم فى البحر، ونزل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون والأمراء لمشاهدة ذلك واجتمع من العالم ما لا يحصيهم الا الله تعالى، وارتفعت قيمة أجرة المراكب ارتفاعاً كبيراً "امتلأ البران من بولاق إلى الصناعة بمصر بالناس حتى لم يوجد موضع قدم خال، ووقف العسكر على بر بستان الخشاب وركب الأمراء الحراريق إلى الروضة" وبدأت المناورات البحرية من لعب الشوانى كأنها فى الحرب، فلعب الأول والثانى والثالث وأعجب الناس بذلك إعجاباً زائداً لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط وآلات الحرب، والناس فى سرور بالغ لما يشاهدون ولكن تلك البهجة والفرحة لم تكتمل إذ أن الشينى الرابع بعد ما خرج من مينا الصناعة حتى توسط البحر لعبت به الريح حتى غرقت ونجا الجميع فيما عدا قائد الشوانى الأمير جمال الدين أقوش"(١)

وفى سنة ٧٦٤هـ حدث استعراض ومناورة لبعض قطع الأسطول على صفحة نهر النيل، "... وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله فى سالف الأعصار" حيث أتى الناس من كل مكان للاستمتاع والفرحة بذلك المهرجان البحرى الكبير.(٢)

وفى سنة ٧٦٨هـ فى سلطنة الأشرف شعبان تمت فى صناعة جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطانية عمارة مائة مركب ما بين غربان(٣) وطرايد لحمل الرجال والخيل جهزها الأمير يلبغا ألاتابك للقيام بحملة على جزيرة قبرص رداً على مهاجمة ملكها لثغر الاسكندرية فى المحرم

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٩٥، السلوك، جـ١، ص ٩٢٨، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص ١٥٥-١٥٦.، السيوطى، كوكب الروضة (مخطوط)، ص ٣٩.

(٢) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١١، ص ٣٥-٣٦.

(٣) الغربان أو الأغربة جمع غراب وهو نوع من السفن الحربية التى كانت تستعمل فى البحر الأبيض المتوسط منذ أيام الامبراطورية الرومانية والأرجح أن هذا النوع من السفن سمى بهذا الاسم نظرا لمشابهته لهذا الطائر من حيث السواد لطلائها بالقار والزفت وكذلك لاستواء مناقيرها على حد قول النويرى فى مخطوطة الاعلام بما جرت به الأحكام المقضية فى وقعة الاسكندرية، وتختلف الأغربة بعضها عن بعض من حيث الحجم ما بين صغيرة وكبيرة وذلك لعدد مجاديفها التى تتراوح ما بين عشرة ومائة وثمانين مجدافاً، ويقول ابن شداد «من خصائصه أنه كان مزوداً بجسر من الخشب يهبط على مركب العدو ويمر على ظهره الجند فيقاتلون بالأساليب البرية. سعاد ماهر، البحرية، ص ٣٥٩-٣٦٠.، ابراهيم حسن سعيد، البحرية فى عصر سلاطين المماليك، (ط دار المعارف، ١٩٨٣م)، ص ٢٣٢-٢٣٣.، عبدالمنعم ماجد، نظم دولة المماليك، جـ٢، ص ١٩٢.

من السنة السابقة[1] ، فشحنت الأغربة بالرجال والآلات والعدد الحربية وزينت بالأعلام ، ونزل السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسن من القلعة وركب فى موكب حافل وتوجه إلى جزيرة أروى فنزل هناك فى المركب المسماة بالذهبية ، وقد امتلأت تلك الأراضى بالناس فقدمت الشوانى ولعبت قدامه رجالها بالآلات الحربية كما يفعل عند لقاء العدو ودقت كوساتها ونفخت بوقاتها وزعقت الزمور وفرقعت النفوط " فكان أمراً مهولاً ومنظراً جميلاً وأمراً حسناً" ، وقد تجمع على شاطىء النيل الناس من كافة أنحاء المدينة للفرجة على تلك المناورة البحرية وانشرح الجميع فى ذلك إلى الغاية" .[2]

واستمرت الاحتفالات والاستعراضات البحرية فوق مياه النيل بمناسبة إتمام عمارة السفن والمراكب بقية العصر المملوكى وجزءاً من العصر العثمانى ، فعلى سبيل المثال فى سلطنة الغورى تم الاحتفال فى سنة ٩١٤هـ بتدشين ستة أغربة صنعت فى رشيد وأرسى بها عند رأس الجزيرة الوسطى فخرج الناس يتفرجون عليها وقد زينت بالصناجق والشطفات ودقت فيها الطبول وزعقت الزمور واجتمع الناس هناك أفواجاً فلما كان يوم الثلاثاء ٢٦ شعبان سنة ٩١٤هـ، نزل السلطان الغورى من القلعة وصحبته الأمراء قاطبة والمباشرون وتوجه إلى نحو طرا وضرب له هناك الخيام ثم أحضر بين تلك المراكب الأغربة فلعبوا قدامه فى البحر ذهاباً وإياباً والطبول والنفوط عمّاله وأرموا قدامه فى البحر عدة مدافع وكان له يوم مشهود ، واجتمع هناك الجم الغفير من الناس ، وأقام السلطان هناك إلى بعد العصر ومد له هناك ناظر الخاص أسمطة حافلة ولم يقع للسلطان من حين تسلطن يوما مثل ذلك فى القصف والفرجة ، فلما ركب من هناك أخلع على ناظر الخاص كاملية بصمور وأخلع على رئيس المراكب وجماعته الخلع السنية ثم عاد إلى القلعة .[3]

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرين صفر ٩١٧هـ ذهب السلطان الغورى إلى طرا حيث احتفل بتدشين مركب كبير فى النيل صنعت فى رصيف بولاق ، فلما كمل "زينوه بالصناجق والطوارق والمكاحل" وتوجهوا به إلى طرا وعرضوه على السلطان فى البحر وأرموا قدامه بالمدافع ذهاباً وإياباً كما فعل قبل ذلك لما عرض المراكب الأغربة وكان يوماً مشهوداً وعاد السلطان بالحراقة التى يكسر فيها السد[4] .

---

(١) عن حملة ملك قبرص على الإسكندرية فى محرم ٧٦٧هـ، انظر : النويرى السكندرى (محمد بن قاسم بن محمد ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)، الالمام بالاعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى واقعة الاسكندرية مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٩٤٢ تاريخ، ٤١٩٣ تاريخ .

(٢) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص١١٣، ١٢٩، ١٣٠ ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٢٧، ٢٨، ٤٤، ٤٥، ٤٦ .

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص١٤٢-١٤٣ .

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢١٥ .

وفى سنة ٩١٨هـ تمت عمارة مركب كبير للسلطان فأُحضر إلى ساحل الفسطاط أمام المقياس وصنعوا له ثمانية مراسى فى النهر وعلقوا فى صواريه القناديل والأعلام وأحضرت النفوط وأنزلت فى خمسين مركباً وحضر الأمراء المقدمون بطبلخاناتهم فى مراكب أمام المقياس " . . وكانت تلك الليلة من الليالى المشهودة فى القصف والفرجة " وكالعادة ارتفعت فيه كرى المراكب فى هذا اليوم فتحصل للنواتية مال كثير من نقل المتفرجين بمراكبهم.(١)

واستمرت الاستعراضات والاحتفالات بمناسبة تدشين المراكب فى بداية العصر العثمانى " ففى ربيع الآخر سنة ٩٢٦هـ نزل ملك الامراء(خاير بك) إلى بولاق وأقام بها إلى قريب النهار فأحضر إليه القاضى بركات بن موسى المحتسب هناك مدة حافلة بين خرفان شوى وقدور هريسة ومأمونية وفاكهة وحلوى وغير ذلك، ثم أن ملك الامراء عرض المراكب الأغربة التى أنشأها ولعبوا قدامه فى البحر وانشرح فى ذلك اليوم إلى الغاية ونصب له سحابة فى الجزيرة التى تجاه امبابة وكان يوماً مشهوداً(٢).

وكانت أيام خروج الأسطول فى حملات حربية لغزو جزر البحر المتوسط ومحاربة القراصنة من أبهج الأيام بمصر فكان الناس يحتشدون على الشاطىء للفرجة وترتفع الأصوات بالدعاء والعود الظاهر بين دقات الطبول والزمور والكوسات التى عادة ما كانت تصحب مظاهر الاحتفال بخروج إحدى الحملات.

ومثال لذلك ما حدث فى رجب سنة٨٢٩هـ فى زمن السلطان الأشرف برسباى إذ شهد النيل احتفالاً كبيراً بمناسبة خروج الحملات ضد جزيرة رودس فكان ليوم خروج المجاهدين بساحل بولاق نهار يجل الوصف تجمع فيه الناس للفرجة على المسافرين من الأقطار والبلاد والنواحى "حتى صار ساحل بولاق لا يستطيع الرجل أن يمر فيه لحاجته إلا بعد تعب ومشقة زائدة، وعدى الناس إلى البر الغربى ببر امبابة وبولاق التكرور ونصبوا فيها الخيم والأخصاص"، هذا وقد امتلأت صفحة النيل بمراكب المتفرجين، : وأما بيوت بولاق فلم يقدر على بيت منها إلا من يكون له جاه عريض أو مال كبير، وتقضى للناس بها أيام سرور وفرح وابتهال إلى الله تعالى بنصر المسلمين وعودتهم بالسلامة والغنيمة"(٣).

وفى سنة ٨٤٤هـ أمر السلطان الظاهر جقمق بخروج حملة للقضاء على "عبث الفرنج فى البحر وأخذها مراكب التجار" وقد خرجت هذه الحملة المكونة من خمسة عشر غراباً فيها المقاتلون من المماليك السلطانية والمتطوعون من عامة الناس من ساحل بولاق فى احتفال هائل

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٧٦-٢٧٧.
(٢) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ٣٣١.
(٣) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ص ٢٨٩.

حضرته جموع المصريين التى دأبت على مشاهدة مثل هذه الاحتفالات وتكررت الصورة ولنفس السبب سنة ٨٤٦هـ وفشلت الحملة الأخيرة وان كان خروجها من ساحل بولاق قد تم بين مظاهر الاحتفال المعهودة فى مثل هذه المناسبات[١].

وعن الاحتفال عند عودة الأسطول من الغزو والمجاهدة فإن الناس جميعاً تستقبله حيث يتجمعون فى ساحل بولاق أو ساحل الفسطاط مثلما حدث سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م أذ قدمت بعض سفن الأسطول المصرى إلى ساحل بولاق وهى تحمل الأسرى والغنائم فاجتمع الناس لمشاهدتها والاحتفال بها[٢].

وكان مثلما تجمعوا فى ساحل بولاق سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م عند عودة الحملة من قبرص منتصرة ظافرة فى زمن الأشرف برسباى ووافق ذلك يوم وفاء النيل وعيد الفطر "فتضاعفت مسرات الناس من كل جهة"[٣]

ومن العجيب والملفت للنظر أن العامة كانوا يتحينون الفرص للتفرج والمشاهدة على الأساطيل حتى فى حالة نشوب المعارك بين طوائف المماليك، وقد يتعرضون للأخطار إلا أن حب المشاهدة والفرجة كانت تتغلب عليهم، مثلما حدث فى شهر ربيع الآخر سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م بعد شهر واحد من تدشين الأغربة التى أشرف عليها الأمير يلبغا اثناء سلطنة الاشرف شعبان، فقد انقلب مماليك يلبغا عليه فأراد خلع الأشرف شعبان وتولية الأمير أنوك ابن اخيه بدله وكان مسرح الانقلاب جزيرة أروى ونهر النيل واستمرت المعارك بين سفن السلطان وبين سفن يلبغا عبر نهر النيل عدة أيام بينما تعطلت أسواق القاهرة "وليس للناس شغل سوى التفرج من شاطىء النيل عند جزيرة أروى على المقاتلين السلطانية واليلبغاوية"، وكان يلبغا قد سلطن الأمير أنوك بالجزيرة، ولكن العامة تعصبت للأشرف شعبان فصاروا يرقصون ويقولون "سلطان الجزيرة ما يساوى شعيرة" يقصدون التهكم بأنوك، وسبح العامة إلى معسكر السلطان الملك الأشرف ببر امبابة واستمرت المعارك بين مراكب الطرفين والرمى بالنشاب والمكاحل والمدافع فترة حتى انتهى الامر بفرار يلبغا إلى القاهرة حيث قتله مماليكه.[٤]

---

(١) العينى، عقدالجمان (مخطوط)، جـ٢٥، ورقة ٧١٨، ابن تعزى بردى، (ط كاليفورنيا) جـ٧، ص ١١٢، ١٢٢، عن قاسم عبده قاسم، النيل، ص ٩٣.

(٢) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ٥٣٣.

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ٢٦٩.

(٤) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ١٣٣ـ١٣٦ـ١٣٦. ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١١، ص ٣٦ـ٤٠، السيوطى، كوكب الروضة (مخطوط)، ص ٤٠ـ٤١. ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٤٦ـ٥٠.

مظاهر التنزه بالبرك :

وكانت بركة الشعيبية قبل دثورها تدخلها الشخاخير فى زمن النيل أى أيام فيضانه وقال عنها ابن دقماق "كانت نزهة المصريين"(١) ربما يقصد سكان مصر الفسطاط .

وكانت بركة الحبش من أجل متنزهات مصر الاسلامية ، وقد جمعت بين جميع طوائف المجتمع المصرى على اختلاف أجناسهم وعقائدهم وطبقاتهم الاجتماعية من خلفاء وسلاطين وأمراء وجنود وأعيان وعامة ، كما كانت البركة وما يجاورها مكاناً للتريض وإقامة المسابقات الرياضية بالخيول والجمال ، كما كانت مسرحاً لتدريب الجنود بالسلاح والرماح .

وكانت هى المنتزه الرئيسى لولاة مصر منذ فتحها وصارت محفل الخلفاء الفاطميين الذين أسعدوا شعب مصر بمظاهر الاحتفالات بها طوال دولتهم(٢) .

وقد اهتم سلاطين المماليك اهتماماً كبيراً بالتنزه والتريض ببركة الحبش فكان يصحبون معهم الأمراء والجنود والحاشية ويقضون أوقاتاً طيبة بها فينصبون خياماً ويمدون الموائد الحافلة ويقيمون مسابقات للخيول ، وكانوا يستعرضون الهجن التى تعد لأجل الحج ، كما كانوا يصطادون بها حيث أقام الناصر محمد بن قلاوون مسطبة للطير هناك .

ومن السلاطين الدائمى النزول للبركة الاشرف خليل بن قلاوون(٣) ، وكان الناصر محمد ينزل إلى المصطبة التى هناك ويأمر بإطلاق الطيور وإطلاق طيور الصيد عليها لاصطيادها(٤) وكان الأمير أنوك ابن الناصر محمد قد عمر حوشاً للطيور وموضعا يتنزه به على بركة الحبش وكان مشغوفاً بمغنية اسمها زهرة يقضى غالب وقته معها على البركة(٥) . وكان السلطان المؤيد شيخ كثير الذهاب إلى بركة الحبش حيث يقيم مسابقات بين الهجن ويطمئن على الجمال المعدة لركب الحجاج(٦) . وكذلك كان الظاهر خشقدم (٨٦٥ ـ ٨٧٢هـ) يخرج إلى بركة الحبش مع أمرائه ومماليكه ويستعرض تدريبات المماليك الرماحة الذين يلعبون بالرمح أثناء دوران المحمل المعد للحج(٧) .

---

(١) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٥٥ . ، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٥٩ .

(٢) عن الاحتفال ببركة الحبش زمن الفاطميين ، انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(٣) ابن ايبك ، كنز الدرر ، جـ٩ ، ص ١٥٣ .

(٤) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٢٠٨ .

(٥) نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٤٩٢ .

(٦) نفس المصدر ، جـ٤ ، ص ٠٥ ، ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ٢ ، ص٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٤٨ . ، العينى ، عقد الجمان (بدون ناشر) ، ص ٣٣٤ ، ٣٥٦ .

(٧) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، جـ٣ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٩٣ .

وقضى السلطان قايتباى (٨٧٢ ـ ٩٠١هـ) أوقاتاً طيبة ببركة الحبش وبساتين الوزير حيث يلعب هناك الكرة ويستعرض الخيل والإبل المعدة لركب الحجاج، وبات قايتباى بعض الليالى هناك[١]. وكان السلطان الغورى يتنقل ما بين بركة الحبش وبين طرا[٢].

وقد توجه ملك الأمراء خاير بك هناك عدة مرات وأعد له القاضى الزينى بركات المحتسب هناك الولائم الحافلة بالطعام والشراب وبصحبته كبار قادة الجيش العثمانى[٣]، وكانت بركة الحبش هى مكان إعداد الفرق العسكرية فى العصر العثمانى ومحطة هامة بالنسبة لأمراء الصعيد.

وبالنسبة لبركة الرطلى نجد أنه بالرغم من أن سكان بركة الرطلى يمثلون طبقة متميزة فى المجتمع فى العصرين المملوكى والعثمانى إلا أن العامة وبقية طوائف الشعب يشاركونهم فى التنزه والتفرج بالبركة، وكان الاحتفال هناك علي مدار العام، ففى الصيف والخريف يكون فيضان النيل فتمتلأ البركة بالماء وتدخلها مراكب النزهة، وفى فصل الشتاء والربيع تزدهى البركة بمنظر آخاذ من نمو الأزهار والمزروعات بها وخصوصاً منظر القرط والكتان مما هيج احاسيس الشعراء فأفاضوا بالكثير من الأشعار فى وصف البركة وما حولها.

وكان الناس يأتون البركة أيام اجازتهم وخصوصاً أيام الجمع والآحاد حيث يجتمع هناك عالم لا يحصى وتدور بهم الشختاتير التى تدخل البركة عن طريق الخليج الناصرى والخليج الكبير فتدور بأرجائها، وتموج البركة بالنشاط والحيوية بما عليها من قوارب وما بها من اسواق عائمة بجميع أنواع المأكولات والمشروبات[٤]، وقد تعددت مظاهر الاحتفال بالبركة من السياحة بها وإقامة مخيمات بربوعها وإقامة الاحتفالات حيث يشترك أعلام الغناء والموسيقى وأرباب الألعاب وخيال الظل، وتقام إحراقات نفط هائلة، وكانت المراكب والبيوت حول البركة توقد ليلاً بالقناديل فتحيل الليل نهاراً.

وقد توفرت للمتنزهين بالبركة حرية كبيرة لم تتوفر لهم داخل المدينه ففشت بينهم الأمراض الاجتماعية وساعد جو الثراء حولهم فى ذلك فأقيمت الليالى ذات الترف الشديد وحفلت بمجالس شراب من خمور أو من الموادالمخدرة التى كانت تزرع بالبركة وحولها بأرض الطبالة، وشاركت النساءالرجال واختلطن بهم وهن متبرجات ويحدثنا «المقريزى» أنه أدرك

(١) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٣، ص ٦٩٧. ، ابن الصيرفى، انباء الهصر، ص ٤٣، ٤٥، ٤٦، ١٣١، ١٤٠، ١٤١. ، ابن اياس، بدائع الزهور ز جـ٣، ص ١١، ٢٦.

(٢) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ١٦٨.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ٢٨٨، ٣٨٠، ٤٤٤.

(٤) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ١٦٢. ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١١، ص ١٧١.

التنزه بهذه البركة من سنة ٧٧٠هـ حيث كانت بمنأى عن الأحداث التى تدمر البلاد والناس يستمتعون بأيامهم هنالك غاية الاستمتاع، وقد ذكر «المقريزى» أن البركة تأثرت بما حدث بمصر من المحن التى بدأت سنة ٨٠٦هـ(١)، إلا إننا نرى هذا التأثير كان مؤقتاً وسرعان ما عادت البركة كما كانت وأعمر من قبل.

وقد حرص بعض السلاطين على الخروج والتفرج بالبركة ولا سيما الملك المؤيد شيخ أكثر سلاطين المماليك خروجاً وكان يستضيفه هناك صلاح الدين خليل بن الكويز ناظر ديوان المفرد فى بيته على البركة الرطلى ويمد له الأسمطة الحافلة(٢).

وكان السلطان قايتباى ينزل ضيوفه هناك، وعلى سبيل المثال نزل قاضى مكة وأخاه وابن أميرها ببيت أم ناظر الخاص يوسف على البركة ورتب لهم ما يكفيهم من أسمطة وغير ذلك فرأوا فى ذلك البيت بهجة أيام النيل حتى سافروا(٣).

ومثال للأيام الحافلة التى شهدتها بركة الرطلى ما حدث فى شعبان سنة ٨٨٦هـ، بمناسبة ختان أولاد القاضى كاتب السر ابن مزهر ببركة الرطلى وكان له مهم حافل جداً وحضر عنده جماعة من الأمراء المقدمين والعشرات وحضر عنده جمجمة بن عثمان(٤)، وبات عنده وقد وصف «ابن اياس» ذلك الاحتفال وصفاً دقيقاً إذ كان شاهد عيان للأحداث فى نهاية الدولة المملوكية وبداية الدولة العثمانية بمصر، فقال «وكان النيل فى أواخره فأمر كاتب السر سكان البركة بأن يوقدوا فى البيوت وقدة حافلة وشرع يرسل لكل بيت فى البركة عشرة أرطال زيت وطبلية فيها أكل فاخر من طعام ذلك المهم فاحتفلوا فى الوقدة وعلقوا فى الطيقان الأحمال والتنانير والأمشاط معمرة بالقناديل حتى كانت البركة تضىء بالنور ويكان الإنسان أن يدخل الخيط فى خرم الإبرة من عظم ضوءالنور، وأحرق حراقة نفط حافلة لم يسمع بمثلها حتى خرجت البنت فى خدرها بسبب الفرجة على ذلك وبلغ كرى كل مركب أربعة اشرفية، واستمرت هذه الوقدة وحراقة النفط ثلاث ليال متوالية حتى عد ذلك من النوادر التى لم يقع مثلها، واجتمع بالبركة نحو أربعمائة مركب موسوقة بالخلايق، وصار ابن رحاب المغنى عمال فى كل ليلة وسائر مغانى البلد من رجال ونساءوانطلقت ألسن النساء بالزغاريت وأنفق فى

---

(١) الخطط، جـ٢، ص ١٦٢.

(٢) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٥٢٨. ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ص ٩٤.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٩٣.

(٤) جمجمة هو أخو السلطان العثمانى بيازيد (٨٨٦-٩١٨هـ/ ١٤٨١-١٥١٢م) حضر إلى مصر، ومعه والدته وأولاده خوفا على نفسه من أخيه السلطان أن يقتله وذلك لأن البلاط العثمانى اتبع سنة شنيعة وهى أن من يتسلطن كان يبادر بقتل اخوته حتى لا يزاحموه على العرش.

تلك الليالى من الأموال ما لا يحصى حتى قيل ابتاع من عصفور الجبّان على المتفرجين بنحو مائة وعشرين ديناراً جبن مقلى وكذلك ابن الزيبق الحلوانى ابتاع منه حلوى بنحو ذلك، وقد خرجت الناس فى القصف والفرجة عن الحد وقد رسم السلطان للقاضى كاتب السر أن لا يبقى ممكناً فى هذا المهم لأجل الجمجمة ابن عثمان كونه كان حاضراً فى هذا المهم وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء:

طـــابت على بركة الرطـــلى ليلتنـــا ... حتى تباهـــت على الخلجان والبـــرك

حفت بضـــوء مصابيح زهـــت وغذت ... تضىء فى حندس الديجور والحـــلك

فكان لما تنـــاهى حســـن وقدتهـــا ... تخفى شمس الضحى فى داره الفلك

وقال الشمس القادرى:

تاه الأنام بجنـــح الليـــل فاتخـــذوا ... لهم دليـــلا لذا الظلماء من اللهـــب

حتى كأن جـــلاليب الدجى رغـــبت ... عن لونها وكان الشمـس لم تغب[1]

ومن الأيام الحافلة التى شهدتها البركة أيام شهر ربيع الآخر سنة ٨٩٩هـ حينما عين السلطان قايتباى الأمير ماماى من خداد الدوادار الثانى بأن يتوجه رسولاً إلى سلطان الدولة العثمانية «فشرع ماماى فى عمل يرق[2] حافل وصنع له ردكاً ببركة الرطلى فى زمن الشتاء وصار يوقد فى كل ليلة هناك وقدة حافلة وهرعت الناس إلى هناك بسبب الفرجة وعمر الجسر وسكن به الناس أياماً فى قلب الشتاء حتى عد ذلك من النوادر وكان يعمل هناك فى كل ليلة خيال ظل أو مغانى غرب أو ابن رحاب المغنى أو غير ذلك من الملاهى وكانت ليالى مشهودة فى القصف والفرجة حتى خرج الناس فى ذلك عن الحد وأقاموا على ذلك نحوا من عشرين يوماً ثم سافر الأمير ماماى. . .»[3].

أما السلطان الملك الناصر محمد بن قايتباى فكان ينادى فى سكان بركة الرطلى بأن يوقدوا بها وقدة سبع ليال متوالية. «وصار ينزل فى المركب ويطوف بالبركة هو وأولاد عمه»[4].

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

* ونلاحظ دقة ابن اياس فى وصف تلك الأحداث الاجتماعية فى ذلك النص حتى انه امدنا ببعض أسماء البياعين التى قلما يأتى ذكر لهم فى التاريخ الذى أرخ للملوك والسلاطين غالبا.

* ونلاحظ ان الأديب قد اقتبس البيت الثانى من قصيدة أبى تمام فى فتح عمورية.

(٢) يرق كلمة تركية معناها سلاح. انظر:

أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل، (ط دار المعارف) ص ٢١٠.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢٩٩.

(٤) نفسه، جـ٣، ص ٣٩٧. ويذكر «ابن اياس» عن الناصر محمد بن قايتباى أنه كان أهوجاً فى تصرفاته=

وشهدت بركة الرطلى احتفالات كبيرة زمن السلطان قانصوه الغورى وخصوصا إنها تضم بيوت الوزراءوالأعيان وكبار رجال الدولة، ومنهم على سبيل المثال القاضى الزينى بركات بن موسى المحتسب، وقد حدث فى شهر جمادى الآخرة سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م أن تغير خاطر الغورى على الزينى بركات لشجاره مع الوزير الجمالى يوسف البدرى، فحبسه ثمانية أيام ولكنه أفرج عنه بعدها وخلع عليه كاملية صوف بصمور «ونزل من القلعة فى موكب حافل ومعه جماعة من أرباب الدولة فزينت له القاهرة ووقدت له الشموع والقناديل على الدكاكين وتخلق الناس بالزعفران حتى زينت له بيوت بركة الرطلى بالشدود الحرير والكوامل الحرير الملون فعلقت فى الطبقان وانطلقت له النساء بالزغاريت ولاقته الطبول والزمور ومغانى النساء وكان ساكناً ببركة الرطلى فى أيام النيل وكان الزينى بركات محبباً للناس فى أيام ولايته على الحسبة. .[(١)].

ومن الأيام المشهودة التى عاشتها البركة أيام شهر شعبان سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م، فقد صدر أمر سلطانى بالزينة والاحتفال بالقاهرة لأجل عافية السلطان من مرض ألم بعينه وكان الاحتفال عظيماً ببركة الرطلى لأن الزينى بركات المحتسب كان ساكناً بها فأشهر الزينى «المناداة لسكان بركة الرطلى بأن يصنعوا بها وقدة حافلة ويزينوا الطبقان لأجل عافية الملك فانطلقوا سكان بركة الرطلى بالزغاريت وعلقوا فى الطيقان الشدود الحرير الأصفر والكوامل الحرير الملون ودارت الطبول والزمور فى المراكب يهنوا أعيان الناس من سكان البركة بعافية السلطان، ثم أن سكان البركة شرعوا فى أمر الوقدة فعلقوا فى الطيقان أحمال وأمشاط فيها القناديل فاحتفلوا سكان البركة بوقدة عظيمة ثلاث جمع متوالية وصارت فى كل ليلة تدور المراكب بالمتفرجين ويقع بالبركة من القصف والفرجة ما لا يحصى وصفه ولا سيما قد صار أمرا سلطانياً وكان النيل فى أواخره فخرج الناس فى ذلك عن الحد وصار يقع فى البركة كل ليلة أمور غريبة من سماع مغنى لطيفة ووقدة ونفوط تحرق وأشياء حافلة»[(٢)].

واستمرت البركة موضع نزه واحتفالات عامة فى العصر العثمانى وينقل لنا المؤرخ الواعى

= وأفعاله وكانت أيامه كلها فتن وقد ضرب «ابن اياس» مثالاً على ذلك أنه كان إذا رأى امرأة جميلة فى بيتها ببركة الرطلى يهجم عليها ويطلع لها من الطاقة ويأخذها غصبا ويضرب زوجها بالمقارع فى وسط بيته فارتابت الناس منه.

كما ذكر أيضاً أنه كان يخالط الأوباش وكان به طيش ورعونة وخفة وسفه، ومن الأمور التى كان يفعلها أنه جعل له مركبا فى البحرة التى بالقاعة التى بالقلعة وصنع فيه حلوى وفاكهة وجبن مقلى وكان ينزل بنفسه فى المركب ويبيع كما يصنع البياعون فى بركة الرطلى. انظر: بدائع الزهور. جـ٣، ص٣٥٦، ٣٩٧.

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٣٣-٣٣٤.

«ابن اياس الذى أرخ للحياة الاجتماعية بكل دقة وأمانة قلما تطرق إليها كثير من المؤرخين - صورة اجتماعية مسرحها بركة الرطلى -، ففى يوم الأحد ٩ ربيع الأولى سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م» وقع بين شخص من أرباب الفن يقال له محمد بن سرية وبين شخص يقال له محمد الأوجاقى ويعرف أيضا بالشرابى، وقع بينهما رهان فى فن الموسيقى، فقال محمد الأوجاقى: إن كان ما تدعيه حقاً فنجمع مشايخ أرباب الفن ونجمع مغن البلد قاطبة ويكون ذلك فى يوم الأحد فى وسط بركة الرطلى، وكان ذلك فى زمن الربيع، فلما كان الميعاد حضر جماعة من أرباب الفن، وحضر مغانى البلد قاطبة، وأتوا إلى بركة الرطلى فجلسوا فى وسطها، واجتمع هناك الجم الغفير من المتفرجين، وكان ذلك اليوم مشهوداً فغنى كل أحد من المغانى فى ذلك اليوم أحسن ما عنده من الغناءنوبة، وابتهج فى ذلك اليوم الناس غاية البهجة، وأما محمد بن سرية فإنه احتج بأنه ضعيف فى ذلك اليوم ولم يحضر وقال: الرهان باقى إلى يوم الأحد الثانى فظهر عليه العجز ولم يف بما إدعاه مما تقدم فكان كما قيل فى المعنى:

كل من يدعى بما ليس فيه كذبته شواهدالامتحان

فانفض ذلك الجمع وعد ذلك من النوادر فى الفرجة والقصف».(١)

وقد ظلت بركة الرطلى تتمتع بمكانة كبيرة فى العصر العثمانى كله، يأتيها الناس للتفرج والاحتفالات، وقد أورد لنا المؤرخ «البكرى» ما يفيد ذلك فذكر فى ثنايا كلامه عن محمد ا باشا(٢) الذى تولى حكم مصر سنة ١٠٠٤هـ».. وقد جعل لى والدى فى أيامه فرحاً كان نادرة الزمان وفريداً فى الحسن والإتقان أبذل فيه أموالاً كثيرة وتجمل فيه بتجملات غزيرة أصرف فيه من النقد نحو خمسة آلاف دينار ومن الأقمشة وغيرها ما يزيد على هذا القدر ونزل فيه البكلر بك المذكور «أى الباشا العثمانى» وذلك بمنزل والدى المطل على بركة الرطلى المعروف بالشادروان وجلس فيه ثلاثة أيام مع الإحسان لساير الأنام وأرباب الملاهى المستحسنات الآتين عند سماعهم بالفرح من جميع الجهات فكانت مدة الفرح أربعين يوماً لم يذق فيها غالب أهل مصر نوما مع الوقدات الوافرة ببركة الرطلى التى أصبحت على جميع أمثالها فاخرة وذلك فى زمن النيل السعيد مازال ممتدا بعون الملك المجيد»(٣).

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ٣٨٠-٣٨١.

(٢) هو محمد باشا الشريف الذى تولى على مصر لمدة سنتين وشهرين وعشرين يوما (١٠٠٤-١٠٠٦هـ/ ١٥٩٦-١٥٩٨م) عمر فى زمنه الجامع الأزهر وجدده وعمر المشهد الحسينى.
البكرى، النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية (مخطوط بدار الكتب برقم ٢٢٦٦ تاريخ)، ورقة ٣١.

(٣) النزهة الزهية (مخطوط)، ورقة ٣١.

وأما الجسر الذى كان على بركة الرطلى بينها وبين الخليج الناصرى فذكر «البكرى» ان المبانى عليه كانت مندثرة أيامه وصار غيطاً لعمه تاج العارفين الصديقى وأنشأ فيه أنواع الأشجار والزهور فصار بهجة النظار، وبقى أيامه . . «بقية صبابة المتفرجين زمن النيل»[1] .

وحتى أواخر العصر العثمانى حافظت بركة الرطلى على مكانتها المعهودة حيث يتوجه إليها المتنزهون وتعمل ببيوتها أفراح تحدث عنها المؤرخون فذكر «الجبرتى» فى ترجمته للأمير على كتخدا مستحفظان الخربوطلى المتوفى سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م أنه عمل لابنته التى تزوجها على بك الغزاوى «فرحاً عظيماً ببركة الرطلى أيام عدة كانت من مفترجات مصر»[2] .

أما عن بركة الفيل فقد كانت من متنزهات مصر الهامة منذ زمن الدولة الطولونية حتى القرن الماضى، وفى العصرين الفاطمى والأيوبى كان ما حول البركة بساتين وفضاء ولم تتطرق إليها المبانى بعد وإنما مجرد مناظر للنزهة، وقد وصفها الرحالة «ابن سعيد» الذى زار مصر فى زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب فقال «إن بركة الفيل ظاهر القاهرة وهى دائرة كالبدر والمناظر حولها كالنجوم وعادة السلطان يركب فيها وتُسرج أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرهم فيكون بذلك منظر عجيب»[3] .

وفى العصرين المملوكى والعثمانى بنى حولها السلاطين والولاة والأمراءوالأعيان، القصور والمناظر الفاتنة وسكنوا بها، وكانت الناس تأتى إليها فى أيام النيل وتتنزه بها بالشخاتير وفى الشتاءتكون البركة مزروعة بالزراعات الشتوية التى تعطيها منظراً أخاذاً، وقد ظلت على هذا الوضع المميز حتى ردمت نهائياً فى أواخر القرن الماضى .

ويكفينا أن ننظر فى ولوحه الكتاب وصف مصر لنرى بها الناس يتحركون على صفحات مياهها بالشخاتير والبعض الآخر يفترش على ضفافها ويلعبون بالآلات الموسيقية .

أما عن بركة الأزبكية فقدكانت متنزهًا فى زمن الدولة الفاطمية عندما كانت تعرف ببركة بطن البقرة ولكنها هجرت فى زمن الشدة العظمى فى زمن الخليفة المستنصر بالله وعمرها بعد ذلك الخليفة الآمر بأحكام الله وظلت كذلك حتى تأثرت زمن السلطان المملوكى الملك العادل كتبغا، وكانت مهجورة فى أيام «المقريزى» إلا بقية منها يجتمع فيها الناس للنزهة[4] .

---

(١) نفسه، ص ٧٣.

(٢) عجائب الآثار، جـ١ ، ص ٣٩٦.

(٣) المغرب فى حلى المغرب، ص ٢٦ . ، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٦٢ .

(٤) الخطط، جـ٢، ص١٦٣ .

وظلت كذلك حتى عمرها الأمير الأتابكى أزبك من ططخ تلك العمارة الرائعة لتلعب دوراً كبيراً فى زمن السلطان قايتباى، وأمست لها الصدارة بين البرك فى متنزهات العصر العثمانى.

وقد شهدت البركة فى أثناءسلطنة الأشرف قايتباى احتفالات كبيرة، وقد حضر قايتباى افتتاح عمارة قاعات الأزبكية فى جمادى الأولى سنة ٨٨٢هـ وبات فى ضيافة أزبك هناك(١)..

وعندما اكتملت عمارة الأزبكية كلها سنة ٨٨٩هـ أصبح يقام فيها احتفال كبير بمناسبة كسر السد على الخليج الذى يمدها بالماء والذى تسمى باسم خليج بركة الأزبكية حيث تجتمع عندالأمير أزبك الأمراءالمقدمون بالقصر «وتأتى الناس أفواجا ويكون لها يوم مشهود كان يصنع بها فى كل سنة وقدة حافلة وتحرق بها حراقة نفط وتدخل إليها المراكب قاطبة ويكون لها ليلة حافة لم يسمع بمثلها وينفق فى تلك الليلة أموال جمة بسبب الفرجة بها وتضرب حول البركة عدة خيام ويقع بها من القصف والفرجة أشياءغريبة وتكون ليلة حافلة»(٢).

وظل الاحتفال بكسر سد خليجها يتم سنويا بعد أيام قليلة من كسر سد الخليج(٣)، وكان يقام بها من حين لآخر ولائم كبيرة ووقدات حافلة وإحراقات نفط هائلة(٤)، وقد ذكرت من قبل أن الأزبكية أصبحت مقر الأتابكية لهذا كانت للأتابكة أيام مشهودة بها، وكذلك شهدت حفلات زواج كبيرة تخصهم، مثل زواج الأمير قانصوه خمسمائة على ابنة الأتابكى أزبك فى شهر رجب سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م،(٥) وزواج أصلباى أرملة السلطان قايتباى من جانبلاط الذى تولى السلطنة باسم العادل فى ١٩ شعبان ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م، «وكان به من الأمتعة والتحف ما يعجز عنه الواصفون»(٦) ولم لا وهى زوجة سلطان سابق وأم سلطان سابق.

وكانت الاحتفالات ببركة الأزبكية هائلة فى العصر العثمانى وخصوصاً أن السادة البكرية كانوا يحتفلون بمولد النبى هناك(٧).

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٣٤.
(٢) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ١١٨.
(٣) نفسه جـ٣، ص ٢١٩، ٢٦٧، ٣٠٥، السخاوى، الضوءاللامع، جـ٢، ص ٢٧٢.
(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٩٦، ٤٦٧.
(٥) نفسه، جـ٣، ص ٢٤٢.
(٦) نفسه، جـ٣، ص ٤٢٩.
(٧) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ١٣٥، ٥٣١، ٥٩١-٥٩٣، جـ٣، ص ١٢٢. =

وكانت البركة تعتبر المنتزه الرئيسى للقاهرة آنذاك، ففى موسم الفيضان تعج صفحة مياهها بالناس فى الشخاتير، وتقام احتفالات عظيمة بربوعها فى مناسبات مختلفة وخصوصاً وإن معظم سكانها كانوا يمثلون أعلى طبقة فى المجتمع فى العصر العثمانى، فتنصب الزينات وتقام السرادقات والمخيمات حولها، ويجتمع خلق كثير من سكان القاهرة فى قهاوى الأزبكية ويتجمعون حول الشعراء والمداحين لسماع القصص الشعبى على أنغام الربابة، وكانت تقام فى المناسبات الدينية مواكب الطرق الصوفية بأعلامهم وراياتهم ويقومون بالأذكار فى جوامع الأزبكية.

وقد زار مصر فى العصر العثمانى العديد من الرحالة وكلهم أثنوا على الأزبكية بقصورها وبساتينها وما يتم فيها من احتفالات وألعاب وترفيه.

ومن أوائل الرحالة الذين زاروا مصر فى العصر العثمانى «ابن الوزان» المعروف بليو الأفريقى، وقد ذكر أن عادة سكان القاهرة أن يجتمعوا كل يوم جمعة بعد الصلاة فى الأزبكية لأنهم يجدون هناك بعض المسليات القبيحة كالحانات والعاهرات ويتجمع أيضاً فى هذه الساحة عدد كبير من البهلوانيين وبالأخص من يرقصون الإبل والحمير والكلاب وهو منظر ممتع حقاً(١) ويضرب «ابن الوزان» مثلاً شيقاً لذلك(٢)، ويذكر أيضاً انه يجتمع بالأزبكية ضاربو السيوف والعصا والمصارعون وغير ذلك من وسائل التسلية وإلى جانب المغنون والمنشدون يتغنون بالوقائع بين العرب والمصريين أثناءفتح مصر(٣).

وقد اهتم الرحالة الفرنسيون بزيارة الأزبكية وقد اعتبروها «من أجمل مناطق القاهرة ومنازلها من أفخم المنازل وهى منطقة منخفضة عن القاهرة تنتشر بها الأشجار الجميلة وبها شوارع جميلة ومساجدها مزينة وعندما تمتلىء بركتها بالمياه يركب السكان المراكب ويتنزهون فيها»(٤).

=* وبجانب مظاهر الاحتفال المعتادة بالمولد من حفلات الذكر والإنشاد وغير ذلك كان يصاحب ذلك حفل كبير يسمى حفل الدوسة، وكيفية ذلك أن ينكب نحو من مائة أو مائتين على وجوههم فوق الأرض متلاصقين متلاحمين فتكون أجسامهم سجادة بشرية ثم يسير عليهم شيخ السجادة البكرية فوقهم ممتطياً صهوة جواده يتبعه بعض مريديه سائرين عليهم حفاة الأقدام، والذى يزعمه أولئك الدراويش بعد مرور الشيخ ومريديه فوق أجسامهم أن سنابك الجواد لم تصبهم بألم وإن هذا ينهض دليلاً على ولاية الشيخ، انظر: كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، جـ٢، ص ١٤٦-١٤٧.

(١) ابن الوزان، وصف افريقيا، جـ٢، ص ٢٠٨.

(٢) نفسه، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) نفسه، ص ٢١٠.

(٤) الهام ذهنى، مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، (نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١)، ص ١٠٨.

وبالرغم من إحاطة البركة بالقصور من جميع جوانبها ألا أن أصحاب الأملاك لم يمنعوا أحداً من التنزه بها، وفى هذا المعنى ذكر «الجبرتى» فى كلامه عن القصر الذى أنشأه السيد ابراهيم بن السيد سعودى اسكندر والذى آل إلى الألفى فيما بعد» . . . وجعل فى أسفله قناطر وبوائك من ناحية البركة وجعلها برسم النزهة لعامة الناس فكان يجتمع بها عالم من أجناس الناس وأولاد البلد شيء كثير وبها قهاوى وبياعون وفكهانية ومغانى وغير ذلك ويقف عندها مراكب وقوارب من تلك الأجناس فكان يقع بها وبالجسر المقابل لها من عصر النهار إلى آخر الليل من الحظ والنزاهة ما لا يوصف»(1).

وقد رسم «الجبرتى» أيضاً فى كلامه عن هذا القصر صورة للبركة ومظاهر الاحتفال بها هى والبرك الأخرى، وكانت البركة قد تعرضت لردم جزء منها بالأتربة اثناء ترميم قصر الألفى على يد محمد على باشا، فقال » . . . ورموا جميع الأتربة فى البركة حتى ردموا منها جانبا كبيراً ردماً غير معتدل حتى شوهوا البركة وصارت كلها كيماناً وأتربة والعجيب أن منتهى الرغبة فى سكن هذه البركة وأمثالها إنما هو تسريح النظر وانبساط النفس باتساعها واطلاقها وخصوصاً أيام النيل حتى تمتلىء بالماء فتصير لجة ماء دائرة بركاوية مملوءة بالزوارق والقنج والشطيات المعدة للنزهة تسرح فيها ليلاً ونهاراً، وعند دخول الماء يوقودون القناديل بدائرها فى جميع قواطين البيوت فيصير لذلك منظر بهيج لا سيما فى الليالى المقمرة فيختلط ضحك الماء فى وجه البدر والقناديل وانعكاس خيالها كأنها أسفل الماء أيضاً وصدى أصوات القيان والأغانى فى ليالى لا تعد من الاعمار إذ الناس ناس والزمان. . »(2)

وكان الباشوات العثمانيون يفضلون بركة الأزبكية كمكان كبير للاحتفالات فيعملون شنك وحراقات ووقدات حافلة بها ويعلقوا الزينات فى ربوعها(3) ونظرا لكبر البركة فإنها كانت مكان أغلب سكان القاهرة فى بعض الأحداث الاجتماعية مثلما حدث فى أواخر شهر جمادى الأولى سنة ١٢٠٥هـ/ ١٩٧١م عندما سرت إشاعة بين سكان القاهرة أنه فى منتصف ليلة السابع والعشرين من جمادى الأولى سوف يحدث زلزلة عظيمة تستمر سبع ساعات، واعتقد الخاصة والعامة فى صحة ذلك الخبر، فلما كانت تلك الليلة خرج غالب الناس إلى الصحراءوإلى الأماكن المتسعة مثل بركة الأزبكية والفيل وخلافهما ونزلوا فى المراكب ولم يبق فى بيته إلا من ثبته الله وباتوا ينتظرون ذلك إلى الصباح فلم يحصل شيء وأصبحوا يتضاحكون على بعضهم(4).

(١) عجائب الآثار، جـ٢، ص ٥٦٧.
(٢) نفسه، ص ٥٦٩.
(٣) نفسه، ص ٧٨.
(٤) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٩٤.

وفى فترة الحملة الفرنسية اتخذ الفرنسيون البركة وبيوتها مركزاً لهم لأنها كانت أرقى أحياء القاهرة آنذاك فاتخذ بونابرت بيت محمد بك الالفى مقراً له ولقيادة جيشه[١]، وتوزعت قصور البركة الفخمة لقادة الحملة الفرنسية، وفى اثناء ثورة القاهرة ضدهم تجمع أغلبهم من الأحياء الأخرى التى كانوا بها إلى الازبكية[٢].

وقد قام الفرنسيون بالبركة احتفالات كبيرة سواء باعياد ومواسم اسلامية تقرباً للمصريين مثل الاحتفال بالمولد النبوى[٣]، أو احتفالات خاصة بهم مثل الاحتفالات بعيدهم القومى[٤]، أو غيرها[٥]. وقد حرص الفرنسيون على أن تكون هذه الاحتفالات على درجة كبيرة من الإبهار لكنها لم تجد صدى من أغلب أبناء مصر الذين رفضوا الاحتلال والتعامل معه مهما تقرب منهم. وقد اتخذ الفرنسيون البركة متنزهاً لهم فأقاموا بها مسرحاً كوميدياً ومطاعم وملاهى خاصة بهم.[٦]

وبالنسبة لباقى البرك نجد أن حتى البرك الصغيرة مثل بركة القرع لم تخل من احتفالات شيقة، فيحدثنا «ابن اياس» أنه بمناسبة انتهاء العمل من بناء جامع الشيخ عبد القادر الدشوطوتى فى ربيع أول ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م وبعد افتتاح الجامع «أشار الشيخ عبد القادر بفتح فم بركة القرع حتى تدخلها المراكب مثل بركة الرطلى، ففتح لها مسرب من الخليج الحاكمى من عند ذيل التمساح، وكان يوماً مشهوداً وعد ذلك من النوادر وصارت المراكب تدخلها فى كل سنة من يومئذ».[٧]

وضرب لنا «ابن اياس» مثلاً آخر للاحتفال ببركة القرع وكان ذلك فى بداية العصر العثمانى ففى شهر ربيع الآخر سنة ٩٢٤هـ «حضر شخص من حلب فهلوان (بهلوان) ونصب فى بركة القرع التى بالجنينة صوارى وحبالاً، وكان يوم الجمعة فاجتمع الجم الغفير من الخلايق، فلما صعد على الحبال أظهر أشياء غريبة فى صنعة الفهلوانية وهو واقف على الحبال، منها أنه نصب له أوماج وبتية (برميل) وأرمى بالنشاب فى البتية وهو واقف على الحبال ومنها أنه مشى على الحبال وهو مقيد وعينيه مربوطة بخرقة ومنها أنه مشى على الحبل وفى رجله قبقاب وتحته ألواح صابون وأرمى فى الأوماج وهو واقف على حمل فيه سيوف مسلولة، ومنها أنه مشى على الحبال مقلوباً وهو مغمى العينين، وأظهر من هذه الأنداب العجائب والغرائب..»[٨]

---

(١) نفسه، جـ٢، ص ١٩٣.
(٢) نفسه، جـ٢، ص ٢٢٧.
(٣) نفسه، جـ٢، ص ٢٠١-٢٠٢، ٣٠١.
(٤) نفسه، جـ٢، ص ٢٠٤-٢٠٥، ٢٠٦-٢٠٧، ٣٠٦-٣٠٧، ٣٩٦.
(٥) نفسه، جـ٢، ص ٢٣٠، ٢٤٤.
(٦) نفسه، جـ٢، ص ٢٣١، ٤٠٤.
(٧) بدائع الزهور، جـ٤، ص ٩٧.
(٨) نفسه، جـ٥، ص ٢٥١-٢٥٢.

ويذكر ابن ابى السرور البكرى «المتوفى سنة ١٠٨٧هـ، أن بركة القرع ظلت متنزهاً جليلاً فى العصر العثمانى لمجاورتها لأملاك السادة البكرية وقال " ويجتمع فيها يوم الجمعة والسبت بالمقصف المعروف بالغواص والمقصف المجاور للجامع الأبيض خلق لا يحصون عدداً، وتصرف فى اليومين المذكورين أموال كثيرة جداً»(١).

وذكر «ابن اياس» عن الاحتفال ببركة الفرايين أنه فى يوم الجمعة ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٩١٨هـ «صنع الأمير قانصوه بن سلطان جركس أحد الأمراء المقدمين وقدة وإحراقه نفط فى بركة الفرايين، مكان داره التى أنشأها هناك، فكانت له ليلة حافلة وعزم على الأمراء عنده، ونقل مراكب صغاراً على جمال إلى بركة الفرايين فكانوا نحوا من ثلاثين مركباً أو دون ذلك وأمر سكان البركة بأن يوقدوا فى بيوتهم القناديل والثريات والأمشاط فأوقدوا وقدة حافلة تلك الليلة ومد أسمطة حافلة للأمراء ولم يقع فى بركة الفرايين ليلة مثل تلك الليلة فى الفرجة والقصف»(٢).

وكما سبق القول أن المتنزهات كانت متاحة لجميع الناس بكافة طبقاتهم الاجتماعية بل أن بعض القصور على البرك أبيحت لتنزه العامة ومثال لذلك حدث فى قصر السيد ابراهيم بن مسعود على بركة الازبكية، ونرى مثال آخر يحدث ببركة الناصرية فقد أباح قاسم بك للناس الدخول لداره وحديقته العظيمة على البركة وأباح لهم التنزه فى رياضها والتفسح فى غياضها والسروح فى خلالها والتفيؤ فى ظلالها، وسماها حديقة الصفصاف والآس لمن يريد الحظ والائتناس، ونقش ذلك فى لوح من الرخام وسموه فى أصل شجرة يقرؤها الداخلون إليها فأقبل الناس على الذهاب إليها للنزاهة ووردوا عليها من كل جهة وعملوا فيها قهاوى ومساقى ومفارش وأتخاخاً يفرشها القهوجية للعامة وقللا وأباريق واجتمع بها الخاص والعام وصار بها مغان وآلات وغوانى ومطربات. . »(٣).

وكذلك اثنى «النابلسى» «على القصور والبساتين على بركة الناصرية وما يتم بها من مجالس أنس وطرب فذكر أنه هو وجماعة معه ذهبوا الى البستان الزاهى والقاعة العظيمة والمقعد الذى قصرت المحاسن عليه أيما قصر وهو مشهور بقصر حجى باشا مطل على بركة الناصرية وقد حضر النابلسى جلسة سماع وموسيقى فأنشد فى ذلك قصيدة(٤).

ومثال متأخر لاحتفال عظيم فى بركة ابو الشوارب بباب اللوق، ذكر «الجبرتى» أنه فى

---

(١) النزهية الزهية (مخطوط)، ورقة ٨٠.

(٢) بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٨٠.

(٣) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٢، ص ٥٢٤.

(٤) الحقيقة والمجاز، ص ٢٨٣.

أواخر ربيع الأول سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م بمناسبة افراح ابنى ولى افندى ويقال له ولى جحا على بنتين من أقارب محمد على باشا» . . . واجتمعت الملاعيب والبهلونات بالبركة وما حولها وبالشارع وعلقوا تعاليق قناديل ونجفات وأحمال بلور وزينات واجتمع الناس للفرجة وبالليل حراقات ونفوط ومدافع وصواريخ سبع ليال متوالية »[١] .

مظاهر التنزه بالخلجان :

وكانت الخلجان موضع نزه عظيمة فى العصرين المملوكى والعثمانى، وكان الخليج الكبير أحد متنزهات مصر الهامة طوال التاريخ الإسلامى حتى تم ردمه نهائياً عام ١٨٩٨م، ففى فصل الصيف يكون موسم الفيضان فيدخله الناس بمراكبهم الصغيرة المسماة الشخاتير، وكان ما حول الخليج خارج القاهرة بساتين وحقول ذات منظر أخاذ[٢] .

وقد رسم «ابن سعيد» الذى زار مصر فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب صورة للخليج فقال " وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب، وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الأحيان، وهو ضيق وعليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمجانة حتى أن المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب، وللسرج فى جانبيه منظر فتان "[٣] .

ويقول «المقريزى» «وما برح هذا الخليج متنزهاً لأهل القاهرة يعبرون فيه بالمراكب للنزهة إلى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج المعروف بالخليج الناصرى»[٤]

وقد أصبح الخليج الناصرى منذ حفره سنة ٧٢٥هـ متنزهاً هاماً وفضله كثير من سكان القاهرة على الخليج الكبير[٥] .

وكان خليج الزعفران متنزهاسلطانياً حيث يركب السلاطين إليه ويقيمون مخيمات على جانبيه بالمطرية على وجه خاص، وكانوا يبيتون هناك أحياناً ويظلون فى لعب وبسط وصلاة وعبادة ومسايرة واستمتاع بجو بديع ومناظر طبيعية رائعة وبيئة نقية. وبنى العديد من الامراء القصور والمناظر عليه.

---

(١) عجائب الاثار، جـ٣، ص ٥٠٧.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٤٣.

(٣) المغرب فى حلى المغرب، ص ٣١ـ٣٢. ، الخطط، جـ٢، ص ١٤٤.

(٤) الخطط، جـ٢، ص ١٤٣.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٤٣.

ومن السلاطين الذين داوموا على النزول لخليج الزعفران والتنزه بنواحيه السلطان المؤيد شيخ(١) والأشرف برسباى(٢) والظاهر جقمق(٣) وخشقدم(٤) وقايتباى(٥) والغورى(٦).

وكانت القناطر على الخليج الكبير مواضع نزه عظيمة فى العصرين المملوكى والعثمانى، ومن أهمها قناطر الأوز، حيث كان على حافة الخليج الشرقية عندها البساتين الأنيقة، وكان تجاه هذه القنطرة من الغرب منظرة البعل وبها عرفت أرض البعل التى هناك(٧).

وكان هناك صف من شجر السنط قد امتد تجاه قناطر الأوز إلى منظرة البعل وصار فاصلاً بين مزرعتين، يجلس الناس تحته يومى الأحد والجمعة للنزهة فيكون هناك من أصناف الناس رجالهم ونسائهم ما لا يقع عليه حصر ويباع هناك مآكل كثيرة وكان هناك حانوت من طين تجاه القنطرة يباع فيها السمك أدركها المقريزى وقد استؤجرت بخمسة آلاف درهم فى السنة منها يومئذ نحو مائتين وخمسين مثقالاً على أن لا يباع فيها السمك إلى نحو ثلاثة أشهر أو دون ذلك ولم يزل هذا السنط موجوداً إلى نحو سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م فقطع، وإلى زمن المقريزى تجتمع الناس هناك ولكن شتان ما بين ما أدركها المقريزى وبين ما كانت عليه حين كتب الخطط.(٨)

وقنطرة بنى وائل أيضاً كانت متنزهاً هاماً وكان بجانب هذه القناطر من الجانب الغربى مقعد أحدثه الوزير الصاحب سعد الدين بن نصر الله البقرى لأخذ المكوس واستمر مدة ثم خرب، وكانت هذه القنطرة موضع فرجة وبهجة وخاصة أيام زيادة النيل وزمن الربيع.(٩)

---

(١) العينى، عقد الجمان (بدون ناشر)، ص ٢٤١. ، ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص ٢٨٠، ٤٠١، ٤٠٨.

(٢) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٦٧٩، ٧٦٦، ٩١٠، ١٠٢٧، ١٠٣٧، ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١٤، ص ٣١٢. ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٩٥.

* وكان لبرسباى بستان على خليج الزعفران يذهب إليه. العينى، عقد الجمان، نشر الزهراء، ص ٤٣.

(٣) المقريزى، السلوك، ج٤، ص ١٢٢١. ، العينى، عقد الجمان (نشر الزهراء)، ص ٥٦٣، السخاوى، التبر المسبوك، ص ١٢٢.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٤٢.

(٥) ابن الصيرفى، انباء الهصر، ص ٥٠، ١٥٧، ١٦٦، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٣٢٨. ، ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٣، ص ٦٠٨، ابن اياس، بدائع، جـ٣، ص ٢٧، ٤١، ٦٣، ٦٨، ٩٩، ١٢١.

(٦) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٢٢٩.

(٧) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٤٨.

(٨) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ١٤٨. ، على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٩، ص ٤٣.

(٩) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٤٨.

وعند قنطرة الأميرية كان يحدث احتفال أيام وفاء النيل لأنه كان يقام سد هناك يفتح يوم النوروز.(١)

وظل الخليج متنزهاً عظيماً فى العصر العثمانى لعامة وخاصة الناس، وكان والى مصر محمد باشا الشهير بدوت كى(٩٦١ ـ ٩٦٣هـ/ ١٥٥٤ ـ ١٥٥٦م) مغرماً بالتنزه فى الخليج(٢) وكانت القنطرة الجديدة متنزهاً كبيراً فى العصر العثمانى حيث كان يجتمع بها كثير من الحشاشين لهذا سميت بقنطرة الحشاشين(٣).

والصور التى صورها الرحالة فى القرن ١٣هـ/ ١٩م تبين لنا الخليج وقد ملئته الشخاتير المتنزهين بآلاتهم الموسيقية وكانت تحيط بالخليج المقاعد والمناظر الجميلة.

وذكر جومار «أن الخليج كان دائماً وسيلة لمتعة الشخصيات الرئيسية والمشايخ وأثرياء المدينة فى زمن الحملة الفرنسية، وكان عادة المشايخ وأثرياء الأقباط التنزه فى المراكب وبصحبتهم الموسيقى والاندماج فى أنواع كثيرة من الألعاب والتسالى.(٤)

ثانياً : الأعياد والمواسم التى ارتبطت بالمتنزهات

ارتبطت بمتنزهات القاهرة بعض الأعياد والمواسم ارتباطاً مباشراً، فقد كانت المتنزهات مسرحاً للاحتفال بها فى المقام الأول إلى جانب الارتباط غير المباشر بالمتنزهات ببقية الأعياد.

وقد تنوعت هذه الاعياد والمواسم ما بين عيد ذات صفة إسلامية خالصة هو الاحتفال بدوران المحمل وخروجه، وآخر ذات صفة قومية هو مهرجان وفاء النيل، وأعياد أخرى قبطية اتخذت فى العصر المملوكى طابعاً قومياً بمشاركة المسلمين فيها مثل عيد الشهيد وعيد النيروز، إلى جانب ذلك يوجد احتفال محلى بمولد ولى من الاولياء وهو مولد اسماعيل الامبابى.

والشىء العجيب هنا أن هذه الاعياد والاحتفالات والمواسم كلها خاصة بمصر وبالأمة المصرية دون بقية البلاد والأمم، فنرى أن الاحتفال بدوران المحمل وخروجه كان وليد العصر المملوكى، لأن مصر صارت آنذاك زعيمه العالم الاسلامى، وكان السلطان المملوكى يلقب بحامى وخادم الحرمين الشريفين، فعلى الرغم من أن مصر كانت من قبل ترسل كسوة الكعبة المشرفة فإن السلطان المملوكى الظاهر بيبرس قد ابتكر الاحتفال بدوران وخروج المحمل الذى

---

(١) نفسه.
(٢) أحمد شلبى، أوضح الإشارات، ص ١١٢.
(٣) ابن أبى السرور البكرى، النزهة الزهية (مخطوط) ورقة ٧١.
(٤) وصف مدينة القاهرة، ص ١٦١.

يحمل الكسوة وجعله احتفالاً عظيماً جليلاً ليتناسب مع الزعامة الدينية لمصر وسلطانها ، وكان ميدان الرميلة مسرحاً للجزء الهام من ذلك الاحتفال .

أما المهرجان الثانى العظيم فهو مهرجان وفاء النيل وكسر سد الخليج وهو عيد قومى يعتبر أهم احتفال عرفته مصر منذ فجر التاريخ وظلت مكانته محفوظة فى العصرين المملوكى والعثمانى .

وهناك بعض الأعياد القبطية اتخذت شكلاً قومياً عاماً فى العصر المملوكى مثل عيد الشهيد وعيد النيروز وغيرها من الأعياد التى شارك المسلمون فيها اخوانهم أقباط مصر ، ولكن بعض هذه الأعياد لم يكتب لها الاستمرار بقية العصر المملوكى بالرغم من أن مظاهر الاحتفال بها كانت عظيمة قبل ذلك مثل عيد النيروز وعيد الشهيد وعيد الغطاس .

ب ـ الاحتفال بوفاء النيل "تخليق المقياس وكسر الخليج" :

يعتبر الاحتفال بوفاء النيل من أكبر وأعظم الاحتفالات بمصر الاسلامية إن لم يكن أعظمها بالفعل ، وهو « يوم مشهود وموسم معدود ليس له نظير فى الدنيا»(1) . واعتبره المؤرخون من المحاسن والفضائل التى اختصت بها مصر والقاهرة وأهلها وما شاركها فيه غيرها من الأمم(2) ، وقد احتفل به المصريون منذ فجر التاريخ وتوارثوه عبر الأزمان حتى بطل منذ وقت قريب .

وكان الاحتفال فى مصر الاسلامية مهرجاناً قومياً شاركت فيه عناصر الأمة جميعاً ـ مسلمون وذميون ـ بكافة طبقاتهم الاجتماعية وطوائفهم ابتداءاً من السلاطين وانتهاءاً بالعامة ، وكان الاحتفال فى العصرين المملوكى والعثمانى امتداداً لبعض مظاهر الفخامة والعظمة والثراء التى كانت سائدة أيام الفاطميين(2) والذى كان احتفالهم بذلك المهرجان يفوق الوصف ، وقد حافظ خلفائهم فى الحكم ـ الايوبيين ـ على كثير من المظاهر بالرغم من أن فترة حكمهم لم تكن تسمح بذلك لأنها امتازت بالحروب والفتن فى أغلب فتراتها(4) ، وبالرغم من ذلك فإن الاحتفال زمن المماليك لفت نظر الرحالة الذين زاروا مصر آنذاك ومنهم «دومينكو تريفزيان» ، عندما كان على رأس سفارة كبيرة لدى السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م ، حينما شاهد الاحتفالات التى أقامها المصريون فى هذه السنة

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص ٢٩٤ .
(٢) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ٢٠٠ .
(٣) عن الاحتفال زمن الفاطميين ، انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٤٧٠ـ٤٧٩ .
(٤) عن الاحتفال زمن الأيوبيين ، انظر : أحمد عبدالحميد خفاجى ، جوانب من الحياة الاجتماعية فى مصر فى العصر الأيوبى ، (مجلة الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد ٢٩ ، سنة ١٩٨١) .

عند وفاء النيل على ذلك بقوله : «والواقع أن لهم الحق فى كل ذلك لأننا نستطيع أن نؤكد أن حياة مصر كلها تتوقف على فيضان النيل وإليه مرجع الثروة الطائلة التى نشاهدها فى مصر»(١).

وكان يسبق الاحتفال تمهيد أساسى يبدأ قبل الاحتفال بمدة تقرب من شهرين فعند بداية الفيضان يتم مراقبة زيادة النيل يومياً(٢)، وكان ذلك يبدأ فى اليوم السادس والعشرين من شهر بؤونه القبطى (المعادل لشهر يونيه الميلادى)، فكان ابن ابى الرداد(٣) المشرف على مقياس النيل فى جزيرة الروضة يحسب ارتفاع مياه النيل فى قاع المقياس ويبدأ إعلام الناس بمقدار الزيادة فى اليوم التالى مباشرة، وفى عصر كل يوم يقيس ابن ابى الرداد مقدار الزيادة لكى يعلنها مناديو البحر فى الطرقات والأسواق حتى يطمئن الناس، ،كانوا ينادون على ارتفاع النيل

(١) Schefer (c), Voyage de Magnifique et Tres Illustre Cheralier Domenico Trevisan (Paris 1864), pp. 206 - 207. سعيد عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، ص ١٩٧ .

(٢) حافظ المصريون فى العصر المملوكى على مراقبة زيادة النيل وحساب ارتفاعه كل يوم بالأصابع لأن النيل كان ـ ولا يزال ـ هو قوام الحياة المصرية، فإذا تأخر أو توقف عن الزيادة عم الناس القلق وارتفع سعر القمح وتزاحم الناس على شراء الغلال ويكون الغلاء، وعندئذ تفزع الدولة فيأمر السلطان القضاة الأربعة والمشايخ والعلماء أن يتوجهوا إلى المقياس بالروضة حيث يواصلون تلاوة القرآن الكريم والحديث والدعاء بزيادة النيل، وكذلك يطوف المنادون فى شوارع القاهرة ليأمروا الناس بالصيام ثلاثة أيام والخروج إلى جامع عمرو بن العاص أو الجامع الأزهر أوا لصحراء لصلاة الاستسقاء والدعاء بزيادة النيل، ويشترك فى هذا الدعاء سائر الناس من رجال الدين والعلم والصوفية والأمراء والعوام نساءً ورجالاً صغاراً وكباراً حتى أهل الذمة كانوا يخرجون مع المسلمين إلى الصحراء ويصلون ويدعون من أجل زيادة النيل.
ولم يكن نقص الماء هو السبب فى الصلوات والدعاء وإنما كان يحدث أحياناً أن يزيد النيل عن الحد فيغرق البلاد والأراضى فيأمر السلطان بالصلاة والدعاء لأجل ذلك بالاضافة لأوامره بحفظ الجسور وعدم الغفلة عنها. انظر: السخاوى، والتبر المسبوك، ص ٣١٠، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٧٦ . ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٦٨١ ـ ٦٨٢ .، خليل بن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٣٩ . ، سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ١٩٨ .

(٣) كان أقباط مصر هم الذين يتولون قياس النيل حتى عام ٢٤٧هـ حين بنى الخليفة المتوكل على الله العباسى مقياس الروضة فأمر بعزل الأقباط عن ولاية المقياس وأمر أن يتولاه مسلم فتم اختيار ابن أبى المرداد واسمه عبدالله بن السلام بن أبى الرداد المؤذن وأجرى عليه صاحب خراج مصر آنذاك راتباً شهرياً قدره سبعة دنانير، ولما توفى سنة ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م ظل هذا المنصب متوارثاً فى عائلته حتى أن «على مبارك» يذكر أن بعض القياسين فى زمنه يذكرون أنهم من سلالة ابن أبى الرداد، وقد كان لعائلة ابن أبى الرداد مكانة كبيرة فى العصر الفاطمى إذا كانوا يشتركون فى مراسم الاحتفالات وتجرى عليهم أرزاق كثيرة ويخلع عليهم الخلفاء الخلع الثمينة، وظلت مكانتهم مرموقة فى العصر المملوكى ينعمون بالخلع والانعامات من السلاطين والأمراء ولهم رواتب سنوية معلومة، انظر: ابن مماتى، قوانين الدواوين، ص ٧٦ . ، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٥٧، ٤٧٧ . ، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٧٥ . ، على مبارك، الخطط التوفيقية جـ١٨، ص ٢٠.

بالأصابع فقط دون ذكر أذرع المقياس[1] . ولكن ابن ابى الرداد كان يكتب فى كل يوم بياناً لأعيان الدولة من أرباب السيوف والأقلام فيذكر زيادة النيل فى ذلك اليوم من الشهر العربى وموافقة من القبطى بعدد الأذرع والاصابع ، ويذكر ما كانت زيادته فى مثل اليوم من العام السابق والفرق بينهما فى الزيادة والنقصان ، ولا يطلع على ذلك التقدير عامة الناس فإذا أوفى النيل ستة عشر ذراعاً صرح فى المناداة فى كل يوم بما زاد ويصير ذلك مشاعاً عند جميع الناس . [2]

وقد ذكر بيلوتى الكريتى Pilote De Crete الذى زار مصر فى مطلع القرن التاسع الهجرى/ ١٥ م، أنه شاهد زمن الفيضان عدة فرسان يخرجون كل يوم وهم يرفعون الأعلام فوق أكتافهم ثم يتجهون إلى المقياس لكى يعرفوا مقدار زيادة النهر ثم يسيرون خلال الشوارع والطرقات ويصيحون «أن النهر زاد كذا»[3]، وهؤلاء الفرسان الذين وصفهم بيلوتى هم الذين أطلقت عليهم المصادر العربية اسم «مناديو البحر»[4]، ويبدو دورهم مشابها لدور وسائل الاعلام فى عصرنا الحالى من حيث نقل أخبار الفيضان اليومية إلى الناس[5] .

وكان الاحتفال بوفاء النيل يتم فى فصل الصيف وخاصة فى شهر أغسطس الموافق لشهر مسرى القبطى[6]، وهو الشهر الذى يبلغ فيه فيضان النيل الدرجة الكافية التى تسمح بالاحتفال وهى ١٦ ذراعاً. ونلاحظ انه ليس للاحتفال يوم محدد مثل باقى الأعياد والمواسم ،

---

(١) النويرى ، نهاية الارب ، جـ١ ، ص ٦٤ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ٣، ص ٢٩٤ . ، السيوطى ، كوكب الروضة ، ص ٧٤.

* نلاحظ أنه قبل مجيء الفاطميين إلى مصر جرى ولاة مصر على انه إذا بدأ الفيضان ينادى على ارتفاع النيل يومياً إلا أن حكمة الفاطميين قضت بمنع هذا النداءالعلنى نظرا لما يحدثه من بلبلة للأفكار واضطراب وقلق بين الشعب ووقوع الغلاء فى أسعار المأكولات والبضائع فكانت الدولة الفاطمية تكتم أمر الفيضان عن الشعب إلى أن يتم مقدار الوفاء ستة عشر ذراعاً وعندئذ يركب الخليفة إلى المقياس للاحتفال بالوفاء . لذلك فى العصر المملوكى استمر النداءبالأصابع دون التصريح بعد أذرع الفيضان حتى يبلغ الستة عشر ذراعاً. انظر : ابن ميسر ، تاريخ مصر ، ص ٤٤ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ٣، ص ٥١٢ . ، عبدالمنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، جـ٢ ، ص ١٠٥ ـ١٠٦ .

(٢) القلقشندى ، صبح الاعشى ، جـ٣، ص ٢٩٧ .

(٣) Dopp (P.H). L'EgYpte au Commencement de Quinzieme Siecle, D'apres la Traite D'emmanuel Piloti de Crete (Le Caire 1950) pp. 20-21.

(٤) السيوطى ، كوكب الروضة ، مخطوط ، ورقة ٤٧ .

(٥) قاسم عبده قاسم ، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى فى عصر سلاطين المماليك ، (دار المعارف ، ص١ ، سنة ١٩٨٣م)، ص ١٠٧ .

(٦) قمت بعمل حصر لتواريخ الاحتفال بوفاءالنيل فوجدت أنه قد تم الاحتفال فى شهر مسرى بنسبة ٧٥٪ والباقى إما قبله أو بعده ، وهذه النسبة وجدتها فى كتاب تقويم النيل لأمين سامى ، جـ١ ، ص ٤١ .

وإنما جعل الاحتفال مقروناً ببلوغ ماء النيل مقدار ستة عشر ذراعاً بأذرع مقياس النيل بجزيرة الروضة وهو ما يعرف بماء السلطان الذى يجب فيه الخراج[١] وحينئذ يكون الاحتفال، وكان يوم وفاء النيل أكثر تحديداً بالتقويم القبطى الذى كانت تعتمد عليه أمور الزراعة بمصر وتوارثه الاحفاد عن الاسلاف عبر القرون.

وحينما يفى النيل تكتب البشارات من ديوان الانشاء إلى سائر ولايات المملكة بمصر والشام والحجاز ابتهاجاً بذلك الحدث الجليل حتى تطمئن قلوب العباد ولتكون بمثابة اشعار باستحقاق الخراج، وهذه البشائر من خصائص الديار المصرية التى تنفرد بها[٢].

ويكون الاحتفال فى اليوم التالى لوفاء النيل ستة عشر ذراعاً، وكان الاحتفال يتم على مرحلتين، الاولى الاحتفال بتخليق المقياس والثانية الاحتفال بكسر سد الخليج، وكان ذلك يتم فى يوم واحد فى العصرين المملوكى والعثمانى بينما فى العصر الفاطمى كان بينهما بضعة أيام[٣].

ولما كان الاحتفال مهيباً زمن الفاطميين يرأسه الخليفة الفاطمى نفسه، وتبعهم فى ذلك الملوك الايوبيين فى أغلب سنين حكمهم، فإن مظاهر تلك الأبهة والعظمة قد تراجعت بعض الشيء فى العصر المملوكى، فرأينا سبعة سلاطين فقط قد رأسوا الاحتفال بأنفسهم فى فترات حكمهم، وأول هؤلاء هو الملك الظاهر بيبرس[٤]. بالرغم أن فترة حكمه اتسمت بالجهاد والحرب، وثانى السلاطين كان الملك المنصور قلاوون[٥]، وثمة فترة طويلة لم يرأس الاحتفال بعده أحد من السلاطين حتى أيام الملك الظاهر برقوق الذى رأس الاحتفال أغلب سنين حكمه محاكياً فى ذلك الظاهر بيبرس والذى ربما أراد أن يتشبه به وبأفعاله حتى انه اتخذ نفس لقبه، وقد خلفه ابنه الملك الناصر فرج فى الاحتفال بنفسه أيضاً، ، وكذلك الملك المؤيد شيخ رأس الاحتفال أغلب سنين حكمه، أما الملك الاشرف برساى فلم يرأس الاحتفال إلا

---

(١) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٢٩٤.

(٢) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٨، ص ٣٢٨.

* انظر نموذج لهذه البشائر فى الملحق رقم ٣.

* وقد ذكر القلقشندى أيضاً «أن البشارة بوفاء النيل كانت تتخذ حجة لجباية بعض الأموال للبريدى (حامل البشارة) وإذا كانت الدولة عادلة لا تجبى للبريدى شيء بسبب ذلك صبح الأعشى، جـ٨، ص ٣٣٠.

(٣) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٣، ص ٥١٢-٥١٣. ، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٧٧.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٣٢٤.

(٥) ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص ٧٤، ١٤٢.

* ومن الملاحظ أن معظم المؤرخين لم يدرجوا اسم السلطان قلاوون فيمن رأس الاحتفال بتخليق المقياس وكسر سد الخليج ربما لأنهم لم يطلعوا على كتاب ابن عبدالظاهر.

سنة واحدة وهى سنة ٨٣٣هـ عقب وفاة ابنه الاكبر الذى كان ينيبه فى الاحتفال، وكان آخر السلاطين الذين رأسوا الاحتفال بأنفسهم هو الملك الظاهر خشقدم الذى أراد أن يتشبه بأستاذه الملك المؤيد شيخ .

وفى سنين عديدة كان السلاطين ينيبون عنهم أبناءهم فى رئاسة الاحتفال مثل الأشرف برسباى، والظاهر جقمق والأشرف إينال، أما باقى السنوات فكان كبار الأمراء هم الذين يتولون الاحتفال مثل الأتابك وحاجب الحجاب وأمير مجلس وأمير دوادار كبير وأمير سلاح .

وكان يحضر الاحتفال كوكبه من الأمراء أصحاب الرتب والوظائف مثل مقدمى الألوف والطبلخانات وأمراء العشرات وغيرهم، ومجموعة كبيرة من المماليك والأعيان والمشايخ ورجال العلم والادب، فضلاً عن تجمع الآلاف من عامة أبناء مصر فى مكان الاحتفال فى جزيرة الروضة وعلى صفحة النيل المبارك وعلى جانبى الخليج .

وتبدأ مراسم الاحتفالات فى اليوم السابق على تخليق المقياس بأن يعلق والى الفسطاط على الشباك الشرقى للمقياس المواجه للفسطاط الستار الخليفتى الأصفر علامة على وفاء النيل وبلوغه ستة عشر ذراعاً، فيشاهد الستار أهل الفسطاط فيستبشرون بالوفاء[١]، وتكون تلك الليلة - التى يعلق فيها الستر - من ليالى الفرح العظيمة بمصر والروضة إذ يوقد الناس الشموع والقناديل ويستأجرون المراكب بأجور باهظة وتزين حراريق (مراكب) الأمراء ويجعل فيها الطبلخانات والنفط وأنواع الزينة، فى حين يحضر استادار السلطان الكبير (المشرف على البيوت السلطانية) ليبيت فى المقياس وصحبته خازن وبعض الجمدارية (الحراس)، وكذلك يحضر بعض المقرئين لتلاوة القرآن حول الفسقية بالمقياس، أما المغانى والمنشدين فيستمرون فى الغناء والإنشاد طوال الليل لمن يكون حاضراً فى دار المقياس[٢]

أما يوم الاحتفال فيركب السلطان أو من ينوب عنه من قلعة الجبل صباحاً ولا يكون ركوبه بمظلة ولا رقبة فرس ولا غاشية التى تكون بمواكبه الأخرى الخاصة بالأعياد أو ركوب الميدان بل يقتصر على الصناجق والطبرداريه والجاويشية ونحو ذلك [٣]، وينزل السلطان من القلعة إلى باب السلسلة (باب العزب حالياً) إلى ميدان الرميلة فشارع الصليبه فشارع الجسر الأعظم تحت الكبش فيصل إلى قناطر السباع فيعبرها، ويسير الموكب حتى يصل إلى دار النحاس

---

(١) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٤، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٤ - ١١٥ . ، سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٣) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٤، ص ٤٧ .

بجوار كوبرى الملك الصالح حالياً) فيركب هناك الحراقة السلطانية المسماة الذهبية[١]، ويركب الأمراء ومرافقره المراكب التى تزينها الأعلام الملونة والشارات الزاهية وغيرها من الزينات وتدق الطبول وتطلق الالعاب النارية (النفوط) من المراكب حتى يصل الموكب النهرى إلى دار المقياس، وقد ماجت صفحة النهر بمئات من مراكب النزهة.[٢]

وكانت الجماهير الغفيرة تصطف على جانبى الطريق من ميدان الرميلة إلى دار النحاس لرؤية موكب السلطان حتى أن الدكاكين والدور التى بالصلبية والكبش كانت تؤجر فى ذلك اليوم للمتفرجين لرؤية الموكب.

وعند وصول السلطان أو من ينوب عنه إلى مقياس النيل بطرف جزيرة الروضة يمد سماط كبير من الشواء والحلوى والفاكهة حتى إذا تناول الكبراء ما يشتهون يسمح للعامة «باختطاف» ما تبقى من أطعمة «ولا يمنع أحد من ذلك»[٣]

وبعد الفراغ من الطعام تتم عملية التخليق[٤] وذلك بأن يذاب الزعفران أو المسك والعنبر فى ماء الورد فى إناء فضى ويتناوله ابن ابى الرداد الذى يلقى بنفسه فى فسقية المقياس ومعه ذلك الإناء فيخلق عمود المقياس (أى يدهنه بالعطر) ثم جوانب الفسقية[٥].

ثم يخرج السلطان أو نائبه فيجلس بالشباك الكبير تحت الستر ويفرق الخلع والتشاريف على من له عادة بذلك مثل والى الفسطاط وريس مركب السلطان (الذهبية) ورؤساء مراكب الأمراء وغيرهم وتنتهى بذلك أول مرحلة للاحتفال لتبدأ المرحلة الثانية وهى عملية كسر سد الخليج.[٦]

---

(١) كانت الحراقة المسماة الذهبية مركباً كبيراً خاصاً بالسلطان، وكانت من شعار المملكة ولاسيما يوم وفاء النيل وكانت السلاطين تتوجه بها إلى المقياس، وكان بها ستون مقذافاً، وقد أبطلها السلطان قايتباى ضمن أشياء أبطلها من شعائر المملكة فى زمنه إلا أن السلطان الغورى أعاد بناء واحدة أخرى تماثلها صنعت فى بولاق وزينت بالصناجق والأعلام ووضعت بها الطبول والزمور والنفوط. ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٣٠، جـ٤، ص ٢٩٨.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص ١١٥. ، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٤، ص ٤٧. ، ابن شاهين الظاهرى، زبدة كشف الممالك، ص ٨٧، الكتبى، مباهج الفكر، (مخطوط بدار الكتب)، جـ١ ورقة ٨٦. ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١١، ص ٢٣٣، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٤٩، ابن ظهيره، الفضائل الباهرة، ص ٢٠٠.

(٣) كانت نفقات تلك الوليمة تجبى من الأهالى حتى أبطلها السلطان الملك المنصور قلاوون وجعل نفقات الاحتفال من بيت المال. ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٣٦٣.

(٤) كلمة التخليق مشتقة من الفعل خلق أى دهن بالخلوق وهو العطر الأحمر. Dozy, Suppl I p. 309.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٧٣. ، القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٤، ص ٤٧ـ٤٨. ،

(٦) ابن دقمان، الانتصار، جـ٤، ص ١١٥.

ومما يجدر ذكره هنا أن نقول إن عملية التخليق هذه مرتبطة بوفاء النيل ستة عشر ذراعاً بأذرع المقياس، أما إذا لم يبلغ الستة عشر ذراعاً ففى هذه الحالة لا يخلق المقياس لأن التخليق مرتبط بالوفاء[١].

أما المرحلة الثانية للاحتفال وهى كسر سد الخليج فكانت تتم عقب المرحلة الأولى مباشرة من نفس اليوم، وذلك بأن ينزل السلطان أو من ينوب عنه من شباك المقياس المطل على النيل ويركب حراقته الذهبية[٢] التى كانت تزين بأنواع الزينة المختلفة وتسبح الحراقة فى ماء النيل وحولها حراريق الامراء وقد شحن البحر بمراكب وقوارب المتفرجين يسيرون خلف السلطان والامراء فى استعراض نهرى كبير تطلق خلالها المراكب مدافع النفوط والصواريخ وسط تهليل الطبول والزمور، حين يصل الموكب النهرى إلى فم الخليج[٣]. وفى موقع السد يكون نائب السلطان أو حاجب الحجاب منتظراً ومعه بعض كبار الأمراء فوق قنطرة السد وعند السد ينزل السلطان عن فرسه ويمسك بمعول من الذهب ويضرب السد ثلاث ضربات إيذاناً بكسر السد فيأتى جمع غفير من الناس بفئوسهم فيحفرون ذلك السد حتى يجرى الماء فى الخليج فى أقرب وقت. ثم يمتطى السلطان صهوة جواده ويعود من نفس الطريق التى أتى منها إلى القلعة وينثر فى طريقه على الجماهير الغفيرة على جانبى الطريق خفائف الذهب والفضة حتى يصل إلى القلعة.[٤]

وقد حضر عملية كسر سد الخليج رحالة اجنبى يدعى انسلم فقال «أن كسر الخليج تم أمامه بمعول من الذهب الخالص».[٥]

وظل الاحتفال بوفاء النيل يوماً مشهوداً فى القاهرة ولا سيما جزيرة الروضة« حيث يحشر الناس ويحج فيه إلى المقياس»[٦]، ففى ذلك اليوم تغلق فيه الأسواق فى مصر والقاهرة ويعم الناس البشر والسرور فيهربون إلى النيل على هيئة مواكب حيث يستأجرون السفن والمراكب ويملأونها بالطرب والغناء[٧].

---

(١) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، جـ٩، ص ٤٧٦ . ، سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ٢٠٠ .

(٢) أحياناً كان السلطان يذهب إلى المقياس بالذهبية فيخلقه ويذهب بعد ذلك لكسر السد راكباً الحراقة الصغيرة المعروفة بالقرادة. انظر: ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٣، ص ٤٧٩، ٥٠٢، ٥٤٧ .

(٣) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٤، ص ٤٨، الكتبى، مباهج الفكر ومناهج العبر، جـ١، ق ٢، ص ٨٦ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص ٢٢٣، ابن شاهين الظاهرى زبدة كشف الممالك، ص ٨٧ . ، النويرى، نهاية الارب، جـ١، ص ٢٦٤ . (٤) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٤، ص ٤٧ـ ٤٨ .

(٥) Dopp (P.H), Le Caire un Par Les Voyagers Occidentaux du Moyen Age. (Buletin de Le Societe Royale de Geogrphi D'Egypte. Tome 26 p. 190, L'Egypte au Commencement, p. 21.

(٦) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٣٧ .

(٧) Dopp. L'Caire Vu.. T 24 p. 122 & L'Egypte.. p. 21. سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ٢٠٠ .

وأحاطت مظاهر الفخامة والأبهة والعظمة احتفالات وفاء النيل وكسر سد الخليج حتى أواخر الدولة المملوكية باستثناء بضعة اعوام إما كانت بسبب الفتن والاضطرابات السياسية أو بسبب عدم وفاء النيل(١) .

ونستخلص من المصادر أن الاحتفال بوفاء النيل كان يتم أثناء النهار وقد ربط بعض مفسرى القرآن الكريم بين قوله تعالى إخباراً عن فرعون «قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى» ، وبين الاحتفال بوفاء النيل على أساس أن اجتماع الناس للاحتفال لتخليق المقياس يكون وقت الضحى ، وإن يوم الزينة هو يوم وفاء النيل عند الفراعنة(٢) أو هو يوم النيروز .(٣)

ولكن طبقاً للقول بأن «لكل قاعدة شواذ» فأنه يوجد استثناء فى ذلك ، ففى سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م كسر السد ليلاً وهذه هى المرة الوحيدة التى ذكرها المؤرخون التى حدث فيها ذلك ، ويرجع سبب ذلك لأن السلطان الملك الناصر محمد بن قايتباى أراد أن يحضر الاحتفال بنفسه ولكن الامراء منعوه خوفاً من الفتنة فنزل ليلاً فى خواصه وفتح السد فأصبح الناس ليجدوا الماء فى الخلجان والبرك فتعجبوا لأن ذلك ما وقع فى الجاهلية ولا فى الاسلام وقد ضيع على الناس فرحتهم بيوم الوفاء وما كان يقع فيه من القصف والفرجة . وفى هذه الواقعة يقول الناصرى محمد بن قانصوه من صادق :

منذ السلطان قالوا	الورى بالكسر جبر
كسر السد بليل	فغدا للناس كسر(٤)

الاحتفال بوفاء النيل فى العصر العثمانى :

فى العصر العثمانى استمرت نفس المراسم الرسمية والشعبية والتى كانت تتم فى العصر المملوكى للاحتفال بتخليق المقياس وفتح سد الخليج ، وقد رأس الاحتفال طوال ذلك العصر ولاة مصر أنفسهم نائبين عن السلاطين العثمانين فينزل الباشا (الوالى) ومعه الصناجق (حكام الأقاليم المصرية) وقاضى العسكر وكبراء الدولة ويذهبون إلى المقياس عندما يقارب النيل الوفاءويمكثون هناك قبل الوفاء أياما فى لهو ومتعه من مأكل ومشرب وطرب حتى يتم الوفاء ثم يعود الوالى ومن معه إلى الخليج فيأمر بفتحه ويعود إلى القلعة ، وكان الشعب يشارك فى هذه الاحتفالات بالتجمع والتبهرج وإظهار الفرح والزينة .(٥)

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ٤ ، ص ٧٤٨-٧٤٩ . ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣ ص ٣٦٩.

(٢) النويرى، نهاية الارب، جـ١، ص ٢٦٤، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٦٠ . ، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٤٩، الكتبى، مباهج الفكر، جـ١ ، ق٢، ورقة ٨٦.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٢٦٨ .

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٩٦-٣٩٧ .

(٥) محمد كمال السيد، اسماء ومسميات، ص ٧٢.

وقد وصف لنا «ابن اياس» الاحتفال فى السنوات الأولى لغزو العثمانيين لمصر منذ سنة ٩٢٣هـ حتى ٩٢٨هـ، فذكر الاحتفال سنة ٩٢٣هـ قائلاً« وكان الذى فتح مصر فى ذلك اليوم يونس باشا نائب السلطنة، فلم يكن ليوم الوفاء بهجة مثل العادة وبطل ما كان يعمل فى مثل ذلك اليوم من الأسمطة التى كانت تصنع بالمقياس والمجامع الحلوى والمشنات الفاكهة التى كانت تفرق فى ذلك اليوم فنزل يونس باشا الحراقة السلطانية وتوجه إلى السد وفتحه على العادة. ولكن أين الثريا من يدى المتناول بالنسبة لما كان يعمل فى يوم الوفاء بمصر.[١]

وذلك الوصف يرجع بلا شك لحالة الحزن والأسى التى صارت عليها مصر عقب أشهر قليلة من الفتح العثمانى، وعاد الأمر كما كان أيام المماليك من البهجة والفرح فى السنوات التالية، فذكر عن سنة ٩٢٤هـ« . . . ونزل ملك الامراء (خاير بك) وتوجه إلى المقياس وخلق العمود ومد هناك مدة حافلة وحضر الأمراء العثمانية ثم نزل الحراقة وصحبته الامراء العثمانية وتوجه إلى السد وفتحه وكان يوماً مشهوداً وأوكب وهو طالع القلعة موكباً حافلاً»،[٢]

كما وصف ابن اياس الاحتفال سنة ٩٢٥هـ فقال « لما طلع ابن ابى الرداد واخبر ملك الامراء بوفاء النيل المبارك نزل من القلعة وتوجه إلى المقياس وخلق العمود ومد هناك مدة حافلة ثم قدموا له المركب الغراب الذى كان عمره السلطان الغورى فنزل فيه وتوجه إلى نحو السد الذى عند رأس المنشية ففتحه وأظهر التعاظم فى ذلك اليوم وفرق المجامع الحلوى والمشنات الفاكهة، وكان ذلك اليوم مشهوداً من كثرة المراكب والنفوط والطبول والزمور ثم ركب ملك الامراء (خاير بك) من هناك وتوجه إلى القلعة ثم توجه الأمير كمشبغا الوالى ففتح السد الذى عند قنطرة السد[٣]. وفتح سد القنطرة ورجع إلى داره وكان يوماً مشهوداً وقد عمت هذه الفرحة لكل مسلم وكافر وكانت فرحة عامة لسائر الناس».[٤]

وحدث نفس الشيء فى سنة ٩٢٦هـ[٥] وفى سنة ٩٢٧هـ[٦] وفى سنة٩٢٨هـ[٧].

وقد وصف لنا المؤرخ «ابن ابى السرور البكرى» صورة لحفلات الوفاء فى العصر العثمانى فقال « وأما فى الدولة العثمانية ـ أيدها الله تعالى ـ فيركب بيكلر بيكى مصر (ملك الامراء) فى

(١) بدائع الزهور، جـ٥، ص ١٩٦.
(٢) بدائع الزهور، جـ٥، ص ٢٦٩.
(٣) نستنتج من ذلك انه كان هناك سدان الأول عند فم الخليج وهو الذى كان يتم فتحه بصفة رسمية والثانى عند قنطرة السد ويفتحه والى القاهرة والأهالى.
(٤) بدائع الزهور، جـ٥، ص ٣١٠.
(٥) نفسه، ص ٣٥١.
(٦) نفسه، ص ٤٠١.
(٧) نفسه، ص ٤٧٢.

وقت الصباح من القلعة وينزل إلى بولاق للمراكب التى أعدت له وللصناجق والأمراء تجاه الترسخاناة فينزل بها وتقلع المراكب التى هو بها وتقلع خلفه جميع السناجق بمراكبها والأمراء يضربون المدافع العديدة، ولايزال سائراً من نحو مصر العتيقة إلى المقياس بالروضة، وذلك حين يبقى لوفاء البحر دون العشرين إصبع، ويجلس بالمقياس المذكور إلى أن يفى البحر الستة عشر ذراعاً فإن رأى حظاً جلس بعد الوفاء اليوم واليومين ويجعلون الحراقات والعرايس النفيسه ويقع من القصف واللهو مالا يحصى. وفى يوم ارادة البكلر بيكى فتح السد يجعل سماطاً عظيماً قبل طلوع الشمس للصناجق والجاويشيه والمتفرقة وغيرهم من العساكر ويحضر عنده قاضى مصر آذ ذاك، وحين الفراغ من السماط يخلع على كاشف الجيزة « وعلى بن الخبيرى شيخ عربان الجيزة وعلى الصوباشى وعلى أمين الشون وعلى جنجى باش وعلى والى مصر القديمة وعلى والى بولاق وعلى أمير البحرين وعلى أمين الخضرة ثم يقوم هو وقاضى مصر إذ ذاك وجميع الصناجق فى المركب معه، ولا يزال سائراً وطبول الصناجق تضرب خلفه إلى أن يأتى السد فيفتحه ثم يصعد من على السد إلى القلعة ويكون يوماً مشهوداً»(١).

وقد حرص بعض الرحالة الذين زاروا مصر فى العصر العثمانى على وصف تلك الاحتفالات التى لفتت انظارهم، ومن أوائلهم الحسن بن الوزان المعروف بليو الافريقى (١٤٩٤-١٥٥٢م) الذى زار مصر فى السنين الأولى للفتح العثمانى لمصر فقال « . . . وتقام بالقاهرة حفلة كبرى فى الأيام الأولى لفيضان النيل يرتفع أثناءها ضجيج الصراخ والموسيقى حتى كأن المدينة تنقلب رأساً على عقب وتأخذ كل أسرة زورقاً تزينة بأرفع القماش وأزهى الزرابى، وتتزود بكمية وافرة من المؤن والحلويات ومشاعل من الشمع جميلة ويكون جميع السكان فى الزوارق يتسلون حسب امكاناتهم ويشارك السلطان نفسه فى الاحتفال مع أمرائه الكبار وضباطه فيذهب إلى قناة مسورة تدعى القناة الكبرى (يقصد الخليج) وهناك يتناول شاقورا ويشرع فى هدم الجدار (يقصد سد الخليج)، ويفعل كبار الشخصيات فعله حتى يتهدم جزء الجدار الذى كان يمنع وصول الماء فيتدفق النيل حالاً فى القناة بقوة كبيرة وينتشر من هناك إلى باقى القنوات بالضواحى والمدينة المسورة حتى ان القاهرة تكون ذلك اليوم شبيهه بالبندقية فيمكن الذهاب بالزوارق إلى جميع الاماكن المسكونة وكل أطراف مصر ويستمر الاحتفال سبعة أيام وسبع ليال بحيث أن التاجر أو الصانع ينفق كل ما ربحه أثناء السنة فى هذا الأسبوع على الطعام والحلويات والمشاعل والعطور والمغنيين، وهذا الحفل من بقايا حفلات قدماء المصريين»(٢).

---

(١) النزهة الزهية (مخطوط)، ورقة ٦٧، ٦٨. قطف الأزهار من الخطط والآثار، ص٨ب، ٩أ، على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ٣٣-٣٤. ، المناوى، نهر النيل، ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) وصف افريقيا، ص ٢١٤-٢١٥.

ونفس الوصف وصفة الرحالة الفرنسيين الذين زاروا مصر فى القرنين ١٠، ١١هـ/ ١٦، ١٧م، ومنهم «باليرن» Jean Palern الذى زار مصر سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م الذى ذكر « أن الاحتفال بفتح الخليج من أهم الاحتفالات وأنه ارتبط بفيضان النيل ويحضره الباشا الذى يسير فى موكب مع كبار الشخصيات ويضرب الباشا بالفأس فى جدار الخليج فيتدفق الماء وتستمر الاحتفالات سبعة أيام»[1]، وذكر مثل ذلك بيلون Pierre Belon de Mona الـذى زار مصر فى الفترة ما بين ٩٥٤-٩٥٦هـ/ ١٥٤٧-١٥٤٩م [2] أما كوبن Coppin الذى زار مصر مرتين الاولى بين سنتى ١٠٤٨-١٠٤٩هـ من آخر يناير ١٦٣٨ حتى يوليو ١٦٣٩م والثانية عام ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م وعمل خلالها قنصلاً للفرنسيين فى دمياط، فقال « تقام الاحتفالات فى جزيرة الروضة ويسهر سكان القاهرة ويتنزهون فى المراكب النيلية وهم يشعلون المصابيح وينشدون الأغانى ويتوافدون على الروضة الصناع والحواة « أصحاب جلا جلا» ويغطس الأطفال فى النيل وهم عرايا، ويحرص المماليك على حضور الاحتفال فى مراكب كبيرة مزينة بالأعلام الملونة ومنهم من يقيم معسكراً على البر لاستقبال الزوار، ولا يقتصر الاحتفالات على الروضة فقط وإنما تقام الاحتفالات فى الأزبكية حيث تمتلىء البركة بالمياه فتسير المراكب فيهـا»[3] وسجل مثل تلك الانطباعات الرحالة والقناصل الفرنسيون فى القرن ١٢هـ/ ١٨م ومنهم بول لوكاس[4]

ومن الجدير بالذكر هنا أن نذكر ان محمد باشا النشنجى الذى تولى على مصر فى المدة من ١٧ رمضان ١١٣٣هـ حتى ١٠ ذى الحجة ١١٣٨هـ الموافق من ١٢ يولية ١٧٢١ حتى ١٠ يولية ١٧٢٦م قد بنى كشكاً على حافة الخليج بدلاً من الخيمة التى كانت تعد للباشا فى ذلك المكـــان[5]. كما حرص أصحاب الدور التى على جانبى الخليج على إقامة مناظر وأماكن خصصت للضيوف للاحتفال بها وتقديم الطعام والولائم أثناء وفاء النيل للضيوف سواء أكانوا رجال الدولة أو العامة[6].

---

(١) Palerne, (J), Le Voyage en Egypte 1581 Le Caire 1970, p. 52.

الهام ذهنى، مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م)، ص٨٩، ١٠٨.

(٢) Belon, (P), Le Voyage en L'Egypte 1547, Le Caire 1969, P. 110.

(٣) Coppin. (J) Les Voyages de Jean Coppin 1639. Le Caire, 1971. pp. 74 - 78.

(٤) Lucas (P), Voyage du Sieur Paul Lucas au Levant Rouen 1772 Tome 1 pp 76 - 78.

الهام ذهنى، مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢)، ص ٣٢١.

(٥) أحمد شلبى، أوضح الاشارات، ص ٣٧٠-٣٧١.

(٦) الجبرتى، عجائب الآثار، جـ٣، ص ٢٧١، ٤٠٧، ٤٨٥.

ومن الملاحظ ان فى بعض السنوات لم يتم عمل الموسم والمهرجان إلا فى أضيق الحدود بسبب القلاقل والفتن وانعدام النظام بالقاهرة آنذاك(١).

وفى اثناء وجود الحملة الفرنسية بمصر (١٢١٣-١٢١٦هـ/١٧٩٧-١٨٠١م) حاول الفرنسيون أن يتقربوا إلى المصريين بالمشاركة فى أعيادهم ومواسمهم واحتفالاتهم التى من أهمها مهرجان وفاء النيل، ولكن أغلب الشعب لم يشارك فى تلك الاحتفالات ولم يشترك سوى بعض الموظفين الرسميين والنصارى الشوام والقبط الأروام والافرنج وقليل جداً من الناس، بالرغم من مظاهر الاحتفال الضخمة التى عملها الفرنسيون فى السنوات الثلاثة التى قضوها بمصر(٢).

واستمر المهرجان يقام بانتظام فى عصر اسرة محمد على(٣). وكان يسوده احياناً الفخامة وأحياناً التواضع حتى أهمل تماماً منذ منتصف هذا القرن ونسى الآن تماماً على المستويين الرسمى والشعبى وضاع احتفال بدأ منذ فجر التاريخ واستمر بضعة آلاف من السنين وسبحان الله الباقى الدائم الأزلى.

جـ - عيد الشهيد :

ارتبط بوفاء النيل فى العصر المملوكى مهرجانات وأعياد اخرى لا تقل فى مظاهر الاحتفال بها عن مهرجانات تخليق المقياس وكسر سد الخليج وبخاصة على المستوى الشعبى ومن هذه الأعياد عيد الشهيد وعيد النيروز... وغيرهما من الأعياد القبطية.

ولما كانت مصر تسودها أغلب الأحيان مشاعر المودة والتآخى والسلام، ويسود أبناءها وشائج الوحدة الوطنية بكافة عقائدهم ومللهم وطوائفهم ومكانتهم الاجتماعية فقد كان عيد الشهيد هذا عيداً قبطياً اتخذ طابعاً قومياً فى العصر المملوكى، وقد وصفه «المقريزى «بأنه» من أنزه فرج مصر»(٤).

(١) نفسه، جـ١، ص ٦٣، ٦٣٣، ٦٣٤، جـ٢، ص ٥٣٧، جـ٣، ص ٨٣، ١٣١.

(٢) الجبرتى، جـ٢، ص ٢٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٤٣٧.، جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٣١٧-٣٢٠.

(٣) نفسه، جـ١، ص ٥٠٣، ٥٣٨، ٥٤٣، ٥٤٩، ٥٥٣، ٥٨٠، ٦٣٣، جـ٢، ص٢٩، ٥٨، ٨١، ٨٧، ١٦٦، ٢٠٠، ٣٠٢، ٤٣٧، ٤٨٥، ٤٩٧، ٥٣٧، ٦٠٠، جـ٣، ص٢٧، ٨٣، ١٣١، ٢١٠، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٧١، ٣٠٦، ٣٣٢، ٣٥٢، ٤٦٥، ٤٨٥، ٥١٥، ٥٦٤، ٥٨٠، ٦٠٣، ٦١٤.
ادوارد وليم لين، المصريون المحدثون - شمائلهم وعاداتهم»، ترجمة عدلى طاهر نور، ط٢، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٤١٥-٤٢١. كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، جـ١، ص ١١٨-١١٩. على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ١٨، ص ٣٤. أحمد زكى، مهرجان وفاءالنيل وخطأ المحكمة الشرعية العليا، مقالة بمجلة المقتطف، ديسمبر ١٩٢٣هـ، ص ٣٢٩-٣٣٤.

(٤) الخطط، جـ١، ص ٦٨.

اما عن تاريخ بدء الاحتفال بهذا العيد المصرى الخالص فلم نعلم بالضبط متى بدأ أما عن كونه مصرياً خالصاً فيرجع السبب فى إقامته الى أن اقباط مصر كانوا يزعمون أن نهرالنيل لا يزيد الا بعد غسل إصبع أحد القديسين الشهداء فى مائه، وكان الإصبع محفوظاً فى تابوت خشبى عليه قفل من الحديد فى كنيسة على النيل فى منطقة شبرا الخيمة[١].

وكان الاحتفال يتم فى اليوم الثامن من بشنس القبطى الموافق لشهر مايو من كل عام وكان يمتد أحياناً ليومين أو لثلاثة ايام[٢].

وكان الاحتفال يتم على صفحة النيل وعلى شواطئه وفى جزره. وخصوصاً جزيرة الوراق لمواجهتها لشبرا الخيمة التى بها الكنيسة التى تحوى الاصبع. حيث يقام مهرجان كبير لا يقل فى عظمته عن مهرجان تخليق المقياس وكسر سد الخليج.

وفى يوم الاحتفال يجتمع النصارى من جميع القرى ويشاركهم بعض المسلمين أيضاً وأغلب عامة أهل القاهرة بكافة طبقاتهم وطوائفهم فيمتلىء النيل بالقوارب، وينصبون الخيام على شاطىء بحر النيل بأعداد كبيرة وفى الجزائر، وكان أعيان القبط من المباشرين ينزلون فى المراكب وقت القاء ذلك الاصبع فى البحر وكانت الشموع توقد فى المراكب مع القناديل حتى يضيء منها البر، وتحرق النفوط فى تلك الليلة حتى تدهش العقول من رؤية ذلك[٣]، وكان الفرسان يجتمعون ويرقصون بخيولهم على إيقاعات الطبول وأنغام الزمور «. . . ولا يبقى مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولارب معلوب ولا بغى ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق إلا وخرج لهذا العيد فيجتمع عالم عظيم لا يحصيهم إلا خالقهم»[٤].

لأجل ذلك فقد العيد مدلولة الدينى وانقلب إلى معرض لكل أنواع الفجور وصحبته

---

(١) نفسه، ص ٦٩.

السخاوى، التبر المسبوك، ص ١٢، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص ٢٠٢. ، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٢٩٩، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٦٥.

* يعتقد «على باشا مبارك» فى خططه التوفيقية جـ١٨، ص ٣١، أن الاحتفال بعيد الشهيد هذا هو تطور للاحتفال بعروس النيل وهى العادة التى أبطلها عمرو بن العاص فاتح مصر بأمر الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

* ولكن من الجدير بالذكر أن نقول أن قصة عروس النيل هذه قصة مختلقة وقد دحضها الكثير من الكتاب.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٦٨، السلوك، جـ٢، ص ٤٥١ ـ ٤٥٢. ، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٨، ص ٢٠٣. ، السخاوى، التبر المسبوك، ص ١٢.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق ١، ص ٥٦٦.

(٤) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٦٩، السيوطى، كوكب الروضة، ص ١٣١.

مظاهر الفساد والانحلال والفوضى والعربدة، إذ ترتكب المعاصى نهاراً جهاراً، وتثور الفتن وتقع بعض حوادث القتل، ويباع من الخمر فى ذلك اليوم ما ينيف على مائة ألف درهم فضة عنها خمسة آلاف دينار ذهباً حتى قيل أن أحد الباعة باع فى يوم واحد باثنى عشر ألف درهم فضة من الخمر، لذلك فإن فلاحى شبرا كانوا يعتمدون على مبيعاتهم من الخمور فى هذا العيد للوفاء بما عليهم من الخراج مما يبين مقدار ما يراق من الخمر للمتفرجين والمتنزهين[١].

وقد تعرض هذا العيد للإلغاء فى سنة ٧٠٢هـ على يد الامير بيبرس الجاشنكير وكان استادارا للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان متحكماً فى المملكة حينئذ هو والامير سلار نائب السلطنة، وكان لبيبرس دور كبير فى التعرض لبعض مظاهر الفساد والانحلال فى ذلك الوقت، فأمر بالغاء عيد الشهيد وأن لا يرمى إصبع فى النيل ولا يعمل له عيد، وندب الحجاب ووالى القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرا على عادتهم، وخرج البريد إلى سائر أعمال مصر ومعهم الكتب إلى الولاة بإجهار النداء وإعلانه فى الاقاليم بأن لا يخرج أحد من النصارى ولا يحضر لعمل عيد الشهيد، فشق ذلك على أقباط مصر وحاولوا إعادته فأوعدوا بيبرس بأموال عظيمة وخوفوه من عدم طلوع النيل وانكسار الخراج ولكن بيبرس صمم على رأيه فتم الغاء العيد[٢].

وظل الاحتفال بالعيد معطلاً حتى أعاده مرة أخرى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد ست وثلاثين سنة من الغائه أى سنة ٧٣٨هـ[٣] وأرجع المؤرخون السبب فى إعادة العيد إلى أن السلطان الناصرَ محمد أراد أن يعوض الأميرين يلبغا اليحياوى والطنبغا المارداني[٤] عن رغبتها فى الغياب مدة للسرح للصيد فى الإسكندرية ونواحيها، ولما كان السلطان لا يطيق فراقهما لذا أمر باعادة الاحتفال بعيد الشهيد مرة أخرى كى لا يبتعدا عن القاهرة[٥].

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٦٩.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٦٩. ، السلوك، جـ١، ص ٩٤١ ـ ٩٤٢. ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٨، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣. ، ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص ٥٤.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٦٩، السلوك، جـ٢، ص ٤٥١.

(٤) ذكر المقريزى فى السلوك، جـ٢، ص ٤٥١، أن الأميرين هما ملكتمر الحجازى ويلبغا اليحياوى، بينما ذكر فى الخطط، جـ١، ص ٦٩، انهما الطنبغا المارداني ويلبغا اليحياوى.

(٥) قال المقريزى فى شأن هذا الموضوع « .. طلب الأمير يلبغا اليحياوى والأمير الطنبغا الماردانى من السلطان أن يخرجا إلى الصيد ويغيبا مدة فلم تطب نفسه بذلك لشدة غرامة بهما وتهتكه فى محبتهما وأراد صرفهما عن السفر فقال لهما نحن نعيد عمل عيد الشهيد فيكون تفرجكما عليه أنزه من خروجكما إلى الصيد وكان قد قرب أوان وقت عيد الشهيد فرضياً منه بذلك وأشيع فى الاقليم إعادة عمل عيد الشيهد، فلما كان اليوم الذى كانت العادة بعمله فيه ركب الأمراء النيل فى الشخاتير بغير حراريق واجتمع الناس من كل جهة =

وقد أبطل الاحتفال بالعيد نهائياً سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م أثناء سلطنة الملك الصالح بن محمد قلاوون على يد الأمير صرغتمش أحد الامراء الكبار المتحكمين فى المملكة آنذاك، فهدمت الكنيسة فى أواخر رجب وأحرق الإصبع بين يدى السلطان وزروا رماده فى النهر، وكان ذلك ضمن حملات المصادرة والاضطهاد التى تعرضت لها الكنائس والديورة وكذلك الأوقاف الموقوفة عليها فى تلك السنة(١).

د ـ عيد النيروز:

عيد النيروز(٢) عيد قبطى اتخذ طابعاً قومياً فى ظل الدول الاسلامية المتعاقبة فى مصر.

وعيد النيروز هو عيد رأس السنة القبطية يحتفل به فى أول يوم من شهر توت القبطى الموافق ليوم ٢٣ اغسطس الميلادى(٣)، وأغلب الظن أن هذا العيد متوارث عن قدماء المصريين لأنه ارتبط بالنيل ارتباطاً كبيراً لأن موعد الاحتفال به يكون عادة وقت اكتمال فيضان النيل، وقد ارتبط النيروز فى العصر المملوكى بأماكن النزهة مثل البرك والخلجان وغيرها.

وكان لهذا العيد رونق كبير فى زمن الدولة الفاطمية، واستمرت مظاهره فى الدولتين التاليتين لها «الأيوبية والمملوكية»، وقد حرص المسلمون على مشاركة الأقباط فى الاحتفال بذلك العيد نظراً لما كان بينهم من مودة ولسبب آخر هو ارتباط العيد باكتمال فيضان النيل ـ روح المصريين جميعاً ـ لذا اعتبر هذا اليوم بمثابة عطلة عامة تغلق فيها الأسواق وتعطل فيها المدارس(٣).

ومن التقاليد المتوارثة التى سادت يوم العيد واستمرت فى العصر المملوكى هى إيقاد النيران

= وبرز أرباب الغناء وأصحاب اللهو والخلاعة فركبوا النيل وتجاهروا بما كانت عادتهم المجاهرة به من أنواع المنكرات وتوسع الأمراء فى تنوع الأطعمة والحلاوات وغيرها توسعاً خرجوا فيه عن الحد فى الكثرة البالغة وعم الناس منهم ما لا يمكن وصفه لكثرته واستمروا على ذلك ثلاثة أيام..».
الخطط. جـ٢، ص ٦٩، انظر أيضاً: السلوك، جـ٢، ص ٤٥١ـ ٤٥٢.

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٦٩ ـ ٧٠، السلوك، جـ٢، ص ٤٥١ ـ ٤٥٢، ٩٢٦.، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق ١، ص ٥٦٥ـ ٥٦٧.

(٢) كلمة النيروز كلمة فارسية معناها اليوم الجديد، وكان الفرس يعتبرونه من أهم أعيادهم وكان يحتفلون به فى يوم الاعتدال الربيعى أى يوم ٢١ مارس، وقد عرفت شعوب كثيرة ودول عديدة عيد النيروز وكل منهم احتفل به حسب التقويم الخاص به. انظر: المقريزى، الخطط، ج١، ص ٢٦٨.

(٣) المقريزى، الخطط، ج١، ص ٢٦٧.

(٤) ابن الحاج، المدخل، جـ٢، ص ٤٩، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٣٦٣.، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٩٣.

والتراش بالماء والخمر فى الشوارع والطرقات وفوق صفحة النيل والبرك والخلجان وسائر أماكن النزهة، وكان البعض أيضاً يقفون فى الطرقات ويتراجمون بالبيض ويتضاربون بأنطاع الجلود والأخفاف والعمائم، وكان بعض كبار القوم يفعلون مثل ذلك فى بساتينهم وداخل بيوتهم(١).

ومن التقاليد المتوارثة أيضاً والتى كانت سائدة فى العصر الفاطمى واستمرت فى العصر المملوكى موكب (كرنفال) أمير النيروز الذى اتسم بالهرج والخفة، فقد كان بعض العامة يولون عليهم شخصاً منهم يسمونه أمير النيروز له صفات جسمانية معينة فقد كان قوى الطباع ويغيرون صورته وخلقته إذ يدهن وجهه بجير أو دقيق ويجعلون له لحية مستعارة من فروة أو غيرها ويضيعون على رأسه طرطوراً طويلاً من الخوص ويركبونه حماراً وهو شبه عريان يستر بعض جسمه بثوب أحمر أو اصفر ليشهروه بذلك، ويجعلون موله الجريد الأخضر وشماريخ البلح وبيده شيء يشبه الدفتر كأنه يحاسب الناس، ثم يطوفون أزقة المدينة وشوارعها على البيوت والأسواق، فيقف على باب كل فرد سواء من الأكابر أو غير الاكابر ويكتب عليه إيصالاً مرابطين أمام داره حتى يأخذوا ما فرضوه عليه وهم فى كل ذلك يحتمون بالنيروز ويقولون «ليس فيه حرج ولا تقع فيه أحكام»(٢).

ويبدو أن ذلك اليوم اعتبر بمثابة راحة أو عطلة عامة يتحرر الناس فيها من قيود حياتهم اليومية وتقاليدهم بما فى ذلك سطوة القانون فلم يكن الوالى يحكم لأحد مما ينالهم الضرر من جراء الجرائم والحوادث التى كانت تحدث فى يوم النيروز(٣).

ونظراً لما ساد مظاهر الاحتفال بهذا العيد من أخطار ومفاسد الخروج عن نطاق المعقول(٤)، فإن بعض الحكام حاولوا الغاء الاحتفال أو فرض العقوبات على بعض من

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٢٦٩، السلوك، جـ١، ص ١٣٦ـ١٣٧، ابن الحاج، المدخل، جـ٢، ص ٤٩. وقال شعراء العصر فى ذلك:

بدارى رجا للمجون ترجّلت	عمائهم عن هامهم والطيالس
فالرياح مازرّت عليه جيوبها	وللماء ما دارت عليه القلانس
مساحب من جرّ الزقاق على القفا	وصفع انطاع جَنِىّ ويابس

ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٣٦٤.

(٢) ابن الحاج، المدخل، جـ٢، ص ٥٢ـ٥٣. ، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٢٦٩، ٤٩٣. ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٦٣ـ٣٦٤ـ٣٦٤. ، نزهة الأمم (مخطوط)، ص ٢٢٥.

(٣) قاسم عبده، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١١١.

(٤) كانت مظاهر الفساد والفجور والفوضى بشتى أشكالها تصحب الاحتفال بهذا العيد فقد ذكر «ابن الحاج» «أن الخمر يشرب جهاراً والنساء يلعبن فى بيوتهن مختلطين مع الرجال والشبان فيرش بعضهم بعضاً =

يشترك فى تلك المظاهر الفاسدة ، فنرى على سبيل المثال أن الامير الكبير برقوق (قبل أن يلى السلطنة) وهو المتحكم فى الدولة آنذاك قد أبطل كثيراً من مظاهر الاحتفال وعاقب البعض بسبب ذلك وكان ذلك سنة ٧٨٢ هـ/ ١٣٨٠م ، وفى اثناء سلطنته رسم فى أواخر شعبان ٧٨٧هـ بإبطال ما كان يعمل فى يوم النيروز « . . . فانكف الناس عن اللعب فى القاهرة وصاروا يعملون شيئاً من ذلك فى الخلجان والبرك ونحوها من مواضع النزهة بعد ما كانت أسواق القاهرة تتعطل يوم نيروز من البيع والشراء ويتعاطى الناس من اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة إلى الغاية من الفجور والعهور وقلما انقضى يوم نوروز إلا وقتل فيه قتيل أو اكثر»(١)

ولكننا نجد السلطان الناصر فرج بن برقوق قد أعاد الاحتفال بالعيد مرة أخرى ولكن مظاهر هذاالاحتفال قد تواضعت إلى حد كبير بسبب الأزمات التى توالت على مصر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى ، فقد ذكر « المقريزى» بهذا الخصوص « . . . لم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضى ذلك ولا من الرفة والبطر ما يوجب لهم عمله» . (٢)

وقد ارتبطت بالاحتفال بعيد النيروز بعض الأطعمة والحلوى التى كان الناس يحرصون على توفيرها فى هذا اليوم حتى صارت من لوازم ذلك الاحتفال ، وربما نشأت المشاكل بسببها داخل البيوت ، ومن هذه الاطعمة والحلوى الزلابية والهريسة التى كانت بعض الناس يحضرون الصانع ليبيت عندهم لتجهيزها قبل طلوع النهار ، وفى هذا العيد كان المصريون جميعاً يتهادون بهذه الحلوى كذلك جرت العادة أن تؤكل فى هذا اليوم أنواع معينة من الفواكه مثل البطيخ والخوخ والبلح . . . وغير ذلك مما تلزمه النساء لأزواجهن . (٣)

= بالماء دون أن تستحى الجارة من الجار أو من ابن العم أو من الصهر أو من أصدقاء زوجها وإذا ضاقت بهم المنازل خرجوا إلى البرك والخلجان وغيرها من أماكن النزهة حيث يصل بهم الأمر إلى نزع ثيابهم فيصبح أكثرهم عرايا فى حين يقتنع المحتشم أو المحتشمة منهم بقميص رقيق» . ، المدخل ، جـ٢ ، ص ٥١ .

* وقد ذكر ابن اياس مثل ذلك ، انظر : بدائع الزهور ، جـ ، ق ٢ ، ص ٣٦٤ .

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٢٦٩ ، السلوك ، جـ٣ ، ص ٣٩٤ . ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٢ ، ص ٤١٩ـ ٤٢٠ . ، السيوطى ، كوكب الروضة ، ص ١٩٥ـ ١٩٦ . ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٥ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٢٦٩ .

(٣) نفسه ، ص ٢٦٨ـ ٢٦٩ ، ٤٩٣ . ، ابن الحاج ، المدخل ، جـ٢ ، ص ٤٨ـ ٤٩ . ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ص ٣٦٤ـ ٣٦٥ .

هـ ـ الاعياد القبطية الأخرى :

(١) عيد الغطاس :

كان هذا الاحتفال من الاحتفالات الكبيرة زمن الدولة الإخشيدية والدولة الفاطمية، إلا أن كثيراً من مظاهر الاحتفال قد تراجعت زمن المماليك وربما ألغى الاحتفال كلية.

وكان الاحتفال يتم فى اليوم الحادى عشر من طوبة، الموافق التاسع عشر من شهر يناير الميلادى، وبالرغم من أن هذا العيد متصل بالعقيدة المسيحية إلا أن بعض المسلمين شاركوا فيه واتخذوه موسماً، وكانت صفحة النيل وشاطئاه وجزيرة الروضة مسرحاً للاحتفال وبخاصة أمام المقياس حيث تنصب الخيام ويمتلىء البحر بالمراكب المزينة وتشعل الشموع والقناديل وتجتمع أرباب المغانى والآلات وأرباب الملاهى من كل مكان ويخرج الناس فى ذلك عن الحد فى اللهو والقصف، وكانوا يغطسون بعد العشاء قبالة المقياس ويزعمون أن من يغطس فى تلك الليلة لا يضعف فى تلك السنة[١].

(٢) عيد الزيتونة :

شارك المسلمين أيضاً الأقباط فى هذا العيد ويخرجون فيه إلى بئر البلسم بالمطرية ويغتسلون فيه حيث يعتقد أن العذراء مريم غسلت فيه ثياب السيد المسيح عليه السلام،[٢]

(٣) سبت النور :

كان الناس يخرجون فيه إلى شاطىء النيل.[٣]

و ـ مولد اسماعيل الامبابى :

من الاحتفالات الكبيرة التى ارتبطت بالمتنزهات (بالنيل والجزر بوجه خاص)، الاحتفالات بمولد الشيخ اسماعيل الامبابى[٤].

---

(١) المسعودى، مروج الذهب، جـ٢، ص ٣٦٤. ، ابن الحاج، المدخل، جـ٢، ص ٥٩، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٢٦٥، ٤٩٤. ، السيوطى، كوكب الروضة ص ١٦٥. ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق ١، ص ٢١٢ ـ ٢١٣.

(٢) عن أصل هذا العيد، انظر: المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٢٦٤. ، ابن الحاج، المدخل، جـ٢، ص ٥٩ ـ ٦٠. ، ابن الوردى، خريدة العجائب، ص ٦٤ ـ ٦٦.

(٣) ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص ٥٧.

(٤) هو اسماعيل بن يوسف الامبابى الشيخ المعتقد المشهور، قال عنه «المقريزى» انه أحد من تشفيت به العامة إذا مسها الضر وتجأر إليه ويزعمون أن سره يجلب لهم النفع ويدفع عنهم السوء والمكروه، عادة سوء فى سفهاء أهل مصر، عافانا الله منها»، كان أبوه أحد الفقراء السطوحية وله سمعة وشهرة بناحية انبوبة =

وكان مكان الاحتفال على صفحة نهر النيل فى منطقة امبابة على النيل حيث ضريح اسماعيل الامبابى[١] وما يواجهها من بولاق والجزيرة الوسطى.

وكان الشيخ اسماعيل الامبابى يحتفل فى كل عام بمولد النبى يوم ١٢ ربيع الاول[٢]، وبعد وفاته سنة ٧٩٠هـ عمل الناس له مولداً فى كل عام يوم ١١ من شهر صفر[٣]، وكان أهل القاهرة والجيزة والنواحى يحتفلون به احتفالاً كبيراً إذ صار عندهم هذا الوقت من جملة التنزه ويتواعدون عليه من قبل عمله بأيام ويتوجهون إليه أفواجاً ويستأجرون المراكب للنزهة وينصبون الخيام التى يصل عددها إلى ٥٠٠ خيمة فى الجزيرة المواجهة لبولاق وعلى شاطىء النيل عند بولاق وامبابة، ويوقدون حراقات نفط هائلة، وكانوا يبيتون عدة أيام وتقام الأسواق

= (امبابة) من بر الجيزة غرب القاهرة وله بها زاوية فنشأ اسماعيل واشتغل بالفقه على مذهب الشافعى رحمه الله، وأقبل الناس لزيارته بعد موت أبيه وتبركوا به وصار يعمل المولد النبوى فى كل سنة فيتنابه الناس من الأقطار وترحل إليه من الأطراف وقد توفى الشيخ آخر شعبان سنة تسعين وسبعمائة ودفن بزاويته.

وقال «المقريزى» عنه أيضاً «وقد اجتمعت به فلم أر فيه ما يقتضى الذم ولا المدح سوى أنه كان يمد يده لمن يأتيه حتى يقبلها وظهر لى منه انه حريص على الرياسة غفر الله له». وقد أثنى عليه «ابن تغرى بردى».

انظر: المقريزى، درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمد كمال الدين، نشر عالم الكتب، القاهرة، سنة ١٩٩٢م، جـ٢، ص ٥٠١-٥٠٢. ، ابن حجر، انباءالغمر، جـ١، ص ٣٥٧. ، الدرر الكامنة، جـ١، ص ٤٥٧. ، ابن تغرى بردى النجوم، جـ١١، ص ٣١٤. ، ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ١، ص ١٨٠. ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٣٩١.

(١) ضريح إسماعيل الامبابى عبارة عن قبة ملحقة بالركن الشرقى من مسجده، وقد جددت وزارة الأوقاف الآن الضريح والمسجد معاً تجديداً شاملاً والأثر الباقى القديم من المسجد عبارة عن باب بالواجهة الشمالية الشرقية وفى نفس الواجهة مئذنة تعود للعصر العثمانى، والجامع والقبة كانا فى الأصل زاوية لوالد المترجم. ويقع الجامع فى شارع المحطة حيث يطل على محطة سكك حديد امبابة بواجهته الشمالية الشرقية، وهو على بعد ١٥٠ متراً غرب النيل، غرب مركز وقسم شرطة امبابة بشارع النيل.

(٢) عاب المقريزى ما كان يتم يوم الاحتفال بالمولد النبوى هناك فقال «. . . وصار يعمل المولد النبوى فى كل سنة فينتابه الناس من الأقطار وترحل إليه من الأطراف ويخرج بياض أهل مصر والقاهرة إليه وتضرب بظاهر زاويته الخيم وتعقد الأسواق وتجتمع من النسوان والشبان خلق كثير فأذكر أنه عمل المولد على عادته فى شهر ربيع الأول من سنة تسعين وسبعمائة فهرع الناس لحضور المجتمع حتى غص الفضاء بكثرة العالم وتنوعوا تلك الليلة فى الفسق لكثرة اختلاط النسوان والمردان بأهل الخلاعة فتواتر الخبر أنه وجد فى صبيحة تلك الليلة من جرار الخمر التى شربت بالليل فوق الخمسين فارغة ملقاة حول الزاوية فى المزارع وافتضت تلك الليلة عدة أبكار وأوقدت شموع بمال كبير فبعث الله يوم الأحد بكرة صباح المولد-المذكور- قاصفاً من الريح كدرت على من كان هناك ونعت فى وجوههم التراب واقتلعت الخيم ولم يقدر أحد على ركوب النيل ولم يعمل بعدها مولد فإن الشيخ مات آخر شعبان ودفن بزاويته. انظر: المقريزى، درر العقود، جـ٢، ص ٥٠١-٥٠٢.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ١١٤، ١٣٢، ١٥٢، ١٨٢، ٢١٤، ٣٧٥.

بكافة البضائع للمحتفلين، وكانت الناس تخرج فى القصف والفرجة فى هذا المولد عن الحد[١].

وكان بعض السلاطين يحتفلون بهذا المولد مثل السلطان الملك الناصر محمد بن قايتباى[٢].

وقد استمر الاحتفال بمولد اسماعيل الامبابى فى العصر العثمانى ولا يزال للآن يسوده مظاهر احتفال كبيرة من كل عام.

ثالثاً : ارتباط المتنزهات ببعض الامراض الاجتماعية ورد الفعل المضاد لها

ارتبط بمتنزهات القاهرة بعض الأمراض الاجتماعية التى كانت سائدة فى العصرين المملوكى والعثمانى، بل أن بعض المتنزهات كالبرك والخلجان كانت عاملاً هاماً وسبباً رئيسا فى تفشى وانتشار تلك الأمراض انتشاراً كبيراً بين العامة والخاصة.

والأمراض الاجتماعية التى سادت آنذاك كانت نوعين، أولهما وهو الذى ارتبط بالمتنزهات بوجه خاص هوا لفساد الخلقى مثل الزنا واللواط والشذوذ الجنسى وتعاطى الحشيش والمخدرات ومعاقرة الخمور، وثانيهما هو المعتقدات الباطلة مثل الاعتقاد فى قدرة الشيوخ والأولياء والتطير والتشاؤم والحسد والتعاويذ وأيام السعد والنحس والاعتقاد فى الجن والتنجيم والكيمياء[٣].

هذا فضلاً عن التصرفات الخاطئة التى سادت بين المتنزهين والتى تتنافى مع تعاليم الدين مثل المبالغة فى الاسراف ومظاهر الترف الزائدة وغير ذلك.

وكانت تلك الأمراض والسلوكيات الأخلاقية الخاطئة المرتبطة بالمتنزهات متوارثة منذ زمن، وحاول بعض الحكام تقويمها، ففى العصر الفاطمى كانت الناس تتجاهر بالمنكرات من غير نكر عليهم[٤]، ولكن هناك بعض المحاولات القليلة للردع مثل ما حدث سنة ٤٠١ هـ حين منع الحاكم بأمر الله من الركوب فى المراكب بالخليج وسد أبواب القاهرة التى تلى الخليج وأبواب الدور التى هناك والطاقات المطلة عليه[٥].

---

(١) نفسه.، وابن تغرى بردى، جـ١٤، ص ٣١٤-٣١٥.
(٢) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٨٩.
(٣) سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ٢٢٧.
(٤) المقريزى، السلوك، جـ١، ص ١١٩، ١٤٢.
(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٤، ١٤٣.

وقال القاضى الفاضل فى متجددات حوادث سنة ٥٩٤هـ ونهى عن ركوب المتفرجين فى المراكب فى الخليج وعن إظهار المنكر وعن ركوب النساءمع الرجال وعلق جماعة من رؤساء المراكب بأيديهم قال وفى يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان ظهر فى هذه المدة من المنكرات ما لم يعهد مصر فى وقت من الأوقات ومن الفواحش ما خرج من الدور إلى الطرقات وجرى الماء فى الخليج بنعمة الله تعالى بعد القنوط ووقوف الزيادة فى الذراع السادس عشر فركب أهل الخلاعة وذوو البطالة فى مراكب نهار شهر رمضان ومعهم النساء الفواجر وبأيديهم المزاهر يضربن بهن وتسمع أصواتهن ووجوههن مكشوفة وحرفاؤهن من الرجال معهن فى المراكب ولا يمنعون عنهن الأيدى ولا الأبصار ولا يخافون من أمير ولا مأمور شيئاً من أسباب الإنكار وتوقع أهل المراقبة ما يتلو هذا الخطب من المعاقبة»[١].

ويحدثنا «ابن سعيد» الذى زار مصر زمن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب عن الخليج فيقول « . . . فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشراب وذلك فى بعض الأحيان وهو ضيق وعليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة ومعالم الطرب والتهكم والمجانة حتى أن المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبية بالليل منظر فتان ، وكثيراً ما يتفرج فيه أهل الستر ، وأقول مخاطباً أحد الرؤساء وقد استدعانى للركوب فيه نهاراً :

لاتركبن فى خليج مصـــر	إلا إذا يســـدل الظـــلام
فقد علمـــت الذى عليـه	من عالم كلهم طغام[٢]

وقد انتشرت تلك الامراض الاجتماعية والخلقية بين جميع الطبقات حكاماً ومحكومين من أهل الدنيا والدين على الرغم مما كانت عليه الدولة من أمور تبدو وكأنها تعمل للصلاح والتقوى والتدين فى ذلك الوقت نظراً لما عمد اليه السلاطين والأمراء من إقامة المنشآت الدينية الفخمة والرغبة البالغة فى إحياء شعائر الدين ولكن ذلك كان مظهراً خارجياً يخفى وراءه انحلالا خلقياً بعيد الغور وأمراضاً متوطنة خبيثة تثير الاشمئزاز والنفور[٣].

وعلى أيه حال لم تنفرد مصر عن غيرها من البلاد الاسلامية بتلك الامراض الاجتماعية بل إنها سادت فى معظم البلاد آنذاك[٤].

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص١٤٣.
(٢) ابن سعيد، المغرب، ص٣١-٣٢. ، المقريزى، الخطط، ج٢، س١٤٤.
(٣) سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص٢٢٥.
(٤) ابن حجر، انباء الغمر، جـ١، ص٦٠٢. ، سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص٢٢٥.

ومن الامراض الاجتماعية التى سادت فى العصرين المملوكى والعثمانى الزنا والبغاء(1) الذى كان معترفا به من قبل الدولة ، وكانت تنتشر بالمدينة وحول البرك والخلجان وعلى شاطىء النيل بشكل خاص بيوت ومواخير بكل منها ضامنة تشرف على محترفات البغاء الذى كان منتشراً آنذاك ، كما ابتلى المجتمع ايضاً فى عصر المماليك بتفشى الشذوذ الجنسى واللواط(2)

وكان على امتداد النيل بعض الدور التى اتخذت فى أمور اللهو والفسق وأغراض منافيه للآداب مثال لذلك كان على شاطىء النيل ببولاق بيت كان فى أصله لابن عز الفراش واشتراها بعد موته تاج الدين الأزرق ناظر الجهات فعرفت «بدار الفاسقين» ورأت هذه الدار من اللهو والفسق ما يتجاوز الحد» إلى ان اشتراها الأمير عز الدين ايدمر الخطيرى وعمرها جامعاً سنة ٧٣٧هـ وسمى جامع التوبة(3)

وكان المتنزهون ينصبون الأخصاص على النيل وعلى شواطىء البرك والخلجان ويظهرون من المنكرات من الخمور ونحوها من المسكرات واختلاط النساء والرجال من غير استتار . (4)

وعبر «المقريزى» كثيراً عن سخطه عن مجتمع المتنزهات وما كان يسودها من مظاهر تنافى الخلق والدين ، من ذلك ما كتبه عن الجسر الذى بين بركة الرطلى وبين الخليج الناصرى

(١) كانت الدعارة من المهن المعترف بها فى الدولة المملوكية لانها كانت تفرض عليها ضريبة معينة كانت تدر دخلاً كبيراً للخزانة السلطانية ، فقد كان على كل من ترغب فى احتراف الدعارة ان تذهب إلى «ضامنة المغانى» والغريب فى الأمر أن صاحبة هذه الوظيفة كانت بمثابة النقيب لمن يحترف الدعارة ، ولكنها كانت مسئولة أيضاً عن حرفة نسائية أخرى مختلفة بل ومتناقضة مع هذه الحرفة إذ كانت الضامنة هى المسئولة عن المغنيات والواعظات والقارئات والندابات فضلاً عن مسئوليتها عن بنات الليل ، وقد تميزن محترفات الدعارة فى العصر المملوكى بملابس خاصة بهن ، ويقول «المقريزى» فى سياق حديثة عن «سوق الشماعين» إن حوانيت هذا السوق كانت تظل مفتوحة طوال الليل وكان يجلس به بالليل بغايا يقال لهم زعيرات الشماعين لهن سيمات يعرفن بها وزى يتميزون به وهو لبس الملاءات والطرح وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال المشالقين فى وقت لعبهم وفيهن من تحمل الحديد معهم ، وكانت هناك أماكن خاصة بالبغايا فى المدن والريف . وأحياناً ما كان بعض السلاطين يحارب البغاء مثل السلطان الظاهر بيبرس ، والناصر محمد والأشرف برسباى والظاهر جقمق ، ولكن سرعان ما يعود الامر إلى ما كان عليه سابقاً واستمر الحال قائماً فى العصر العثمانى ، انظر :

سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص٢٢٧ . ،

قاسم عبده ، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، ص١٣٩

(٢) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص٢٢٨ .

(٣) الشجاعى ، تاريخ الملك الناصر ، ص١٢ ، المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ص٤٢٣ .

(٤) المقريزى ، السلوك ، ج٤ ، ص٣٥٨ .

«. . . وتجتمع العامة تحت مناظر الجسر وتمر بحافة الخليج للنزهة فكثر اغتباط غوغاء الناس وفساقهم بهذا الجسر إلى اليوم وهو من أنزه فرج القاهرة لولا ما عرف به من القاذورات الفاحشة». (١)

وأيضاً يرسم لنا «المقريزى» صورة حية لمجتمع البركة فى العصر المملوكى حين يتحدث عن ربع المشانيق على الجسر، وتبدو المبالغة واضحة جلية فى كلام المقريزى إلا اننا يهمنا منها مغزاه إذ يقول «. . . وكان تحته (أى ربع المشانيق) رصيف يجلس عليه الناس للفرجة وإنما سمى ربع المشانيق لأن المار تحته على الرصيف لا يشتغل بالنظر إلا إلى الطيقان لما فيها من النساء الحسان، ومما وقع لشخص أنه رص الف دينار من أول الرصيف إلى آخره فبقيت ثمانية أيام وأتى الرجل فوجد الالف دينار ولم ينقص منها شىء لاشتغال الناس بالنظر إلى النساء المشرفات من الطيقان». (٢)

ومن أمثلة البيوت على شواطىء الخلجان ربع على الخليج الناصرى يسمى ربع الزيتى بجوار قنطرة الحاجب «وكان يشتمل على عدة مساكن ينزل بها أهل الخلاعة للقصف فإنه كان يشرف من جهاته الأربع على رياض وبساتين ففى شرقيه غيط الزيتى» وقد خرب أيام المقريزى وصار موضعه بركة ماء، «وفى غربيه غيط الحاجب بيبرس «ويقول المقريزى» «وأدركته عامراً وهو اليوم مزارع بعدما كان له باب كبير بجانبه حوض ماء للسبيل وعلية سياج من طين دائر به ومن قبلى هذا الربع الخليج وقنطرة الحاجب والجنينه التى بأرض الطبالة ومن بحرية بساتين تتصل بالبعل وكوم الريش، وما زال هذا الربع معموراً باللذات آهلاً بكثرة المسرات إلى أن كانت سنة الغرقة، وهى سنة ٧٥٥هـ فخربت دور كوم الريش وغيرها ووصل ماء النيل إلى قنطرة الحاجب فخرب ربع الزيتى وأهمل أمره حتى صار كوماً عظيماً تجاه قنطرة الحاجب وغيط الحاجب، وسمعت من أدركته يخبر عن هذا الربع بعجائب من الملاذ التى كانت فيه، وكانت العامة تقول فى هزلها : ستى اين كنتى واين رحتى واين جيتى قالت من ربع الزيتى،

ثم انقضت تلك السنون وأهلها .. فكأنها وكأنهم أحلام(٣)

وكان يوجد بجوار قنطرة الموسكى ربع يسكن به بنات الخطا يفعلن الفاحشة وقد هاجم انصباى الحاجب هذا البيت فى ذى الحجة سنة ٩١٤هـ وضرب النساء اللاتى كن به وأشهرهن فى القاهرة على حمير، وبسبب مجاورة الربع لبيت الامير نوروز وهو أمير مائة مقدم الف زمن الغورى حدث نزاع ومشاجرة بين انصباى حاجب الحجاب وبينه لحمايته هو وغلمانه لهذا البيت ورفع النزاع الى الغورى فانتصف لحاجب الحجاب». (٤)

---

(١) الخطط، جـ٢، ص١٦٦.
(٢) البكرى، النزهة الزهية، مخطوط، ورقة٧٣.
(٣) الخطط، جـ٢، ص٧٨.
(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص١٤٨.

وكان يوجد فى القاهرة العديد من المواخير منتشرة فى العصر العثمانى وخصوصاً الأزبكية .[1] ، وظلت حول البرك الأخصاص التى تضم بنات الخطأ مثل التى كانت على بركة المجاورين (بركة الشيخ قمر)[2] .

وعن ارتباط المتنزهات بالامراض الاجتماعية أيضاً ذلك الرباط الوثيق بينها وبين المخدرات وعلى رأسها الحشيش[3] الذى عانت منه مصر والمصريون كثيراً ولا تزال تعانى من مآسيه وتبعاته .

وقد انتشرت زراعة شجرة الحشيش فى بركة الرطلى وأرض الطبالة وفشت هذه الشجرة فى عصر المماليك «وولع بها اهل الخلاعة والسخف ولوعاً كبيراً وتظاهروا بها من غير احتشام»[4] ويرجع سبب ذلك إلى سماح الدولة آنذاك بزراعته نظراً لما قد يعود عليها من ضريبته وانتشر إلى جانب الحشيش الأفيون الذى عرفه المصريون فى العصر المملوكى واستمر سائداً .[5]

وقد قيل فى زراعة بركة الرطلى والجنينة المجاورة لها بالحشيش عدة أشعار[6] .

ويبدو أن الحشيش قد بطل زراعته فترة من البركة ولكنه زرع مرة أخرى سنة ٩١٥هـ وقد قال ابن اياس بخصوص ذلك «وكان الذى زرع الحشيش كمال الدين بن قوسان وقد استأجر أرض بركة الرطلى فكان كل من دخل اليها يبتهج بذلك لا سيما أصحاب الكتبة من الحشاشين

---

(١) أرشيف الشهر العقارى، محكمة الصالحية النجمية، ٤٩٥، حجة رقم ٥٢٠، ورقم ٥٢١، ص ٣٨٥ .

(٢) البكرى، الروضة الزهية فى ولاة مصر المعزية، مخطوط بدار الكتب برقم ٢٤٠٧ تاريخ تيمور، ورقة ١٤٤ .

(٣) أول من أهتم بالحشيش الصوفية وأصحاب الطرق حتى نسب إليهم فقيل حشيشة الفقراء وكان مفروضاً على الحشيش فى العصر المملوكى ضريبة عالية وقد أبطل بعض السلاطين ضمانها مثل الظاهر بيبرس وأمر بتأديب من يتعاطاه ولكن سرعان ما يعود الأمر إلى ما كان عليه ولم يقتصر تفشى الحشيش على الطبقات الدنيا من الشعب بل تخطاها إلى غيرها من الطبقات حتى شغف بها كثير من العلماء والقضاة بل أفتى بعض القضاة بإباحة أكلها لذلك نظم كثير من أدباء العصر المملوكى أشعاراً الغرض منها إيضاح مزايا الحشيش وتفضيله على الخمر، انظر :

المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ١٢٦ ـ ١٢٩ . ، سعيد عاشور، المجتمع المصرى ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٤) المقريزى، الخطط، جـ٢ ص ١٢٦ .

(٥) سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ٢٣٠ .

(٦) من ذلك قول الشاعر :

بمصر لأهل اللهو والتيه بركة ... تولع فيها بالحشيش أولو العقل

ويبلغ رطلاً كل من رام أرضها ... ومن أجل هذا سميت بركة الرطلى=

فجاءت إليها الناس أفواجاً يتفرجون على ذلك الحشيش وقد وضع من أهله فى محله حتى عد ذلك من النوادر الغريبة وفيه يقول بعض شعراء العصر :

تناهت بركة الرطلى حسناً — وصارت جنة فيها عروش

ومنذ زرعوا الشدانق فى ثراها — يبدو نسيمها طلع الحشيش[1]

وقد ارتبطت القنطرة الجديدة فى العصر العثمانى بتعاطى الحشيش حتى أطلق عليها فى ذلك العصر قنطرة الحشاشين[2] .

وكان المتنزهون على شواطىء النيل والخلجان والبرك وعلى صفحات مياهها وفى البساتين والحقول والضواحى يقيمون الولائم الحافلة ومجالس شرب الخمور، وكان شرب الخمور منتشراً فى العصرين المملوكى والعثمانى بين الخاصة والعامة[3]، وكان كثير من السلاطين وأمراء المماليك شغوفين بها حتى أن بعض أنواع منها نسب لبعض الامراء مثل التمر بغاوى والبشتكى ،[4] بل نجد أن الملك الظاهر برقوق رتب شرب نوع منها يسمى القمز فى ميدان الرميلة وجعلها من شعائر المملكة أيامه[5] .

=ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ٢١١ ومن ذلك قوله الشهاب المنصورى :

كم بالجنينة من قتيل وحشيشة — لا يستفيق ولا ينفخ الصور

وهبت له الخضراء من أفعالها — آذان أطروش وعين ضرير

وقوله فيها أيضاً

كم بالجنينة من أصم أبكم — ورجلاه فى قيد وعيناه فى قفل

أشبهه فى خلقة بابن آدم — مجازاً وفى أكل الحشيشة بالعجل

يحاول منه الناس رد جوابهم — وكيف يرد القول من مات بالقتل

أيصغى بلا سمع أيومى بلا يد — أيرنو بلا عين أيمشى بلا رجل

ابن اياس بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٦١ .

وقد قال الأديب شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان بن على التلمسانى الشاعر المشهور الذى توفى سنة ٦٨٨هـ فى ذم الحشيش وبيان أعراضه السيئة :

ما للحشيشة فضل عند آكلها — لكنه غير مصروف إلى رشده

صفراء فى وجهه خضراء فى فمه — حمراء فى عينه سوداء فى كبده

ابن تغرى بردى، النجوم الزهرة، جـ٧ ص ٣٨١ .

(١) بدائع الزهور، جـ٤، ١٥٦ . (٢) البكرى، النزهة الزهية، مخطوط، ورقة ٧١ .

(٢) انظر بالتفصيل: سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ٢٣١ - ٢٣٣ . ، عبدالمنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، جـ٢، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٤) سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ق ٢٣١ . (٥) انظر ما سبق، ص

وكانت بركة الرطلى من المتنزهات الهامة التى ارتبطت بشرب المسكرات[١] مثلما ارتبطت بالمخدرات.

وقد ربط المؤرخون أحياناً بين أصل وديانة السكان حول المتنزهات وبين الأمراض الاجتماعية، فعلى سبيل المثال ذكروا أنه كان يسكن حول بركة الفيل فى خط قبو الكرمانى فيما بينها وبين الخليج الافرنج والكتاب وكانوا يرتكبون من القبائح ما يليق بهم وكانوا لا يراعون للدين حرمه، واشتهر المكان بالفسق والنجس حتى قام بشتاك بعمل جامعه وخانقاته سنة٧٣٧هـ فبدل الإيمان بالكفر والقرآن بالفسق فاشمئزت قلوبهم لذلك ورحل من هذا الخط أكثرهم لما صاروا يسمعون الآذان وصوت القرآن[٢].

على أن هذه الأمراض الاجتماعية وارتباطها بالمتنزهات ما كانت لُتْتركْ سدى دون حساب أو رد فعل بوازع دينى أو اخلاقى، ويعبر لنا «ابن الحاج» عن وجهة النظر الدينية فنراه يشدد على عدم خروج النساء إلى الدور التى على البرك، وما كان فى معناها، إذ انها احتوت على جملة من المفاسد منها «ركوبهن إليها على الدواب فى الذهاب والعود على الصفة المتقدمة ومنها خروج بعضهن من البيوت التى هناك على شاطىء البركة متبرجات متزينات مختلطات بالرجال، وبعضهن يغتسلن فى البركة وبعض الرجال ينظرون فى الغالب إليهن وما يفعلن أيضاً من تبرجهن إن كان فى تلك البيوت من ينظرهن من الطاقات وأبواب الريح والأسطحة وغير ذلك، ويظهرن ما بهن من الزينة وما عليهن من حسن الثياب والحلى وغير ذلك ومزاحتهن للرجال فى الغالب»[٣].

وكذلك ينبه «ابن الحاج» على عدم خروج النساء فى أيام الخضير «لأن ذلك الموضع محل

---

(١) قال الشهاب المنصورى فى ذلك:

دعوتك فانهض مسرعا يا أخى الفضل	لنشرب أرطالاً على بركة الرطلى
فقد سل كف الخصب سيف خليجه	ليضرب عنق الجدب أو هامة المحلى
وقد مدت الأدواح أيدى غصونها	إلى النيل تستحلى لماه وتستجلى

وقال فى الجسر الذى بالبركة أيضا:

وبى ليلة بالجسر فيها تجاسرت	يداى على شرب المدامة بالرطلى
وقد سنح الأرام فى ضوء بدرها	فإن خفنا من واش تسترنا بالظل
فقم نجتليها ن غزال مسلط	بكثرة أجفان على صحة العقل

ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٦٠ ـ ٦١.

(٢) الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ١٢ ـ ١٣.، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٠٩.

(٣) المدخل، جـ١، ص ٢٧٠.

لفرجة الرجال وفسحتهم فكل من تراه هناك إلا وهو رافع رأسه إلى الطاقات والغالب عليهن الزينة والتبرج والغالب على بعض المتفرجين انهم لا يغضون أبصارهم عن المحارم، ولايتفكرون فى ذلك بل يرتكبون المحرم جهاراً، فيمشون فى زروع الناس قصداً ويتخذونها طريقاً ومجالس وربما عملوا فيها السماع وإنشاد الشعر الرقيق المشتمل على التغزلات التى تميل قلوب الرجال فكيف بالنساء.[1]

كذلك يشدد «ابن الحاج» فى منع النساء من الدور التى على البساتين إذ أن فى ذلك كشفه لهن اللهم الا أن يكون البستان لا يدخله أحد الا بأذنه فهو أخف لأنه إذا أذن فى الدخول إلى البستان تحرز مما يتوقعه بغلق الطاقات والأبواب والأسطحة ويمنعهن من النظر فى ذلك الوقت ويباح له أن يخرج أهله إلى البستان بشرطين وهو أن يكون البستان لا يشكف عليه أحد وأن لا يدخله مع أهله غير ذى محرم.[2]

وكذلك يشدد «ابن الحاج» فى عدم الخروج إلى النهر والى الخلجان والقناطر التى كانت متنزهات لما فيه من المفاسد والا يذهبن إلى هناك الا بعد التأكد ان موضع الفرجة لا منكر فيه ولا فتنة يتخوف وقوعها، وأما إذا انضم إلى ركوب البحر (النهر) مفسدة فالأولى المنع مثل خروجهن الى القناطر وغيرها واجتماع الرجال والنساء وما يجرى هناك مما يكل السمع عنه، فكيف برؤيته. وكذلك ما أشبهه من كسر الخليج وما يجتمع فيه من الغوغاء وما فيه اليوم من الفتن ويؤول أمره إلى ازهاق النفوس فى ذلك من الغرق أو غيره، ويذكر «ابن الحاج» كذلك انه يقع فى ذلك اليوم مفاسد كثيرة من قتل وسلب ونهب ولا يحاسب فى ذلك اليوم أحد لما جرت به العادة من قبل[3].

كذلك يشدد «ابن الحاج» فى خروج النساء الى شهود المحمل حيث يدور فى الطرقات وكان ميدان الرميلة هو الموضع الرئيس لذلك الاحتفال لأنه كان يحدث مفاسد كثيرة آنذاك[4].

وكان الدولة تتخذ اجراءات حاسمة تنصب على المتفرجين بالمتنزهات والمفترجات وقد ارتبط هذا الموقف المضاد بعدة عوامل أهمها، رد فعل دينى بإيعاز من رجال العلم والدين للحكام نظراً لما كان يحدث بالمتنزهات من مفاسد، وقد ربطوا بين تلك المفاسد وبين غضب الله الذى يتمثل فى انخفاض أو ارتفاع النيل عن الحد المناسب مما يسبب مشاكل اقتصادية خطيرة ومجاعات، وكذلك انتشار الأوبئة والطواعين.

---

(١) نفسه، ص ٢٧١.　(٢) نفسه.

(٣) المدخل، جـ١، ص ٢٧٢.　(٤) نفسه.

بيد أننا نلاحظ ان هذه الاجراءات كانت مؤقتة ومرهونة بظروف الأزمة فأذا زال الخطر عادت الأمور إلى سيرتها الاولى .

وعن رد الفعل للمتنزهات فى العصر المملوكى ما حدث سنة ٧٠٦هـ اثناء سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثانية إذ منع الاميران المتحكمان فى الدولة آنذاك بيبرس وسلار مرور الشخاتير والمراكب من دخول الخليج الحاكمى والتفرج فيه ، ويبرر «المقريزى» سبب ذلك بقوله «بسبب ما يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات اللاتى تجمع الخمر وآلات الملاهى والنساء المكشوفات الوجوه المتزينات بأفخر زينة من كوافى الزركش والقنابيز والحلى العظيمة ويصرف على ذلك الأموال الكثيرة ويقتل فيه جماعة عديدة ورسم الاميران المذكوان لمتولى الصناعة بمصر أن يمنع المراكب من دخول الخليج المذكور إلا ما كان فى غلة أو متجر أو ما ناسب ذلك فكان هذا معدوداً من حسناتهما» .(١)

وفى أخريات رجب سنة ٧٥٥هـ هدم الأمير صرغتمش كنيسة شبرا الخيام (شبرا الخيمة) التى بها اصبع الشهيد وأبطل منذ ذلك اليوم الاحتفالات بها وما كان يحدث هناك من موسم قبيح(٢) .

وعن رد الفعل أيضاً للمتنزهات ما حدث فى ربيع الآخر سنة ٧٨١هـ أيام السلطان الملك المنصور على حيث رسم الأمير بركة(٣) بإيحاء من الشيخ محمد صائم الدهر بعمل سلاسل على أفواه القناطر ، فعملت على فم قنطرة فم الخور وعلى فم قنطرة الفخر بموردة الجبس وعلى قنطرة السد(٤) لتمنع دخول الشخاتير بالمتفرجين إلى الخلجان والى بركة الرطلى للفرجة ووكل لكل قنطرة من يحفظ السلاسل ويسمح بفتحها فقط لمراكب البضائع ، وقد أفاض الشعراء فى تسجيل هذا الحدث فقال بدر الدين ابن الشامية أحد صوفية الخانقاة الركنية بيبرس :

يا سادة فعلهم جميل	وما لهم فى الورى وحاشه
هم سلسلوا البحر لا لذنب	وارسلوا للحجاز باشا

---

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص ١٤٣ . ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٢٩ .

(٢) السلوك ، جـ٢ ، ص ٩٢٦ . ، انظر بالتفصيل ما سبق ، ص ٥١٥ .

(٣) الأمير بركة كان يتولى وظيفة رأس نوبة الأمراء وكان بينه وبين برقوق صراع انتهى بقتله بالاسكندرية فى رجب سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م ، وكان محباً للعلماء والفقراء وكان له منشآت مائية بالحجاز . انظر ترجمته بالتفصيل فى :
ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص ٣٥٢ـ٣٥٥ .

(٤) لا يزال للآن بشارع بورسعيد (الخليج المصرى) بالسيدة زينب محطة اتوبيس تسمى السلسلة وأغلب الظن انها تسمية متوارثة على المكان حتى الآن .

اشارة بذلك إلى ارسال سودون باشا إلى الحجاز فى هذه السنة لاصلاح الطرق وإجراء الماء إلى عرفه .

وقال الشهابى بن العطار :

اطلقت دمعى على خليج	مذ سلسلوه فصار مقفل
من رام ينظر إلى عجيب	فلينظر المطلق المسلسل

وقوله أيضاً فى المعنى :

حديث فم الخور المسلسل ماءه	بقنطرة المقسى فى سائر الخلق
الا فاعجبوا من مطلق ومسلسل	يقول لقد اوقفتموا الماء فى حلقى

وقال البدر البشتكى :

لئن سلسلوا من مصر رأس خليجها	فما ذاك من نقص يلوح لفاضل
وماقصدوا إلا ليصدق انه	يقاد إلى جناتها بالسلاسل

وقوله ايضاً فى المعنى :

قد سلسلو الخلجان فى	مصر فعنها نكبوا
ماتم ماء مطلق	ولا صعيد طيب (1)

وفى يوم الاربعاء ٢٦ جمادى الاولى سنة ٧٨٢هـ نودى بالقاهرة ومصر ألا يلعب أحد بالماء فى النيروز وهدد من لعب فيه بالماء أن يضرب ويؤخذ ماله فامتنع الناس فيه مما كانوا يفعلونه ووجد أربعة من الناس يلعبون بالماء فى يوم النيروز فضربوا بالمقارع وشهروا(٢)

وفى يوم الجمعة ١٣ جمادى الآخرة سنة ٧٨٢هـ ركبت سلاسل على قنطرة المقسى بخليج فم الخور وعلى قنطرة الفخر برأس الخليج الناصرى بجوار الميدان الناصرى كما عمل فى السنة الماضية ، فامتنعت المراكب التى تحمل المتفرجين وأهل الخلاعة من عبور الخليج وبركة الرطلى فانكف بذلك فساد كبير . (٣)

---

(١) تاريخ بن قاضى شهبه، ص ٦٠ ، المقريزى، السلوك جـ٣، ص ٣٥٧، ابن حجر، ابناء الغمر، جـ١ ، ص ١٩٣ ، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ١١، ص ١٧٠ ـ ١٧١ ، المنهل الصافى، جـ٣، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ، السيوطى، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٢٦ ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١ ، ق٢، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٢) المقريزى، السلوك ، جـ٣، ص ٣٩٤، ابن حجر، انباءالغمر، جـ١ ، ص ٢١٧ .

(٣) المقريزى، السلوك ، جـ٣، ص ٣٩٤.

ومن أمثلة مهاجمة المتنزهات كرد فعل لتوقف النيل ما حدث سنة ٧٨٩هـ إذ لم يبلغ نهر النيل حد الوفاء، وأعقب ذلك الاضطراب والفوضى، فبادر نائب السلطنة الامير سيف الدين سودون بمهاجمة المتنزهين على شاطىء النيل وقبض على جماعة منهم ووبخهم ثم هاجم أماكن بيع الخمور واستولى على كميات كبيرة ضبطها هناك وأتلفها بالتراب تحت أسوار القلعة. (١)

ومثال لما يحدث من محاربة للتنزه وبعض البدع ما حدث في رمضان سنة ٧٩٣هـ، حينما أمر كمشبغا نائب الغيبة بأن لا تخرج النساء إلى الترب بالقرافة وغيرها ومنع المتفرجين في الشخاتير ومنع النساء من لبس القمصان الواسعة الأكمام وقد أثنى شيخ الاسلام «ابن حجر العسقلاني» على سياسة الأمير كمشبغا وذكر انه «لم يتمكن أحد في مدة مباشرته الحكم في هذه الغيبة أن يتظاهر بفسق ولا فجور من هيبته». (٢)

وكان «لابن حجر العسقلاني» نصيب في محاربة التصرفات الخاطئة منها ما هو مرتبط بالمتنزهات مثل بركة الرطلي والخليج الناصري، فقد ذكر البكري في كلامه عن بركة الرطلي «... وكان يعمل فيها أول يوم من توت أمر غريب وهو أن يجتمع الناس في هذا اليوم ويأتي شخص على صورة قاضي وشاهدين و يجلسوا بفم البركة ويجعلوا نكاح الخليج الناصري على بركة الرطلي فيقع في تلك الليلة من القذف واللهو والإشهار بالمنكرات ما لا يوصف ثم في صبيحة تلك الليلة تأتي جماعات بأنواع من الملاهي في المراكب ويرموا خرق بها آثار الدم ويقولوا قد أفلحت بركة الرطلي من الخليج الناصري، ويأكل جميع من بها الزلابية فيباع في ذلك اليوم يفوق الالف دينار زلابية، فحين سكن شيخ الأسلام «ابن حجر» رضي الله عنه على هذه البركة ورأى هذه الكائنة الشنيعة قام في إبطالها وذلك في أواخر المائة الثامنة»(٣).

ومن أمثلة مهاجمة المتنزهات كرد فعل لتوقف النيل عن الزيادة وقت الفيضان ما حدث في ذي القعدة سنة ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م حيث ركب بعض الأمراء وكسبوا أماكن اجتماع الناس للفرجة ونهوا عن عمل الفواحش. (٤)

ومثال لبعض المبادرات من كبار الأمراء من مهاجمة بعض المتنزهات دون سبب قوى يستدعي ذلك كتوقف النيل مثلاً ما حدث في رابع عشرين صفر سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م حيث خرج الامير يلبغا السالمي إلي شبرا الخيام من ضواحي القاهرة وكسر بها من جرار الخمر أربع

---

(١) تاريخ ابن الفرات، جـ٩، ص ٩.

(٢) انباء الغمر، جـ١، ص ٤١٨.

(٣) البكري، النزهة الزهية، مخطوط، ورقة ٧٣ـ٧٤.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٥٨٩.

وأربعين الف جرة، وأراق ما فيها ، وخرب بها كنيسة للنصاري وعاد فى آخره ومعه عدةأحمال من جرار الخمر فكسرها عند باب زويلة وتحت القلعة . ومن حينئذ تلاشى حال أهل شبرا ومنية السيرج فإن معظم أموالهم كان من عصير الخمر وبيعه . (١)

وفى سنة٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م لم يف النيل وحدثت أزمات عظيمة عانت منها البلادمعاناة كبيرة، لذا عندما أوفى النيل فى السنة التالية باشر السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق كسر الخليج بنفسه، وأمربشباى الحاجب بعمل جسر على فم بركة الرطلى لمنع دخول شخاتير المتنزهين للبركة « فقطع لذة الناس من الفرجة فى تلك السنة »ونسب الجسر إلى بشباى وظل معروفاً فترة باسمه . (٢)

وعن مهاجمة المتنزهات كرد فعل لتوقف النيل عن الزيادة ما حدث يوم الجمعة سابع جمادى الأولى سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م إذ رسم السلطان المؤيد شيخ للأمير سودون قراصقل حاجب الحجاب بكبس المتنزهات فتوجه الأمير إلى شاطىء النيل وجزيرة الروضة فأحرق ما كان هناك من الأخصاص ومنعهم من الاجتماع لأنهم حسبما ذكر المؤرخون قد أظهروا المنكرات كالزنا واللواط واختلاط النساء بالرجال من غير استتار وشرب الخمور ونحوها من المسكرات وكانوا يتجاهرون بذلك غير مستحيين، وعندما طرقهم الحاجب اضطربوا ونهب بعضهم بعضاً، فقدر الله بعد ذلك وفاء النيل(٣) .

وكذلك توقفت زيادة النيل سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٧م فأمر السلطان برسباى بمنع المتنزهين على شاطىء النيل وجزيرة الروضة من إظهار المنكرات القبيحة، وعقب ذلك حصل الوفاء . (٤)

كذلك حدث سنة ٨٣٢ه أن هاجم حاجب الحجاب مواضع الفساد فأراق الخمر وأحرق الحشيش كما هاجم أماكن تجمع النساء . (٥)

وأيضاً لما قل النيل سنة٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م وتشحطت الغلال صار الوالى بكسر جرار الخمر وحجر على الحشيش ومنع الخواطىء من عمل الفواحش . (٦)

---

(١) المقريزى، السلوك، جـ٣، ص ١٠٣٠ .

(٢) ابن حجر، انباءالغمر، ج-٢، ص ٢٨٩، ابن اياس بدائع الزهور، جـ١ ، ق٢، ص ٦٩٤ . ،

* وقف وصف ابن اياس بشباى بأنه من الخوارج العال!! . . انظر ترجمة بشباى فى النجوم، جـ١٢، ص ٣٤٤. ، الضوء اللامع، ج٣، ١٦ .

(٣) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٣٥٨، ابن حجر، انباء الغمر، جـ٣، ص ٠٩٣ ، العينى، عقد الجمان، (بدون ناشر)، ص ٢٦٣ . ، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢٧ .

(٤) المقريزى، السلوك، جـ٤، ص٧٤٨-٧٤٩.

(٥) ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٤٤ .

(٦) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١٦٣ .

ولما توقف النيل عن الزيادة فى شوال سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م كان رد الفعل الرسمى هو إصدار السلطان خشقدم الأمر بكف الناس عن المعاصى وردع المتجاهرين، فكبس والى القاهرة المتنزهات على الاخص بولاق والجزيرة الوسطى وأمسك جماعة من الرجال والنساء وأركبهم على حمير وشهرهم من بولاق إلى القاهرة ومن جملتهم أحد اولاد قاضى القضاة شمس الدين القاباتى فشق ذلك على الناس فصعد جماعة من الفقهاء إلى السلطان وشكوا الوالى ولكن السلطان انتصف لواليه وأرسل المنادين لينادوا بالأ يتوجه أحد الى المفترجات والمتنزهات[1] وكان لبعض الوزراء دور كبير فى الحد من بعض التصرفات الخاطئة فى المتنزهات وعلى سبيل المثال ماذكره ابن اياس عن الشمس محمد بن البباى الذى تولى الوزارة فى سنة ٨٦٨هـ أنه سكن فى بيت الوزراء ببركة الرطلى وكان متشدداً وكان يكبس البيوت على الناس فى أيام النيل فى بركة الرطلى فمن وجده يسكر إن كان رئيساً صادره وسلب نعمته وإن كان غير ذلك أدبه .[2]

ولما توقف النيل فى الحجة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م وقلق الناس لذلك رسم السلطان للقضاة والعلماء بأن يتوجهوا إلى المقياس ويدعو إلى الله بالزيادة، كما قام تمر الوالى بمهاجمة المتنزهين بجزيرة الروضة وشوش على المتفرجين وأحرق الخيام التى كانت هناك وضرب منهم جماعة وكان يوماً مهولا ، ثم زاد النيل بعد ذلك وكان الوفاء فى محرم[3] .

وفى صفر ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م لم يزد النيل فرسم السلطان للوالى أن يتوجه إلى الروضة ومصر ونادو«ان لايفعل منكرا ومن وجد عنده شيء من المنكر ينكل به»[4]

وفى شهر جمادى الاولى سنة٩١٧هـ/ ١٥١١م توقف النيل عن الزيادة فرسم السلطان الغورى لحاجب الحجاب ووالى القاهرة بأن يتوجها ويكبسا على المتفرجين الذين فى الخيام بالروضة فتوجها إلى هناك وخرقا بعض الخيام وأمرا الناس بالكف عن المعاصى والفسوق [5]

وفى سنة ٩٢٢هـ لما كان جيش مصر بقيادة السلطان الغورى على وشك المعارك مع العثمانيين بقيادة السلطان سليم الاول، «فان الأمير طومان باى الدوادار نائب الغيبة منع الناس من السكن بجسر بركة الرطلى وفى المسطاحى، ومنع المراكب من الدخول فى بركة الرطلى

---

(١) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور جـ٣ ص ٤٢٤ـ ٤٢٥، ابن اياس، بدائع الزهور جـ٢، ص ٣٩٤ـ ٣٩٥.

(٢) بدائع الزهور جـ٢ ص ٤١٦ .

(٣) بدائع الزهور جـ٢ ص ٤٤٠ـ ٤٤١ .

(٤) ابن الصيرفى انباء الهصر ص ٥٥ .

(٥) ابن اياس، بدائع الزهور جـ٤ ص ٢٣١ .

ولا فى الخلجان قاطبة، وعمل جسر على خليج الزربية عند قنطرة موردة الجبس، فآل أمر الجزيرة الوسطى إلى الخراب ولم يسكن بها بيت ولافتح بها دكان ومنع المقاصفية الا ينصبوا مقصفا فى الجسر ولا فى الزربية، وصارت بيوت بركة الرطلى خاوية على عروشها لا سيما بيوت أولاد الجيعان وبيت كاتب السر وغير ذلك من بيوت الأعيان، فحصل للناس فى هذه السنة غاية الإنكاد بسبب ذلك وخسروا الناس كرى بيوتهم وأشيع بسد خوخة الجسر، فتلطف القاضى بركات بن موسى المحتسب بالأمير الدوادار على أن يسمح فى دخول المراكب على العادة وأن يسكن الجسر فأبى ذلك وقال إن العوام يفسدون نساء الأغوات المسافرين صحبة السلطان فى هذه النيلية واستمر مصمما على منع ذلك، ثم فى أواخر النيلية شفع القاضى بركات بن موسى فى خمس مراكب للبياعين بأن يدخلوا فى البركة على العادة فدخل الحلوانى والجبان والفكهانى والعداس والسويخاتى لاغير فأقاموا أياما يسيرة فلم يجدوا من يبيعون عليه فمضوا حال سبيلهم، واستمرت بركة الرطلى ليس فيها ديّار ولا نافخ نار[1] فعند ذلك عمل فيها الشيخ بدر الدين الزيتونى مرثية لطيفة فى واقعة الحال.[2]

واستمر الولاة فى العصر العثمانى يكبسون المتنزهات عقب توقف النيل عن الزيادة فى أيام الفيضان، وقد حدث مثل ذلك فى شهر رجب سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م» واضطربت احوال الناس فى تلك الأيام وتشحطت الغلال، فعند ذلك رسم ملك الأمراء (خاير بك) للوالى أن ينزل ويكبس الروضة، فنزل هو وجماعة من الأمراء العثمانيين وكبس الروضة وفك الخيام التى كانت بها، وأشهر المناداة هناك بأن أحد لا يتجاهر بالمعاصى ولا يجمع جموعه ولا ينصب خيمة على شاطىء البحر ومن يفعل ذلك شنق على باب داره من غيرمعاودة فى ذلك فانكف الناس عن التجاهر بالمعاصى فى الروضة فنزل فى ذلك اليوم غالب الناس من الروضة[3]

وحدث نفس الشيء العام التالى أى فى رجب سنة٩٢٥ حيث استمر النيل فى التوقف فأمر ملك الأمراء بابطال المحرمات من النبيذ والحشيش والبوزة ومنع بنات الخطا من عمل الفواحش. ثم أن الوالى قبض على امرأة يقال لها أنس وكانت ساكنة فى الأزبكية تجمع عندها بنات الخطا اللائى يقترفن الفاحشة وكان عليها مبلغ مقرر ترده فى كل شهر للوالى وكان أمرها مشهورا فرسم ملك الامراء بتغريقها هى وامرأة أخرى يقال لها بدرية زوجة شخص من الناس يقال له البغيضى كانت ماشية على طريقه أنس هذه فى جمعها للبنات الخاطئات فلما قبض الوالى على أنس توجه بها إلى قصر ابن العينى فى المنشية وغرقها هناك بعد العصر واجتمع كم

(١) ابن اياس، بدائع الزهور جـ٥ ص ٥٦ - ٥٧ .

(٢) انظر نص هذه القصيدة نقلا عن ابن اياس فى الملحق رقم

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور جـ٥ ص ٢٦٧ .

غفير من الناس للفرجة عليها وكان يوما مشهودا فغرقت على النداء والاجهار وأراح الله تعالى المسلمين منها وطهرت الارض منها[1]

وكان للوالى حسين باشا الدالى[2] دور فى محاربة الفساد بالمتنزهات مثل مهاجمته أخصاص الخاطيات ببركة الشيخ قمر (المجاورين)[3]

وكان يحدث بالمقياس احتفال كبير لمدة اسبوع متواصل أيام وفاء النيل فى العصر العثمانى ولكن «احمد شلبى ذكر بمناسبة كلامه عن تولية حسن باشا السلحدار محافظة مصر سابقا (٢٥ شعبان ١١١٩ إلى ٩ رمضان ١١٢١هـ/ ٢١ نوفمبر ١٧٠٧ الى ١٢ نوفمبر ١٧٠٩م) ـ» وفى يوم الخميس أوفى النيل رابع مسرى، وهو آخر سنة المقياس، الذى كانوا يعملوه الينجشرية، سبعة أيام، عند نزح الفسقية التى للمقياس، وكان جميع أهل القاهرة يهرعون وجميع الصناجق والأغوات وشيخ الاسلام والوزير وكان يصرف فيه مال كثير، وكان دائمًا على كل من كان باش جاويش وكان جميع الاكابر والتجار يهادوه فى عمايل ذلك الاسبوع الذى لم يكن يوجد له نظير فى الدنيا فأبطلوه من سنة ١١٢١هـ[4].ولكن الجبرتى يذكر أن هذا حدث نظرا للفتن القائمة حينئذ[5] وكان لبعض الامراء دور فى محاربة أمور الفساد والتى حوت على كثير منها المتنزهات مثلما قام الامير على أغا سنة ١١١٥هـ حيث هجم على «الخمامير وأماكن الخطا وغيرها» وهدم بوظة الكوم التى قصاد الشيخ الطيبى وبطل الخواطى ودخل مصر القديمة فأخرج من كان فى دار النحاس من المتسببين وسمرها وكانت أولاد البلد تعمل أنس وصفا فى الروضة والمقياس وتأتى دار النحاس وكان بها طابونة وزيات وقلاسمك وكبابجى وبوظة وخمارة وخواطى حسان أبطل ذلك كله، وأخذه حسن اغا النجدلى، عمله بيت ببستان عظيم وركب على أغا من مصر القديمة وفات من قصر العينى هدم عشش النخل القصير وأبطل منه الخواطى ودخل بموكبه من الناصرية[6].

ومن الامراء الذين كان لهم موقف مضاد للمتنزهين على بك الكبير حيث يذكر «الجبرتى» أنه قام بسد بوائك قصر السيد ابراهيم بن السيد سعودى اسكندر المطل على بركة الازبكية ومنع الناس منها لما كان يقع بها فى بعض الأحيان من اجتماع أهل الفسوق والحشاشين»[7]

---

(١) نفسه، ص ٣٠١.

(٢) تولى على مصر من ٥ رجب ١٠٤٥هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ١٦٣٥م حتى جمادى الآخرة ١٠٤٧هـ الموافق ٦ سبتمبر ١٦٣٧م

(٣) البكرى، النزهة (مخطوط) ص ١٤٤، الروضة المأنوسة (مخطوط) ص ٣٦.

(٤) أوضح الإشارات ص ٢٢٥.

(٥) عجائب الآثر جـ١ ص ٦٣.

(٦) الدمرداش، الدرة المصانة ص ٦٨.

(٧) عجائب الاثار جـ٢ ص ٥٦٧ ـ ٥٦٨.

ويذكر لنا «الجبرتى» ايضا انه حدث يوم السبت ٢٤من شوال سنة ١٢٠٠هـ«نادوا على النساء بالمنع من النزول فى مراكب الخليج والأزبكية وبركة الرطلى. (١)

رابعاً : المتنزهات والأدب

كانت المتنزهات عامل جذب هام، ومصدر وحى والهام، ليبدع الأدباء والشعراء أحسن الكلام، حيث انطلقت قرائحهم فى مجال وصف المتنزهات وتصوير الحياة الاجتماعية بها فسمت كتاباتهم عنها فوق ما كتبوا فى باقى الألوان الفنية الأدبية

وقد نظم الشعراء الأشعار العديدة فى المتنزهات باللغة الفصحى واللغة العامية، وكتب الادباء النثر بكافة أشكاله، فقد كتبوا المقامات والرسائل وكذا المناظرات والمفاضلات بين المتنزهات بعضها البعض، وسأقدم نماذج منها فى الصفحات التالية(٢)

---

(١) نفسه جـ١ ص ٦٣٦.

(٢) وصف بعض النقاد الأدب فى العصرين المملوكى والعثمانى بالضعف والانحطاط والركاكة وحذى حذوهم الكثيرون، وبالرغم من أن الخوض فى هذا الموضوع بعيد عن مجال دراستنا وبحثنا إلا إننى أريد أن أشير إلى أن هذا الحكم به كثير من التجنى، فمن الخطأ تعميم هذا الحكم على أدب عصرين كبيرين من خلال دراسة سريعة غير متعمقة، لأننا وجدنا أن المخطوطات المملوكية بصفة خاصة وبعض المخطوطات العثمانية لا تزال تحوى الكثير من ألوان الأدب صادقة التعبير وجزلة اللفظ لم تر حظها من النشر.

ومن حجج أصحاب الرأى القائل بضعف الأدب هى الإسراف فى صور البديع، معنوية وحسيةوتنوع ضروبه وهيئاته متناسين أن مثل هذا الشكل كان يعجب الذوق العام والخاص فى تلك الأيام، وكانوا يطربون لتلك الصور، ولهذا تنافس الأدباء والشعراء فى هذا الشكل حتى بلغوا مرتبة كبيرة فى ذلك ينم عن مقدرة أدبية كبيرة وصنعة محكمة، لأن الحياة المادية فى العصر المملوكى اتسمت بالتزخرف والتبهرج الكبير، فمن باب أولى أن تتزخرف اللغة أيضا، وهذا يتأتى عن مقدرة لا عن ضعف لذا استساغه الناس فى زمنهم ولم يتسيغه البعض فى زماننا لأن لكل عصر ظروفه ولغته وفنونه وآدابه.

كما نجح الأدباء والشعراء فى العصرين المملوكى والعثمانى فى تناول أشكال الحياة اليومية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى نثرهم وشعرهم مما يفيد فى دراسة التاريخ.

وبالرغم من وجود كم كبير من الأدب مكتوب باللغة العربية الفصحى، وآخر مكتوب باللغة الدارجة، فإننا نجد من مميزات العصر المملوكى نجاح الادباء فى التقريب بين اللغة الفصحى والدارجة فى بعض كتاباتهم، ونتيجة لهذا التمازج بين العامى والفصيح أن أصبح الادب قريبا إلى الشعب ملتحما بحياته وظروفه لذا نبغ بين طبقات العوام أصحاب الحرف كثير من الشعراء والأدباء مثل الجزار والوراق والحمامى والصايغ والخياط والعطار والكحال.

انظر بالتفصيل: محمد زغلول سلام، الأدب فى العصر المملوكى، ص دار المعارف بمصر، أحمد صادق جمال، الأدب العامى فى مصر فى العصر المملوكى، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦م.

محمد سيد كيلانى، الأدب المصرى فى ظل الحكم العثمانى، دار الفرجانى، القاهرة، ١٩٨٤.

من أمثال المقامات التى قيلت فى المتنزهات فى العصر المملوكى اقتطف فقرات من مقامة الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر القادرى التى سماها «عرف الروضة الذكية فى وصف محاسن الأزبكية»[1]، والتى كتبها عقب عمران أزبك للأزبكية، ومنها وصف الجامع وصفا طريفا قال فيه : «. . . أعمدته كشموع كبيرة ناصعة البياض، ورخامه المدبج قد استعار من البستان خضرة رياضه، ومن الليل والنهار لون سواده وبياضه، وكأن شرفاته المرتفعات حسان نساء فى أزرهن متربعات، وكأنه فى الليل البدر غير محتجب، سرادق من الفضة قد ضرب . . .»[2]

ثم أخذ فى وصف منشآت الأمير أزبك حول البركة بأسلوب بليغ تحايل فيه ببلاغته على وصف تفاصيل العمارة الاسلامية أبلغ وصف[3]، فمن وصفه لقاعات القمر ورخامها قال « وافتخرت على البقاع بقاعاتها التى هى كجنات تجرى من تحتها الأنهار، تطرد بها آناء الليل وأطراف النهار، من كل شاذروان تقربه العينان، إذا انكسر ماؤه وانسكب، تسلسل كالفضة على أرض من ذهب، وقام بعد تكسر يجرى فى أخدود، يسر الوارد عند الورود، ينتهى من تلك الأخاديد إلى فساقى، تسعى لسقيها عند الورود ألف ساقى، وتلك القاعات بها رخام ملون، كأنه من بديع الزهر قد تكون، فكأن بستانها أهدى لرخامها من رياضه حللا، محكمة النسيج لا ترى خلالها خللا.

وكل مبيت يفضح الشموس والأقمار بقمرياته، ويدهش العيون إذا نظرت إليه بحسن دهاناته، إذا قابلت قمرياته الشمس إذا بزغت والقمر إذا طلع، يظنان أن قوس السحاب وقع عليها لحبة إياها وقطع، يقابلها الدهانات البعلبكية، التى تدهش العيون برؤيتها السنية، وشى كالنقش الأخضر على ترائب الأتراب الحسان، إذا رآها الانسان أذكرته رياض الجنان، فبهجة الأنس عن مناظرها غير غائبة، وجسم جمال النقش يكاد أن يتحرك بروح حسنة وعزوقه اللاعبة[4]، وتظن رخامها الملون فى حسنه من زهور الرياض، وأسوده فى أبيضه كسواد العيون منها فى البياض، وإذا قرأ القارىء الذى من سجيته الطرب، تكاد سقف تلك القاعات تنقطه من مكارم منشيها بالذهب».

ثم وصف الحمامات بقوله : «. . . يالها من حمامات يستوقف الناظر حسن رخامها

---

(١) نقل هذه المقامة «ابن اياس» فى كتابه «نزهة الأمم فى العجائب والحكم»، (مخطوط)، ص ٢٤٦ ـ ٢٥٥.

(٢) ابن اياس، نزهة الأمم (مخطوط)، ص ٢٤٨.

(٣) هذا تعبير المرحوم «حسن عبدالوهاب» فى مقالته «تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها»، ص ٤٠.

(٤) استعمل الأديب الألفاظ الوثائقية لوصف الآثار مثل الدهانات البعلبكية والقمريات والعروق اللاعبة مما يدل على شيوع هذه المصطلحات فى لغة الكتابة.

الوسيم، ويستوقف الأسماع صوت مائها الرخيم، وتحير فى حسن بهجتها النظار، إذا أشرفت أقمار جاماتها بالنهار . . .».

ثم وصف البركة بقوله : «إنها بركة محفوفة بالمفترجات والمناظر، ترتاح إليها النفوس وتقربها النواظر، فهى بركة أنيقة المنظر، صافية المخبر، أرضها كالعنبر، وعرفها كالمسك الأذفر». (١)

ثم وصف الحدائق حولها وما يتم به من حفلات تطلق فيها الألعاب النارية بقوله : «كأنى أراها حين سعى الناس إليها من كل مكان فى ليلة أحرقت مردة الهموم، بشهب من نيران النفط كالنجوم الرجوم، فبينما الناس فى لهو وفرح، وبسط من الأنس ومرح، إذ أطلع فلك السماء الماء فلكاً تحمل أشجاراً من نار، يقذف النفط منها أنواعاً من الأزهار، من مفضض ومذهب ومدبج من ألوان اللهب، وأسهم تنسب مع إصابتها إلى الخطأ، وضوء شمس يكشف عن وجه الظلام الغطا، فى ليلة ينجاب عن وجهها الظلام، وشاهد الناس فيها العجب، لما اصطلح الماء مع اللهب، وطار على وجه الماء فراس من ذهب، ودارت بأكف اللاعبين دواليب من نار، من غير رياش تدور على قلب ولا زنار، فيالها من نار أثلجت الخواطر، وأقرت برؤيتها من الحاضرين كل ناظر. (٢)

ثم استطرد فى وصف البركة فقال :

«. . . زادت على بركة الرطلى قناطير بقناطرها، وزهت عليها حسنا للناظرين بمناظرها، فهى فى الارض لكثرة الخلق كالسماء ذات الحُبك، وإذا كررت النظر فى منظرها العجيب يعجبك، فيالها من بركة ماؤها بتجعيد الرياح كالمبرد يجلو عن القلوب الصدا، ويرد العيون مد مائها الأسيل فلا يزال بالعيون مورداً، إذا افتخرت السماء بنجومها وسماكها افتخرت سماء مائها، بكواكب اسماكها، وان افتخرت بشموسها وبدورها، افتخرت بشموس حسانها وبدورها، فهى فى زمن النيل بمناظرها كالسماء ذات البروج، وفى زمن الخريف ذات شطوط ومروج، فإذا نضب عنها الماء خرج من سجن طينها من زغب الحب ما كان من المحابيس، وبرزت فى حلل من زهر الربيع كأذناب الطواويس، يالها من بركة إذا رآها الناظر أعلن بالتهليل والتكبير ودعا بطول البقاء لمنشأها الأمير الكبير». (٣)

وختم هذا الوصف بما كانت عليه حوانيت التجارة حولها من رواج يشبه رواجها الحالى.

---

(١) ابن اياس، نزهة الأمم، ص ٢٥٢.
(٢) ابن اياس، (مخطوط)، ص ٢٥٢.
(٣) نفس المصدر، ص ٢٥٣.

ومن المقامات التى قيلت فى المتنزهات المقامة التى كتبها الإمام السيوطى وسماها «بلبل الروضة» وقد تعرض فيها لمحاسنها وما ضمته من آثار، ومقارنتها بالمتنزهات الأخرى ومنها نقتطف تلك الفقرات[1] :

«. . . روضة ذات محاسن، فيها أنهار من ماء غير آيسن، وأشجار تنبت أفانين الأحاسن، وأزهار ما بين مفتوح العين ووسن، وأطيار ترنم بلغات يعجب منها كل فصيح ولسن، روضة أريضة، عيون أزهارها مريضة، وأنواع البركات من نهرها مفيضة، روضة هى مجمع البحرين ومختار يقابل مجمع البدرين، ومنهاج يسير فيها كل فى فلك من النواعير ويدور، فهى على كل الاحوال ذات النورين، ومطلع البدرين، ومنازل الفرقدين، لم يقر غيرها بحسن إلا وكان لها منه قسم قسيم، ولم تتقابل وجوه المناظر إلا وكان وجهها وسيم، فلا غرو إن كانت ملكة المتنزهات، فإنها أوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم» .[2]

«. . . ان فاخرتها مصر بأنها القديمة قالت أنا الجديدة، ولكل جديد لذة، أو ناظرتها الجزيرة الوسطى قابلتها بالكسر وقالت أنا فى ملازمة النيل الفردة البزة، وإن تطاولت نحوها الجزيرة الكبرى أعرضت عن القيل والقال، وقالت إنى يقاس بخرطومى المشتهى زلومة الفيل، وإن قال التاج أنا المرفوع على الرؤوس قالت أنا عروسة الحسن، لا سيما فى عرس النيل، والتاج فى خدمة العروس، وإن قالت السبعة أوجه لقد تعددت منا الوجوه والمناظر قالت رب واحد كألف أو يزيد عند المناظر»[3] .

«كأنها بدر والنيل حولها هالة أو شمس فى وسط السماء ليس عليها سحابة أو غلالة، أو وجه دار عليه طيلسان أو سرير ملك نصب فى ميدان، أو قلب جيش له مصر والجيزة جناحان، ومسكن علماء أعلام، ومجلس قضاة وحكام، ومقر صلحاء وعباد ومقر صوفية وزهاد. وكم سكن بها من ملوك وخلفاء، وأمراء وكتاب ورؤساء، ووزراء وقراءوأولياء، وفقراء وأغنياء، وأذكياء، وذوى هيئات وأتقياء، وتلاوة قرآن، وتدريس وأفنان، وشعائر وآذان، ونغمات والحان، وقضاة أوطار، وضربات اوتار» .[4]

. . يؤكل فيها حيوان البر زكيا وصيد البحر طريا، وثمر الاشجار جنيا، ويشرب فيها الماء من شوائب الاقذار عريا، ويمر فيها النسيم صحيحا عليلا، فيبرىء من الأسقام عليلا، ويشفى

---

(١) نشر هذه المقامة د. نبيل عبدالعزيز فى كتيب صغير بعنوان «بلبل الروضة»، مكتبة الأنجلو ١٩٨١، ص ٢٣ـ٤٤، وهى أيضا ضمن كتاب كوكب الروضة للسيوطى.

(٢) السيوطى، بلبل الروضة، ص ٢٤ـ٢٧.

(٣) نفس المصدر، من ص ٢٧ـ٢٨.

(٤) نفس المصدر، من ص ٢٩ـ٣٢.

من الأورام غليلا، ساكنها قد وقي السموم والحرور، وأعفى من شعث الكيمان والبرور. ويحيط بأرجائها النيل وما أدراك ما النيل، سيد الانهار والمسخر له جميع مياه الأرض تمده فى الزيادة كما ورد في الآثار، إن أصل منبعه من الجنة، وسمى في القرآن باسمة دون غيرة، ونطقت به السنة، وهو فى الجنة نهر العسل، ويرفعه جبريل عند رفع القرآن ومن لم يعرف فليسأل، وهو الذي كاتبه «عمر بن الخطاب» لما حمل أهل مصر الاصر، فكتب له بطاقة صدرها «من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر». [١]

« . . وتختص الروضة من بين سائر الأقطار بيوم هو لها يوم عيد، طالعه فى برج السنبلة والحوت للمشترى سعيد، وهو يوم الزينة، وما أداراك ما يوم الزينة، يوم يحشر له الناس، ويحج به الى المقياس، وتطيب من تخليقة الأنفاس، ويسبل فيه ستر الوفاء بالعفو وفى الحقيقة خلعة رضا ولباس، وتكمد الحساد، وتجتمع الاضداد، فيحصل الصفاء إذا انكدر، والجبر إذا انكسر، ويبلغ الخلق من النيل غاية النيل، ويسحب الماء على بساط الأرض الذيل، ويركب إليه الملك والجنود، وتعقد له الألوية والبنود، ويكون من ماءه ولونه المحمر الورود، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود، وله فى كل سنه أجل معدود». [٢]

وكانت المفاخرات والمناظر ات بين المتنزهات لونا أدبيا شيقا لما حوته من صور بيانيه بديعة، إلي جانب ما حوته من معلومات تفيد فى دراسة الحياة الاجتماعية التاريخية ومن أمثلة ذلك تلك المفاخرة بين بركة الرطلى والجسر عليها. [٣]، ومنها أيضاً مفاخرة بين جزيرة الروضة ومصر وهى من انشاء الشريف صلاح الدين محمد بن ابى بكر، ونقطتف منها بعض الفقرات. [٤]

« . . . فقالت مصر بسم الله تبركا لفظا ومعني، أنا القديمة مثنا، والذى اذا عدت أوصاف غيرى من البلدان فرادى جائت محاسنى مثنى مثنى، لى سمعة فى الجاهلية والاسلام، وإذا حل فى حال دام الأمن بسلام، وشبه بعض السلف خلق الدنيا بالطير، وإنى الصدر، وحسبك هذا التشبيه رفعة فى القدر، فخري على البلاد، كفخر العلماء على العباد، وذكرى فى كل ناد، بين حاضر وباد، أنا نزهة النفوس، ومطلع البدور والشموس، وإذا بدا زمن الربيع فترانى كالعروس، وحبذا بساتينى المفننة بكل عصر طايل ونيلى الجاري كالسكر المذاب النايل، وأحسن بقول القائل:

---

(١) السيوطى، بلبل الروضة، ص ٣٦-٣٩.

(٢) نفسه، ص ٤١-٤٤.

(٣) انظر تلك المفاخرة كاملة فى الملحق الأول.

(٤) نشر السيوطى المقامة كلها فى كتابه كوكب الروضة (مخطوط) ص ١٦٦-١٦٩.

ارض مصر فتلك أرض | من كل فن بهـا فنون
ونيلها العذب ذاك بحر | ما نظرت مثله العيون

فقال الروضة: «الحمد لله علي هذه المسرة ثم الحمد لله الذى أظهر محاسنى، بشهادة الضرة وأقر كل لسان ممن رآني بأنى لانشراح القلوب مقرة، أنا للجموع رامقة، وبأنواع الفرح والخير قانصة، ولموج الحرث الزى مثل الجبال غايصة، أزهارى بطيبها تفوح، وبألوانها المعجبة تتبهرج وتلوح، وأغصانى تتمايل طربا إذا فاخر ضدضده، أنا العروس بالتحقيق فى زمن الربيع، أنا زهرى الباسم الناسم، وتلوينه البديع، أنا لساكنى من الوشاة والرقباء والأعادى لاسيما فى أيام النيل حصناً منيع». [1]

«... فقالت مصر للروضة: «الآن حصحص الحق ببيانه، وظهر كتمانه أسأت بهذه المقابلة، وكيف لك بالمطاولة، أنا فضلى مذكور، وصيتى غير منكور، ودليلى القاطع كالسيف عند أهل العلم مشهور، ذكرت فى أربع وعشرين موضعا من التنزيل، منها أربعة صريحة وباقيها بتأويل، ووردت الأخبار بسندها فى بصحة الأقاويل، شهد الإجماع بفضلى، ولى الآثار الجميلة والجامع العتيق كعبة للمصلى، وأنا مأوى النزيل من أبناء السبيل والعالم والصالح والمتولى، وكم للنزهة والتعبد عندى من زاوية، وكم فقير بالبحر من راوية، لطفت أبنائى فوصفوا بالرقة والصفا، وتمازجوا بحلاواتهم حب الوفا، فقيل عنهم ما ليس فيه خفا:

حبذا الفسـطاط من والدة | جنبت أولادها در الجفا
والنيل يأتي إليها كــدرا | فإذا مازج أهليها صفــا

فقالت الروضة: «تبرهن البرهان، وبان البيان، قال الله عز وجل «فى روضة تحبرون»، وقال تعالى «فى روضات الجنات لهم من يشاءون»، وحسبى بهذا دليلا إذ كثر المكثرون وإن لم أكن تلك فى المعنى والعيان ففيه تشبيه لى بأحسن الجنان، وهو من أقوى الدلائل على تفخيم الشأن، فإذا شهد بفضلك الإجماع فأنا كذلك وأزيد عليك بالقياس، وعرفت على الحقيقة بالوفا دونك بالا يناس، واشتهر افتخارى يوم الزينة على العاصى وغيره من الناس، وان كان لك جامع فلى الزيادة، وأثار جميلة، فكم الأصابع زيادة، أياد أنا بها عيد وهى عادة [2].

وفقالت مصر «أنا مدينة الكسب والمعاش وللمقيم بى إقامة حال معاش، ومعدن المتاجر والمتاجر وذوى الرياش أنا مستودع نفائس الأموال وحواصل أربع من رباعى للأحبة مربع، ومخلص بالمضطر فى بيوتى عند كل مطلع، وفى كل ناحية منى للمتنزه مرتع، قالت الروضة

---

(١) السيوطى، كوكب الروضة، ص ١٦٧. (٢) السيوطى، كوكب الروضة، ص ١٦٨.

ان كان بك غلال فكم بك من مغلول، وعلى تنفق الأموال وتروح الأرواح فلك الحاصل ولى المحصول»[1].

والمخطوطات تحتفظ بأمثلة عديدة من تلك المناظرات والمفاخرات كما حرص الأدباء على ذكر المتنزهات فى أدب المراسلات فى العصر المملوكى من أمثلة ذلك ما كتبه المؤرخ بن حبيب (توفى ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) فى مراسلة إلى بعض أصحابه بحلب ذكر فيها «وأما ديار مصر فإنها نعم الديار، وهى كما قيل شرك النفوس وعقلة الأبصار، تولد حيرة العقول بحسن حورها وولدانها، وتقرط الأسماع بنغمات أطيار قرطها وكتانها، وتجدد الأفراح بمقطعات نيلها، وتتقرب بسائر النزه إلى قلب نزيلها، ما أحسن جيزتها التى جازت الحد سيوف لهوها اللماعة، وأعطر روضتها التى لم يزل منصوبا بها منبر الخلاعة. يحلو لطرف المتنزه بها اجتلاءجلاها، ويجود ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين مشتهاها، وأما البحر فحدث ولا حرج، واركب فيه باسم الله تظفر بكل مطلوب من الفرج، كم لأصابع مقياسه على الخلق من الأيادى. وكم لخلجانه من منهل يرده الرائح والغادى، وكم له من منظره عالية تقول هل من مناظر، وزربية عيون شبابيكها ناظرة إلى كل روض ناضر، وعلى الجملة فأنه بحر تعجز عن حصر محاسنه ألسن الأقلام..»[2].

ومن الألوان الأدبية التى كانت مرتبطة بوفاء النيل رسائل البشارة التى كانت تصدر عن ديوان الإنشاء وهذه البشارة من خصائص الديار المصرية لا يشاركها فيها غيرها من الممالك «وقد حرص حكام مصر من قديم الزمان أن يكتبوا البشارة بوفاء النيل إلى ولاة الأعمال اهتماماً بشأن النيل واظهاراً للسرور بوفائه الذى يترتب عليه الخصب الذى يؤدى إلى العمارة وقوام المملكة»[3].

ونالت جزيرة الروضة حظا موفوراً فى سجلات الأدب والأدباء فى العصر المملوكى بصفة خاصة بصفتها عروس المتنزهات والمفترجات.

ونقتطف بعضا من الأشعار التى قيلت فيها مثل قول الشاعر المتصوف محمد بن وفا الذى كان يسكن فيها فأضفى عليها من روحانياته وصوفيته جملة معانى، فقال:

رأيت رياض القدس فى روضة الرضا	على نيل مصـــر بين تلك المناظر
مناظـــرها للناظـــرين مشـــــارق	وفيها وجوه كالبدور البوادر[4]

---

(١) نفس المصدر، ص ١٦٩. (٢) ابن حبيب، تذكرة النبيه، جـ٢، ص ٢٧١.

(٣) القلقشندى، صبح الاعشى، جـ٨، ص ٣٢٨ـ ٣٣٠.، قاسم عبده قاسم، النيل، ص ١١٣.

* وانظر نماذج من البشارة فى المحلق رقم ٣.

(٤) محمود رزق سليم، النيل فى عصر المماليك، ص ١٤١.

ويزهر البدر البشتكى بمصر بسبب متنزهاتها فيقول:

انظر إلى مقياس مصر وغن لى	من روضة المعشوق فى عشاق
وافخر بمصر على البلاد فنيلها	يقضى على الأوصاف باستغراق
وتخلخلت منه الغصون ومذ علا	دار دوائره على الأسواق
لله فى أفق الجزيرة ملعب	كانت نجوم السعد فيه رفاقى
حيث الصبا تصبى اللبيب لأنها	تملى عليه مصارع العشاق [(١)]

ورسم لنا الشاعر ابن أبى حجلة [(٢)] صورة لجزيرة الروضة وقد علت سماءها غيوم والسفن تتسابق حولها فيقول:

أو ما ترى غيم السماء كأنه	نَدٌّ يلوح لنا بأفق المجلس
والروضة الفيحاء باكرها الندى	وكسا خمائلها رياض السندس
والسفن تبدو كالعرائس حولها	قد أقبلت مثل الجوارى الكنس [(٣)]

ويرسم لنا الشاعر أيضا صورة لجزيرة الروضة مفعمة بمجالس الطرب والموسيقى وسط طبيعة ساحرة من الأزهار يحيط بها النيل فيقول:

وكأننا فى روضة المقاس والـ	ورقاء قد غنت على العيدان
وشدت بلحن معرب فاعجب لها	أر أيت أعجم معرب الألحان
فالطلُ درٌّ قد تناثر عقده	والزهر منه مرصع التيجان
والبحر قد رقت حواشى برده	والريح تصقله بغير توان [(٤)]

ويصور لنا الشاعر عزالدين الموصلى جزيرة الروضة فى صورة جمالية متعددة الرؤى فقال:

---

(١) محمود رزق سليم، النيل فى عصر المماليك، ص ١٤١.

(٢) ابن حجلة هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد المغربى (٧٢٥ ـ ٧٧٦هـ)، محدث، فقيه، نحوى، أديب. انظر: الزركلى، الاعلام، جـ١، ص ٢٥٥.

(٣) محمود رزق سليم، النيل فى عصر المماليك، ص ١٤٢.

(٤) نفسه، ص ١٤٣.

روضة نقشتها للحيا إبر ... فأصبحت بين تطريز وتزهير
مثل السوار لها سرو احاط بها ... من سلسل هى منه ذات تسوير
أو كالخلاخيل للأرواح دار على ... سوق لها مطلقا فى زى مأسور
تحت الرياض غياض دبجت فبدت ... ألوانها ذات تشهير وتشذير
أغصانها الند والأوراق سندسه ... والزهر عرق ياقوتا ببلور
والزهر بين شعاع الشمس تحسبه ... دراهما نثرت بين الدنانير
والظل ثوب إذا مر النسيم به ... فالروض ما بين مهتوك ومستور
ونهرها زائد بالخصب يؤذننا ... كصارم فى سبيل الله مشهور [1]

ومما قيل فى مصر وبه ذكر الروضة، قول الشاعر ناصر الدين أبو بكر العيذراوى :

لعمرك ما مصر بمصر وإنما ... هى الجنة العليا لمن يتفكر
فأولادها الولدان من نسل آدم ... وروضتها الفردوس والنيل كوثر [2]

ومن المقطعات الأدبية فى الروضة والمقياس والمشتهى، قال ابن الصايغ الحنفى [3] :

وليلة مرت بنا حلوة ... ان رمت تشبيها بها عبتها
لا يبلغ الواصف فى وصفها ... حدا ولا يلقى لها منتهى
بت مع المعشوق فى روضة ... ونلت من خرطومه المشتهى [4]

ومن المقطعات الأدبية فى جزيرة الروضة والمقياس، قال الشيخ برهان الدين القيراطى [5]، وقد جمع متنزهات الروضة مثل المعشوق والمشتهى والمنتهى :

---

(١) محمود رزق سليم، النيل فى عصر المماليك، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٢) نفسه . وقد ذكر ابن إياس هذين البيتين بصيغة أخرى هى :

لعمرك ما مصر بمصر وإنما ... هى جنة الدنيا لم يتبصر
فأولادها الولدان والحور عينها ... وروضتها المقياس والنيل كوثر

انظر، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥١ .

(٣) ابن الصايغ، هو موفق الدين أبو البقاء يعيش بن على، المتوفى سنة ٦٤٣هـ، شهد أدباء دمشق له برسوخ القدم فى فنون الأدب. انظر : ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ٢٠٧، الحاشية .

(٤) ابن إيابس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٤ .

(٥) هو عبدالله محمد بن عسكر. . أبو محمد (المتوفى سنة ٧٣٩هـ) سمع من الدمياطى وابن دقيق العيد وقرأ الأصول على الباجى والجزرى والعربية على أبى حيان إلى نظم وسط انظر : ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ٢٠٨ (الحاشية) .

وروضة أضحى لها المنتهى　　وحسنها المعشوق والمشتهى
وهى لمن قد حلها روضة　　وجنة فيها الذى يشتهى

وقال أيضا :

رشق القلب بالسهام رشيق　　مشتهى حسنه هو المعشوق
هو فى مصر روضة ومحيا　　ووسيم يصبو إليه المشوق

وقال الشهاب المنصورى :

كأنما الروضة الغناء غانية　　بحبها قلب هذا النيل مشغول
أعطافها من غصون الدوح مائسة　　وريقها من زلال الماء معسول

وقال أيضا :

اسفر وجهها ورنا مقلة　　يا خجلة البدر وظبى الصريم
فى مشتهى وجنته روضة　　تزهو بوجه قمرى وسيم (١)

وقال الشيخ كمال الدين جعفر الأدفوى :

لروضة مصر حسن لا يسامى　　يطيب لمن أقام بها المقام
لها وجهان ممدوحان جسنا　　وذو الوجهين مذموم يلام

وقال على بن رستم المعروف بابن الساعاتى :

انظر إلى روضة الغناء والنيل　　واسمع من بدائع تشبيهى وتمثيلى
وانظر إلى البحر مجموعا ومفترقا　　هناك أشبه شىء بالسراويل
والريح تطويه أحيانا وينشره　　نسيمها بين تفريك وتعديل

وقال :

فى روضة المقياس صوفية　　هم بغية الخاطر والمشتهى
لهم فى البحر أياد علت　　وشيخهم ذاك له المنتهى (٢)

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٥ .
(٢) ابن تغرى بردى، حوادث الدهور، جـ٢، ص ٣٢٥، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٤ .

وللشهاب المنصورى فى المقياس :

تقول لنا مصر أنا خير موطن ... ولا ناس فى الامصار أظرف من ناس
فإن تك أوقات السرور قصيرة ... فلا تقطعوها فىّ إلا بمقياس

وللبدر البشتكى :

انظر إلى مقياس مصر وغن لى ... فى روضة المعشوق فى عشاق
وانظر إلى الأغصان كيف تمايلت ... لسماع نوح الورق فى الأوراق

وقال آخر :

تقول مصر حين قاسوا القرى ... بها أيا من ضيعوا حرمتى
بأى شىء قستمونى به ... وبسطة المقياس فى قبضتى

وللشهاب بن صالح :

إن جئت بحر النيل عدى روضة ... يا مشتهاى وقاتلى من صدّه
ولئن أتتك من العذول ملامة ... فاضرب على قول العذول وعدّه

ومما قيل فى القوس الذى كان بالروضة والذى تخلف من القلعة الصالحية وهو من المتفرجات القديمة ، قال فيه شمس الدين النواجى :

مصر قالت دمشق لا ... تفتخر قط باسمها
لو رأت قوس روضتى ... منه راحت بسهمها (1)

ومن الاشعار التى قيلت فى البرك فى العصر المملوكى .

كتب الصلاح الصفدى إلى بعض أصحابه يتشوق لبركة الفيل :

يا بركة الفيل كم لى فيك من وطر ... وددت لو أشتريه فيك بالعمر
أفديك من بقعة فى الأرض أحسبها ... ترد قول المعرى عند ذى النظر
تطاول الأفق فى حسن وتفضله ... وتكشف الشهب ما فيها من الدرر
يطل من كل دار حولها قمر ... وليس للأفق يا هذا سوى قمر

---

(1) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ1 ، ق1 ، ص 55 .

والماء مثل السما لونا وباطنه ... يشف عن نيرات الأنجم الزهر
قطعت فيها ليالى الأنس مع فئة ... تعلم اللطف منهم نسمة السحر
قد أدبوا الدهر حتى لان جانبه ... فراق أزرق فى الآصال والبكر
من كل من فاق فى فضل وفى أدب ... فما تلفظ إلا جاء بالدرر
إذا سقاك وعاطاك الحديث فما ... يحتاج فيه إلى الألحان الوتر
لو ساعدتنى الليالى زرت ساحتها ... سعيا على الرأس أو سعيا على الشعر
أخبار سكانها فى الظن طيبة ... فليت شعرى هل يدرون ما خبرى (١)

وفى بركة الرطلى يقول الشيخ شمس الدين بن الصايغ الحنفى :

فى أرض طبالتنا بركة ... مدهشة للعين والعقل
ترجح فى ميزان عقلى على ... كل بحار الأرض بالرطل (٢)

وقيل فيها :

انظر إلى بركة الرطلى مبتهجا ... واشرح محاسنها يا أيها الحاكى
الماء والبنت والحور الحسان بها ... كأنها جنة حفت بأملاك

وقال آخر :

قد قلت فى بركة الرطلى إذ جمعت ... من البدور وأصناف الملاح زمر
إن كان فى الفلك الأعلى يرى قمر ... فهذه فُلك دارت بألف قمر

وقال الشهاب المنصورى :

دعوتك فانهض مسرعا يا أخا الفضل ... لنشرب أرطالا على بركة الرطلى
فقد سل كف الخصب سيف خليجه ... ليضرب عنق الجدب أو هامة المحلى
وقد مدت الأدواح أيدى غصونها ... إلى النيل تستحلى لماه وتستجلى (٣)

---

(١) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٦٠ .
(٣) نفسه .

وقال على بن سودون مواليا :

يا بركة الرطلى ليش روحى لكى ترتاح ... لأن ما فيك لا غولة ولا تمساح

كم من فتى استحي اليكى راح ... خلع عذارو وصار فيك خليع مشكاح

وقال المنصورى فى الجسر الذى بالبركة :

وبى ليلة بالجسر فيها تجاسرت ... يداى على شرب المدامة بالرطلى

وقد سنح الأرام فى ضوء بدرها ... فإن خفن من واش تسترن بالظل

فقم نجتليها من غزال مسلط ... بكسرة أجفان على صحة العقل

وقال المنصورى فى الجنينة التى بجوار بركة الرطلى :

كم بالجنينة من قتيل حشيشة ... لا يستفيق ولا بنفخ الصور

وهبت له الخضراء من أفعالها ... آذان أطروش وعين ضرير

وقال فيها أيضا :

كم بالجنينة من أصم أبكم ... ورجلاه فى قيد وعيناه فى قفل

أشبهه فى خلقه بابن آدم ... مجازا وفى أكل الحشيشة بالعجل

يحاول منه الناس رد جوابهم ... وكيف برد القول من مات بالقتل

أيصغى بلا سمع أيومى بلا يد ... أيرنو بلا عين، أيمشى بلا رجل

وقيل :

بمصر لأهل اللهو والتيه بركة ... تولع بالحشيش أولو العقل

ويبلغ رطلا كل من رام أرضها ... ومن أجل هذا سميت بركة الرطلى [(١)]

وكان من مفترجات القاهرة قديما وكان يعرف بالتكة، وخليج الذكر، وكان مكان الأزبكية الآن، وفيه يقول العمار :

يا طالب التكة نلت المنى ... وفزت منها ببلوغ الوطر

قنطرة من فوقها تكة ... وتحتها تلقى خليج الذكر

---

(١) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ٢١١ .

وفى بركة الأزبكية ينشد الشيخ شمس الدين القادرى :

يا حسنها بركة بالحسن ما برحت ... تزهو على سائر الخلجان والبرك
تجمع الحسن فيها من معادنه ... فأصبح الحسن فيها غير مشترك
حفت بدارتها الأقمار فهى بهم ... تضئ فى حندس الديجور والحلك
مرآة حسن فربات الجمال بها ... مثل الشمس تُرى فى دارة الفلك
وعندما نصبت أشراك بهجتها ... صادت طيور قلوب الناس بالشرك (١)

وقال المنصورى فى جزيرة أروى والزربية :

قم سيدى نسعى إلى فرج زهت ... ما بين أملاق وبين جسور
ونرى زرابيا بها مبثوثة ... تسبيك بالولدان أو بالحور

وقال آخر :

إذا رحت بالجزيرة كى اعدى ... أرى خلقا كخيل للطراد
فاذكر يوم حشر الخلق طرا ... وأدعو بالسلامة فى المعاد

وقال ابن أبى حجلة :

أمسيت فى قصب الجزيرة مغرما ... ويقده العسال كالولهان
عيدانه لولا حلاوة ذوقها ... شبهتها فى الشكل بالمران

ولابن قادوس فى الجزيرة :

أرى سرح الجزيرة من بعيد ... كأحداق تغازل والمغازل
كأن مجرة الجوزاء خُطت ... وأنبتت المنازل فى المنازل (٢)

وقيل فى موردة الحلفا :

بدا الشعر فى الخد الذى كان يشتهى ... يبين للمحبوب حالى وما يخفى
وقد كانت الوجنات بالأمس روضة ... من الورود وهى الآن موردة الحلفا

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق ١، ص ٥٩ .
(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٨ .

وقيل فى جزيرة الطمية لابن مكانس :

بأبى الطمية جنة قد زخرفت ... حور وولدان بها ورحيق
لى فى ربى قيناتها الرتب العلى ... ولها بقلبى هزة وعلوق

وقال الشيخ إبراهيم المعمار فى جزيرة حليمة :

جزيرة البحر هامت ... بها عقول سليمة
لما حوت حسن معنى ... وبسطة مستقيمة
فكم يخوضون فيها ... وكم مشوا بنميمة
ولم تزل ذى احتمال ... ما تلك إلا حليمة (١)

وقيل فى بولاق، لبعضهم زجل :

فى جزيرة بولاق رأينا عجب ... أسد ساروا معهم ظبا شاردين
حين رأينا ذيك الوجوه الصباح ... أذهلونا خضنا مع الخائضين (٢)

وقال الشيخ شمس الدين النواجى فى منية السيرج :

أركب النيل ما استعطت ففيه ... راحة الفتى وغاية بغيه
كم تفرجت حين سافرت فيه ... فى بلاد وكم ظفرت بمنيه (٣)

وقيل فى كوم الريش، وهى من المفترجات القديمة :

انظر إلى كوم ريش قد غدا نزها ... للبّ كل سليم الطبع يجتلب
به بحار لآلى قد حوت قضبا ... من الزبرجد منها يحصل العجب
ولا تقل كوم ريش ما له ثمن ... فإنّ بالريش حقا يحسن الذهب

وقيل فى قناطر الأوز، وبرك البشنين:

فى مصر تُعزى للأوز قناطر ... يصبو النديم بها لخمرة كأسه
وحكى بها البشنين شخصا خائضا ... فى الماء لف ثيابه فى رأسه

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٦ .
(٢) نفسه، ص ٥٨ .		(٣) نفسه، ص ٥٩ .

وقال ابن حجة فى التاج والسبع وجوه وكان من مفترجات مصر قديما :

سبع وجوه لتاج مصر ... تقول ما فى الوجود شبهى
وعندنا ذو الوجوه بهجى ... وأنت تاج بفرد وجه [1]

وفيه يقول الصاحب فخر الدين بن مكانس، من موشح :

والتاج يعلو فوق هام الزهر ... والسبعة الأوجه ذات البشر
وكل وجه حولها كقصرى ... مثل بروج حل فيها بدر

وقد أتى فى كل برج سعد [2]

وقال الصاحب فخر الدين بن مكانس فى بئر البلسان بالمطرية من موشح :

انظر إلى أنوار بئر البلسم ... فهى سبيل صحتى من سقم
لكونها فيما يقال تنتهى ... إلى المسيح السيد ابن مريم

يحيى بإذن الله ميت اللحد [3]

وقال :

بئر لها التعظيم والجلالة ... بدرا أنارت واستدارت هاله
أنموذج الفردوس لا محاله ... لها على الجنة أى دلاله

تذكر الناس نعيم الخلد [4]

وقد حمل لواء الأدب فى العصر العثمانى أسرة السادة البكرية، وقد امتازت المدرسة البكرية الأدبية فى أشعارها ونثرها بوصف الحدائق والبساتين والقصور والبرك والنسيم العليل وما يتركه فى النفس من أثر [5]، وقد حظيت بركة الأزبكية بنصيب وافر فى مطارحاتهم الأدبية لأن معظم إقامتهم كانت بقصورهم عليها.

وقد وصف الرحالة الأديب عبد الغنى النابلسى البيئة العلمية للبكرية بقوله اثناء زيارته

---

(١) نفسه، ص ٦١.
(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٦٢.
(٣) نفس المصدر والجزء، ص ٣٤، ٣٥.
(٤) نفس المصدر والجزء، ص ٥٧ ـ ٥٨.
(٥) محمد سيد الكيلانى، الأدب المصرى فى ظل الحكم العثمانى، ص ١٢٩.

مصر ونزوله ضيفا عليهم سنة ١١٠٥هـ : « . . ثم لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى منزل الهمام، بركة الأنام، الشيخ زين العابدين البكرى الصديقى، فتلقانا بصدره الرحب وجلست عند حضرته حصة من الزمان فى مجلسه المطل على بركة الأزبكية ذات الروح والريحان، التى فيها نفحة من نفحات الجنان، وتذاكرنا معه فى بعض المسائل العلمية، والمطارحات الأدبية، والقصائد الشعرية، واجتمعنا هناك عنده بقريبنا وعزيزنا الفاضل الكامل محمد أمين المحبى[1] الشامى، وبصديقنا الفاضل الأديب الشيخ شاهين فتح الله، وقد أنزلنا الشيخ فى دار لصق داره، بحيث لم نخرج عن ظله وجواره» [2].

وقد استأثرت بركة الأزبكية بكثير من كتابات الأدباء المصريين أو الزائرين لها فى العصر العثمانى، وقد جمعتهم الحضرة البكرية على شواطئها، ومن قصيدة للمحبى حرص فيها على ذكر البركة بالإضافة لمدحه للشيخ زين العابدين البكرى، قال :

يا حبذا خضر الخمائل فى رياض الأزبكية
وخفوق أردية النسيم سرى ببقعتها الندية
أرض تكتنفها الحدائق والرياض الأريضية
وتعطرت أرجاؤها بالرايحات المندلية
فنواجه بشذا العبير وعابقات عنبرية
وترغت أطيارها سحرا بأصوات شجية
وإذا تأملت القصور ربها عرفت لها المزية [3]

وللنابلسى فى بركة الأزبكية :

رعى الله من مصر على القرب موردا به النيل وافى ماؤه يذهب الصدا
له الحظ من كل النفوس تشوقا إليه وقد مدت عليه العلا يدا
يسمونه بالأزبكية بركة مباركة كل المياه لها فدا
تظل بها الأمواج ترسم نقشها كوجه عروس لاح فى الحسن مفردا
يباكرها ريح الصبا فيمسها ويكثر فيها بالعشى ترددا

---

(١) هو صاحب كتاب خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر.
(٢) الحقيقة والمجاز، ص ١٨١.
(٣) نفسه، ص ١٨٤.

إذا زال فيها الماء كانت حديقة ... فتلبس ثوبا أخضرا وموردا

وإذا قل الماء إذ زال بعضه ... فروض على شط حكى النهر قد بدا

ومن حولها تلك القصور تزخرفت ... وجلت بها فيها وزادت توددا

وفيها شبابيك عليها مطلة ... وعيدانها صيغت لجينا وعسجدا (١)

وينتقل النابلسى بعد ذلك إلى مدح الشيخ زين العابدين البكرى، والنابلسى أيضا فى بركة الأزبكية :

وبركة مباركة ... لأزبك الأتابكة

تكاد من إشراقها ... تنزلبا الملائكة

مصر بها فى عصرنا ... قد فاخرت ممالكه

منبسط الماء بها ... تبدى الصبا سبأيكه

وقانص الأسماك قد ... أوردها شبأيكه

كم حولها قصر زها ... بمده أرأيكه

وماؤها إن جف ... فهى روضة مباركه

يسرح فيها الطرف لا ... يدرى بها مسالكه

وكم بها من جؤذر ... يحوى العيون الفاتكه

وكم هنا طالع ... بدر الليالى الحالكه

وكيف لا وهى التى ... تهدى بليل سالكه

يسر بيت مفرد ... ما أن ترى مشاركه

بيت الكمال والهدى ... البكرى نعم ذلك

لم يزل الفخر له ... وما عداه تاركه

كوكبه زين العبا ... د المقتفى مداركه

بحر العلوم كامل ... فى كل فن شاركه

وكم من غريب ضايع ... ربى به تداركه

وكم به من همة ... قامت وكانت مباركه (٢)

وأقول فى النهاية أن جزءًا كبيرًا من كتب الأدب المملوكية والعثمانية لا تزال مخطوطة وتحتاج للنشر .

---

(١) الحقيقة والمجاز، ص ١٨٦ .

(٢) الحقيقة والمجاز، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .



الفهـــرس


Converted by Tiff Combine - (no stam, s are a, , lied by re, istered version)

ثبت اللوحات

لوحة (١٧) الاحتفال السنوى بكسر سد الخليج « عن : وصف مصر »

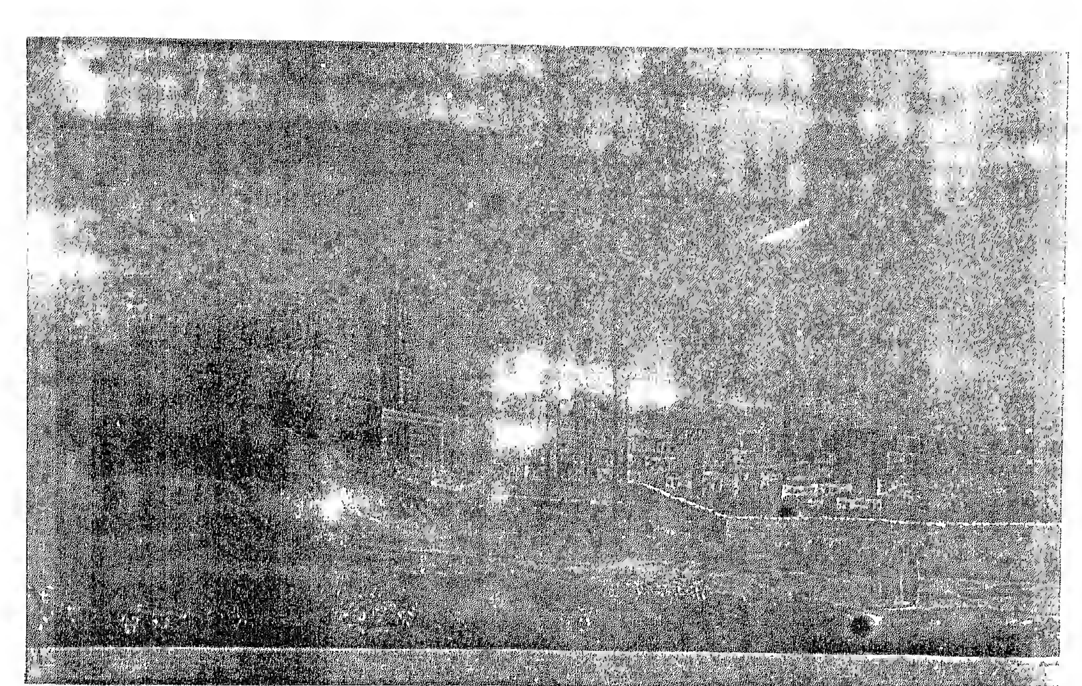
لوحة (١٨) بقايا مناظر الكبش

لوحة (١٩) شجرة مريم بالمطرية

لوحة (٢٠) لحفلة الدوسة التى تتم بمولد النبى بالازبكية « عن : ثروت عكاشة، مصر فى عيون الغرباء ، جـ ٢ ، ص ٣٤١ »

لوحة (٢١) منظر خارجى لجامع أثر النبى

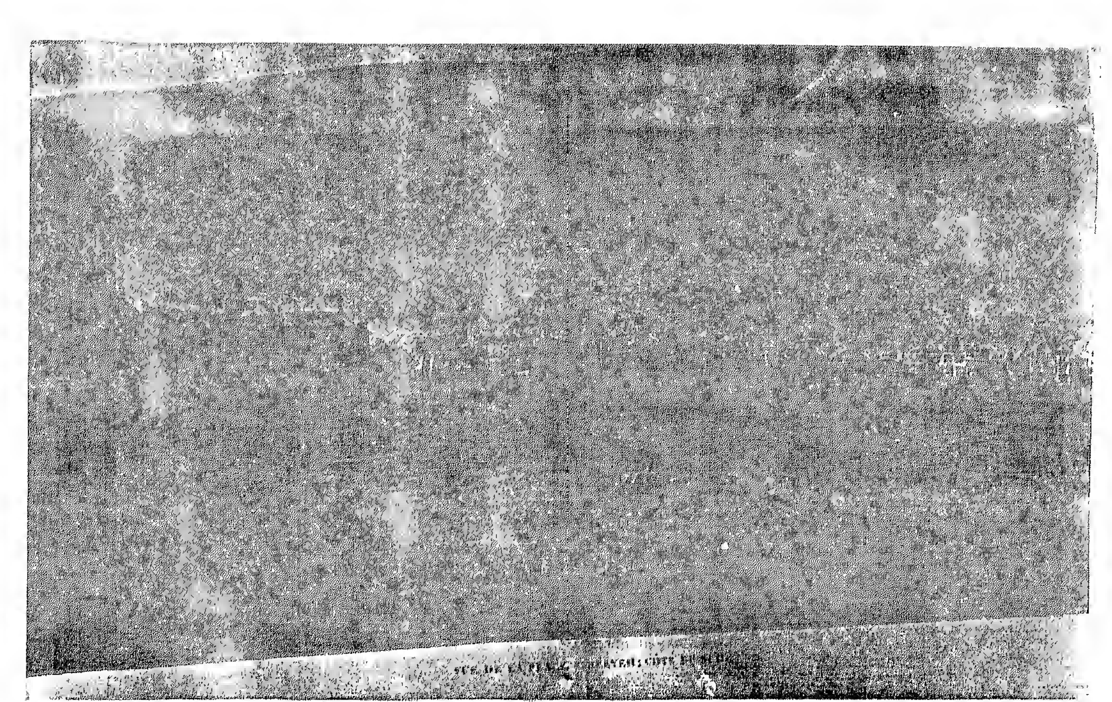
لوحة (٢٢) الدخلة التى تحوى آثار الاقدام ويعلوها لوح رخامى بها نص كتابى باللغة التركية



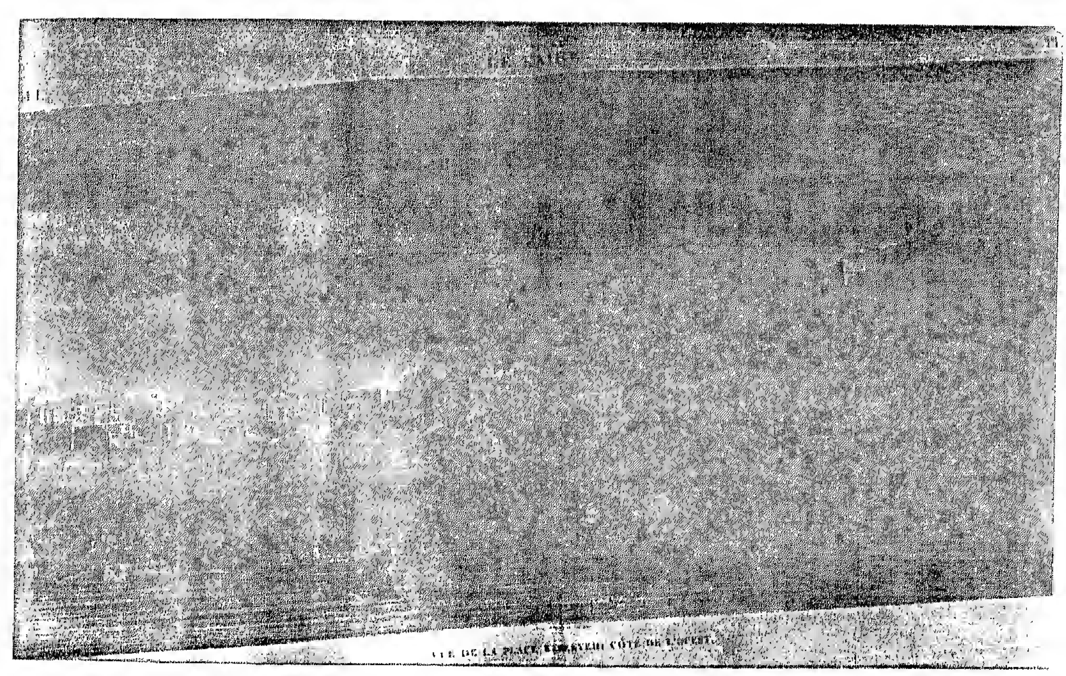
(٥) منظر مأخوذ للحديقة الواقعة بالغرب من باب الناصرية ويظهر باللوحة مسجد قانى باى الرماح « عن : وصف مصر »



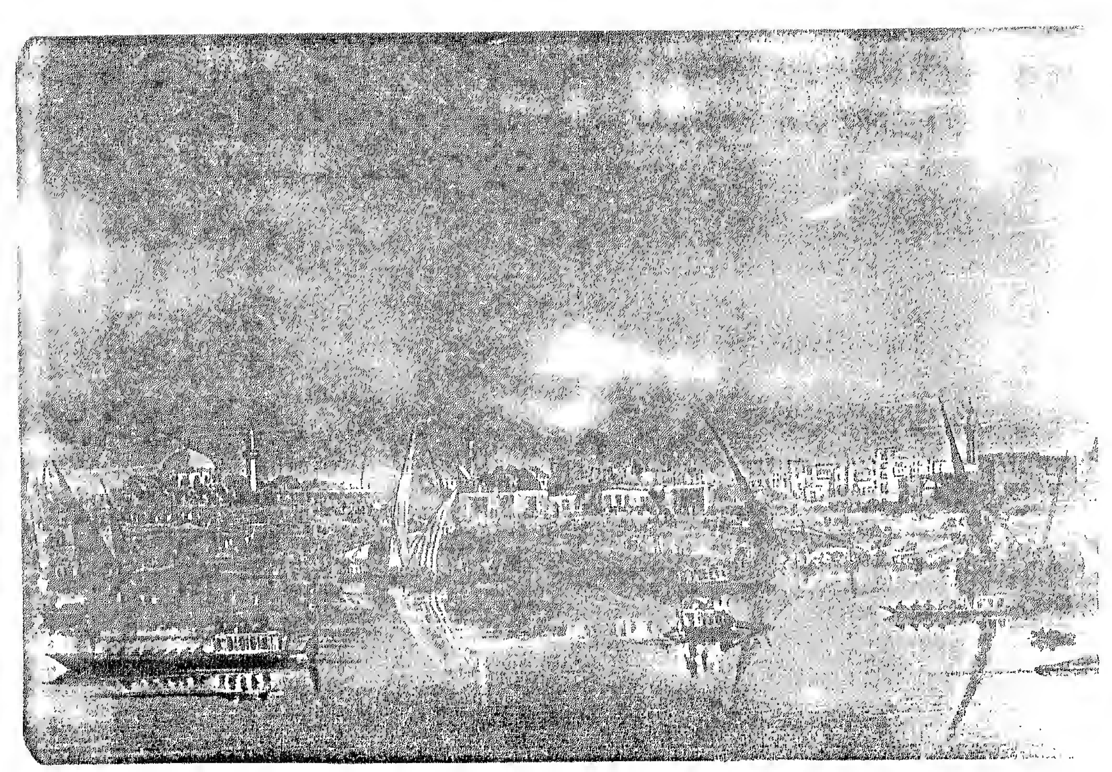
(٦) منظر لحديقة وبركة قاسم بك (أبو الشامات) «عن : وصف مصر»



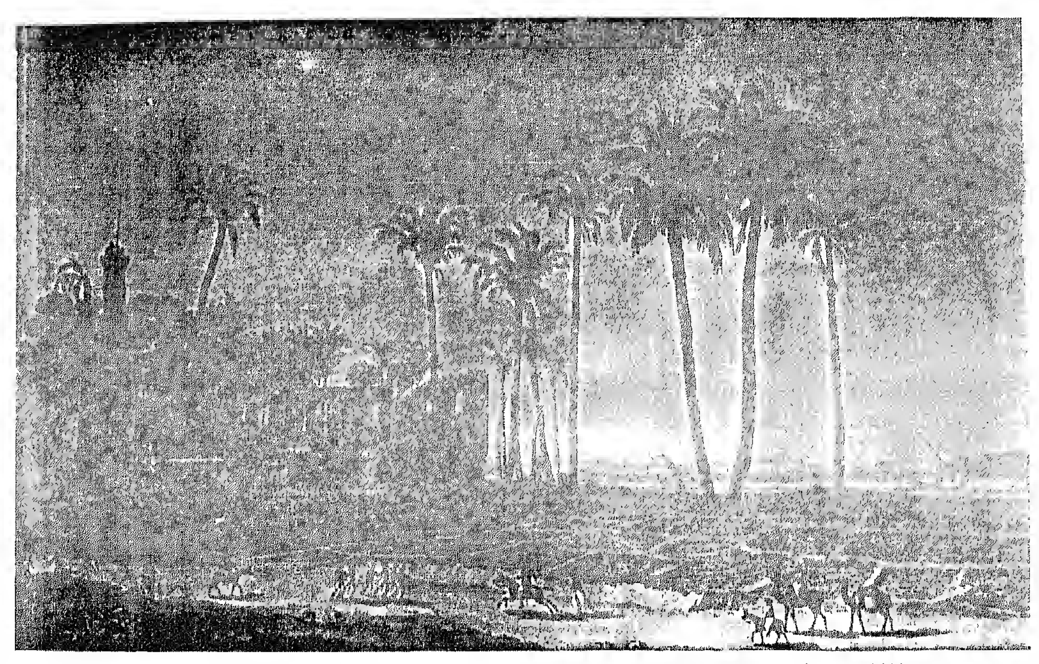
(٧) منظر لحديقة الأزبكية من جهتها الجنوبية « عن : وصف مصر »



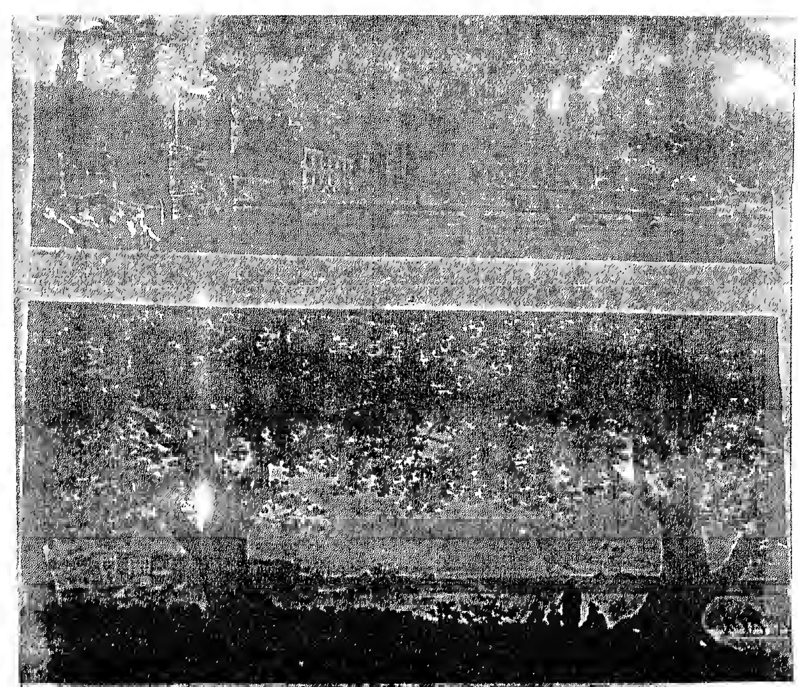
(٨) منظر لبركة الأزبكية من الجهة الغربية « عن : وصف مصر »



(١)   منظر عام لبولاق وميناثها



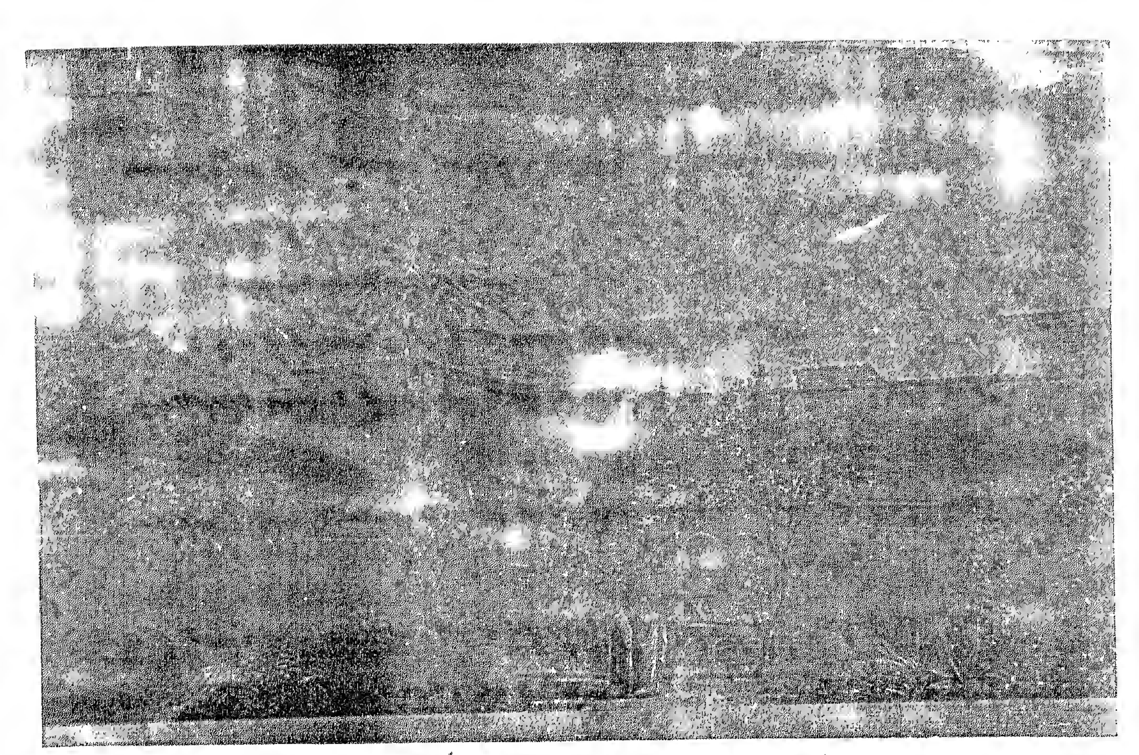
(٢)   جامع مهدم بالطرف الشمالى لجزيرة الروضة حوله الفرنسيون إلى طاحون « عن : وصف مصر »



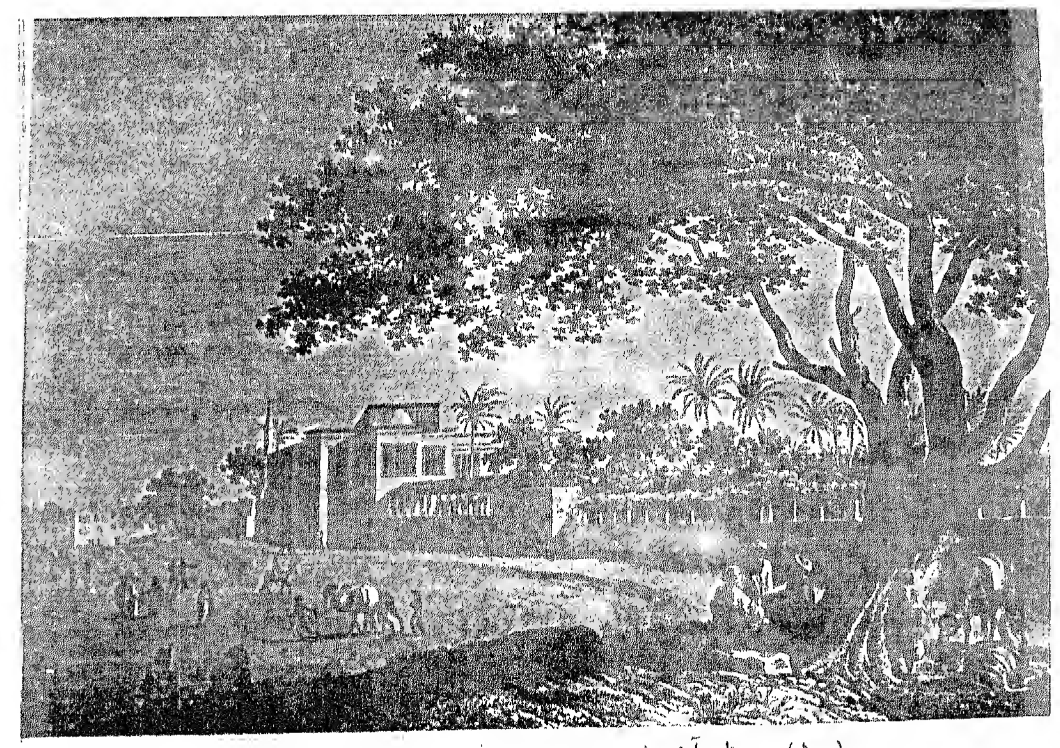
(٣) المنظر العلوى لجسر على سيالة الروضة أمام القصر العينى
والمنظر السفلى لطريق الجميز بجزيرة الروضة «عن : وصف مصر»



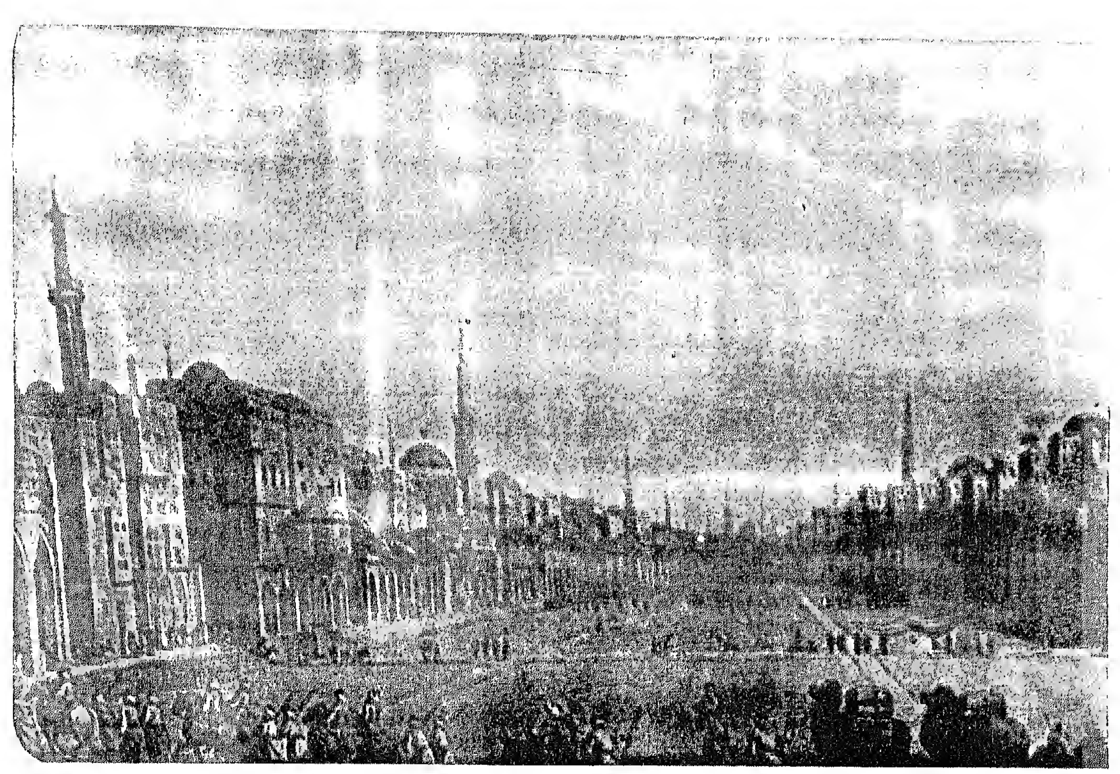
(٤) بركة الفيل أيام الفيضان وبالصورة مراكب النزهه وأحد العازفين
وسط شخصين من المتفرجين « عن : وصف مصر »



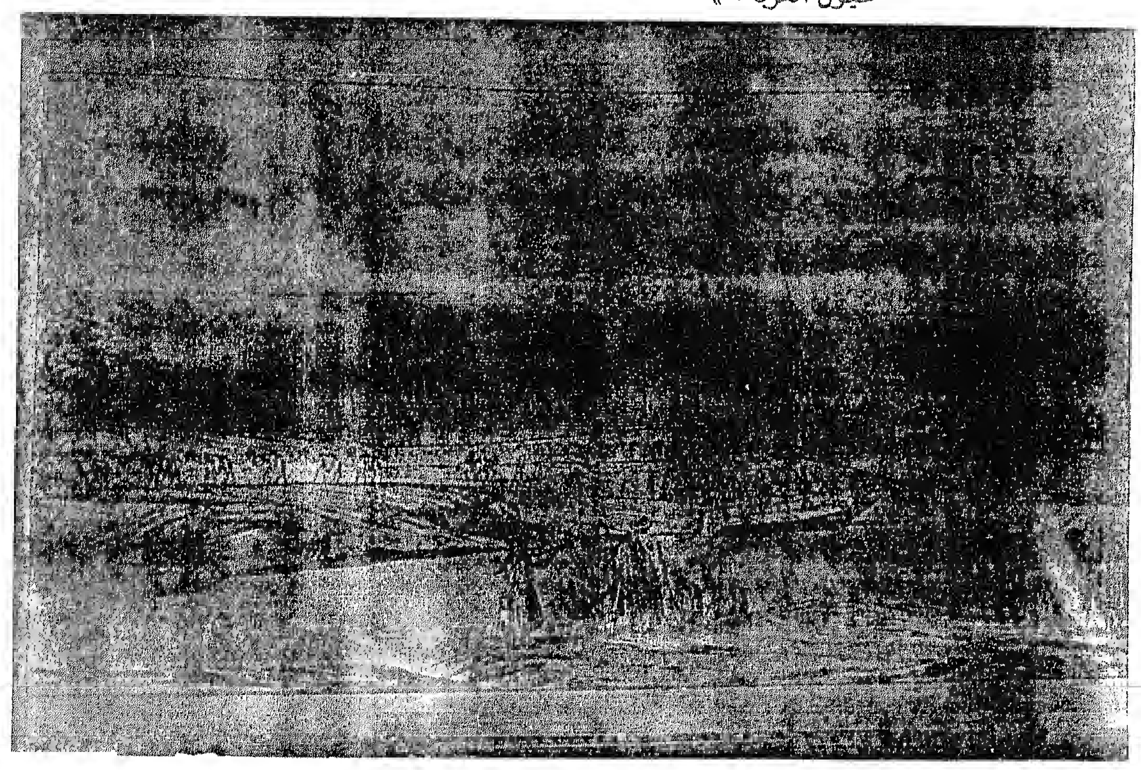
(٩) منظر لحديقة وقصر الالفى على بركة الأزبكية «عن : وصف مصر»



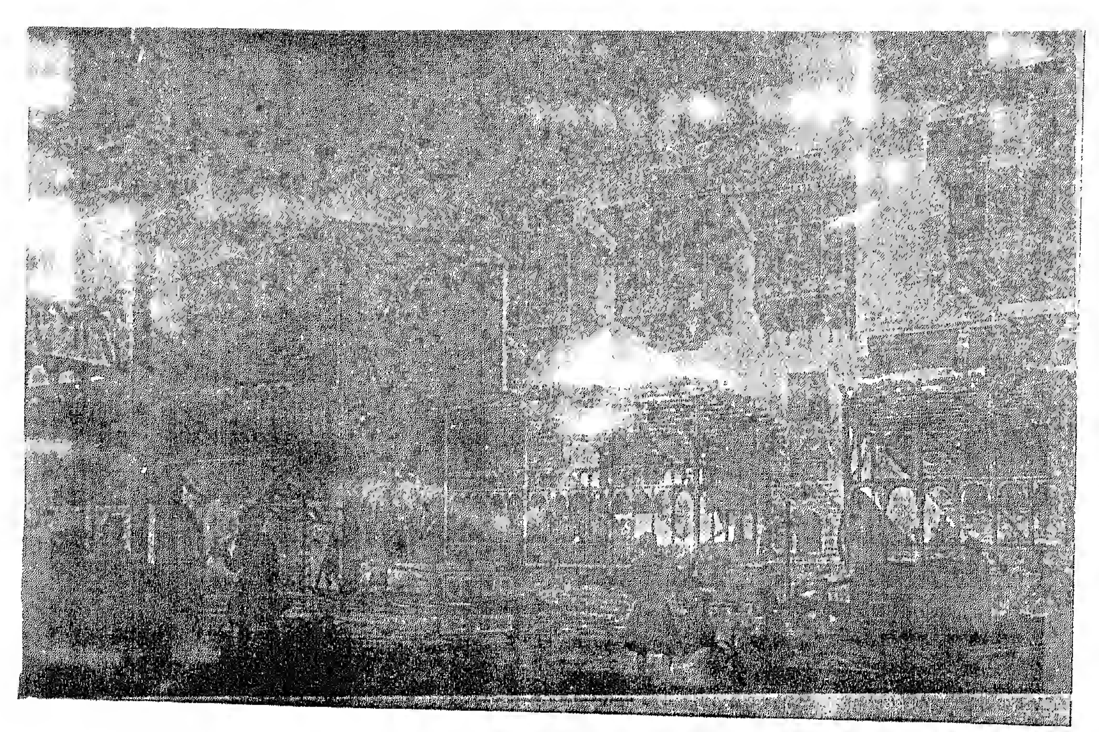
(١٠) منظر آخر لحديقة وقصر الالفى « عن : وصف مصر »



(١١) قصر مراد بك على بركة الأزبكية « عن : ثروت عكاشة ، مصر فى عيون الغرباء »

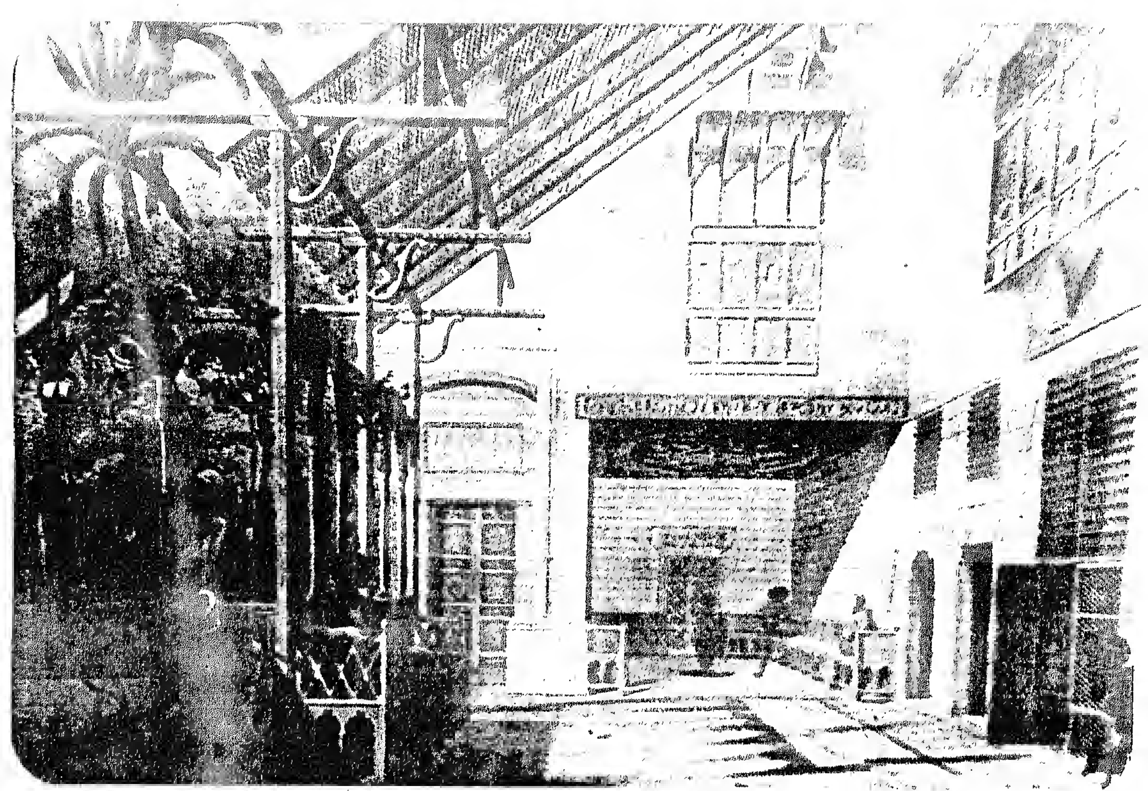


(١٢) فم الخليج وبدايته أمام قناطر مجرى العيون «عن : باسكال كوست»

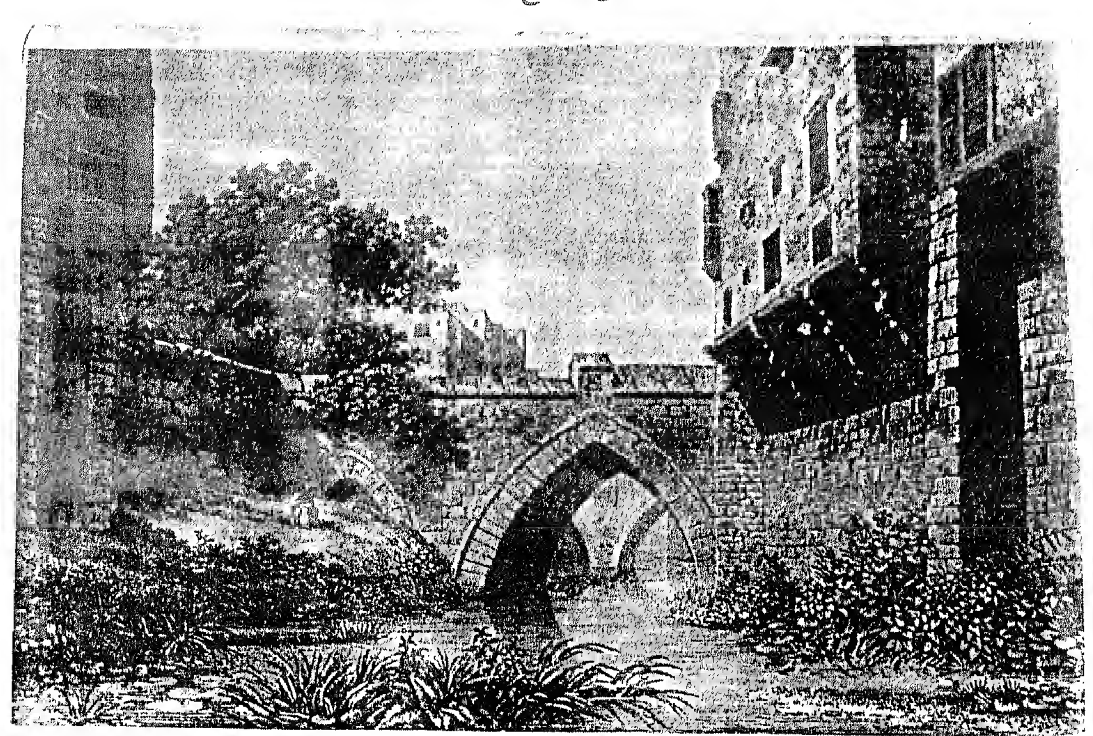


(١٣) منظر الخليج وما يحف به من الدور ذات المناظر والمقاعد والمشربيات
وما يجرى على مياهه من الشخاتير « عن : باسكال كوست »

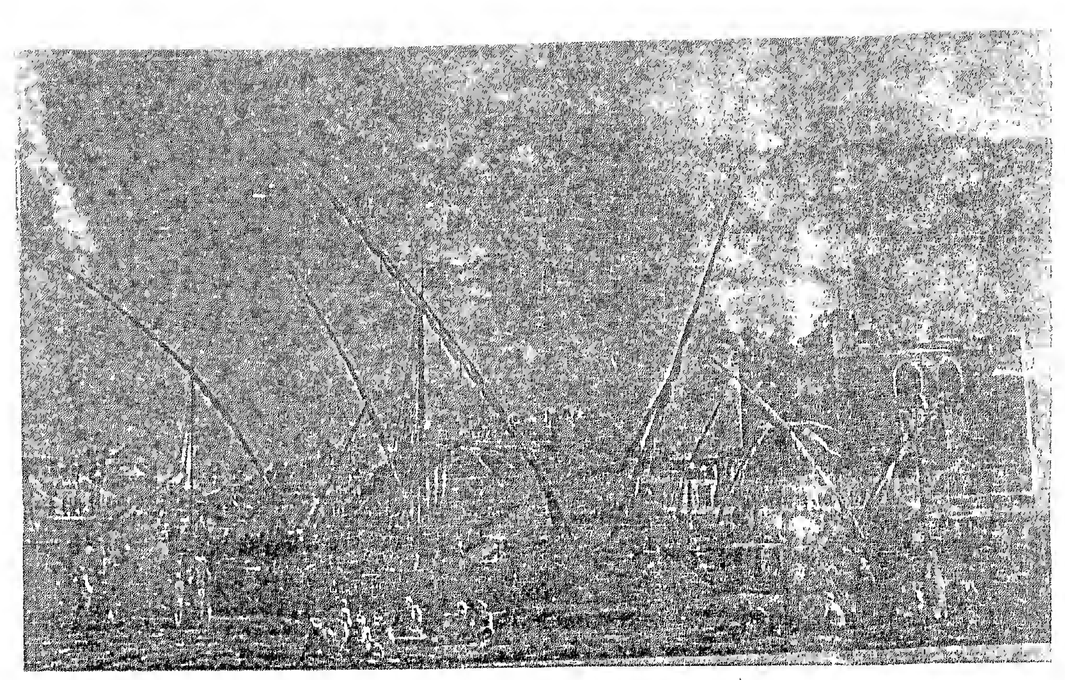
(١٤) منظر الخليج وأحد البيوت ذات المقاعد والمشربيات بحافته .



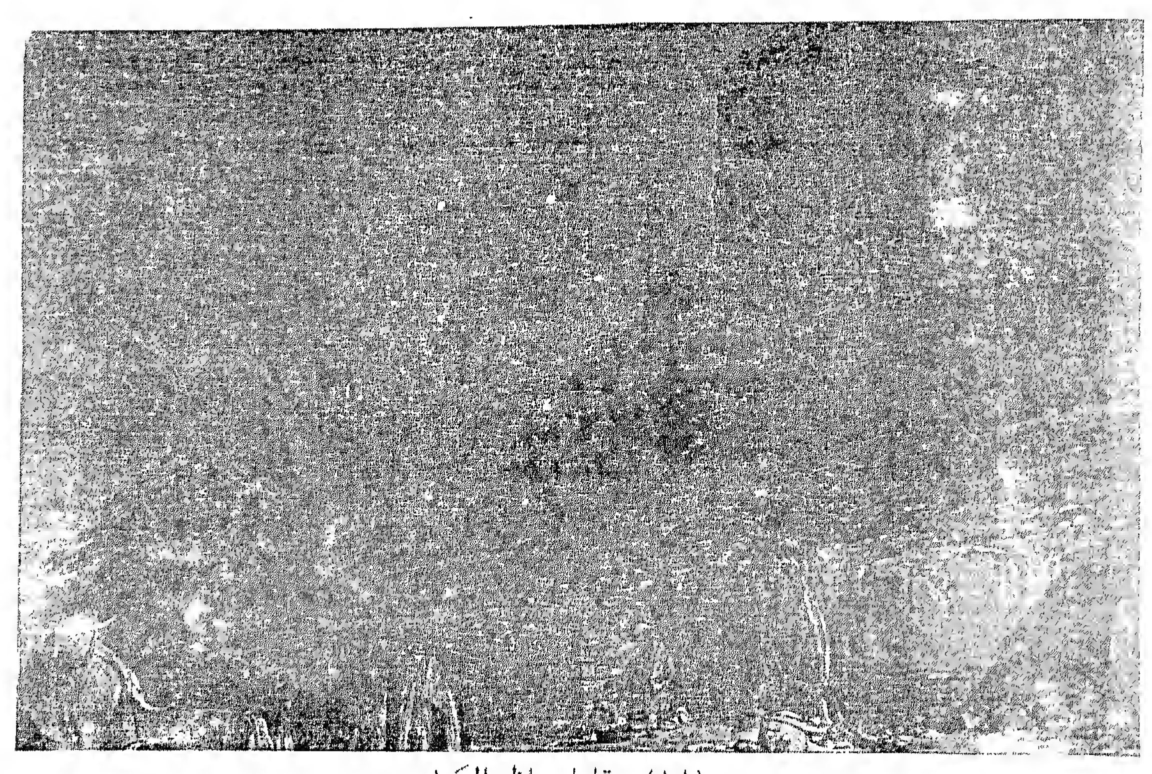
(١٥) شرفه (منظره) مطله على الخليج « عن : باسكال كوست »



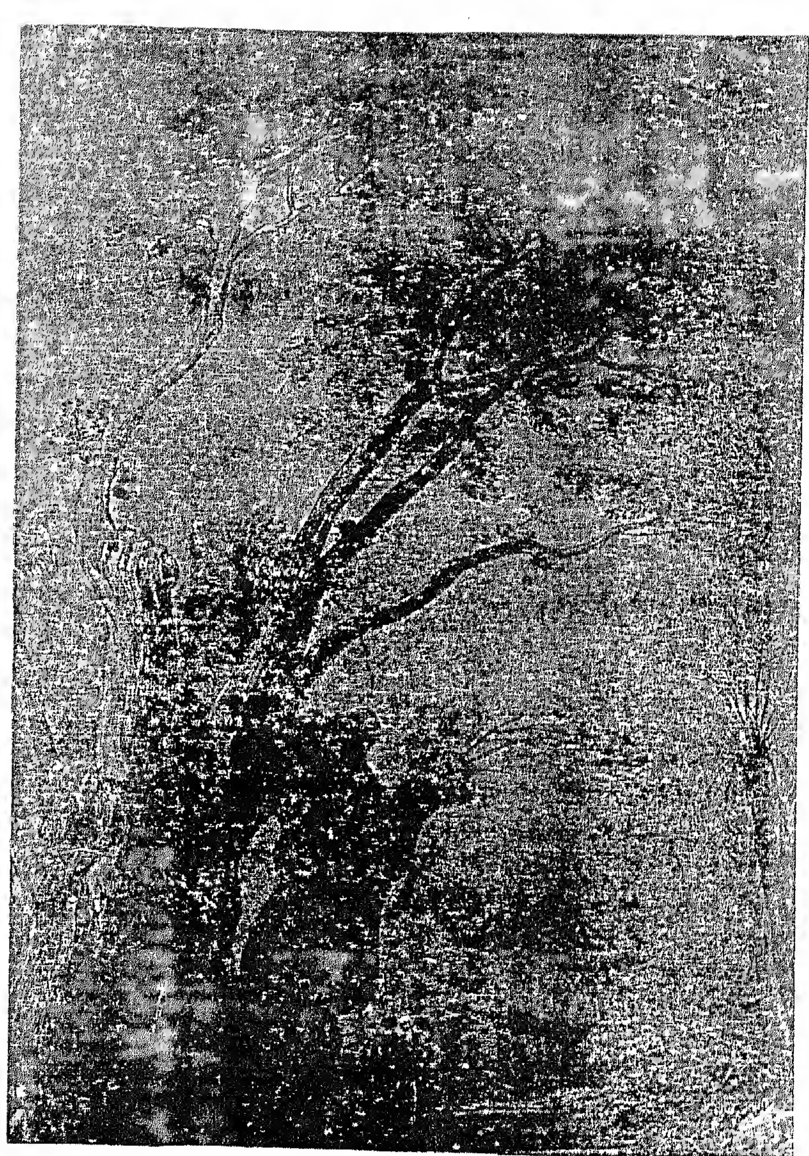
(١٦) أحدى القناطر على الخليج تتكون من عقدين ذات قطاع مدبب وعليها رنك سلطانى « عن : وصف مصر »



(١٧) الاحتفال السنوى بكسر سد الخليج « عن : وصف مصر »



(١٨) بقايا مناظر الكبش

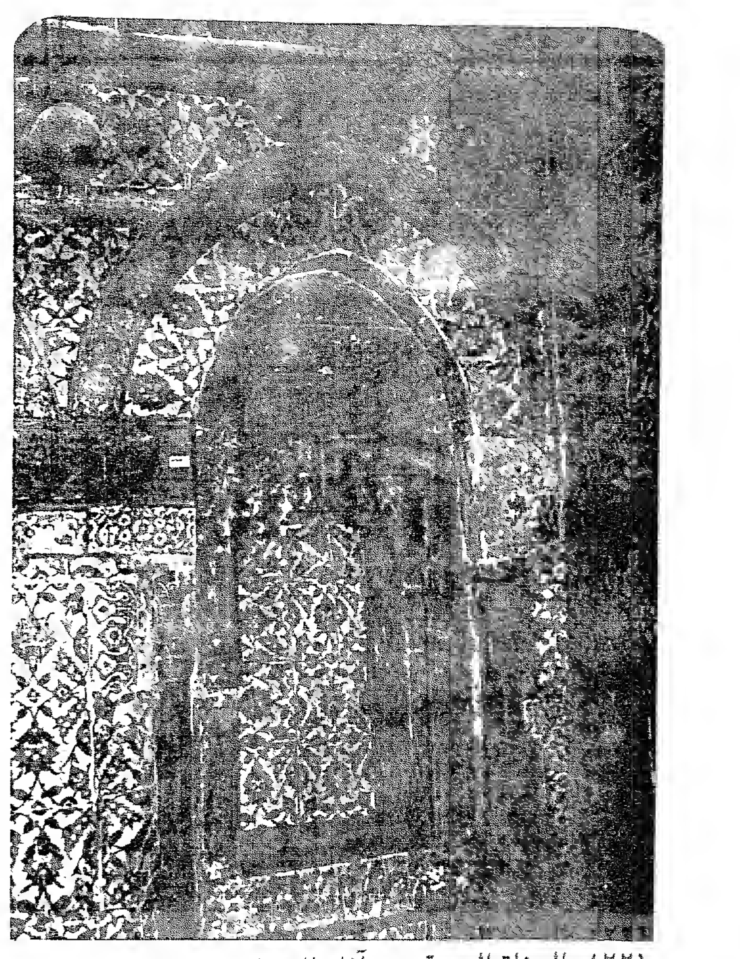


(١٩) شجرة مريم بالمطرية



(٢٠) لحفلة الدوسة التى تتم بمولد النبى بالازبكية « عن : ثروت عكاشة، مصر فى عيون الغرباء ، جـ ٢ ، ص ٣٤١ »

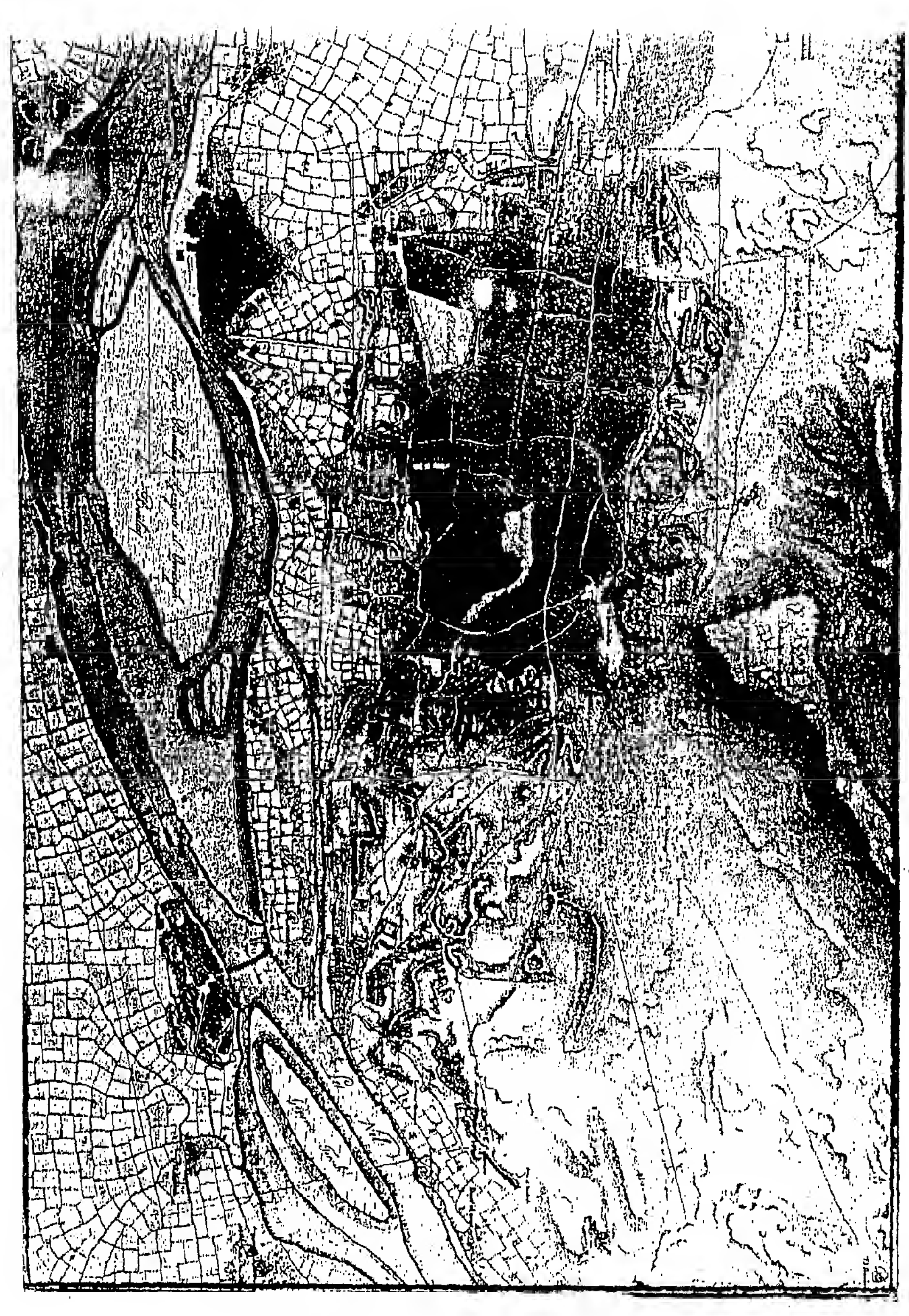
(٢١) منظر خارجى لجامع أثر النبى



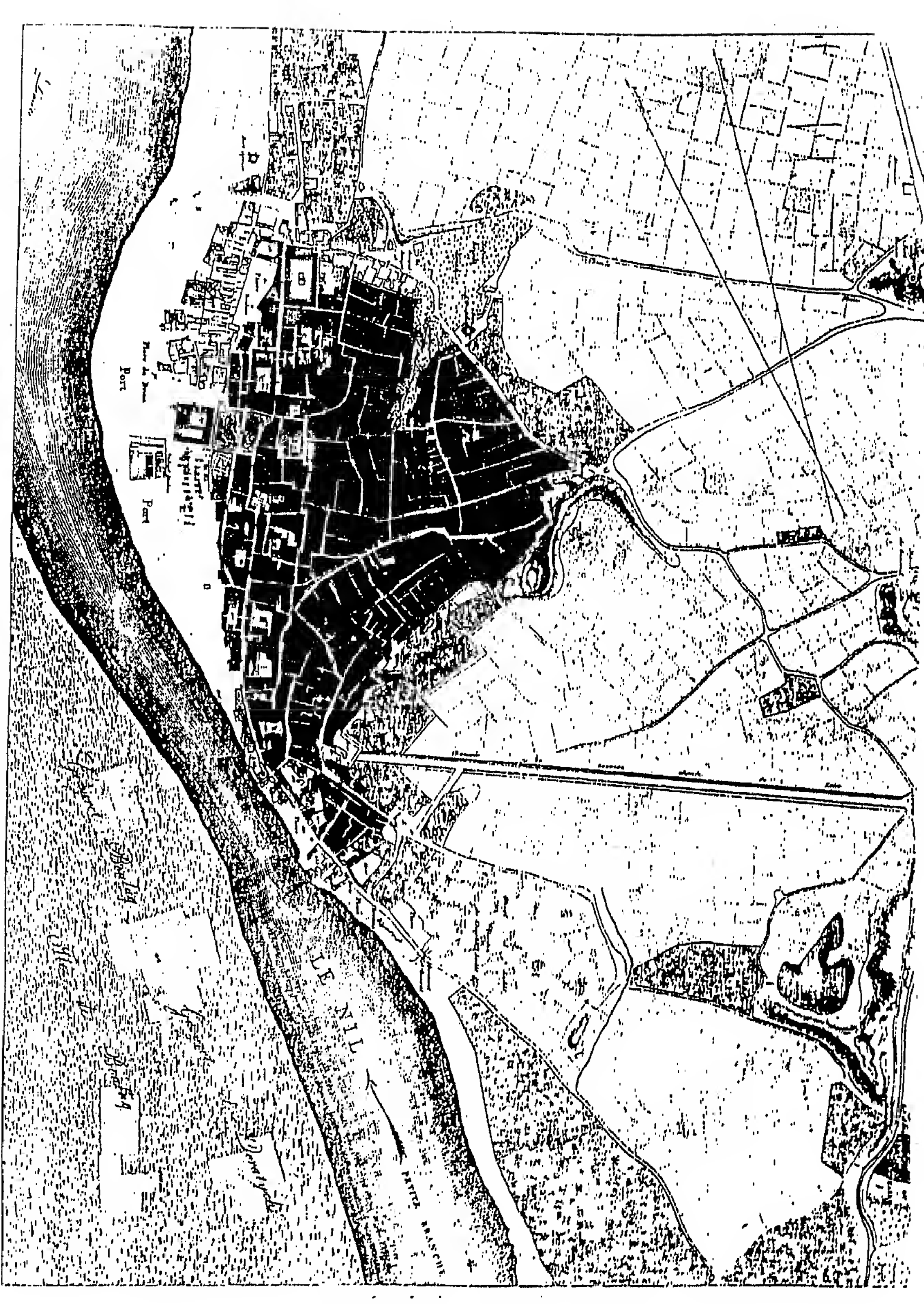
(٢٢) الدخلة التى تحوى آثار الاقدام ويعلوها لوح رخامى بها نص كتابى باللغة التركية

ثبت الأشكال

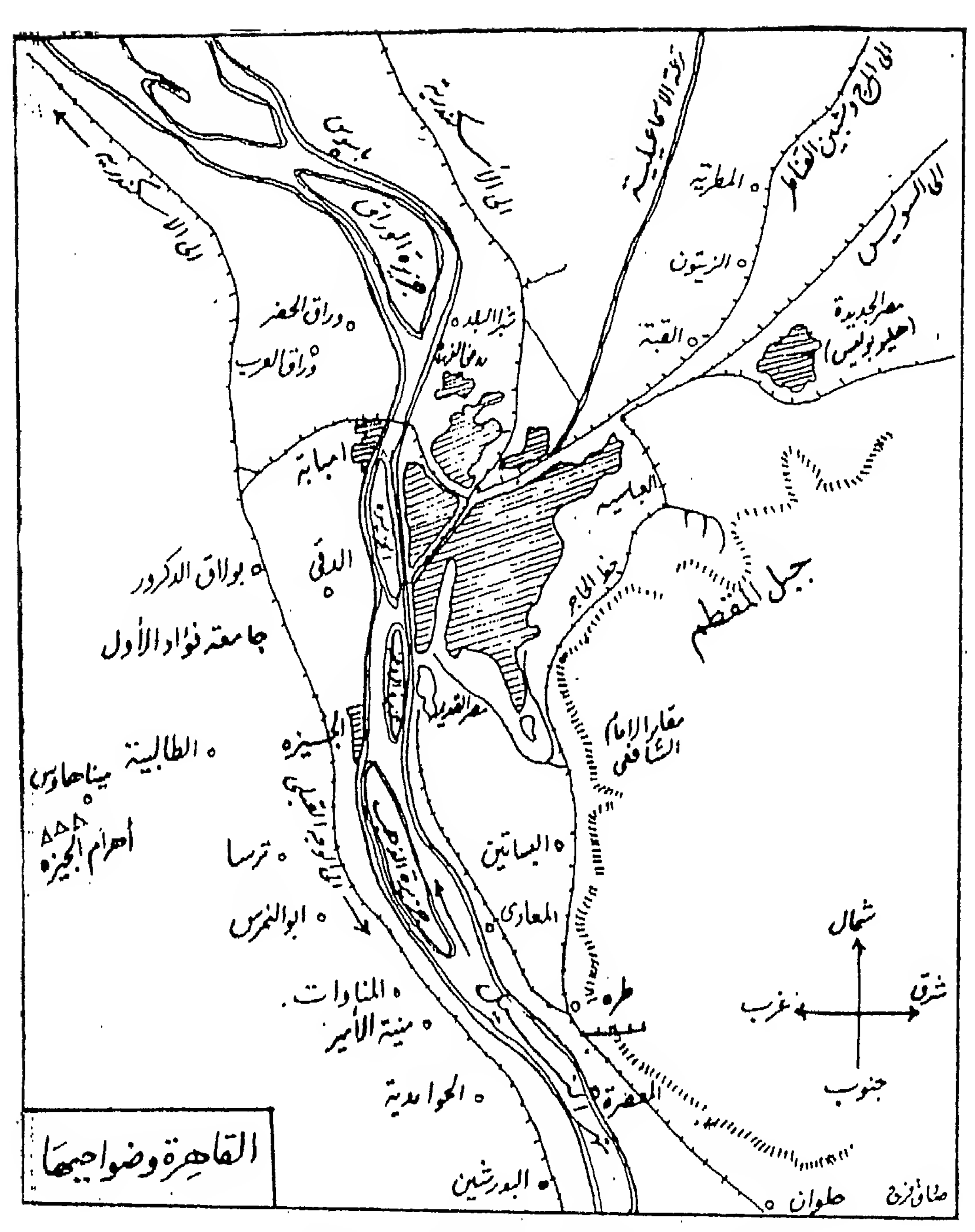




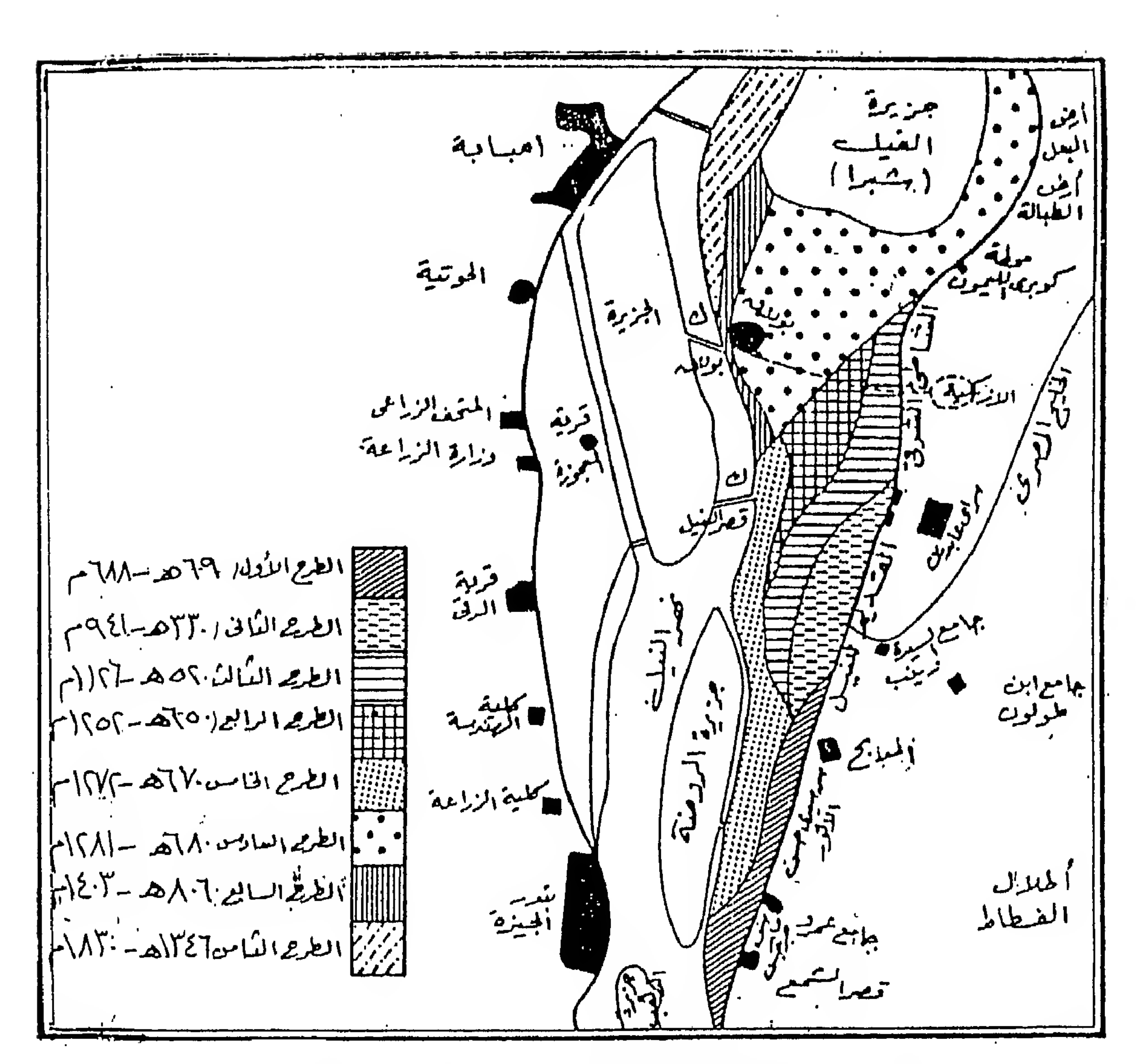
(١) القاهرة فى أيام الحملة الفرنسية على مصر « عن : وصف مصر »



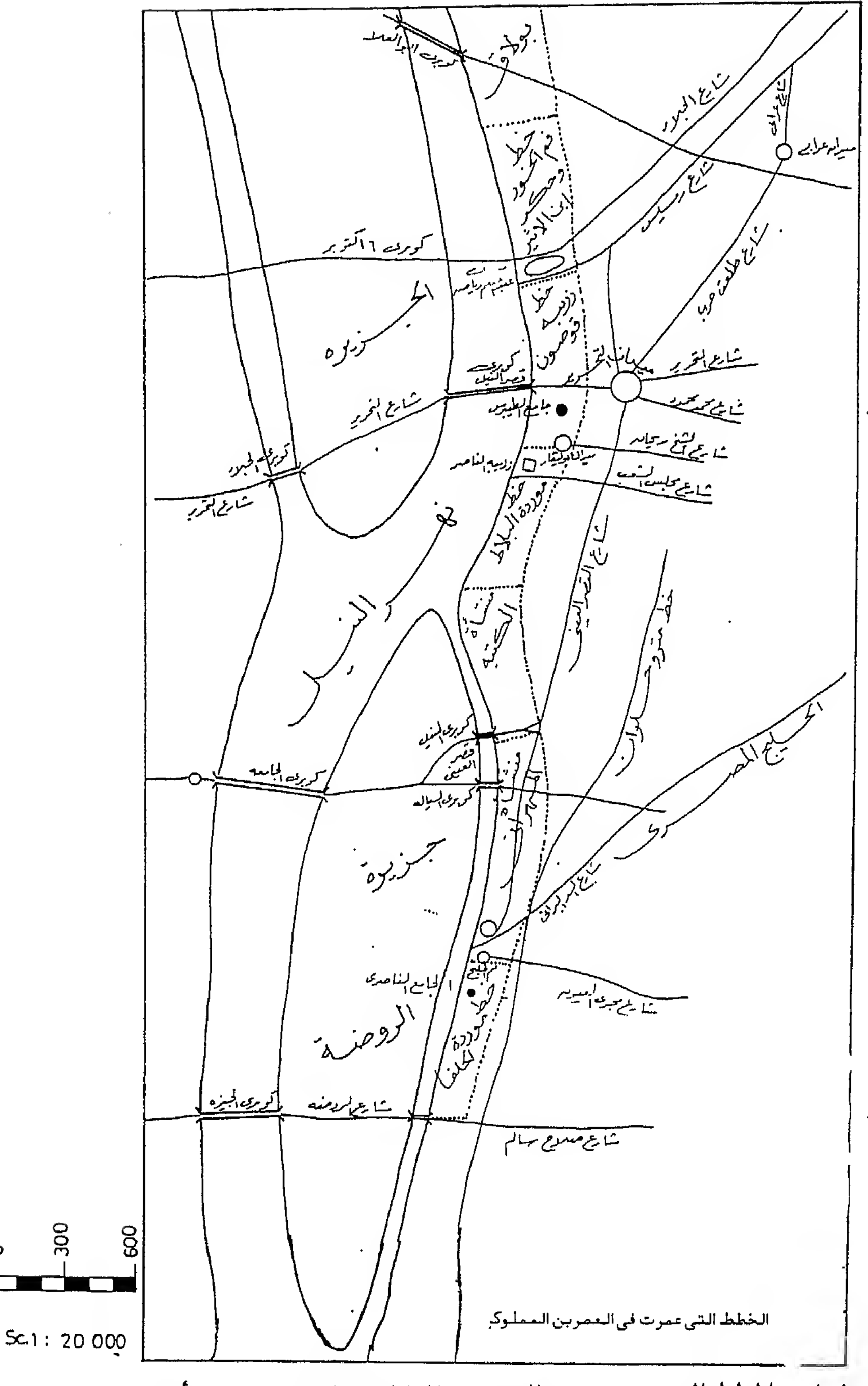
(٢) خريطة الحملة الفرنسية لبولاق



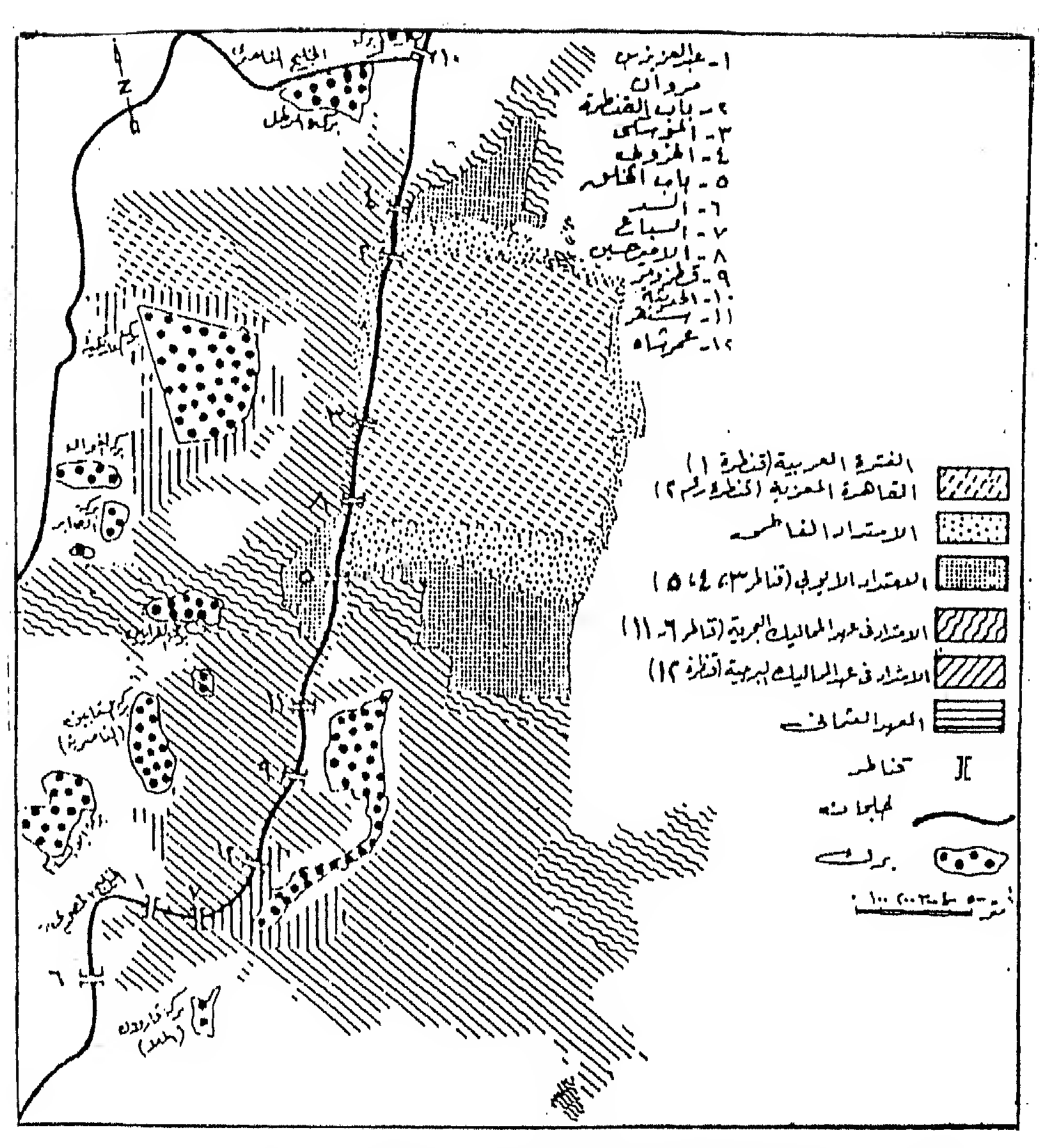
(٣) الضواحي التي دخلت في حدود القاهرة الكبرى الآن



(٤) مراحل طرح النيل بالقاهرة من سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨م حتى سنة ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠م بتصرف عن محمد رمزى ، مجلة العلوم ، السنة التاسعة ، ص ٥١٧

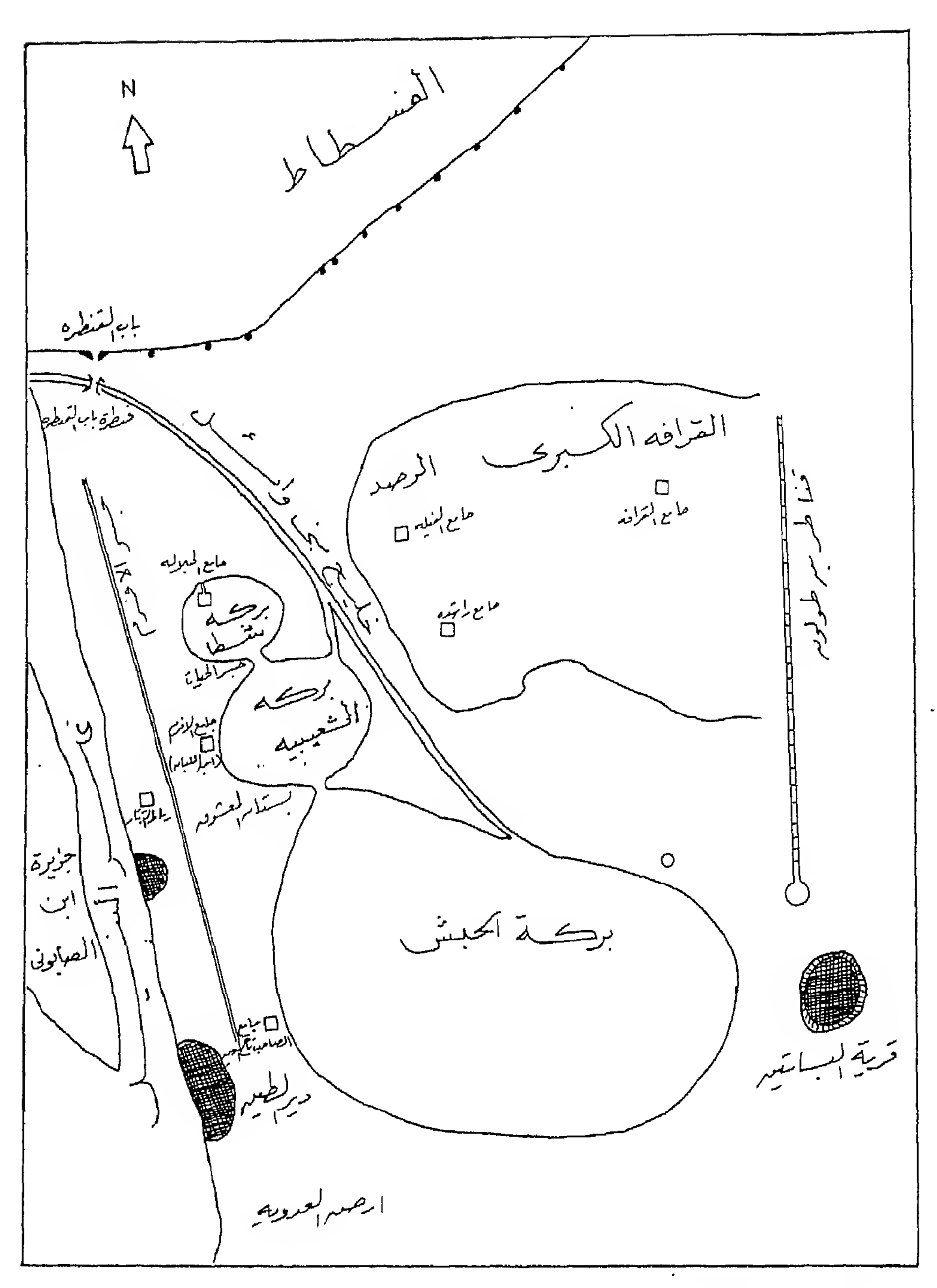


(٥) الخطط التى عمرت فى العصرين المملوكى والعثمانى على أرض طرح النيل بالقاهرة

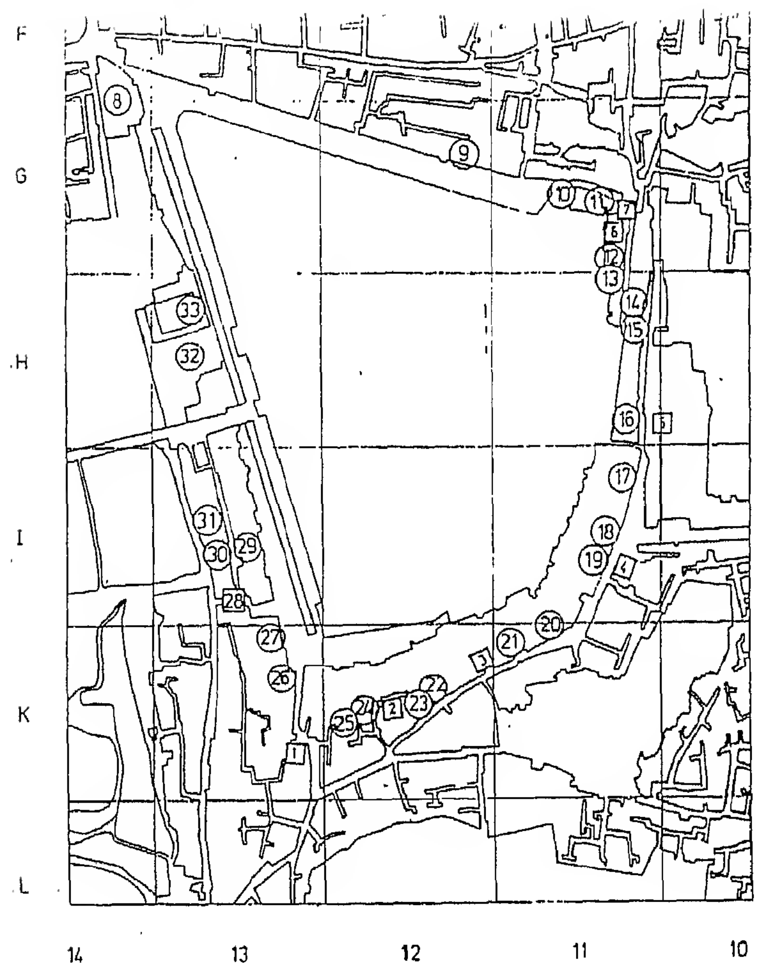


(٦) النمو العمراني للقاهرة وارتباطه بإنشاء القناطر على الخليج

عن : فتحي مصيلحي ، تطور العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ١٢٥

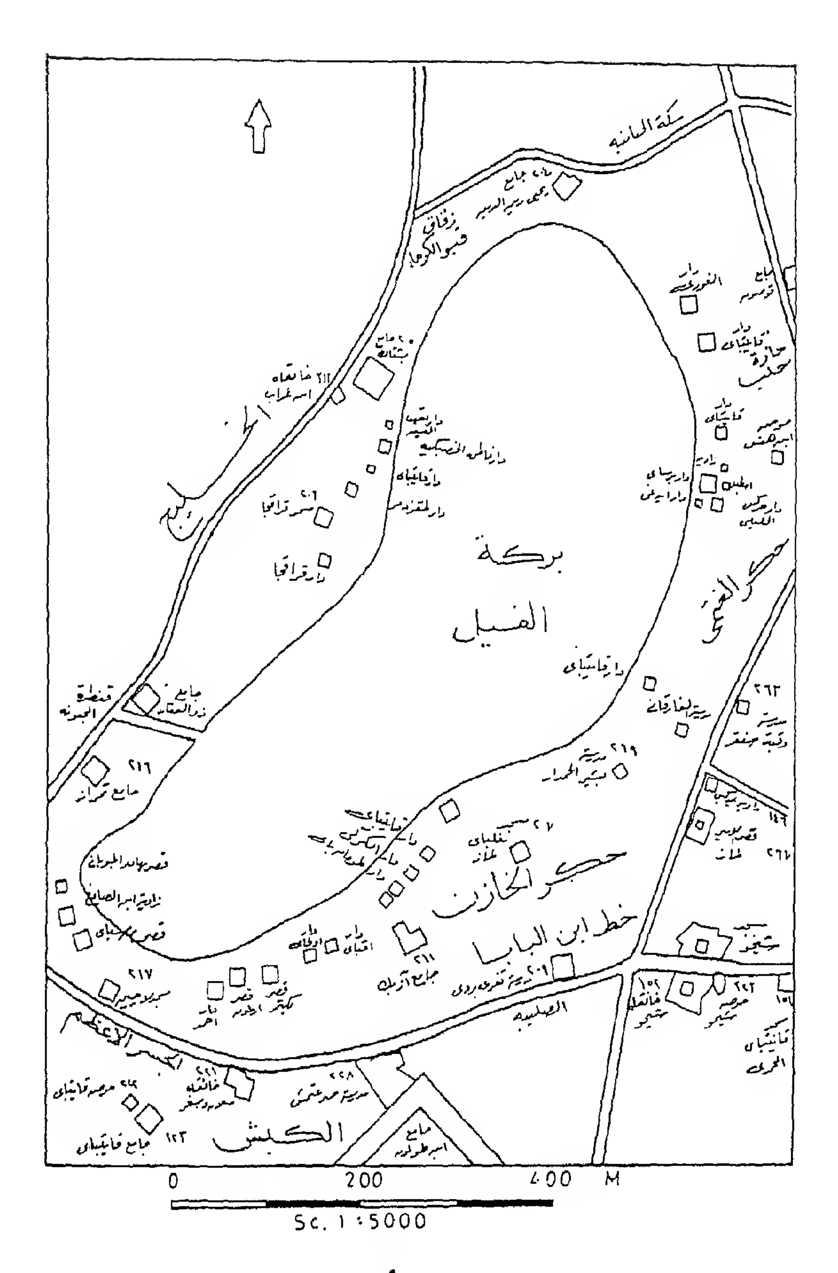


(٧) برك الحبش والشعيبية وشطا فى العصر المملوكى « كروكى »



(٨) بركة الأزبكية والجوامع والدور التى كانت تحيط بها زمن الحملة الفرنسية

1 - جامع عثمان كتخدا
2 - جامع السنباطى
3 - جامع البكرى
4 - جامع أزبك
5 - جامع الجوهرى
6 - جامع الرويعى
7 - الجامع الأحمر
8 - بيت جرجس الجوهرى
9 - بيت الشيخ المهدى
10- المطبعة الأهلية
11- الصيدلية
12- بيت قائد أغا (الديوان)
13- الديوان
14- بيت اسماعيل بك
15- بيت اسماعيل بك
16- بيت الشيخ الجوهرى
17- منزل بشير أغا
18- بيت الشرايبى
19- بيت ابراهيم بك
20- بيت مرزوق بك
21- منزل عمر الكاشف
22- بيت الشيخ البكرى
23- إدارة الأموال
24- بيت مراد بك
25- بيت عثمان بك الأشقر
26- بيت مراد بك
27- بيت محمد أغا
28- جامع الحلبى
29- بيت عثمان أغا الخازندار
30- بيت محمد أفندى
31- قصر محمد بك الألفى
32- قصر محمد بك الألفى
33- رئاسة القوات الفرنسية

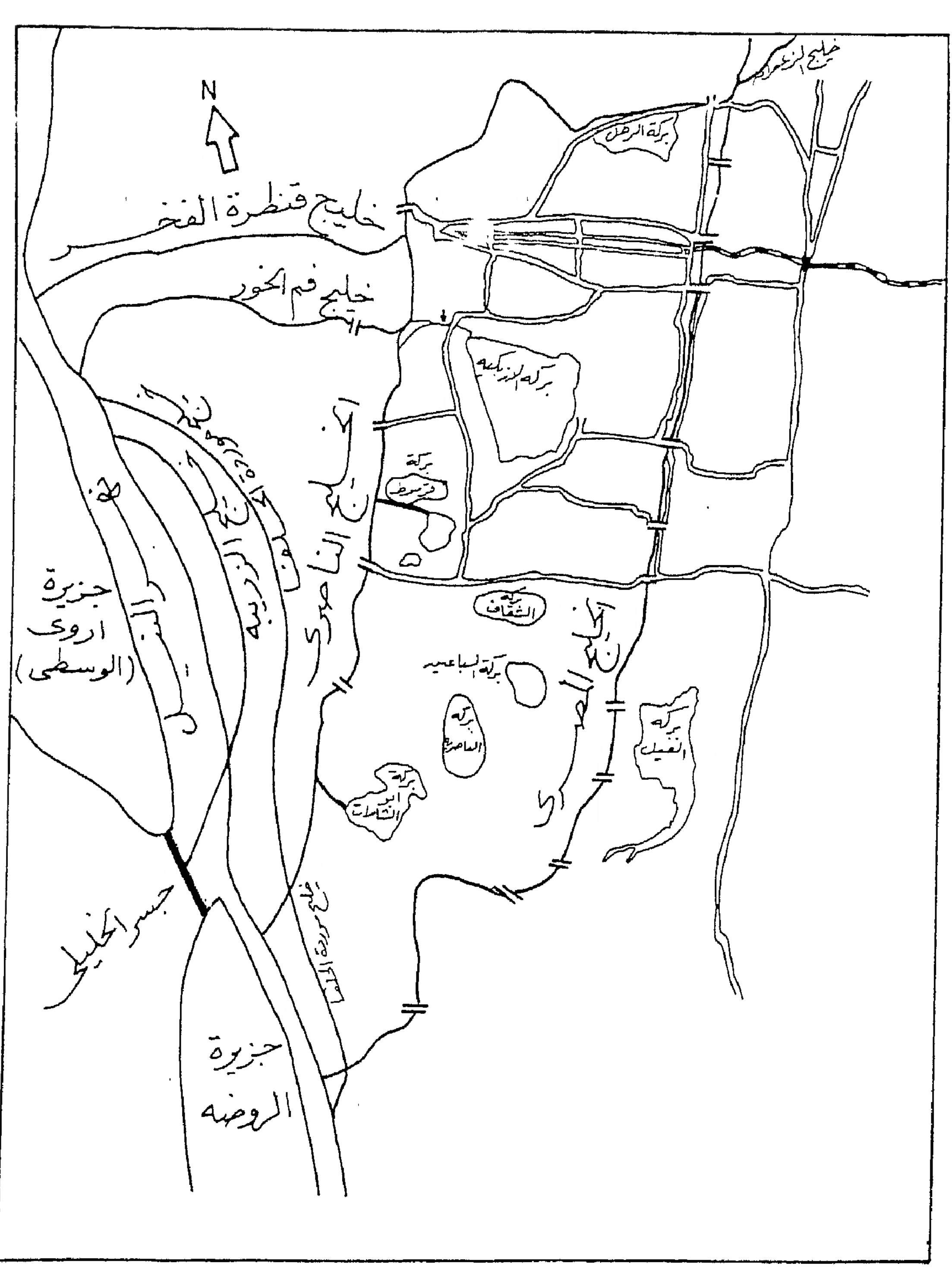


(٩) موقع وحدود بركة الفيل والأحكار والخطط حولها فى العصر المملوكى

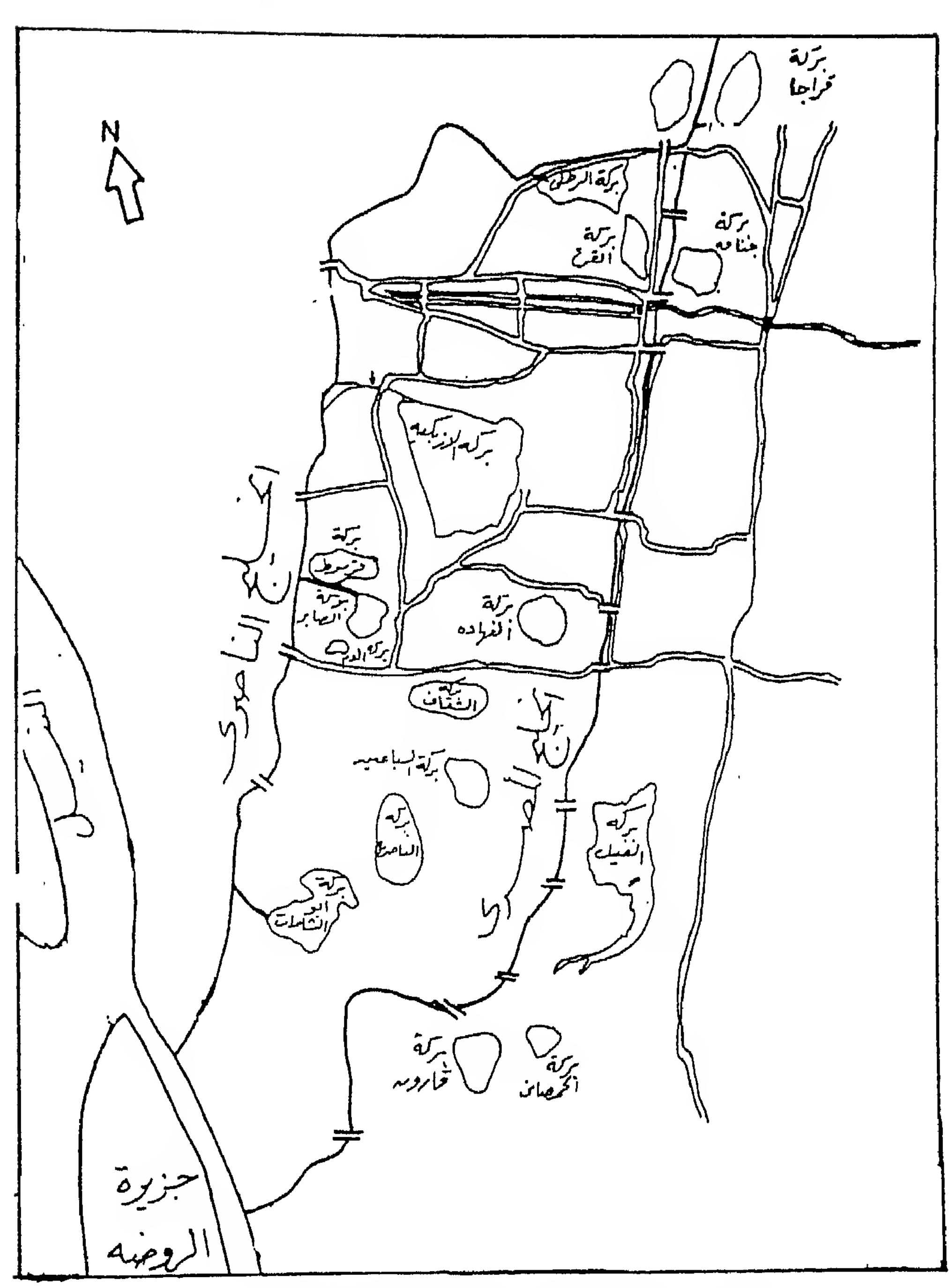
قنطرة الاميرية (١٥)
قنطرة بنى وائل (١٤)
قناطر الأوز (١٣)
القنطرة الجديدة (١٢)
قنطرة باب الشعرية (الخروبى) (٦)
قنطرة باب القنطرة (٢)
قنطرة الشعرانى (١٩)
قنطرة الموسكى (٥)
قنطرة الحفنى (١٨)
قنطرة الامير حسين (١١)
قنطرة باب الخرق (٤)
القنطرة الجديدة (الذى كفر) ١٧
قنطرة آق سنقر (١٠)
قنطرة طقزدمر (٩)
قنطرة عمر شاه (٨)
قنطرة عبد العزيز بن مروان (١)
قناطر السباع (٧)
قنطرة السد (٣)
قنطرة فم الخليج (١٦)

(١) عصر الولاة
(٢) العصر الفاطمى
(٣)، (٤)، (٥)، (٦) العصر الايوبى
(٧)، (٨)، (٩)، (١٠)، (١١)، (١٢)، (١٣)، (١٤)، (١٥)، (١٦) العصر المملوكى
(١٧)، (١٨)، (١٩) العصر العثمانى

(١٠) ترتيب القناطر علي الخليج المصرى والعصور التى أنشئت فيها



(١١) خلجان القاهرة فى العصر المملوكى



(١٢) برك القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى

دار المصرى للطباعة
ت: ٣٨٣٦٥١٦ ــ الهرم



هــذا الكتــاب

كان لقاهرة المماليك والعثمانيين متنزهات عديدة يحسدهم عليها قاهريو هذه الأيام واستمتع الناس وقتئذ بأيامهم فيها أيما استمتاع، وأهم متنزهات القاهرة على الاطلاق نهر النيل وشاطئيه وجزره ولاسيما جزيرة الروضة عروسة المتنزهات، وكانت الخطط الممتدة على شاطئ النيل الشرقى متصلة العمران حافلة بالقصور ذات المناظر والمقاعد المطلة على النيل وبها بساتين وحدائق مغروس بها جميع أنواع الأشجار والأزهار، يلى ذلك برك القاهرة وخلجانها وهى ٢١ بركة أهمها بركة الأزبكية والرطلى والفيل و٨ خلجان أهمها الخليج الحاكمى والخليج الناصرى وخليج الزعفران، ومن المتنزهات أيضا مناظر الكبش ومنظرة التاج والخمسة وجوه ومطعم الطير وكانت الضواحى الشمالية للقاهرة متنزهات هامة مثل المطرية وأرض البعل والتاج والخندق وكوم الريش (الزاوية الحمراء) ومنية السيرج، وكذلك يوجد متنزهات ذات صفة دينية مثل رباط الآثار النبوية على شاطئ النيل بمصر القديمة جنوبى الفسطاط.

وكانت المتنزهات هى المكان المحبب لكل الناس للترويح عن الأ... وقضاء أعيادهم ومواسمهم إلا أنها ارتبطت بشكل خاص بأعياد... النيل.

الـ...

